

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شِرْعَانِ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ

شِرْعَانِ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ
الشَّيْخِ أَحْمَدِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ الْجَزَائِريِّ

١١٦٦ - ١٢٤١ هـ

تُعَظِّمُ لِذِكْرِهِ سُرْقَانِ اللَّهِ

تَقْرِيمٌ
تَوْفِيقٌ كَاهِرٌ الْبَوْعَالِيٌّ

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلشَّيْخِ الْأَوَّلِ

مُؤْسَسَةِ الْإِحْقَافِ

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
٢٠١٧ هـ / ١٤٣٨ م

تراث الشيخ الأوحد ٣٦

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب جوامع الكلم - الجزء الثالث عشر
- المؤلف الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر مؤسسة الإحقاق للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي الأميرة للطباعة والنشر

مؤسسة الإحقاق
للتّحقيق والطباعة
والنشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شِيخُ الْمَسَالِهَتِ الْأَوَّلُ
الشِّيْخُ أَحْمَدُ الشِّيْخُ زَيْدُ الدِّينِ الْأَحْسَانِيُّ

١١٦٦ - ١٤٤١
رُحْمَانِي لِكَذِيفَةِ مَرْفَعِ اللَّهِ

الْأَوَّلُ

موقع الأوحد
مجموعة من الفضلاء
Awhad.com

تقديمه
توفيق بن أصر الله البوعلي

تحقيق ومراجعة

مجموعة من الفضلاء

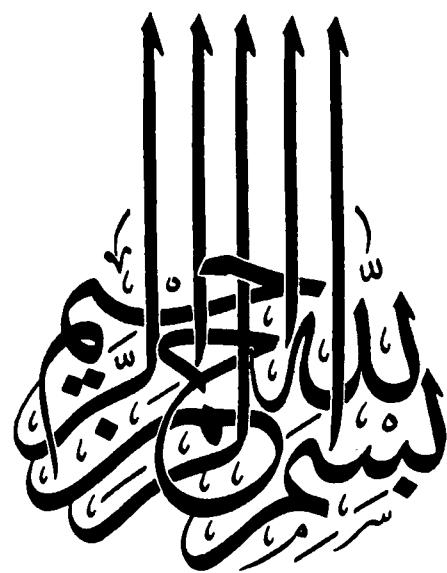
.....

.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ عَشَرُ

مؤسسة الإحقاق



لِلّٰهِ الْحُمْرَاءُ عَلَيْهِ الْمُجَدُ وَلَلّٰهِ مُحَمَّدٌ

- ١ - رسالة في جواب الأخوند الملا محمد حسين
البافقي رسالة في شرح الأخبار المعضلة
- ٢ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى
السمناني عن ثلث مسائل
- ٣ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى
السمناني
- ٤ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى
السمناني عن مسائلتين
- ٥ - رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي
الفتوح
- ٦ - رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي
عن عشرين سؤالاً
- ٧ - رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي)
- ٨ - رسالة في جواب الملا محمد مهدي ابن الملا
شفيع الأسترابادي عن عشر مسائل منها قولهم
إن الأمر بالمعروف لطف
- ٩ - رسالة في شرح حديث : (من عرف نفسه فقد
عرف ربّه) في جواب الأخوند ملا محمد مهدي
بن محمد شفيع الأسترابادي

١ - رسالة في جواب

الاخوند الملا محمد حسين البافقي
رسالة في شرح الأخبار المعضلة

١ - رسالة في جواب الأخوند الملا محمد حسين الباافقی

رسالة في شرح الأخبار المعضلة

وبه ثقتي

بسم الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فيقول الخاطئ الجاني أبو جعفر محمد المدعوّ بحسين الباافقی السرایاني : إني كنت مدة مديدة راغباً في تفسير أحاديث مشكلة وتبيين أخبار معضلة ، طالباً لعالم ربّاني وفاضل صمدانی ينظر بنور الله ويقول بكلمات الله ويسير في آيات الله ، يبصر ببصره ويسمع بسمعه ليفسّرها بتفسيرها واف ويبتئها ببيان شاف : فإذا فزت بحصول المراد وتشرفت بخدمة الأستاذ ومن عليه من جميع علماء البلاد وفضلاء العباد اعتماد واستناد المولى المعظم والشيخ المكرّم خاتم الحكماء والمتألهين ، زين العرفاء والمتكلّمين ، رئيس الفقهاء والمجتهدين ، جليس الفقراء والمساكين ، شيخنا أحمد ابن الشيخ زین الدین حشرهما الله مع ساداتهما الطّيّبين ، فالتمسّت منه المطلب وبلغت المنى بتوفيق الربّ .

في بيان جسم الميت وأقسامه وتعلق الروح فيه الحديث الأول

روى الصّدوق قدس سرّه^(١) في الفقيه عن عمّار السّاباطي أنّه قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الميت هل يبلّي جسده ؟ قال : (نعم حتّى لا يبقى لحم^(٢) ، ولا عظم ، إلّا طينته التي خلق منها ، فإنّها لا تبلى ، بل تبقى في القبر مستديرة حتّى يُخلق منها كما خُلق أولاً مرّة)^(٣) .

الجواب ومن الله إلهام الصواب : اعلم أنّ الإنسان الموجود الآن له جسمان وجسدان :

فالجسم الأول : هو الحامل للعقل والروح وهو أشدّ الأربعة قوّةً وتحقّقاً ورزانةً وخفّةً ولطافةً وعظيماً ، وهو الذي وقع عليه التّكليف في عالم الذّرّ وبه يدخل الجنة إن كان مؤمناً ويدخل به النار إن كان كافراً ، وهو موجود الآن في غيب الإنسان ، وهو

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصادق .

ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) الكافي : (يبقى له لحم) .

(٣) الكافي : ٣ / ٢٥١ ح ٧ ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩١ ح ٥٨٠ ، والبحار : ٧ / ٤٣ ح ٢١ .

الباقي الذي لا يجري عليه الفناء والدّثور وله النعيم أو العذاب الأليم .

والجسم الثاني : هو الذي يعبر عنه في الروايات بأنه (هيكل كهيكل) الدنيا ، فإذا رأيته قُلت هذا فلان ، وربما يعبر عنه بقولهم عليهم السلام (في حواصل طيور خضر)^(١) ، وهذا هو الذي إذا قبض ملك الموت الروح قبضها فيه وأخذها معه ، وتبقى إن كانت من الأخيار في الجنان تتنعم ، وتأتي وادي السلام وتزور أهلها وحفرة قبرها ، وتبقى إلى نفخة الصور الأولى باقية^(٢) .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش ؟ فقال : (لا ، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ولكن في أجسادهم) . الكافي : ٣ / ٤٥ ح ٤٧٣٦ ، وتهذيب الأحكام : ١ / ٤٦٦ ح ١٥٢٦ ، وأمالى الصدق : ٤١٨ ح ٩٤٢ .

(٢) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟

قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفع فيه ؟ فقال : أما النفحة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منها ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفع فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذر روح إلا صقع ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل ...) =

وكذلك إن كانت من الأشرار فإنها تعذب ب النار الدنيا عند مطلع الشمس وتأوي إلى وادي برهوت عند غروبها إلى نفحة الصور الأولى ، وهو قول الصادق عليه السلام في تأویل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾^(١) قال : (تبقى الأرواح ساهرة لا تنام)^(٢) الحديث .

وهذا الجسم الثاني هو ظاهر الجسم الأول ومركبُه وذلك باطنه ولبه ، وإن كان الميت من المستضعفين وأمثالهم ، بقيت روحه في قبره مع هذين الجسمين مجاوري للجسد الباقي إلى يوم القيمة .

وأَمَّا الْجَسْدُ الْأَوَّلُ : فهو مخلوق من عناصر هورقلية^(٣) وهو

= والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين الحوizي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(١) سورة النازعات ، الآيات : ١٣ ، ١٤ .

(٢) عن الحسن بن راشد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن الحسين قال : (دخلت

مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام ، فجرى بينهما حديث ، فقال أبي لأبي

عبد الله عليه السلام : ما تقول في الكرة ؟ قال : أقول فيها ما قال الله تعالى ؛

وذلك أن تفسيرها صار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يأتي هذا الحرف

بخمس وعشرين ليلة ، قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ خَاسِرٌ ﴾ [النازعات : ١٢]

إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا ذحولهم . فقال له أبي : يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا

هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ ﴾^(٤) ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات : ١٣ ، ١٤] أي شيء أراد

بهذا ؟ فقال : إذا انقم منهم وماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا

موت) مختصر البصائر : ٢٨ ، والرجعة : ٣٨ ح ٥٩ ، والبحار : ٥٣ / ٤٤

ح ١٧ ، والإيقاظ من الهجمة : ٩٣ ح ٢٧٩ ، والبرهان : ٤ / ٤٢٥ ح ١ .

(٣) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلي الشبحي ، =

من جنس محدّب محدّب الجهات إلّا أنّه ألطف من المحدّب لأنّ أسفل مراتبه فوق محدّب محدّب الجهات في الإقليم الثامن الحاوي للعجبات والغرائب .

وهذا الجسد يبقى في القبر مستديراً متغيباً في هذه الأرض كحالة الذهب في دكان الصاغ ، وهذا هو الطينة التي خلق منها الإنسان ، كما قال عليه السلام : (إنّها تبقى في قبره مستديرة) ، فإذا نفح في الصور نفحة النّشور نزلت الروح مصاحبة لذلك الجسم الأول ودخلت معه في هذا الجسد فخرج من قبره للحساب .

وأمّا الجسد الثاني : فهو مخلوق من هذه العناصر المعروفة ، تكون منها من لطائف الأغذية ، فإذا تفكّك في القبر رجع ما فيه من النار إلى عنصر النار ، وامتزج بها وما فيه من الهواء إلى الهواء

= وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوى بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجانبها وجابرها الشرقي والغربي انتهى . وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : قوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحدو حدو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائل الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية انتهى .

وقيل عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

كذلك ، وكذلك الماء والتّراب وذهب فلا يعود إذ لا حساب عليه ، ولا عقاب ، ولا نعيم له ، ولا ثواب ، ولا شعور فيه ، ولا إحساس ، ولا تكليف عليه ، ولا مدخل له في الحقيقة ، وإنما هو بمنزلة ثوب لبسته ثم تركته ولبسه غيره ، فافهم .

وكتب العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي
والحمد لله رب العالمين

علة عدم قبول صلاة شارب الخمر الحديث الثاني

قال : روى الصّدوق رحمه الله في العلل عن الحسين بن أحمد عن أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد قال : قلت للرّضا عليه السلام : إنّا رويانا عن النبيّ صلّى الله عليه وآلّه أَنّ من شرب الخمر لم تحسب صلواته أربعين صباحاً .

فقال : (صدقوا) .

فقلت : وكيف لا تحسب صلواته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ، ولا أكثر ؟

قال : (لأنّ الله تبارك وتعالى قدّر خلق الإنسان فصيّر النّطفة أربعين يوماً ، ثم نقلها فصيّرها علقة أربعين يوماً ، ثم نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً ، وهذا إذا شرب الخمر بقيت في

شاشته على قدر ما خلق منه، وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه تبقى في [شاشته] أربعين يوماً^(١).

الجواب : إنما علل ذلك بمدة بقاء النطفة والعلقة والمضغة إلى أن يكمل انقلابها إلى الطور الثاني ، لأنّ النطفة إذا وقعت في الرّحم وامتزجت بها نطفة المرأة وما ث الملك فيهما^(٢) التربة التي من قبره المقدّر له في اللوح المحفوظ بقيت النطفتان تستمدّ من الحيض وتعفن بتلك الرطوبة وبحرارة الرّحم ، وتعين هذه حمّى تعرض للمرأة ، ولا تزال تتنقل تنقلًا سيالاً وتترقى إلى العلقة ، فيكمل استحالتها إلى العلقة في أربعين يوماً .

وكذلك العلقة تكمل استحالتها إلى المضغة في أربعين يوماً بعدّة ميقات موسى عليه السلام ، لأنّ ذلك هو عدد مراتب الوجود وإنما كان ذلك أربعين ، لأنّ الإنسان خلق من عشر قبضات من التسعة الأفلاك ، من كلّ واحد قبضة ومن الأرض قبضة ، وكل قبضة من العشر تكمل في أربعة أدوار فهذه أربعون دوراً .

وجميع ما في الوجود جرى على صنع واحد بتدبير واحد من مدبر واحد سبحانه ، فكلّ شيء ينقلب كمال الانقلاب في أربعين ، فإذا انقلب كمال الانقلاب تغيرت حقيقته وتغيّر حكمه ،

(١) علل الشرائع : ٢ / ٣٤ باب ٥٢ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٨١ / ٣١٥ ، وتهذيب الأحكام : ٩

(٢) في نسخة أخرى : بينهما .

فلما كانت الخمر نجسة كان شاربها حامل نجاسة فلا تحسب^(١) له صلاة حتى ينقلب جميع ما فيه من الخمر إلى مزاج آخر من دم ولحم وعظم فيتغير ذلك فتقبل صلاته ، وإلى هذا المعنى المذكور المفضل أشار عليه السلام بقوله : (بقيت في مشاشته على قدر ما خلق منه) ، ولهذا قال عليه السلام : (وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه يبقى في مشاشته أربعين يوماً) .

والمراد بالمشاشة رؤوس العظام التي يمكن مضغها ، وإنما ذكرها لأنها آخر ما يبقى من الغذاء في^(٢) الاستحالة إلى العظم ، لأن العظم آخر ما يغتصي من سائر الجسد من الغذاء لصلابته ، وفي بعض نسخ الحديث مثانته وهي مجمع البول .

ووجهه أن الخمر إذا طبختها المعدة أول طبخ جذبت كيلوسها إلى الكبد وقدرت ثقلها من الماء إلى المثانة من الكليتين على التدريج إلى مدة الأربعين يوماً ، وإن دخل عليه غذاء غير الخمر وحالطها في الكيلوس وفي ثقله ، لكنها لا تنقطع مادتها بتحلل أو انقلاب إلا بعد الأربعين للقاعدة المذكورة .

ولهذا قرروا عليهم السلام أن النطفة تمكث أربعين يوماً ثم تكون علقة ، وتمكث أربعين يوماً ، وتكون مضبغة ، وتمكث أربعين يوماً فتلجه الروح ، مع أن التفصيل أن ولوج الروح إنما يحصل عند تمام الأربعة الأشهر ، وهي مفرقة على المراتب الست ، أعني

(١) في نسخة أخرى : فلا تقبل . (٢) في نسخة أخرى : عن .

النّطفة والعلقة والمضغة والعظام ويكسى لحماً وينشاً خلقاً آخر ، وكلّ مرتبة له عشرون يوماً ، تمكث النّطفة عشرين فتكون علقة والعلقة عشرين والمضغة عشرين والعظام عشرين ويكسى العظام في عشرين وتلجه الروح في عشرين ، فهذه هي الأربعة الأشهر ، فكيف تكون كلّ رتبة في أربعين كما هو ظاهر الأحاديث ؟

والجواب أنّ النّطفة تبقى خالصة من شوب العلقة عشرين يوماً ، ثم يشوبها نموّ العلقة مع بقاء خلط النّطفة ، فإذا تمت الأربعون ارتفع شوب النّطفة وظهر ابتداء المضغة مصاحباً لبقايا العلقة إلى عشرين ، وترتفع بقايا العلقة ، ويظهر ابتداء العظام مع بقاء بقايا المضغة ، وهكذا فصدق أنّ النّطفة تبقى أربعين يوماً لما بين في القاعدة ، وأنّ بقاها خالصة عشرون ، فصحّ تقسيم المراتب .

وكتب العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي
والحمد لله رب العالمين

حديث رسول الله صلى الله عليه وآلـه مع الدجال

الحاديـث الثـالـث

قال : وروي في الأنوار النعمانية عن الصدوق بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآلـه قال : إنـه صلى ذات يوم بأصحابـه الفجر ، ثم قام بأصحابـه حتـى أتـى إلى بـاب دـار بالمـدينة فـطرق الـباب فـخرجـت إـليـه اـمرـأـة فـقـالت : ما تـريـد يا أـبا القـاسم ؟ .

قال رسول الله : (يا أمّ عبد الله استأذني لي على عبد الله) .
 فقالت : يا أبا القاسم^(١) ، وما تصنع بعد الله ، فوالله إنّه لمجهود في عقله يحدث في أثوابه وإنّه ليروا ودني على الأمر العظيم^(٢) .

فقال : (استأذني لي عليه) .

قالت : أفلی^(٣) ذمتك ؟ .

قال : (نعم) .

قالت : ادخل ، فدخل فإذا هو في قطيعة له يهيم فيها ، فقالت له أمّه : اسكت واجلس ، هذا محمد صلى الله عليه وآلـه قد أتاك ، فسكت وجلس .

فقال النبي صلى الله عليه وآلـه : (ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهو هو) ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآلـه : (ما ترى) ؟

قال : أرى حقاً وباطلاً وأرى عرشاً على الماء .

فقال : (أشهد ألا^(٤) إله إلا الله وأنّي رسول الله صلى الله عليه وآلـه) .

(١) في نسخة أخرى : يا رسول الله .

(٢) في نسخة أخرى : أمر عظيم .

(٣) في نسخة أخرى : أفي .

(٤) في نسخة أخرى : أن لا .

فقال : (بل تشهد ألا^(١) إله إلا الله وأنني رسول الله فما جعلك الله بذلك أحقّ مني) .

فلمّا كان في اليوم الثاني صلّى الله عليه وآلـه بأصحابـه الفجر ثمّ نهض ونهضوا معـه حتى طرقـ الباب ، فقالـت أمـه : ادخلـ فدخلـ ، فإذاـ هوـ فيـ نخلـةـ يـغـرـدـ فيهاـ ، فقالـتـ لهـ أمـهـ : اسـكتـ وانـزلـ هـذاـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ قـدـ أـتـاكـ فـسـكـتـ ، قالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : (لـعـنـهاـ اللهـ لـوـ تـرـكـتـنـيـ لـأـخـبـرـتـكـمـ أـهـوـ هـوـ) .

فلمّا كان في اليوم الثالث صلّى الله عليه وآلـه بأصحابـه الفجر ثمّ نهض ونهضـ الـقـوـمـ معـهـ حتـىـ أـتـىـ ذـلـكـ المـكـانـ فإذاـ هوـ فيـ غـنـمـ لـهـ يـنـعـقـ بـهـ قـالـتـ لـهـ أمـهـ : اسـكتـ واجـلسـ هـذـاـ مـحـمـدـ قـدـ أـتـاكـ فـسـكـتـ . وـكـانـ قـدـ نـزـلـتـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ آـيـاتـ مـنـ سـوـرـةـ الدـخـانـ فـقـرـأـهـ بـهـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ فـيـ صـلـةـ الـغـدـاـ ، قالـ : (أـتـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـأـنـيـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) .

فـقـالـ : بلـ تـشـهـدـ أـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـأـنـيـ رـسـولـ اللهـ وـمـاـ جـعـلـكـ اللهـ بـذـلـكـ أـحـقـ مـتـيـ .

فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : (إـنـيـ قـدـ خـبـأـتـ لـكـ خـبـأـ فـمـاـ هـوـ ?) ، قالـ : الدـحـ الدـحـ .

فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ (اخـسـأـ إـنـكـ لـنـ تـعـدـوـ أـجـلـكـ وـلـنـ تـبـلـغـ أـمـلـكـ وـلـنـ تـنـالـ إـلـاـ مـاـ قـدـرـ لـكـ) ، ثـمـ قـالـ لـأـصـحـابـهـ (أـيـهـاـ

(١) في نسخة أخرى : أن لا .

الناس ما بعث الله نبِيًّا إلَّا أنذر قومه الدّجال ، وإنَّ الله تعالى أخره إلى يومكم هذا ، فمهما تشابه عليكم من أمره فإنَّ ربكم ليس بأعور ، إنَّه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل ، يخرج ومعه جنةً ونار وجبل من خبز ونهر من ماء ، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب ، يدخل آفاق الأرض كلَّها إلَّا مكَة ولا بيته^(١) ، والمدينة ولا بيته^(٢) .^(٣)

أقول : روي هذا الحديث في إكمال الدين وإتمام النّعمة وهو في الدّجال ، وهو الذي يخرج عند قيام صاحب الأمر عليه السلام في السنة التي يخرج فيها .

والذِّي يظهر لي من بعض الأخبار أَنَّه يظهر في العاشر من جمادى الأولى ، والصاحب عليه السلام يخرج^(٤) في العاشر من المحرّم ، فيبين خروجه وخروج الحجّة عليه السلام ثمانية أشهر كما صرّح به في الرواية .

وإنَّما مضى إليه النبي صلَّى الله عليه وآلَّه لِيقِيم عليه الحجّة بأن يدعوه إلى الإسلام والإيمان به ، وأحبَّ أن يدخل عليه على

(١) في نسخة أخرى : (لا بيته) ، ولا بنا المدينة : حرثاه ، واللابة الحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد أليستها لكثرتها .

(٢) في نسخة أخرى : (لا بيتها) .

(٣) كمال الدين وتمام النّعمة : ٥٢٨ باب ٤٧ ح ٢ ، والخراج والجرائح : ٣ / ١١٣٩ ح ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٥٢ / ١٩٦ - ١٩٧ ح ٢٧ .

(٤) في نسخة أخرى : يظهر .

الحالة التي يقتضيها طبعه كما هو مذكور في هذا الحديث وغيره قبل أن تخبره أمّه بدخول النبّي صلى الله عليه وآلـه عليه ليعرفه أصحابـه بصفته و فعلـه ليكفروا^(١) بدعـوتـه ، فإـنه الآـن كـما في هـذه الرـوايـة يـدـعـي النـبوـة ثـم اـدـعـي^(٢) الرـبـوبـيـة ، وإنـه يـخـرـج عـنـد قـيـام القـائـم عـلـيـه السـلام وـيـدـعـي الرـبـوبـيـة وـيـتـبـعـه عـلـى دـعـوـتـه سـتـ عـشـرـة مـئـة أـلـف ، وـيـسـيرـ في الأـرـضـ كـما في آـخـرـ هـذا الحـدـيث ، إـلى أـنـ يـخـرـج حـجـةـ اللهـ القـائـمـ عـلـيـه السـلامـ وـيـقـتـلـهـ وـيـقـتـلـ جـنـودـهـ ، فـقولـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـآلـهـ فـي حـقـ أـمـهـ : (ـمـا لـهـ لـعـنـها اللهـ لـو تـرـكـتـيـ لـأـخـبـرـتـكـمـ أـهـوـ هـوـ) ، لـبـيـانـ صـفـتـهـ وـفـعـلـهـ لـهـمـ كـمـا قـلـنـاـ ، ثـمـ قـالـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـآلـهـ : (ـمـا تـرـىـ) ؟

قالـ : (ـأـرـىـ حـقـاـ وـبـاطـلـاـ وـأـرـىـ عـرـشـاـ عـلـىـ المـاءـ) ، وـكـلامـهـ لـعـنـهـ اللهـ هـذـا يـكـذـبـ ماـ اـدـعـتـهـ أـمـهـ لـعـنـهاـ اللهـ فـيـ حـقـهـ أـنـهـ لـمـ مجـهـودـ فـيـ عـقـلـهـ يـحـدـثـ فـيـ أـثـوـابـهـ يـعـنـيـ مـجـنـونـ لـأـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ ذـلـكـ لـعـدـمـ التـميـزـ وـلـكـنـهـ قـادـورـةـ لـاـ يـسـتـنـجـسـ نـجـسـاـ .

وـقولـهـ : (ـإـنـهـ لـيـراـوـدـنـيـ عـلـىـ الـأـمـرـ الـعـظـيمـ) ، لـاـ يـدـلـ عـلـىـ جـنـونـهـ لـأـنـهـ يـرـيدـ أـنـ يـفـجـرـ بـأـمـهـ لـعـدـمـ أـنـفـتـهـ وـتـحـرـيمـهـ لـشـيـءـ مـنـ الـمـحـرـمـاتـ .

ولـعلـ قولهـ : (ـأـرـىـ حـقـاـ وـبـاطـلـاـ ، الخـ) ، مـشـعـرـ بـقـوـةـ شـعـورـهـ وـحـيـلـتـهـ فـإـنـهـ بـفـطـرـتـهـ يـرـىـ حـقـاـ عـنـدـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـبـاطـلـاـ عـنـدـ مـَنـ خـالـفـهـ ، وـلـكـنـهـ أـبـهـمـهـ لـيـدـعـيـ أـنـهـ مـاـ رـآـهـ مـنـ الـحـقـ أـنـهـ هـوـ

(١) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـيـ : لـيـكـفـرـوـ بـهـ . (٢) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـيـ : يـدـعـيـ .

المستحق له وأنّ الباطل عند من خالفه إيهاماً منه وتدليساً ، ولهذا سمي الدّجال من دجل تدجلاً ، غطى وطلى الذهب لتمويهه بالباطل ، ويقال للنفس الأمارة^(١) المدجلة لأجل ذلك .

ومن أجل ذلك قال للنبي صلى الله عليه وآلـه : بل تشهد ألا^(٢) إله إلا الله وأنني رسول الله فما جعلك الله بذلك أحقّ مني ، وإنما ذكر شهادة ألا إله إلا الله وأجاب بأنني أرى عرشاً على الماء ليخدع النبي صلى الله عليه وآلـه كما هو مقتضى طبيعته من التّلبيس ، كما أنّ أمّه الملعونة إنّما قالت : إنه لمجهود في عقله ليكُف عنـه محمد صلـى الله عليه وآلـه دعوته .

وقول الرّاوي وهو ابن عمر في حكاية المرّة الثالثة ، وكانت قد نزلت في ذلك اليوم آيات من سورة الدخان ، فقرأها أي سورة الدخان لأجل الآيات المذكورة المناسبة لبيان أحوال هذا الخبيث بهم ، أي بأصحابه الذين سار معهم إلى الخبيث الدّجال ، فقوله : (بـهم) ، أي حين صلـى بهم صلاة الفجر ، أو أنّ الباء بمعنى مع أو المصاحبة ، والظاهر أنّ الآيات المشار إليها هي المناسبة لبيان حال الدّجال ومآل أمره وهي قوله تعالى : ﴿فَأَرْتَقَبِ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا أَكْشِفَ عَنَّا عَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝﴾^(٣) ، يعني بتعجـيل الفرج .

(١) في نسخة أخرى : الأمارة بالسوء .

(٢) في نسخة أخرى : أن لا .

(٣) سورة الدخان ، الآيات : ١٠ - ١٢ .

تهديد رسول الله الدجال بالقائم المهدي عليه السلام

﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وهي علامات قيام القائم عليه السلام ، وهو الذي خباء رسول الله صلى الله عليه وآله لهلاك هذا الدجال المدلول عليه بهذه الآيات ، حين عارض هذا الملعون رسول الله صلى الله عليه وآله بدعوى النبوة ، فقال صلى الله عليه وآله له : (إنّي خبأت لك خبأ) ، أي دفنت لك دفيناً وسترت لك^(١) مستوراً ، وخبأً بمعنى ستر فما هو ؟ يعني إن كنت تدعى أنك رسول الله فأخبرني ما الذي ادخرت لك مما يسألك ويبطل دعواك ، فأجابه اللّعين بالكلام الفحش ليُخجل النبي صلى الله عليه وآله فينقطع عن جوابه ، فقال : (الدّح الدّح) .

والدّح بالمهملتين الدس و^(٢) النكاح ، والدّع^(٣) في القفا كنایة عن اللّواط ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : (اخساً إنك لن تعدو أجلك ، ولن تبلغ أملك ، ولن تناول إلا ما قدر لك) ، فأخبره صلى الله عليه وآله أنّ أجلك على يد قائمنا أهل البيت حين تدعى الربوبية ، ولن تبلغ أملك من البقاء والاستعلاء على العباد ، ولن تناول من مطلوبك من ذلك إلا ما قدر لك ، وكتب في أم الكتاب إنك تدعى الربوبية وتتسلط على رقاب الجهال الذين

(١) في نسخة أخرى : لك ستراً .

(٢) في نسخة أخرى : الدس في .

(٣) في نسخة أخرى : الدح .

أجابوا دعوتك ، ثم لا تتمتع بذلك إلا قليلاً حتى يقتلك قائمنا عليه السلام شر قتلة ، وقد ذكرنا على ما في الحديث أن ليس بين ظهوره وظهور القائم عليه السلام إلا ثمانية أشهر .

ثم قال صلى الله عليه وآلـه لأصحابـه : (ما بـعـثـ اللـهـ نـبـيـاـ إـلـاـ
أـنـذـرـ قـوـمـهـ الدـجـالـ) ، يعني أنـي أـنـذـرـكمـ فـتـنـةـ هـذـاـ كـمـاـ فـعـلـ الـأـنـبـيـاءـ
عـلـيـهـمـ السـلـامـ قـبـلـيـ .

وقولـهـ : (وـلـاـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ أـخـرـهـ إـلـىـ يـوـمـكـمـ هـذـاـ) ، يـرـيدـ بـهـ
لـأـرـيـكـمـ صـورـتـهـ وـصـفـتـهـ ثـمـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : (فـمـاـ تـشـابـهـ
عـلـيـكـمـ مـنـ أـمـرـهـ فـإـنـ رـبـكـمـ لـيـسـ بـأـعـورـ) ، كـمـ رـأـيـتـ مـنـ قـبـحـ صـورـتـهـ
ثـمـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : (إـنـهـ يـخـرـجـ عـلـىـ حـمـارـ عـرـضـ مـاـ بـيـنـ
أـذـنـيـهـ مـيـلـ) .

وـفـيـ روـاـيـةـ أـبـيـ الصـدـوقـ عـنـ النـزـالـ بـنـ سـبـرـةـ^(١) ، فـيـ خطـبـةـ
أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـقـامـ إـلـيـهـ الـأـصـبـحـ بـنـ نـبـاتـةـ فـقـالـ : يـاـ أـمـيرـ
الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ الدـجـالـ؟

فـقـالـ : (أـلـاـ إـنـ الدـجـالـ صـائـدـ اـبـنـ الصـيـدـ ، فـالـشـقـيـ منـ صـدـقـهـ
وـالـسـعـيدـ مـنـ كـذـبـهـ ، يـخـرـجـ مـنـ بـلـدـةـ يـقـالـ لـهـ أـصـبـهـانـ مـنـ قـرـيـةـ تـعـرـفـ
بـالـيـهـوـدـيـةـ ، عـيـنـهـ الـيـمـنـيـ مـمـسـوـحـةـ وـالـعـيـنـ الـأـخـرـىـ فـيـ جـبـهـتـهـ تـضـيـءـ
كـأـنـهـ كـوـكـبـ الصـبـحـ ، فـيـهـ عـلـقـةـ كـأـنـهـ مـمـزـوجـةـ بـالـدـمـ ، بـيـنـ عـيـنـيـهـ

(١) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ : سـيـرـةـ .

مكتوب كافر يقرؤه كلّ كاتب وأتمي ، يخوض البحر وتسير معه الشمس ، بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يُري الناس أنه طعام يخرج في قحط شديد ، تحته حمار أقمر خطوة حماره ميل ، تطوى له الأرض منهاً منهاً ، لا يمرّ بماء إلا غار إلى يوم القيمة ينادي بأعلى صوته يُسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول : إلَيْ أُولِيَ الْأَيْمَانِ أَنَا الَّذِي خَلَقَ فَسَوْىٰ وَقَدْرَ فَهْدِي أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ، وَكَتَبَ^(١) عَدُوُ اللَّهِ إِنَّهُ أَعُورٌ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رَبَّكُمْ عَزٌّ وَجَلٌّ لَيْسَ بِأَعُورٍ ، وَلَا يَطْعَمُ ، وَلَا يَمْشِي ، وَلَا يَزُولُ ، أَلَا وَإِنَّ أَكْثَرَ أَتَبَااعِهِ يَوْمَئِذٍ أُولَادُ الرَّزْنَى وَأَصْحَابُ الظِّيَالِسَةِ الْخَضْرَى ، يَقْتَلُهُ اللَّهُ عَزٌّ وَجَلٌّ بِالشَّامِ عَلَى عَقبَةِ تَعْرِفُ بِعَقْبَةِ أَفِيقِ لِثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْ يَوْمِ الْجَمْعَةِ عَلَى يَدِي مِنْ يَصْلَى الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمٍ خَلْفَهُ^(٢) ، انتهى كلامه عليه السلام هنا في وصف الدجال لعنه الله ، وإنما نقلته لما فيه من الفوائد ، وبيان ما أشير إليه في التأويل طويل أعرضنا عما نعرف منه لطوله وعدم اجتماع القلب ، وما ذكرنا جامعاً لبيان باقي الحديث المسؤول عنه .

وقوله صلى الله عليه وآله : (إِلَّا مَكَّةٌ وَلَا بَيْتُهَا وَالْمَدِينَةُ

(١) في نسخة أخرى : (كذب) .

(٢) كمال الدين : ٥٢٧ باب ٤٧ ح ١ ، وختصر البصائر : ٣١ ، والخرائج والجرائح : ٣ / ١١٣٦ .

ولابتيها^(١) ، فيه إشارة إلى أنّ مَكَةَ يخرج فيها القائم عليه السلام وهو قاتله ، ولا يقدر على الوصول إليها خوفاً منه عليه السلام ، لعلمه أنه عليه السلام يخرج في مَكَةَ والمدينة لقربها منه^(٢) عليه السلام ظاهراً وباطناً .

واللّابة هي الحرّة ذات الحجارة السّود قد ألبّتها لكثرتها ،
ولابتا مكّة الحرات التي تكتنفها ، والمراد بها حدود الحرم وهو
اثنا عشر ميلاً طولاً وعرضًا ، فمن المشرق إلى الكعبة المشرفة
أحد عشر ميلاً ، ومن المغرب ميل واحد ومن الشمال أربعة
أميال ، ومن الجنوب ثمانية أميال ، ولابتا المدينة حرم المدينة
وهو حرم رسول الله صلى الله عليه وآلـه وهو ما بين حرّتين
عظيمتين يكتنفانها ، وفي خبر ما معنى لابتتها^(٣) ، قال : (ما
أحاطت به الحرار)^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : (ولا يتبها) .

(٢) في نسخة أخرى : منها .

(٣) في نسخة أخرى : لا يتها .

(٤) الكافي : ٤ / ٥٦٤ ح ٣ ، والفقیہ : ٢ / ٥٦١ ح ٣١٤٩ ، ووسائل الشیعه : ١٤ / ٣٦٣ ح ١٩٣٩٢ ، ومعانی الأخبار : ٢ / ٣٣٧ ح ٢ .

ونصه في الكافي : عن الحسن الصيقيل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :
كنت عند زياد بن عبد الله وعنه ربيعة الرأي ، فقال زياد : ما الذي حرم رسول
الله صلى الله عليه وأله من المدينة ؟ فقال له : بريدي في بريد ، فقال لربيعة : وكان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وأله أميال ، فسكت ولم يجبه ، فأقبل على
زياد ، فقال : يا أبا عبد الله ما تقول أنت ؟ فقلت : (حرم رسول الله صلى الله =

وفي خبر آخر (ما بين ظل عائر إلى ظل وعير)^(١) ، وهما جبلان معروfan .

وفي خبر آخر قال : (ما بين الصورتين إلى الشنّيّة)^(٢) ، يريد جبلي المدينة أعني عايراً ووعيراً .

ثم لما كان خروج الدجال إنما كان من أشراط الساعة ويخرج بعد الدنيا وإن كان في آخرها ، لأنّ أحکامه من نوع أحکام الأولى التي هي قيام القائم عليه السلام والرجعة ، فيجري التقدير له وعليه على مقتضى نظام الوجود ، وجب أن يكون في جميع أحواله مطابقة الظاهر للباطن^(٣) ، ولما كان حرم مكّة وحرم المدينة لا يصاد صيدهما لأنّ من دخلهما كان آمناً ، والدجال هو الصائد فلا يدخل الصائد حرمهما وإلا لما أمنَ مَنْ دخلهما الذي هو صيدهما ، وإلى هذا المعنى أشار صلّى الله عليه وآلـه بقوله : (يدخل آفاق الأرض كلّها إلا مكّة ولا بيته والمدينة ولا بيته) ،

عليه وآلـه من المدينة ما بين لا بيته ، قال : وما بين لا بيته؟ قلت : ما أحاطت به الحرار) ، قال : وما حرم من الشجر؟ قلت : (من عاير إلى وعير) .
قال صفوان : قال ابن مسكان : قال الحسن : فسألـه إنسان وأنا جالـس فقال له : وما بين لا بيته؟ قال : (ما بين الصورتين إلى الشنّيّة) .

(١) الكافي : ٤ / ٥٦٥ ح ٥ ، والفقـيـه : ٢ / ٥٦١ ح ٣١٥٠ .

(٢) الكافي : ٤ / ٥٦٤ ح ٤ ، والفقـيـه : ٢ / ٥٦١ ح ٣١٥٠ ، ومعاني الأخبار : ٣٣٧ ح ٢ .

(٣) في نسخة أخرى : والباطن .

وذلك لأنّ نظام الوجود يقتضي مطابقة الظاهر للباطن ، وفي هذا الحديث لطائف كثيرة .

وكتب العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي
والحمد لله رب العالمين

ثواب زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان

الحديث الرابع

روى الثقة الجليل ابن طاوس رحمه الله^(١) ، في كتاب الإقبال حديثاً منه قوله عليه السلام : (لو علم الناس ما في زيارة نصف شعبان من الثواب لقامت ذكور رجال على الخشب)^(٢) .

(١) هو السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن طاوس العلوي الحسني .
كان عالماً فاضلاً صالحًا زاهداً عابداً ورعاً فقيهاً محدثاً مدققاً ثقة ثقة شاعراً جليل القدر عظيم الشأن ، من مشايخ العلامة وابن داود .
وذكره ابن داود في كتابه فقال : سيدنا الطاهر الإمام المعظم فقيه أهل البيت جمال الدين أبو الفضائل ، مات سنة ٦٧٣ هـ ، مصنف مجتهد .
انظر رجال ابن داود ص ٤٥ - ٤٧ وأمل الآمل رقم ٧٩ .

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه : ٣٣٧ ح ٥٦٦ ، ووسائل الشيعة : ١٤ / ٤٧٠ ح ٤٧٠ ، وإقبال الأعمال : ٣ / ٣٣٩ ، وبحار الأنوار : ٩٨ / ٩٥ ح ١٢ .
ولفظه في الكامل : عن يونس بن يعقوب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (يا يونس ليلة النصف من شعبان يغفر الله لكل من زار الحسين عليه السلام من المؤمنين ما تقدم من ذنبهم وما تأخر وقيل لهم استقبلوا العمل) قال : قلت : هذا كله لمن زار الحسين عليه السلام في النصف من شعبان . فقال : (يا =

الجواب : إنّ في معنى ذلك وجوهاً وأقربها إلى الصحة والطبيعة وأبعدها عن التكليف ما قيل : إنّ المعنى لتبادر فحول من الرجال إلى زيارة الحسين عليه السلام شوقاً إلى ما في زيارته من الثواب ، وإن صلبهم أئمة الجور على الخشب ، كما علم السّحرة بنبوة موسى عليه السلام ولم يبالوا بفعل فرعون بهم ، فلو علموا لزاروه ولو في حال منع حكام الجور من زيارته ، ولو فعلوه حينئذٍ لصلبوا على الأخشاب ، فيكون قد قامت ذكور رجال أي فحول رجال على الخشب .

وكتب العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي
والحمد لله رب العالمين

من يشتري الموت ؟

الحديث الخامس

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : (لو كان الموت يُشتري لاشتراه اثنان ، كريم أبلغ وحريص ملهوف) ^(١) .

= يonus لو أخبرت الناس بما فيها لمن زار الحسين عليه السلام لقامت ذكور الرجال على الخشب) .

(١) روضة الكافي : ٨ / ٢٢ ، ومصباح البلاغة : ١ / ١٧٧ ، ومجمع البحرين : ١ / ٢٣٧ ، وغاية المرام : ٧ / ٧١ وفيه : (لو أن السلامة من الموت يُشتري ...) .

الجواب : الأبلغ طلق الوجه والبلج الواضح ، والظاهر أن المراد بالكريم الأبلغ الذي لا ينقبض وجهه عند كثرة سؤال المحتاجين له وإلحاهم عليه حتى يبلغ به الحال أنه يحب الموت لشدة الإقلال وحزناً ألا يجد ما ينفق كما قال تعالى : ﴿وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدُ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾^(١)

والحرير الملهوف شديد التحسّر والتلهف في طلب الدنيا حيث لا ينال منها ما يكفيه لشدة حرصه ، إذ كل ما فيها لا يكفيه فهو عند نفسه أبداً فاقد مطلوبه وإن وجد لشدة حرصه حتى تبلغ به الحال أنه يتمّي الموت لأنّه لم ينل منه ، فلو كان الموت يُشتري لاشتراك هذان الاثنان ، أو أنّ المعنى لو كان الموت يُشتري لكان ينبغي لهذين الاثنين أن يشترياه لأنّ راحتهم فيه ، لو كانوا عاقلين لرأيا أنّ الرّاحة لهما لا توجد إلّا في الموت فينبغي لو كان يُشتري أن يشترياه .

والله أعلم بمراد ولية عليه السلام .

وكتب العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي
والحمد لله رب العالمين

= ولفظه في الكافي : قال عليه السلام : (لن ينجو من الموت غني بماله ولا فقير لإقلاله . أيها الناس لو أن الموت يُشتري لاشتراكه من أهل الدنيا الكريم الأبلغ والثيم الملهوج) .

والملهوج هو الحرير مفعول بمعنى الفاعل كسعود .

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٢٨ .

كره الله تعالى للبخيل والكريم

الحديث السادس

روي عنه أنه قال : (إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاةِ وَالْكَرِيمِ فِي مَمَاتِهِ) ^(١).

أقول : معناه - والله أعلم - أن الله يحب الكرم في الدنيا ، فإذا كان الرجل بخيلاً في الدنيا كره ذلك لأنه سبحانه يحب الكرم ، وال الكريم يحبه في الحياة فإذا مات كره موته لما يتربّ على حياته من منافع المحتاجين ، لا أنه يكرم الكريم لأنّ الكريم حبيب الله في الحياة وفي الممات ، وإنما كراحته له كراهة موته .

وأما البخيل فالله يكرهه في الحياة وفي الممات ، وإن كان مؤمناً كانت ^(٢) كراهة الله له عبارة عن قلة ثوابه بالنسبة إلى الكريم ، فإنه إذا أثابه لم يبسط له في الفضل ، وإذا حاسبه لم يتتجاوز ^(٣) عنه فهو يكرهه .

واما الكريم فإنه إذا أثابه بسط له في الفضل ، وإن حاسبه لم يعامله بالعدل بل يتجاوزه ^(٤) ، لأنّه يحبه والله أعلم .

وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) لم نجده فيما تتوفر لدينا من مصادر .

(٢) في نسخة أخرى : كان .

(٣) في نسخة أخرى : لم يتتجاوز .

(٤) في نسخة أخرى : يجازيه .

بيان حقيقة النّعْم الطيبة التي تثمر العلوم النّافعة

الحاديـث السـابع

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله^(١) ،
عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه قال : (بين
المرء والحكمة نعمة العالم ، والجاهل شقي بينهما)^(٢) .

أقول : أعلم أن التنعم بطيب المأكل والملابس والمناكح هو

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاه الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ.

الكافي : ١ / ٢٧ ح ٢٩ ، ومجمع البحرين للطريحي : ٢ / ٥٣٤ .
ولفظه في الكافي : عن مفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (يا
مفضل لا يفلح من لا يعقل ، ولا يعقل من لا يعلم ، وسوف ينجذب من يفهم ،
ويظفر من يحمل ، والعلم جنة ، والصدق عز ، والجهل ذلة ، والفهم مجد ،
والوجود نجاح ، وحسن الخلق مجلبة للمودة ، والعالم بزمانه لا تهجم عليه
اللوابس والحزن مساءة الظن ، وبين المرء والحكمة نعمة العالم ، والجاهل
شقي بينهما ، والله ولني من عرفه وعدو من تكلفه والعاقل غفور والجاهل
ختور ، وإن شئت أن تكرم فلين ، وإن شئت أن تهان فاخشن ، ومن كرم أصله
لأن قلبه ، ومن خشن عنصره غلظ كبده ، ومن فرط تورط ، ومن خاف العاقبة
ثبت عن التوغل فيما لا يعلم ، ومن هجم على أمر بغیر علم جدع أنف نفسه ،
ومن لم يعلم لم يفهم ، ومن لم يفهم لم يسلم ، ومن لم يسلم لم يكرم ، ومن لم
يكرم يهضم ، ومن يهضم كان ألم ، ومن كان كذلك كان أخرى أن يندم) .

النعم في الدنيا لأهل الدنيا ، وهذا في الشهادة مثال لما في الغيب في الدنيا والآخرة .

فأما ما في الغيب في الدنيا فهو أن طيب مأكل النفس هي العلوم النافعة التي هي علم الحقيقة وعلم الطريقة وعلم الشريعة على ما ينبغي بأن يعلم ويعمل .

وأما باقي العلم فما طلب منها ليتوصل به إلى هذه الثلاثة كان علمًا وكان نافعًا ، وإلا فهو جهل ضار في الدنيا والآخرة ، أما ضرره في الدنيا فلأنه يكون ظلمة^(١) ، في قلب طالبه ، ويكون بذلك محجوباً عن الطريق الموصلة إلى رضوان الله كما أشير إليه في الحديث القدسي قال الله تعالى : (يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا ، أولئك قطاع طريق عبادي المربيدين إليّ ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)^(٢) ، فقوله سبحانه : (إن أدنى) يراد به معنيان :

(١) في نسخة أخرى : كلام .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٤٦ ح ٤ ، وتحف العقول : ٣٩٧ ، وعلل الشرائع : ٢ / ٣٩٤ ح ١٢ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٠٧ .

ونصه في الكافي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب لشي يحوط ما أحب ، وقال صلى الله عليه وآله : أوحى الله إلى داود عليه السلام : لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدقك عن طريق محبتي ، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المربيدين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم) .

أحدهما : أن أدنى بمعنى أقل .

والثاني : أنه بمعنى أقرب ، يعني أقل ما أجاز لهم بما عملوا واستعملوا لغيري أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم فيكرهون خدمتي ، فيكون ذلك سبب حرمانهم من خيرات الدنيا بعدم استجابة الدعاء وعدم معرفتهم بي وحجبهم عن الترقى إلى عالم النور ، ومن خيرات الآخرة بأنهم لا يجاورون أوليائي في دار كرامتي ، ولا ينالون نعيم جنتي وذلك أول (ما أنا صانع بهم) هل يجزون إلا ما كانوا يعملون .

وأما العلوم الثلاثة النافعة وما تتوقف عليه إذا أحبها العمل حين تهتف به ، وهي طعام النفس التي بها تحيا من موتها كما أشير إليه في قوله تعالى : «أَوْ مَن كَانَ مَيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ»^(١) مضافاً إلى قوله تعالى : «فَلَيَنْهِرِ الْإِنْسَنُ إِلَّا طَعَامِهِ»^(٢) إلى آخر الآيات ، بهذه العلوم النافعة هي طيب مأكل النفوس التي أمرتم بالأكل منها في قوله تعالى : «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ»^(٣) .

بيان طيب الملابس

وأما طيب الملابس فهو الرزد والتصوى قال تعالى : «وَلِيَأْشُ

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢ .

(٢) سورة عبس ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٥٧ .

النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ^(١) إِنْ كُلَّ لِبَاسٍ غَيْرَ التَّقْوَى لَا يَسْتَرُ صَاحِبَهُ بِلَ تنَكْشِفُ مَعَهُ عُورَتَهُ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّاعِرُ :
ثَوْبُ الرِّيَاءِ يَسْفُثُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحْفَتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِي

بيان كمال الزهد

وكمال الزهد ألا تأس على ما فاتك ، ولا تفرح بما أتاك .
 وبيانه : أن الزهد ليس هو تحريم الحلال ولا تضييع المال ،
 وإنما هو ألا تكون بما عندك أوثق منك بما عند الله .

بيان كمال التقوى

وكمال التقوى أن ترك المباح بل المندوب إذا علمت أنه
 يجوز أن يكون في الواقع حراماً أو يجر إلى الحرام ولو بلوازم
 العادات ، كما قال صلى الله عليه وآله ما معناه : (لا يكون الرجل
 من المتقين حتى يدع ما لا بأس به^(٢) ، خوفاً مما فيه بأس)^(٣) .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٦ .

(٢) في نسخة أخرى : (فيه) .

(٣) تحف العقول للحراني : ٦٠ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٣٥ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ١ / ١٦٦ .

ولفظه في التحف : قال صلى الله عليه وآله : (لا يبلغ عبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرأ لما به البأس) .

ومن الملابس الطيبة الزوجة المؤمنة الصالحة تعينه على دنياه ودينه ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآلـه : (إذا أراد الله بعد خيراً جعل له قلباً ذاكراً ، ولساناً شاكراً ، وبذناً على البلاء صابراً ، وزوجة تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وما لها) ^(١) ، فجعلها مما هو الخير بالعبد . وأشار سبحانه إلى كونها لباساً بقوله : «**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**» ^(٢) .

فافهم التلویح فإنه أبلغ من التصریح لذی الحسّ اللطیف
الصحيح .

بيان طیب المناکح

وأمّا طیب المناکح فمنه ظاهر وباطن فالظاهر هذه الزوجة المشار إليها ، فإن مثلها من أفضل الأعمال أو من المعین على الصالحات ، وإلى هذا وأشار عليه السلام (حبب إلىي من دنياكم ثلاث : النساء) ^(٣) ، الخ .

(١) مستدرک الوسائل : ١٤ / ١٦٩ ح ١٦٤٠٥ ، وفيه : (إذا أردت أن أعطي عبدي خير الدنيا والآخرة جعلت له لساناً ذاكراً ، وقلباً خاشعاً ، وجسداً على البلاء صابراً)

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

(٣) الخصال : ٢١٨ ح ١٦٥ ، وروضة الوعاظین : ٣٧٣ ، ووسائل الشیعہ : ١ / ٨٩ ح ١٤٤ .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وآله إنما يميل إلى الأعمال الصالحة ، وفي هذا كثرة الطرورة من سنن النبيين وكسر شهوة النفس عن التّطموح إلى المحارم ، وطلب التسلل الذي يشقق الأرض بشهادة ألا^(١) إله إلا الله فتستريح النفس فتتوّجه إلى عالم النور^(٢) ، وفي الحديث من طرق الخاصة ما معناه عن الصادق عليه السلام : (ما ازداد أحد حبًّا في الولاية إلا ازداد حبًّا في النساء)^(٣) .

ومن طرق العامة عنه صلى الله عليه وآله : (ما ازداد أحد حبًّا في الإيمان إلا ازداد حبًّا في النساء)^(٤) ، وإنما جعل صلى الله عليه وآله ذلك محبّيًّا^(٥) إليه ، لأن الركعة من المتزوج تعدل سبعين ركعة من عزب .

وكذا الطيب والباطن من النكاح هو نكاح العقل للنفس بعد تأدبيه لها بآداب الله حتى تنقاد لأمر الله ، فإذا انقادت كانت أخت العقل فلا تخالفه ، بل لا يدرك أكثر الأعمال الصالحة إلا بها ،

= ولفظه في الخصال : قال النبي صلى الله عليه وآله : (حب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعل قرة عيني في الصلاة) .

(١) في نسخة أخرى : أن لا .

(٢) في نسخة أخرى : الأنوار .

(٣) وسائل الشيعة : ٢٠ / ٢٢ ح ٢٤٩٢٤ بلفظ : (ما أظن أن رجلاً يزداد في هذا الأمر خيراً إلا ازداد حباً للنساء) .

(٤) فروع الكافي : ٥ / ٣٢٠ ح ٢ ، ووسائل الشيعة : ٢٠ / ٢٢ ح ٢٤٩٢٢ ، وبحار الأنوار : ١٠ / ٢٢٨ ح ٢٨ .

(٥) في نسخة أخرى : محبوبًا .

وإلى ذلك الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿أَتَوْكِئُونَا عَلَيْهَا وَأَهْسِنُ إِلَيْهَا
عَلَى غَنَمِي وَلَيَ فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى﴾^(١) ، لأنّه إنما يؤدب رعيته
ويعلمهم أحكام دينهم بها لأجل مناسبة النفس ومقارنتها لهم ،
فإذا وافقته فيما يقتضيه ويطلبه من مراد الله كان ذلك هو النكاح
الطيب ، لأنّ ما يتولّد منها من الأعمال الصالحة إنما هو من
العقل ومنها ، فكان ذلك النكاح الطيب على كتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وآله .

وبالجملة فهذه المأكل والملابس^(٢) والمناكح الطيبة هي
التعيم الطيب لأنّ هذه تشمل العلوم الحقة والمعارف الإلهية ،
فيكون المرء بين ما فهم رشهه وبلغ أشدّه إلى أن يكون حكيمًا
ربانيًّا يتنعم بثمرات العلوم وصالحات الأعمال ، حتى إذا كان
فذلك استغنى بتعليم الله عن تعليم الناس ، كما أشار إليه سبحانه
بقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى مَائِنَتَهُ حَكِيمًا وَعِلْمًا وَكَذِيلَكَ
بَحْرِيَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) يعني أنّ من أحسن آتيناه حكماً وعلماً ولن
يختلف الله وعده ، وحسن العمل هو ما أشرنا إليه من أعمال الدنيا
التي تدعو إلى الله وإلى رضاه من المأكل والملابس والمناقح ،
فإذا امثّل أوامر الله واجتنب نواهيه في كلّ ما ورد به الشرع
الشريف ، وتأدب بآداب الله ، وجد للعلوم والأعمال لذة ونعيمًا

(١) سورة طه ، الآية : ١٨ .

(٢) في نسخة أخرى : الملابس والمشابب .

(٣) سورة القصص ، الآية : ١٤ .

لا يوجد له نظير في العالم ، لأن ذلك مع حسن النّظر ودوام الذكر وصحّة الفكر يورث محبّة الله ، فهو ما بين ابتدائه إلى أن يبلغ الحكمة يتقلب في رياض الأنس من حظائر القدس ، فهم في تنعم الأفكار وتلذذ الأذكار تؤوّب معه الجبال والأطياف في أعلى أغصان أشجار الأنوار ويقتطف من أزهار الأسرار .

فلهذا قال عليه السلام : (بين المرء والحكمة نعمة العالم) ، بفتح النون أي تنعم العالم الرباني الذي مر ذكر عمله وصفة تعلّمه ، فإن من كان بخلاف تلك الأوصاف فهو الجاهل وإن كان يشقّ بدقيق علمه الشعر وهو الشقّي بين تعلّمه^(١) وبين الحكمة ، لأنه أتى البيوت من غير أبوابها فهو محجوب وبعد كما قال تعالى : « صُمٌّ وَبَكْمٌ فِي الظُّلْمَتِ »^(٢) .

وفي بعض نسخ الحديث (نعمة العالم) ، بكسر النون ، والمعنى أنه بين حالتيه هاتين نعمة العالم أي نعمة الولاية من الولي على العالم المتابع لإمامه ، لأنه عليه السلام يسقيه فيما بين ذلك من الكوثر شربة لا يظماً بعدها أبداً ، والجاهل المشار إليه مطرود عن تلك الشربة^(٣) ، مذود عنها ، فهو بذلك شقّي بينهما ،

(١) في نسخة أخرى : فعله .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٩ .

(٣) في نسخة أخرى : الشريعة .

هذا إشارة مجملة إلى معنى الحديث ، وإن كان الكلام كثيراً ، لأنّ هذا^(١) بمنزلة المقدمة لتلك المعاني المبهمة .

كلام الفيض الكاشاني والملا صدرا في معنى الحديث

وقد ذكر الملا محسن^(٢) في الوفي لهذا الحديث كلاماً له وكلاماً لأستاذه صدر الدين الشيرازي^(٣) ، ولا بأس بذكرهما تتميماً للفائدة :

(١) في نسخة أخرى : إلا أن هذا .

(٢) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيناً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أدبياً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوفي جمع الكتب الأربع مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصلية ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الإحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحججة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

(٣) هو محمد بن ابراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز . توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .

رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً . له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشاهد الروبية في المناهج السلوكية .

انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

قال الملا : النّعمة بفتح النون يعني أنّ الموصل للمرء إلى الحكمة تنعم العالم بعلمه ، فإنه إذا رأى المرء انبعثت نفسه إلى تحصيل الحكمة أو إضافة النّعمة بالكسر ببيانه ، أي العالم الذي هو نعمة من الله سبحانه يوصل المرء إلى الحكمة بتعليمه له إياها ، والجاهل شقي بينهما ، أي له شقاوة حاصلة من بين المرء والحكمة أو المتعلّم والعالم ، وذلك لأنّه لا يزال يتعب نفسه إما بالحسد أو الحسقة على الفوت أو السعي في التّحصيل مع عدم القابلية للفهم^(١) .

[قال :] وقال أستاذنا صدر المحققين طاب ثراه : لعلّ المراد به أنّ الرجل الحكيم من لدن عقله وتمييزه إلى بلوغه حدّ الحكمة يتنعم بنعمة العلم ونعمي العلماء ، فإنه لا يزال في نعمة من أغذية العلوم وفوائده المعرف ، فإنّ معرفة الحضرة الإلهية لروضة فيها عين جارية وأشجار مثمرة قطوفها دانية ، بل جنة عرضها كعرض السماء والأرض ، والجاهل بين مبدأ أمره ومتنهى عمره في شقاوة عريضة وأمل طويل ومعيشة ضنك وضيق صدر وظلمة قلب إلى قيام ساعته وكشف غطائه ، وفي الآخرة عذاب شديد ، انتهى^{(٢)(٣)} .

(١) الوافي : ١ / ١١٩ .

(٢) في نسخة أخرى : انتهى كلامه .

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني : ١ / ٣١٩ ونسبة لبعض الأفضل .

وكلام الملا صدر الدين كلام دقيق متين ، إلا أنه أشار إلى الغايات ولم يُشير إلى المبادئ ، إما بناءً على طريقته لأنه لا يجري في حكمته على مطابقة الشرع الظاهر للشرع الباطن أو غفلة عن المبادئ ، ولا شك أن تلك الغايات على ما يحب الله سبحانه لا يحصل إلا بالشرع الظاهر والملازمة للفرض والنفل^(١) والتأدب بآداب الله الواردة في التقل والعقل والله أعلم .

وكتب : أحمد بن زين الدين

في بيان التقية الحديث الثامن

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ، مسندًا إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكرت التقية يوماً عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله) ^(٢) .

(١) في نسخة أخرى : للفرائض والنواول .

(٢) الكافي : ١ / ٤٠١ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٠ ح ٢٥ ، وبصائر الدرجات : ٤٥ ، وختصر البصائر : ١٢٤ ، والعوالم : ٣ / ٥٠٤ ح ٢٤ ، والبحار أيضًا : ٢٢ / ٣٤٣ ح ٥٣ .

ونصه في مختصر البصائر : مسعدة بن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه عليهم السلام قال : (ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليهما السلام فقال : والله ، لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله صلى الله =

أقول : إنما قال عليه السلام ذلك في جواب ذكر التّقىّة ، يعني أنها واجبة على كلّ عالم بما لا يقبل وبما لا يحتمل ، وكما تكون من أعداء الدين كذلك تكون من المؤمنين ، وناهيك بذلك ذكرها في حقّ أبي ذرٍ عند سلمان وقد آخى بينهما رسول الله صلّى الله عليه وآلـه ، بل قد تكون في اثنين كلّ واحد منها من الآخر ؛ روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (قال رسول الله صلّى الله عليه وآلـه : يا سلمان لو عرض علمك^(١) على مقداد لکفر ، يا مقداد لو عرض علمك^(٢) على سلمان لکفر) .

علة التفاضل في العلم بين سلمان وأبي ذر والمقداد

واعلم أنّ سلمان لا يجهل علم^(٣) مقداد ، ولكن الذي أفهم من الحديث أن المقداد لو عرض عليه عمل سلمان وعلم ما أراد سلمان بعبادته ومن يعبد وإلى من يتوجه وما يريد من ألفاظ عبادته وما يدلّ

عليه وآلـه بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ؟ ! إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل ، أو ملك مقرّب ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان . قال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنّه أمرّ منّا أهل البيت ، فلذلك نسبته إلى العلماء .

وأول السيد المرتضى الحديث بأن معنى : (قتله) أي من شدة الحبّ . انظر غرر الفوائد : ٤١٩ .

(١) في نسخة أخرى : (عملك) .

(٢) في نسخة أخرى : (عملك) .

(٣) في نسخة أخرى : عمل .

بها عليه وما الأسماء التي يدعو بها ربّه من الأسماء والأفعال والحراف وما أشبه ذلك ، فإنه يريد منها غير ما يعرف المقداد ، ولو أخبره بمراده منها لکفر بذلك وأنکره وهذا ظاهر من الحديث . ويحتمل أنه لو كلف به المقداد لما قبله ولجده ، أو رأى أنه خلاف الحق والإنكار هو الكفر .

وأما الحرف الثاني - وهو لو عرض علمك^(١) على سلمان لکفر - : فالذى أفهم أنّ المعنى لو كلف سلمان بعمل المقداد لکفر به ، لأنّه يعلم أنه في حقّه کفر لا أنه لا يعلم مراد المقداد ولا أنّ المقداد أخطأ بعمله طريق الحقّ ، بل يعلم أن المقداد أصاب بعلمه^(٢) طريق الحقّ والنجاة في حقّه ، وفي حقّ مثله ، وإن كان في حقّ سلمان أنه خطأ وجهل .

وفي الحديث ما معناه : (وأنَّ الذرَّة لتزعم أنَّ الله زبائِن^(٣))^(٤) ، يعني قرنين وهذا في حقّها لا ينافي التوحيد ولا الشّریعه ، لأنّ عدمهما نقص عندها ، ووجودهما كمال عندها ، فهي تصف ربّها بما هو

(١) في نسخة أخرى : عملك .

(٢) في نسخة أخرى : بعمله .

(٣) في نسخة أخرى : (زيانتين) .

(٤) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الواقي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سُمِّي عالماً قادرًا إلّا لما وهب العلم للعلماء =

كمال^(١) ، ولو عرض عليك علمها^(٢) لكفرت به وجحدته لأنك تنزه الله تعالى عن القرنيين وعن صفات جميع الخلق ، ولو عرض علمك^(٣) على الذرة بأنك تعبد الذات المتنزهة عن القرئين لكفرت به ، لأن ذلك عندها نقص في حق خالقها ولكنك تعرف أن ذلك يقبل منها ، ولا يقبل منك ، فيكون قوله صلى الله عليه وآله (يا مقداد لو عرض علمك^(٤) على سلمان لکفر)^(٥) ، من هذا القبيل ، فافهم .

فقد صدق من الحديث أن التّقى تكون في اثنين مؤمنين صالحين من المتقين كل واحد يتقي الآخر ، ولا تختص التّقى بالمخالفين كما توهّم بعض من لا قريحة له في الدين .

= والقدرة للقادرين ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار توهّم أن لله زبانيتين لأنهما كمالها ، وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

(١) في نسخة أخرى : كمال عندها .

(٢) في نسخة أخرى : عملها .

(٣) في نسخة أخرى : عملك .

(٤) في نسخة أخرى : (عملك) .

(٥) الاختصاص للمفيد : ١١ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٢١٤ ح ٧ ، واختيار معرفة الرجال : ١ / ٤٧ .

ولفظه في الاختصاص : عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا سلمان لو عرض علمك على المقداد لکفر ، يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لکفر) .

وأماماً أمر أبي ذرَّ مع سلمان فقد كان من هذا القبيل ، لأنَّ سلمان كان عالماً بالله فوق ما يعرف أبو ذرَّ ، ولهذا في بعض الأحاديث ما يشعر بأنَّ سلمان في حال من أحواله^(١) ليس من الشيعة بالنسبة إلى مطلق الشيعة ، بل هو من الأئمة المتبعين على نحو ما قال عليه السلام : (نحن العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وسائل الناس غثاء)^(٢) .

وببيان ذلك ما روي عنه عليه السلام أنه قال : ما معناه (لو علم^(٣) أبو ذرَّ ما في قلب سلمان لقتله ، لأنَّ حديث العلماء صعب مستصعب ، وإنما قلتُ العلماء لأنَّ سلمان منا أهل البيت)^(٤) ،

(١) في نسخة أخرى : الأحوال .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٩ ح ٢ ، والكافي : ١ / ٣٤ ح ٤ ، والخصال : ١٢٣ ح ١١٥ .

ولفظه في الكافي : عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : (يغدو الناس على ثلاثة أصناف : عالم ومتعلم وغثاء ، فنحن العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وسائل الناس غثاء) .

(٣) في نسخة أخرى : (يعلم) .

(٤) الكافي : ١ / ٤٠١ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٠ ح ٢٥ ، وبصائر الدرجات : ٤٥ ، وختصر البصائر : ١٢٤ ، والعوالم : ٣ / ٥٠٤ ح ٢٤ ، والبحار أيضاً : ٢٢ / ٣٤٣ ح ٥٣ .

ونصّه في مختصر البصائر : مسعدة بن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام قال : (ذكرت التقية يوماً عند عليٍّ بن الحسين عليهما السلام فقال : والله ، لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما بما ظنّكم بسائل الخلق ؟ ! إنَّ علم العلماء صعب مستصعب =

وإلى هذا المعنى الإشارة بما رواه زراره قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (أدركَ سلمانَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، وَهُوَ بَحْرٌ لَا يَنْزَحُ ، وَهُوَ مَنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ فِي رَهْطٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ تَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الَّذِي عَمِلْتَ بِهِ فِي بَطْنِ بَيْتِكَ الْبَارِحةَ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَى ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : لَقَدْ رَمَاكَ سَلْمَانَ بِأَمْرِ فَمَا دَفَعْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ فَقَالَ : إِنَّهُ أَخْبَرَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا اَظْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا) ^(١).

وفي خبر آخر مثله وزاد في آخره : إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي قَحَافَةَ .

وفي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال لي : (تروي ما يروي الناس أنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي سَلْمَانَ : أَدْرَكَ عِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ) ، قَلْتُ : نَعَمْ قَالَ : (فَهَلْ تَدْرِي مَا عَنِّي ؟) ، قَالَ : قَلْتُ : يَعْنِي عِلْمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعِلْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلَكٌ مَقْرَبٌ ، أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحِنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْأَيْمَانِ .

قال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنَّه امرأٌ مَنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ ، فلذلك نسبته إلى العلماء .

(١) الاختصاص للمفيد : ١١ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٧٣ ح ١١ ، واختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٥٢ ح ٢٥ .

قال : (ليس هكذا يعني ، ولكن علم النبي صلى الله عليه وآله وعلم علي عليه السلام ، وأمر النبي وأمر علي صلوات الله عليهم) ^(١).

إذا كان هذا حاله فقد أدخلوه في جملتهم بالنسبة إلى عامة الشيعة الذين نقضوا عن العصمة الذين من جملتهم أبو ذر ، لأنه ليس من المتعلمين بالنسبة إلى هؤلاء الشيعة ، بل هو من العلماء ، فإذا كان هذا حاله لا يتحمل أبو ذر ما أضمر عليه قلب سلمان ، ومثل هذا ما روي عن عبد الرحمن بن أبي أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : (كان سلمان من المتتوسّمين) ^(٢) ، ومعلوم أن المتتوسّمين آل محمد الطيبون صلى الله عليه وعليهم كما روی عنهم عليهم السلام ^(٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٥٠ ح ٧٣ ، واختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٦٤ ح ٣٧ .

(٢) بحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٤٩ ح ٦٩ ، واختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٥٦ ح ٢٨ ، وتاريخ آل زرارة : ١١٩ .

(٣) في عيون الأخبار أن الرضا عليه السلام سأله بعض من حضر من الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة في مجلس المأمون ، فقال : يا بن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة لمدعها ؟
قال : (بالنص والدليل) .

قال له : فدلالة الإمام فيما هي ؟
قال : (في العلم واستجابة الدعوة) .

قال : وما وجه إخباركم بما يكون ؟

والمتوسم من ينظر بنور الله ، والتّوسم هو الفراسة المذكورة في الحديث ، وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (سلمان علِمَ الاسم الأعظم) ^(١) .

وقول أمير المؤمنين عليه السلام : (يا أبا ذر سلمان باب الله

قال : (ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله) .

قال : فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس ؟ .

قال له : (أما بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) .

قال : بلى .

قال : (فما من مؤمن إلا وله فراسة لنظره بنور الله على قدر إيمانه ومبّلغ استبصاره وعلمه ، وقد جمع الله للأئمة ما فرقه في جميع المؤمنين ، وقال عزّ وجل في محكم آياته : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلْمُتَوَسِّمِينَ» [الحجر: ٧٥] ، فأول المؤتمسين رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ، ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيمة) .

قال : فنظر المأمون فقال : يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت .

فقال الرضا عليه السلام : (إن الله تبارك وتعالى قد أيدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهي مع الأئمة منا تسدّدهم وتوفّقهم ، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجل) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧

١٥ ح ٢٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ..

(١) الاختصاص : ١١ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٤٦ ح ٥٩ ، واختيار معرفة الرجال للطوسى : ١ / ٥٦ ح ٢٩ .

في الأرض من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، وإن سلمان من أهل البيت)^(١) .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (كان والله عليّ محدثاً ، وكان سلمان محدثاً) .

قلت : اشرح لي ؟

قال : (يبعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه يقول : كيت وكيت)^(٢) .

وهذا الملك روح القدس لما روي حين بعث النبي صلى الله عليه وآله عليه أياً في سنة حجة الوداع إلى اليمن ليقبض الحلَّ التي عاهد عليها نصارى نجران ، وقد سُئل بما معناه بِمَ يحكم على وهو غائب عنك ، وقد ينزل الوحي بخلاف الحكم السابق ، فأجاب صلى الله عليه وآله : (كان روح القدس يلقى عليّاً ، ويلقى سلمان))^(٣) .

ولا ينافي ما أردناه من هذه الروايات ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال في الخبر الذي رُوي فيه : (إن سلمان كان

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٧٤ ح ٨٢ ، واختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٦٠ ح ٣٣ .

(٢) بصائر الدرجات : ٤ / ٣٤٢ ح ٧٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٥٠ ح ٧٢ .

(٣) لم نجد بهذه الألفاظ ، وروي بلفظ : (إن الأوصياء محدثون يحدثهم روح القدس) ، انظر مستدركات رجال الحديث : ٢ / ٤١٦ .

محدثاً عن إمامه لا عن ربّه لأنّه لا يحدّث عن الله عزّ وجلّ إلا الحجّة^(١) ، لأنّ الملك الذي يحدّثه إنّما يكون ببعث الحجّة المطلق لأنّه صاحب الولاية المطلقة ، ولو كان محدثاً بغير واسطة الإمام عليه السلام لكان مساوياً له ، ولا يقول به أحد لأنّه من شيعته^(٢) ، إلا أنّ الشيعة على أقسام ثلاثة :

أقسام الشيعة

الأول : السابقون من الخصيّسين وهم الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣) .
والثاني : المقتضدون من الخصيّسين كسلمان .

والثالث : الخواصّ كأبي ذرّ ، لكنّ لما كان سلمان في الدرجة العاشرة من الإيمان وأبو ذرّ في الدرجة التاسعة من الإيمان لم يحتمل ما يحتمله سلمان ، ولما كان سلمان من الخصيّسين كان الملك يحدّثه عن إمامه ، ولم يكن أبو ذرّ محدثاً لأنّه من الخواصّ ، ولا يبلغ رتبة الخصيّص .

وقولنا قبل : إنّ سلمان من العلماء ، في بعض الأحوال نشير

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ / ١٤٦ ح ٣٣٤٤٣ ، وبحار الأنوار : ٢٢ / ٣٤٩ ح ٧٠ ، واختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٦٢ ح ٣٤ .

(٢) في نسخة أخرى : الشيعة .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٨٣ .

به إلى أنه من أهل البيت عليهم السلام بالنسبة إلى سائر الشيعة الذين يدخل فيهم أبو ذر لا في كل حال ، وأين سلمان من قول الله عز وجل : ﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلْمَاتُ اللَّهِ﴾^(١) [ومن قول الله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَّدَ كَلْمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٢) .]

وفي ما ذكرنا من الأحاديث أبحاث وتوجيهات يطول بها الكلام ويخرج عن المقام .

والحاصل أن المراد أن أبو ذر لا يتحمل معتقدات سلمان في معرفة الله عز وجل ومعرفة نبيه صلى الله عليه وآله ومعرفة أئمته عليهم السلام ومعرفة أسرار الدين والتكاليف ، والمراد من أوامر الله ونواهيه وخطاباته ومواعظه وأمثاله وسريان أفعاله في مصنوعاته وأسرار كتابه وغير ذلك ، بحيث لو اطلع على بعض ما عند سلمان فيها أنكر وجحد وربما قتل سلمان كما روي أيضاً .

وي بعض العلماء جعل ما ينكره أبو ذر من معاجز سلمان ، ويستدل على ذلك بما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : (دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبع قدرأ له ، فَبَيْنَا هُمَا يتحدثان

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٩ .

إذا انكبت القدر على وجهها على الأرض فلم يسقط من مرقها ولا من ودكتها شيء ، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً ، وأخذ سلمان القدر فوضعها على حالها^(١) الأولى على النار ثانية وأقبلما يتحدثان ، فيبنا هما يتحدثان إذا انكبت القدر على وجهها فلم يسقط منها شيء من مرقها ، قال : فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان ، فبينما هو متفكّر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب ، فلما أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له : يا أبو ذر ما الذي أخرجك من عند سلمان وما الذي ذعرك ؟

فقال أبو ذر : يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبو ذر إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلتَ رحم الله قاتلَ سلمان ، يا أبو ذر إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ، وإن سلمان من أهل البيت^(٢) انتهى .

ومثل ما رُوي أنه رأه قد وضع رجله تحت القدر مكان الحطب والنار تشتعل فيها ويطيخ بها القدر وأمثال ذلك^(٣) .

(١) في اختيار معرفة الرجال : (على وجهها حالها الأولى) .

(٢) بحار الأنوار : ٢٢ / ٢٧٣ ح ١٢ ، و اختيار معرفة الرجال للطوسي : ١ / ٥٩ ح ٧ ، و مستدرك الوسائل : ١٢ / ٢١٥ ح ١٣٩٢١ ، والاختصاص : باختصار .

(٣) انظر مستدرك الوسائل : ١٢ / ٢١٧ ح ١٣٩٢٢ .

ولا يخفى أنّ هذا ممّا يتتعجب منه ويذعر منه ، بل يمكن توجيه التفكير أو القتل بهذا كأنّ يظنّ فيها السحر ، ولكن مع التأمل للأحاديث^(١) يظهر لك أنّ المراد به ما أشرنا إليه لا هذا .

وبعض من العلماء حمل الأحاديث على أنّ معناها أنّ أبي ذرَّ لو علم ما في قلب سلمان من المعرفة والتقوى والإيمان لمات من حبّ سلمان ، و يجعل الضمير في قتله إلى أبي ذرَّ ، وهو مع ما فيه من التكليف والبعد عن ظاهر الحديث وباطنه لو سلم في (قتله)^(٢) ، لم يسلم في (لكرفه) .

وبالجملة فالمعنى الذي أشرنا إليه إن شاء الله تعالى ظاهر
لمن فهم كلامنا .

وكتب : أحمد بن زين الدين الأحسائي

الوضوء وما ينقضه

الحديث التاسع

روى شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله^(٣) ،

(١) في نسخة أخرى : في الأحاديث .

(٢) في نسخة أخرى : (قتله) .

(٣) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، من تلاميذ الشيخ المفيد .

ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ .

توفي في سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٨ .

بسند صحيح عن الصادق عليه السلام أنه قال : (لا ينقض
الوضوء إلا حث والنوم حدث)^(١) .

أقول : هذا الحديث دال على أن النوم ينقض الوضوء لأنه
حدث والحدث ينقض الوضوء ، أمّا إنّه حدث فلنصلّى الصادق عليه
السلام في هذا الحديث على ذلك ، والأصل في الاستعمال
الحقيقة .

لا يقال : إنّ العرب لا تعرف ذلك .

لأنّا نقول : إنّ العرب إنّما يعرفون من العربية القليل وهو ما
يحتاجون إليه في محاوراتهم ، وأكثر المعاني لا يعرفونها مع أنها
موجودة عند أهلها ، وإنّما وصلت إليهم بتعليم الله سبحانه الذي
خلق اللغة ، وإنّما التعليم بواسطة الألفاظ الموضوعة لها فالله
سبحانه أخبر نبيه صلى الله عليه وآله بأنّ النوم حدث ، كما أخبره
بأنّ البول والغائط حدث فهو في الحقيقة حدث شرعاً ولغة .

أمّا في الظاهر فكما سمعت ، وأمّا في الحقيقة فلأنّ النوم عبارة
عن الوفاة الحادثة عن اجتماع النفس الحيوانية الحسية المتعلقة
بالآخرة المتقومة بها الحرارة الغريزية في القلب ، وصرف وجهها
إلى جهتها العليا ، ويبقى شعاعها الذي هو الحرارة الغريزية متعلقاً
بأقطار البدن ، وهو الرابط للحياة بالبدن حال النوم ، فإذا انصرف

(١) تهذيب الأحكام للطوسي : ١ / ٦ ح ٥ ، ووسائل الشيعة : ١ / ٢٥٣
ح ٦٥٤ ، وعوا أبي الالبي : ٢ / ١٧٩ ح ٤٠ ، وجواهر الكلام : ١ / ١٣ .

نظرها عن أقطار البدن واجتمع في القلب وتوجه إلى العالم المثالي أظلمت تلك الأقطار وذابت وبردت ، وهو الحدث الأصغر لخروج نظر النفس الذي هو ظاهرها عن أقطار البدن واجتماعها في القلب وهو الموت الأصغر ، وإذا خرجت مع الأبخرة بجميع الحرارة الغريزية عن تلك الأقطار وعن القلب حصل البرد الكلي والذبول التام والظلمة الغاسقة ، وهو الحدث الأكبر لخروجها مع الحرارة الغريزية الكامنة في النطفة ، وتلك الأبخرة المتقومة بها الحرارة الغريزية هي المعبر عنها بالنطفة التي خلق منها كما في حديث العلل وهو الموت الأكبر .

فكمما أن خروج المنى ودم الحيض مثلاً اللذين هما صفو الغذاء ومركب الحرارة الغريزية موجب للحدث الأكبر ، وخروج البول والغائط اللذين هما ثقل الكيلوس موجب للحدث الأصغر ، لأنهما ظاهر ذلك الصفو صفو الغذاء الذي هو الكيموس ، كذلك خروج الأبخرة مع الحرارة الغريزية جميعها بأصلها موجب للحدث الأكبر ، وخروج نظرها بوجه الحرارة الذي هو ظاهرها موجب للحدث الأصغر فالنوم حدث في نفسه مثل حدث البول والغائط ، فتفهم ما أشرنا إليه تفهم .

وأورد على هذا الحديث إشكال لأنه من ثاني الأشكال ، وشرطه اختلاف المقدمتين كيماً وكلية كبراه ، والأولى على ما يظهر منها مركبة من سالبة وهي لا ينقض الوضوء غير الحدث ، ومن موجبة وهي ينقض الوضوء حدث ، فلما تضمنت الصغرى

المقدّمتين المذكورتين تعتذر على ظاهر ذلك الإنتاج ، أمّا على الأولى فلعدم تكرّر الوسط لأنّ غير الحدث ليس بحدث ، وأمّا على الثانية فلعدم شرط الإنتاج وهو الاختلاف كيّفًا .

والجواب أنّه ليس المراد بالحدث حدثاً معيناً ولا حدثاً ما ، بل المراد به كلّ حدث كما هو ظاهر ، فتكون في قوّة كلّ حدث ناقض لل موضوع ، فيصير من الشّكل الرابع فحصل شرطه وهو إيجاب المقدّمتين وكلية الصّغرى ، فينبع أو يعكس فيكون من الشّكل الأول ، فينبع على أنّه إذا أريد بمحمول الصّغرى العموم كما هو المراد من كلامه عليه السلام كان محمول الكبّرى أحد أفراده ، ويكون الوسط متكرّراً فلا حاجة إلى رده إلى الرابع أو الأول ، لأنّ النّوم حدث في الحقيقة بحكم الكلية لاستغراق حرف التّعرّيف ، والنّوم في الحقيقة حدث كما تقدّم بيانه .

ثم إنّ النّوم الغالب على الحاستين ناقض للظّهارة بإجماع الفرقـة المحقـقة بعد الصّدوقين كما نقله أكثر العلماء عن الصّدوقين ، والموجود في الفقيـه في بـاب ما ينقـض الـوضـوء من روـاية زـرارـة عـنـهـما عـلـيـهـما السـلامـ إـلـىـ أـنـ قـالـ : (من غـائـطـ أوـ بـولـ أوـ منـيـ أوـ رـيحـ والنـومـ حتـىـ يـذهبـ العـقـلـ^(١) ، ولا يـنقـضـ الـوضـوءـ ما سـوىـ ذـلـكـ)^(٢) .

(١) في نسخة أخرى : (بالعقل) .

(٢) من لا يحضره الفقيـه : ١ / ٦١ ح ١٣٧ .

وهذا صريح بـأن النّوم ناقض عنده لا سيما مع ذكره في هذا الكتاب الذي اعتمد على ما يورده فيه .

نعم أورد بعد ذلك رواية سماعة ، وهي دالة على ما نقل عنه ظاهراً ، ولعله أراد منها ما لم يذهب عقله ، فإنه إذا ذهب عقله في الغالب انفوج ، ولا يكاد يستمسك بدليل ما ذكره في المقنع ، فإنه قال فيه : (وإن نمت وأنت جالس في الصلاة ، فإن العين قد تنام من العبد والأذن تسمع ، فإذا سمعت الأذن فلا بأس)^(١) .
وهو شاهد لما قلنا له .

نعم ، بعد هذا الكلام ظاهر كلامه إنّما الوضوء مما وجدت ريحه أو سمعت صوته ، يدلّ بأداة الحصر على أن النّوم عنده ليس بناقض في نفسه وإنّما ينقض لأنّه مظنة للنّاقض ، فلو قيل : إنه إنّما خالف الأصحاب في كونه ناقضاً بنفسه لم يكن بعيداً كما في المقنع ، وأمّا أنه عنده ليس بناقض مطلقاً فلا ، كما نقلنا عنه ، ونقل بعض عنه أنه ادعى في الخصال الإجماع على النّقض به .

وبالجملة ، فهو ناقض بالإجماع

وكتب : أحمد بن زين الدين الأحسائي
قدّر وقيمة الولي عند الله تعالى

(١) المقنع للصدوق : ١٩ .

الحديث العاشر

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني^(١) في الكافي بسنده عن الباقي عليه السلام قال : قال : (لما أُسرى بالنبي صلى الله عليه وآله قال : يا رب ما حال المؤمن عندك ؟

قال : يا محمد صلى الله عليه وآله من أهان لي ولیاً فقد بارزني بالمحاربة ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، وما ترددت في شيء أنا فاعله كتردد في وفاة المؤمن يكره الموت وأكره مساعته ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفه إلى غير ذلك لهلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك ، وما يتقرب إلى عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه وإنه ليتقرّب إلى التّوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته^(٢) .

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٨ ، والجواهر السننية للحرّ العاملي : ١٢١ .

أقول : أمّا أَوْلُ الْحَدِيثِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مِنْ أَهَانَ لِي وَلِيًا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ) ، الْخُ ، فَظَاهِرٌ .

حَدِيثُ تَرْدِدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ

وَأَمّا قَوْلُهُ : (وَمَا تَرَدَّتْ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ) ، فِيهِ وجوهٌ في الجواب عن الإشكال الوارد على نسبة التردد إليه سبحانه ، فإن المعروف من اللّغة أنّ التردد في الأمور إنّما يكون للجهل في عواقبها ، أو لعدم الثقة بالتمكّن منها لمانع ونحوه من اقتضاء للجانب أقوى ، أو انقضاء مقتضى العقل ، والله سبحانه أَجَلٌ وأَعْظَمٌ^(١) من ذلك ، وكذلك قوله تعالى : (كُنْتُ سَمِعْهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ) ، الْخُ ، فإنه يرد عليه أنّ ظاهره الاتّحاد وهو مفتぬع ومن نوع منه عقلاً ونقلأً ففي الجواب عن الأَوْلِ وجوهٌ :

أَجْوَاهُ دُفْعُ شَبَهَةِ التَّرْدِدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ

الجواب الأول

الأَوْلِ : ما ذكره محمد باقر الدّاماد تغمّده الله برحمته ، وملخصه أنّ التردد إنّما يكون في الفعل لتعارض أسبابه المرجحة لأحد طرفيه وأطلق المسبب ، وأريد به السبب .

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَظَامِ

(١) في نسخة أخرى : أَعْظَمُ وَأَجَلٌ وَأَكْرَمٌ .

الوجود وشرّ من حيث مساعته لأنّ الموت يسوّه ، فكان ذلك الخير الذاتي مقتضياً للفعل والشرّ العرضي مقتضياً لترك الفعل ، فهذا الاقتضاءان هما منشأ التردد المشار إليه بالنسبة إلى نفس الفعل ونفس التردد .

الجواب الثاني

والثاني : ما أشار إليه الملا محسن الكاشاني^(١) ، وملخصه أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحظ بتفاصيل ما سيقع في الأمور دفعه لعدم تناهي تلك الأمور ، كما لو انتقش فيها أنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يتصدق وإن تصدق فعمره عشرون سنة ، فقد انتقش فيها العشر لبعض الأمارات ، ثمّ يتصدق فتنمحى العشر وتنقش العشرون ، وقد يزني فتنمحى العشرون وتنقش خمس عشرة ، وهذا المحو والإثبات هو التردد ، وإنّما نسب إليه لأنّ ذلك جرى بإرادته .

(١) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيمًا متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أدبياً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربع مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية ، وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الإحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحججة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

الجواب الثالث

والثالث : ذكره^(١) البهائي رحمه الله^(٢) ، وهو (أنّ في الكلام إضماراً ، والتقدير لو جاز على التردد كنت ما ترددت في شيء أنا فاعله كتردد في قبض روح الخ) .

الجواب الرابع

والرابع : ذكره^(٣) البهائي أيضاً وهو أنه لما جرت العادة بأن يتربّد الشخص في مساعة من يحترمه مثل الصديق الوفي ، وألا^(٤) يتربّد في مساعة من ليس له عنده قدر كالحية والعقرب ، فيكون معنى التردد هنا على هذا التأويل أنه ليس لأحد عندي حرمة مثل

(١) في نسخة أخرى : ما ذكره .

(٢) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملاني الهمданى الجبى ، وهمدان اسم قبيلة ، والمراد من الحارثي أن الشیخ منسوب إلى الحارت الهمدانى المعروف بالحارث الأعور وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان فقيهاً نبيلاً جليلاً أصولياً ورياضياً بلا بديل ولا نظير له في التفسير ، والجبى نسبة إلى جبى وهي قرية من قرى جبل عامل . توفي الشیخ ودفن حسب وصيته في خراسان في جوار الإمام الرضا عليه السلام في ركن الصحن المطهر .

(٣) في نسخة أخرى : ما ذكره .

(٤) في نسخة أخرى : أن لا .

عبدي المؤمن ، وهذا الوجهان ذكر معناهما^(١) في الأربعين ، فجعل معنى الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية .

الجواب الخامس

والخامس : ذكره أيضاً في الأربعين وملخصه أنه قد ورد من طريق الخاصة وال العامة أن الله سبحانه يُظهر للعبد عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشرة بالجنة ما ينسى معه كراهة الموت ويرضى بنزوله به ، فأشبّهت هذه المعاملة من يريد أن يؤلمه ألمًا يتعقبه نفع عظيم ، فهو يتربّد في أنه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه لا يتأذى به ، فلا يزال يرغبه بتلك الألطف والبشرات حتى يحب الموت فهذا معنى التردد .

الجواب السادس

والسادس : ذكر^(٢) الشهيد^(٣) في قواعده نقله عن بعض

(١) في نسخة أخرى : ذكرهما .

(٢) في نسخة أخرى : ما ذكره .

(٣) هو محمد بن مكي بن حامد العاملي ، الجزياني ، الشيعي (الشهيد السعيد ، شمس الدين ، أبو عبد الله) . فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مشارك في العلوم العقلية والنقلية .

ولد في سنة (٧٣٤ هـ - ١٣٣٣ م) وسكن جزين بلبنان ، ورحل إلى العراق والنجاشي ومصر ودمشق وفلسطين ، وأخذ عن علمائها ، واتهم في أيام السلطان برقوق بانحلال العقيدة ، فسجن في قلعة دمشق ، ثم ضربت عنقه في ٩ جمادى الأولى سنة (٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) فلقب بالشهيد الأول .

الفضلاء أن التردد إنما هو في الأسباب ، بمعنى أن الله تعالى : (يُظہرُ للمؤمن أسباباً تغلب على ظنه دنو الوفاة ليصير إلى الاستعداد للأخرة استعداداً تاماً وينشط للعمل ، ثم يُظہرُ له أسباباً توجب البسط في الأمل فيرجع إلى عمارة دنياه بما لا بد منه ، ولما كان ذلك بصورة التردد أسنده إليه تعالى حيث إنه فاعل للتردد في العبد ، قال رحمة الله : وهو مأخوذ من كلام بعض القدماء الباحثين عن أسرار كلام الله تعالى ، فالتردد في اختلاف الأحوال لا في مقدار الآجال)^(١) انتهى .

أقول : قال الشيخ يوسف ابن الشیخ أحمد البحراوی^(٢)

من تصانيفه : جامع العین من فوائد الشرحين أي شروح تهذیب الأصول ، البيان في الفقه ، كتاب القواعد ، الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، وغاية المراد في شرح نكت الارشاد .

انظر روضات الجنات للخوانساري : ٥١٧ - ٥٢٢ ، وإيضاح المكتون للبغدادي : ٣٥٥ / ٤٣٣ .

(١) انظر نضد القواعد الفقهية للمقداد السیوري : ٧١ ، ونسبة إلى بعض الفضلاء ، وبحار الأنوار : ٦٧ / ١٨ ونسبة لبعض المعاصرین .

(٢) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور الدرافي ، البحراوی . فقيه ، أصولي ، متكلم ، محدث ، عارف بالرجال من الإمامية بالبحرين .

ولد في الماحوز سنة (١٦٩٥ م) ، وتوفي سنة (١٧٧٢ م) ودفن بكربلاء في ٤ ربيع الأول . من تصانيفه : أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين ، أنيس المسافر وجليس الخواطر أو الكشكول ، الدرة النجفية من الملقطات اليوسفية ، الحدائق الناضرة في الفقه الاستدلالي ظهر منها ست مجلدات ، =

صاحب كتاب الحدائق في الدرة الرابعة عشرة من الدرر التجفيفية :
ولا يخفى ما فيه من البعد والتتكلف .

وأنا أقول : لا يخفى على من كان من أهل البصيرة بأنّ هذا الوجه أقرب من كلّ الوجوه المتقدّمة ، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون .

الجواب السابع

والسابع : نقله الشّهيد رحمه الله في القواعد ، وهو أنَّ الله لا يزال يورد على المؤمن أسباب حبّ الموت حالاً بعد حال ليؤثر الموت فيقبضه مريداً له ، ويراد تلك الأحوال من غير تعجيل بالغaiات من القادر على التعجيل ، وذلك يكون ترددًا بالنسبة إلى قادريّة المخلوقين فهو بصورة التّردد ، وإن لم يكن ثمة تردد ، ويؤيّده الخبر المروي (إنَّ إبراهيم عليه السلام لِمَا أتاه ملِك الموت ليقبض روحه وكره ذلك أخْرَه الله تعالى إلى أن رأى شيخاً يأكل ولعابه يسيل على لحيته ، فاستفطع^(١) ذلك وأحّبّ الموت ، وكذلك موسى عليه السلام)^(٢) .

(١) في نسخة أخرى : (فاستقبح ، فاستفضح) ، وما في المتن موافق لما في المصادر .

(٢) انظر نضد القواعد والفوائد للشهيد الأول : ٢ / ١٨٣ قاعة ٢١٢ ، وبخار الأنوار : ٦٧ / ١٧ .

أقول : وقد ألحقه صاحب الدرر النجفية بسابقيه في عدم رفع الإشكال ، وأنا أقول إنه كسابقه قريب .

الجواب الثامن

والثامن : نقله بعض علمائنا عن بعض علماء العامة ، وهو أن معناه ما تردد عبدي المؤمن في شيء أنا فاعله كتردده في قبض روحه ، فإنه متردد بين إرادته للبقاء وإرادتي للموت ، فأنا ألطفه وأبشره حتى أصرفه عن كراهة الموت ، فأضاف سبحانه نفس تردد وليه إلى ذاته المقدسة كرامة وتعظيمًا له ، كما يقول سبحانه غداً يوم القيمة لبعض من يعاتبه من المؤمنين في تقضير تعهد ولبي من أوليائه : (عبدى مرضت فلم تزرنى) ، فيقول : كيف تمرض وأنت رب العالمين ؟ فيقول : (مرض عبدى فلان فلم تعدد ولو عدته لوجدتني عنده) ^(١) .

الجواب التاسع

والحادي عشر : ما ذكره بعض الأعلام أنّ فعل الله لما كان غير مسبوق بمادة ومرة وليس بتدرجى الحصول بل آنئي الوجود كما قال سبحانه : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » ^(٢) فأشار بقوله : (ما ترددت في شيء أنا

(١) شرح أصول الكافي : ٩ / ١٩٤ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ١٥٦ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

فأعلمه) الحديث ، إلى أنّ أفعاله ليس فيها تردد ، بمعنى أن يفعله في الحال أو سيفعل الملزوم للتراخي في الفعل مثل هذا الفعل الذي هو قبض روح عبده المؤمن ، فإن فيه التراخي وليس مثل سائر الأفعال التي كان حصولها منه تعالى بمجرد أمر كن فكان .

هذا الفعل مستثنى من سائر الأفعال ، أي ليس في كلّ أفعاله تردد ملزوم للتراخي في الفعل إلا في قبض روح عبده المؤمن ، فإن فيه التراخي ، فقد ذكر الملزوم وأراد اللازم ومعنى التشبيه راجع إلى الاستثناء ، الخ .

الجواب العاشر

والعاشر : ما ذكره بعض علماء العامة وهو أنّ ترددت في اللغة بمعنى ردت مثل قولهم : ذكرت فتذكري ودبّرت فتدبرت^(١) ، فكأنّه يقول : ما ردت ملائكتي ورسلّي في أمر حكمتُ بقوله ، ما ردتهم عند قبض روح عبدي المؤمن فأرددهم في إعلامي بقبضتي له وتبيشيره بلقائي ، وما أعددت له عندي كما ردت ذلك الموت إلى إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام في القضيتين المشهورتين إلى أن اختارا الموت فقبضهما ، الخ^(٢) .

(١) في نسخة أخرى : ذكره فتذكرة ودبّره فتدبره .

(٢) شرح أصول الكافي : ٩ / ١٩٤ .

والحادي عشر

ما ذكره بعض علمائهم أيضاً وهو أن المعنى ما ردت الأعلال والأمراض والبرء واللطف والرفق حتى يرى بالبرء عطفي وكرمي فيميل إلى لقائي طمعاً، وبالبلاء والعلل فيتبرّم بالدنيا ، ولا يكره الخروج منها انتهى ، أقول في هذا القول قرب^(١) .

والثاني عشر

قال الشيخ يوسف المذكور الذي خطر^(٢) بالبال العليل والفكر الكليل هو (أنه يحتمل أن يراد بذلك الإشارة إلى ما في لوح المحو والإثبات من المعلومات المنوطة بالأسباب والشروط نفياً وإثباتاً فإنهأشبه شيء بالتردد ، إلخ) .

أقول : هذا المعنى هو ما أشار إليه الملا محسن وهو الوجه الثاني ، وكان الشيخ يوسف هذا قد رده وضيقه وجعله من كلام الصوفية ، قال هنالك : (فما ذكره في هذا المقام بناء على قواعد المتصوفة وال فلاسفة وفسّر به أخبار أهل الذكر عليهم السلام مختلّ النّظام من حلّ الزمام ، وهؤلاء لو لعهم^(٣) بأصول الفلسفه ، والحكماء التي جرت عليها الصوفية يزعمون تطبيق أخبار أهل

(١) شرح أصول الكافي : ٩ / ١٩٥ .

(٢) في نسخة أخرى : والذي سمح .

(٣) في نسخة أخرى : لولعهم .

البيت عليهم السلام ، كما وقع من هذا المحدث في غير موضع من كتبه ، وهو جمع بين النقيضين وتأليف بين المتابغضين ومن أين ؟ إلى أين ؟) انتهى كلامه رحمة الله .

ولا شك أنه بعد طعنه على الملا محسن هذا الطعن العظيم لم يقع في خاطره إلا ما قرره الملا محسن ، فاعتبروا يا أولي الأ بصار .

رأي الشيخ الأوحد في المسألة

وأقول : والذى أفهم في معنى هذا الحديث أن الله سبحانه جرى بلطيف رأفته في خلقه أن يعاملهم باللطف والرقة والرحمة ، فيفعل في كل شيء من مفعولاته بما يُحسّن بهم ولهم حتى يتم عليهم جزيل نعمه .

ففي الحقيقة هذا مستلزم للتردد في أفعاله ، لأنه إذا أراد أن يفعل شيئاً فعله على ما هو عليه من قابلية ، والقابلية تتوقف على ستة أشياء لا أقل منها بل تزيد وهذا حكم جار في كل شيء ، الوقت والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف ، وقد تزيد بأشياء كثيرة كالنسبة والوضع والإذن والأجل والكتاب وغير ذلك ، وهذه الأشياء في كل شيء بحسب ، وهي^(١) في أنفسها مختلفة ، فيجب أن تكون أسبابها مختلفة ، فقد تكثرت أفعاله سبحانه في إيجاد الشيء ومشخصاته وأسبابه .

(١) في نسخة أخرى : بحسب ما هي .

وهذا تردد حقيقةً إلا أنها في المؤمن عند قبض روحه أعظم ، وذلك لأنّه لما جرت حكمته^(١) وحقّت كلمته أنّ من كره لقاءه الذي سبّيله الموت كره لقاءه ، ومن أحب لقاءه سبحانه أحب لقاءه ، والمؤمن يحب الله لقاءه وهو يكره الموت ، وكراهة الموت توجب كراهة لقاء الله ، فلطف به ليجلبه إلى لقائه ، فمرة أخرى عبده المؤمن ومرة أفقره ومرة أمرضه ومرة عافاه ومرة ابتلاه في ولده وأحبابه ومرة حفظ عليه ، وذلك لأنّه إذا أغنى عبده وخيف عليه رغبته في الدنيا أفقره ، وإذا خيف عليه القنوط أغناه ، وإذا خيف عليه الرّكون إلى الدنيا أفقره ، وإذا خيف عليه اليأس وسوء الظنّ به سبحانه أغناه ، وكذلك في جميع أحواله وما يعنيه وينسب إليه ، ولا يزال يفعل به كذلك حتى يعرف خساسة البقاء في الدنيا ، ويرى أن الخروج عنها أولى لما يرى من كثرة تقلّبها وتنّكّرها فيحب لقاء الله والموت ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، وهذه التّقلّبات تردد الله في قبض روحه ، وهذا صريح قوله تعالى : (يكره الموت وأكره مساعته) ، لأنّي إذا قبضت روحه حينئذ وجبت مساعته في الحكمة وحق الكلمة . وقد أشار إلى هذا المعنى سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء لأصحابه ، فإذا عرفت هذه الكلمات لم تطلب في معنى الحديث غيرها فخذ ما آتيتك وكن من الشّاكرين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) في نسخة أخرى : حكمة الله سبحانه .

معاني حديث (كنت سمعه الذي يسمع به) وأمّا الإشارة إلى معنى (كنت سمعه الذي يسمع به)، الخ فيه أيضاً وجوه :

المعنى الأول

الأول : ما ذكره الشيخ البهائي قال : (لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنية وإشارات سرية وتلوينات ذوقية تعطر مشام الأرواح وتحيي رميم الأشباح ، ولا يهتدي إلى معناها ، ولا يطلع على مغزاها إلا الذي تعب^(١) في الرياضيات وعنى^(٢) نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم .

وأمّا من لم يفهم تلك الرّموز ولم يهتد إلى تلك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الّذينية^(٣) وانهماكه في اللذات البدنية ، فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي في غياب الإلحاد والواقع في مهاوي الحلول والاتحاد ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، ونحن نتكلّم في هذا المقام بما يسهل تناوله على الأفهام فنقول هذا مبالغة في القرب ، وبيان لاستيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد وباطنه وسرّه وعلانيته^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : تعب نفسه . (٣) في نسخة أخرى : الدنيوية .

(٢) في نسخة أخرى : غير . (٤) شرح أصول الكافي : ٩ / ٤٢٧ .

فالمراد والله أعلم أنّي إذا أحببْتُ عبدي جذبته إلى محلّ الأنس وصرفته إلى عالم القدس وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملائكة ، وحواسه مقصورة على اجتلاء^(١) أنوار الجبروت ، فيثبت حينئذ قدمه ويميز^(٢) بالمحبة لحمه ودمه إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حسنه ، فتتلاشى الأغيار في نظره حتى تكون بمنزلة سمعه وبصره ، كما قال من قال :

**جُنونِي فِيكَ لَا يَخْفَى وَنَارِي فِيكَ لَا تَخْبُو
فَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَرْكَانُ وَالْقَلْبُ**

انتهى كلامه .

المعنى الثاني

والثاني : قال بعض العلماء : (إنّ صاحب الشجرة الكلية ذكر في بيان الاتحاد الصحيح ، والفرق بينه وبين الباطل ما يصلح أن يكون بياناً لقوله تعالى : (كنت سمعه الذي يسمع به) ، حيث قال : كما أنّ النفس حالة التعلق بالبدن يتوهم أنها هو وأنّها فيه وإن لم تكن هو ، ولا فيه ، فكذلك النفس إذا فارقت البدن وقطعت تعلقها عن شدة قوتها ونوريتها وعلاقتها العشقية مع نور الأنوار ، والأنوار العقلية يتوهم أنها هي ، فتصير الأنوار مظاهر

(١) في نسخة أخرى : احتداء .

(٢) في نسخة أخرى : وينبت .

النفوس المفارقة كما كان الأبدان أيضاً، فهذا هو معنى الاتّحاد لا صيرورة الشّيئين شيئاً واحداً فإنه باطل)، انتهى، ثم قال: (وهو قريب من الأوّل في المعنى).

المعنى الثالث

والثالث: ما ذكره الملا محمد صالح المازندراني في شرح^(١) أصول الكافي حيث قال: (والذى يخطر بالبال على سبيل الاحتمال أتى إذا أحبوته كنت كسمعه الذى يسمع به وكبصره الخ في سرعة الإجابة)^(٢).

وقوله: (إن دعاني أجنته)، إشارة إلى وجه التشبيه، يعني أتى أجنته^(٣)، سريعاً إن دعاني إلى مقاصده، كما يجيئه سمعه عند إرادته سماع المسموعات وبصره عند إرادته إبصار^(٤) المبصرات وهكذا، وهذا قول الناس المعروف بينهم فلان نور عيني ونور بصري ويدى وعضدى، وإنما يريدون التشبيه في معنى من المعاني المناسبة للمقام، ويسمون هذا تشبيهاً بلاغاً بحذف الأداة مثل زيد أسد.

(١) في نسخة أخرى: في شرحه على .

(٢) شرح أصول الكافي: ٩ / ٤٢٧ .

(٣) في نسخة أخرى: أجنته .

(٤) في نسخة أخرى: رؤية .

المعنى الرابع

والرابع : ما ذكره الملا محمد صالح المازندراني بعد الكلام الأول^(١) ، على سبيل الإمكان قال : ويمكن أن يكون فيه تنبية على أنه عز وجل هو المطلوب لهذا العبد المحبوب عند سمعه المسموعات وبصره المبصرات وينتهي إلى ، فلا يصرف شيئاً من جوارحه فيما ليس فيه رضائي ، وإليه أشار بعض الأولياء بقوله : (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله)^(٢) انتهى .

المعنى الخامس

والخامس : ما نقل عن الملا محسن الكاشاني في بعض تعليقاته حيث قال : (والذي يخطر ببالي القاصر أن معنى (كنت سمعه الذي يسمع به ، ويده الذي^(٣) يطش بها) الخ ، أن العبد إذا ائتمر بالأوامر وانزجر بالنّواهي كان بمنزلة من لا يسمع شيئاً إلا ما أمر ربّه بالسماع ، ولا يبصر بصره شيئاً إلا ما أمر ربّه بالرؤيا ، ولا تأخذه يده شيئاً إلا ما أمر ربّه بالأخذ ، فكان العبد

(١) في نسخة أخرى : الملا محمد صالح المذكور على سبيل الاحتمال بعد كلامه الأول .

(٢) مفتاح الفلاح : ٢٨٩ ، وتفسير الميزان : ٨ / ٢٦٣ ، وشرح أصول الكافي : ٣ / ٤٢٧ وج : ٩ / ٨٣ .

(٣) في نسخة أخرى : (التي) .

كالشخص المقرب عند ملك عظيم الشأن يكون فعله فعل الملك من غاية قربه وإطاعته ، والله عز شأنه منزه عن السمع والبصر واليد والحلول والاتحاد تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ، فإذا كان العبد راسخاً في الإطاعة لله سبحانه^(١) ، يكون ما سمع العبد كأنه سمع الله وما رأى كأنه رؤية الله وما بطش كأنه بطش الله لغاية امثاله وانزجاره ، فمثله كمثل الملك يأمر بضرب واحد وإهانة وإعطاء أحد وكرامته ، والذي يضرب ويُهين غير الملك ، وكذا من يعطي ويكرم غيره ، ويقال في العرف : إنَّ الملك ضرب فلاناً وأهانه ، وأعطى فلاناً وأكرمه ، فكان محل الضارب والمعطى^(٢) (فعله) ، انتهى^(٣) .

(١) في نسخة أخرى : راسخاً في إطاعة ربّه .

(٢) في نسخة أخرى : المكرم .

(٣) وقال في كتابه قرة العيون بعد الحديث : أقول : (أعني محبة الله تعالى للعبد كشفه الحجاب عن قلبه وتمكينه إياه من قريبه ، ومعنى المحبة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال أدراكه فيه بحيث يحملها إلى ما يقربها إليه ، فإذا علم العبد أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله وأن كلَّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبإلهه وإلى الله ، لم يكن حبه إلا لله وفي الله ، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه واتباع من كان وسيلة إلى معرفته ومحبته .

قال الله تعالى لرسوله : « قُلْ إِنَّ كُنُتُمْ تُجْعَلُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُعِظِّمُكُمْ اللَّهُ » [آل عمران: ٣١] فإن بمتابعة الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله يحصل القرب إلى الله ، وبالقرب يحصل محبة الله إياه) .

قرة العيون : ٣٨٩ كلمة في شأن العالم العلوي وترقيات النفس الإنسانية إليه .

قال بعض العلماء : (ويشبه أن يكون هذا النقل عن المحدث الكاشاني اشتباهاً وسهوأ ، فإنه لا يشرب مشربه في أمثال هذه المقامات ، كما لا يخفى على من لاحظ كلامه في حل الأخبار المجملات والمتشابهات الواردة من هذا القبيل ، كيف وقد قال في أصول الوافي في ذيل هذا الخبر ما صورته : وأما معنى التقرب إلى الله ومحبة الله للعبد وكون الله سمعه وبصره ولسانه ويده فيه غموض لا تناه أفهم الجمهور ، وقد أودعناه في كتابنا الموسوم بالكلمات المكنونة وإنما يرزق فهمه من كان من أهله) ، انتهى .

أقول : هذا الكتاب الموسوم بالكلمات المكنونة لم يكن عندي ولكنني رأيته مرة واحدة ونظرت فيه قليلاً ، وهو مبني على القول بوحدة الوجود الممنوع من اعتقادها شرعاً ، ويريدون بها أهل التصوف أنّ الوجود هو الوجود الحق وحده وليس شيء غيره ، وأما ما ترى من هذه الكثارات فهي أوهام ، فالشيء مرّكب من وجود الله تعالى ومن مشخصات وهمية حتى أنه قال في هذا الكتاب : (إِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَا أُوْجِدَ إِلَّا ذَاتَهُ)^(١) ولا شك في فساد هذا الاعتقاد وبطلانه ، بل القول به كفر ، وإنما الحق أنّ وجودات

(١) قال : (أهل المعرفة يقولون : لما كان العالم طالباً للوجود وقابلًا له ، ونسبة الوجود والعدم له على السوية ، والإمكان واجب الوجود أو ممتنع الوجود ، إذن فهو لا يوجد إلا من الاقتدار الإلهي ، المنسوب للذات الإلهية المشار إليه بقوله تعالى : « كُن » [البقرة : ١١٧] ، ومن قبول الوجود المنسوب إليه ، =

الأشياء محدثة أو جدها الله لا من شيء ، فالشيء مركب من وجود مخترع ومن ماهية مجعلولة محدثة ، وأن الحوادث بجميع أكونتها من وجود وماهية ومشخصات كلها في نفسها من حيث هي مستقلة ثابتة بأمر الله لا بنفسها ، قائمة بأمره سبحانه قيام صدور لا قيام عروض ، والله سبحانه منزه عن جميع ذاتها وصفاتها وأحوالها ليس فيها وليس فيه ، ولا باطن منها بينونة عزلة^(١) .

والذي يخطر ببالى أن مشربه في هذه المسألة في مثل هذا الكتاب أن العبد إذا أحبه الله وانقطعت عنه اعتبارات إنيته في

المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى : «**فَيَكُونُ**» [البقرة : ١١٧] ، أي فلم يلبث أن يمثل الأسر ، فتنسب التكون إليه من حيث الكون واستعداده له ، فإن الكون كان كامناً فيه معدوم العين .

ولكته مستعد لذلك الكون بالأمر ، فلما أمر وتعلقت إرادة الموجد بذلك ، واتصل في رأي العين ، أمره به ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل ، فالظاهر لكونه الحق ، والكائن ذاته قابل للكون ، فلو لا قبوله واستعداده للكون لما كان ، فما كونه إلا عينه الثابتة في العلم ، باستعداده الذاتي غير المجعل ، وقابلية للكون ، وصلاحيته لسماع قول كن ، وأهليته لقبول الامثال ، مما أوجده إلا هو ، ولكن بالحق وفيه ، أو نقول ذات الاسم الباطن هو عينه ذات الاسم الظاهر ، والقابل بعينه هو الفاعل ، فالعين غير المجعلة عينه تعالى ، والفعل والقبول له يدان ، فهو الفاعل بإحدى يديه ، والقابل بالأخرى ، والذات واحدة ، والكثرة نفوس ، فصحّ أنه ما أوجد الشيء إلا نفسه وليس إلا ظهوره .

الكلمات المكتونة : ٨٥ كلمة فيها إشارة إلى معنى : «**كُنْ فَيَكُونُ**» .

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده)

جميع أفعاله بقي اعتبار وجوده في جميع أفعاله من سمع وبصر وبطش ، ووجوده هو الله عنده ، فيكون الله هو سمعه وبصره حقيقة ، لأنَّه لَمَّا كان مركباً من وجود هو الله ومن ماهية هو هويَّته ، فإذا انقطع اعتبار الموهوم بقي اعتبار المعلوم وهذه طريقة أهل التصوُّف .

ولقد أشار أستاذهم مميت الدين ابن عربي^(١) إلى هذا المعنى في فتوحاته المكية في أول الباب المئتين وإحدى وثمانين منها في قوله :

صَلَاةُ الْعَصْرِ لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ لِنَظَمِ الشَّمْلِ فِيهَا يَا حَبَّبِي
هِيَ الْوُسْطَى لِأَمْرِ فَيَةِ دَوْرٍ يُحَصِّلُهُ عَلَى أَمْرِ عَجِيبٍ^(٢)
قال في الإشارة إلى بيان هذا البيت ما معناه : إنَّه قد كان حقّ لا

توحيده تمييزه عن خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ، إنه ربٌ خالق غير مربوب مخلوق ، كل ما تصور فهو بخلافه . الاحتجاج للطبرسي : ١ / ٢٩٩ - ٤٧٥ ، وشرح الأسماء الحسني للسيزواري : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤ / ٢٥٣ ح ٧ .

(١) هو أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .

مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .

انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٢) انظر الفتوحات المكية : ٢ / ٦١٤ .

خلق فيه وخلق لا حق فيه جمعاً وعصر منها الإنسان ، فالإنسان حق وخلق) ومثل ذلك ما ذكره في الفصوص حيث قال :

(فَأَنَا أَعْبُدُ حَقًّا وَإِنَّا إِلَهُ مَوْلَانَا
وَإِنَّا عَيْنُهُ فَاعْلَمْ إِذَا مَا قِيلَ إِنْسَانًا
فَلَا تَحْجَبْ بِإِنْسَانَ فَقَدْ أَعْطَاكَ بُرْهَانًا
فَكُنْ حَقًّا وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رُحْمَانًا^(١))

إلى آخر كلامه .

فإنه صريح بالاتحاد^(٢) ، وإن الاتحاد لا يريدون به صيرورة الشيئين شيئاً واحداً ، بل يريدون أنَّ الوجود واحد قد تعرض له الصور والأعراض وهي موهومة ، فالوجود في الحق والخلق واحدٌ تعالى الله عما يقول الجاحدون^(٣) علوًّا كبيراً .

المعنى السادس

والسادس : ما نقله بعض الأفضل من أنَّ العبد لا يسمع إلا بحق ، ولا ينظر إلا بحق وإلى حق ، ولا يبطش إلا بإذن الحق ، ولا يمشي إلا إلى ما يرضى به الحق ، وهو الحق

(١) انظر شرح فصوص الحكم : ٨٧٣ .

(٢) في نسخة أخرى : في الاتحاد .

(٣) في نسخة أخرى : الظالمون .

الموالي والمؤمن حقاً والذى زاح عنه كلّ باطل وصار مع الحق
واقفاً^(١).

مقاييس المحبة من الله

وأنا أقول : إنّ الذي أفهمه أنّ المحبة من الله سبحانه للعبد تكون بنسبة مقامه عند ربّه فإذا بلغ بالطاعات الصادرة عن علم وبصيرة حتّى رضي الله عنه ورضي عن الله كان مشابهاً لمبادئ أسبابه حتّى يتحصل له كلّ ما طلب بقوّة نفسه فيظهر ما في غيبه إلى شهادة^(٢) ، كما أنّ أسبابه تصدر عنها سائر أكوانه بالله من وجود وماهية وعيّن وتقدير وغير ذلك في ذاته وصفاته وأفعاله ، وإلى هذا الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام : (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابت أوائل جواهر عللها^(٣))^(٤).

وإذا بلغ كمال الاعتدال وانتفاء الأغيار والأحوال حتى يعتدل مزاجه ويكون وجوده نور الله ، كان علّة لما دونه من الموجودات ، لأنّه حينئذٍ محلّ مشيّة الله تعالى للكائنات ، وإلى

(١) شرح أصول الكافي : ٩ / ٤٢٨.

(٢) في نسخة أخرى : شهادته .

(٣) في المصادر المذكورة : (جواهر أوائل عللها) .

(٤) بحار الأنوار : ٤٠ / ١٦٥ ، ومناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧ ، والصراط المستقيم : ١ / ٢٢٣ .

هذا الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام : (فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شاركت بها السبع الشداد) ^(١) .

هذا على سبيل الإجمال والتلويح ، وأمّا على سبيل البيان والتصریح فيحتاج إلى تقديم كلمات لا يعرف المطلوب على الحقيقة إلّا بعد معرفتها وهي :

اعلم أنّ الصفات التي نتكلّم على متعلقاتها من صفات الله سبحانه فمرادنا بها صفات الأفعال ، وأمّا صفات الذات فليس لها معنى لا في الواقع ، ولا في الفرض والاعتبار إلّا الذات ، حتى لو حاول الخلائق أن يفرضوا أو يعتبروا أو يقدّروا شيئاً في الأزل غير الذات ولو بالفرض والعبارة ، ما وقع وهمهم وفرضهم إلّا على الحوادث ، لأنّ القديم لا يجوز فيه الفرض والتقدير فافهم إن كنت تفهم قال : « قُلَّ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » ^(٢) ، فقولك : إنّ سمعها معناه حين كانت شيئاً وحين كانت شيئاً إنما هو في الإمكان ، ولا يقع السمع والبصر على ما ليس شيئاً فمعنى (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إنّ العبد يسمع بالله يعني يسمع باسم الله ، ويبصر بالله يعني يبصر باسم الله ، أنه يكون محل فعل الله فيما له فلا اعتبار لذاته في السمع ، ولا ^(٣)

(١) المصادر السابقة .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

(٣) في نسخة أخرى : لا في .

البصر ، وإنما سمعه بفعل الله وكذلك بصره بفعل الله ، فالمردك لمسموع العبد المحبوب هو سمع الله الذي هو فعله لأنّ الذات البحث لا تقع على الحادث وإنما يقع فعله .

على أنّ ظاهر قوله : (كنت سمعه) أنه قبل المحبة لم يكن كذلك ، فكانت حالة لم تحصل للذات قبل المحبة والذات البحث لم يختلف أحوالها ولم يسبق لها حالاً^(١) ولم تفقد في ذاتها شيئاً ذاتياً ، وإنما هذه الحال المتجدد فعله ويؤول حاصل ما قلنا من^(٢) أنّ العبد المحبوب يسمع بالله يسمع بفعله ، يعني أنه محل فعل الله ، فالله يسمع له ويُبصِرُ له ويَبْطِشُ^(٣) ، بل الله يسمع بالعبد ويبصر به ويبطش به ، وهذه حال العبد المحبوب الكامل في محبة الله فإن فهمت المراد ارتفع عنك الإيراد وإنما فلا يزول الإشكال .

والحمد لله رب العالمين
وكتب : أحمد بن زين الدين

شرح حديث : (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) الحادي عشر

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (إن قلوب بني آدم

(١) في نسخة أخرى : حال .

(٢) في نسخة أخرى : قلنا إلى .

(٣) في نسخة أخرى : يطش له .

كُلُّها بين إصبعين من أصابع الرَّحْمَة^(١) يصرُّفها كُيف يشاء^(٢) .
أقول : رُوِيَ من طرق العَامَّة : (إِنْ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنَ
مِنْ أَصْبَاعِ الرَّحْمَنِ)^(٣) .

والمعنى في الروايتين واحد والطريقان متتشابهان ونحن على
تقدير صحة الورود .

فنقول : المراد بالرحمة الرَّحْمَة الواسعة تشمل على الفضل
والعدل لا الرَّحْمَة المكتوبة الخاصة بالمؤمنين ، فالرَّحْمَة الواسعة
العامَّة هي طبق الوجود الحادث ذاتيَّة ذاتيَّتها وعرضيَّة عرضيَّتها ،
فالجانب الأيمن منها هو الفضل والرَّحْمَة المكتوبة الخاصة
بالمؤمنين يوم القيمة ، والجانب الأيسر منها هو العدل وقد يطلق
على الغضب قول الله سبحانه : (سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضْبِي)^(٤) ، إذا
أُولَئِك بالوجود كان الفضل ومقتضاه وما يرتبط به الذي قلنا : إنه
الجانب الأيمن قبل الجانب الأيسر الذي هو العدل ومقتضاه وما
ارتبط^(٥) به .

(١) في المصادر المذكورة : (الرحمن) .

(٢) أمالى الشيخ : ٢ / ٢ ، وعواىي اللآلى : ١ / ٤٨ ح ٦٩ ، وبحار الأنوار :
٦٧ / ٤٠ ، والحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٩ / ٣٠٦ .

(٣) تفسير الرازى : ١ / ٢٥٤ ، ولسان العرب : ٨ / ١٩٣ .

(٤) الكافى : ١ / ٤٤٣ ، ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٣٨ ، وإقبال الأعمال :
٢ / ٣٣٤ .

(٥) في نسخة أخرى : يرتبط .

واعلم أنَّ الملائكة وجميع الخيرات من جهة الرَّحمة المكتوبة ، التي هي الفضل وهو الجانب الأيمن من الرَّحمة الواسعة ، والشَّياطين ، وجميع الشَّرور من جهة العدل الذي هو الجانب الأيسر من الرَّحمة الواسعة .

ثم اعلم أنَّ الله سبحانه خلق قلب الإنسان وجعل له أذنين ، فجعل على الأذن اليمنى ملكاً مؤيداً يوحى الخيرات ويجلب الطاعات إلى العقل الذي هو في الجانب الأيمن من القلب ، فهو في الجانب الأيمن وسريره في الدِّماغ ، وتحت ذلك الملك جنود كثيرة من الملائكة يعينونه على الخيرات ويقاتلون عنه الشَّياطين ، وجعل على الأذن اليسرى من القلب شيطاناً مقىضاً يوحى الشَّرور ويجلب المعاishi إلى النفس الأمارة بالسوء التي هي في الجانب الأيسر من القلب فهي في الجانب الأيسر ناظرة إلى جهة الشرى (نَاكُسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ^(١) .

كما أنَّ العقل ناظر إلى المحل الأعلى من جهة النُّور يستمدّ من ربِّه ، وتحت ذلك الشيطان المقىض جنود كثيرة من الشَّيطان ^(٢) ، يعينونه على الشَّرور ويقاتلون عنه الملائكة ، وتفصيل هذا المقام يطول ، فمعنى أنَّ قلب الإنسان من جميع بنى آدم بين إصبعين من

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٢ .

(٢) في نسخة أخرى : الشَّياطين .

أصابع الرّحمة أنَّ القلب بين إصبع من أصابع الفضل ، وهو الملك المؤيد وبين إصبع من أصابع العدل الذي هو ذلك الشيطان المقيض ، وإنما سمي الملك والشيطان بالإصبع لتسمية الفضل والعدل باليدين .

وهذا هو معنى قبض قبضة يمينه وهي يد الفضل وقبض قبضة بسماليه وهي يد العدل ، فالقلب بين الملك والشيطان اللذين هما إصبعان من أصابع الرّحمة يقلبه بهما في تقديره وقضائه كيف يشاء من طاعة ومعصية وسعادة وشقاوة ، ومثل هذا ما في الرواية الأخرى من قوله : (بين إصبعين من أصابع الرحمن) ، والمعنى واحد ، فإنَّ المراد به صفة الرحمن وهي الرّحمة الواسعة الشاملة للفضل والعدل ، ولو أريد الخاصة لقال الرحيم لأنَّ صفتة خاصة وهي الفضل كما قال تعالى : «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^(١) ولأجل كون صفة الرحمن عامة قال الصادق عليه السلام : (والرحمن اسم خاص بصفة عامة)^(٢) ، فافهم .

وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٣ .

(٢) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٧ ، ومصباح الكفعمي : ٣١٨ ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ١٤ ح ٥٤ .

ولفظه في المصباح : عن الصادق عليه السلام : (الرحمن اسم خاص بصفة عامة ، والرحيم اسم عام بصفة خاصة) .

في إسلام أبي طلب عليه السلام بحساب الجمل الحادي عشر الثاني عشر

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (أسلم أبو طالب بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين) ^(١) .

أقول : روى ابن بابويه في الحسن عن المفضل بن عمر وهو عندي ثقة عنه عليه السلام في كتاب معاني الأخبار ، وروى بسنده عن أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه ، فسأله رجل عن معنى قول العباس للنبي صلى الله عليه وآله : إن عمك العباس قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين ، فقال : (عنى بذلك إله واحد ^(٢) جواد ، وتفسير ذلك أنَّ الألف واحد واللام ثلاثون ، والهاء خمسة ، والألف واحد ، والهاء ثمانية ، والدال أربعة ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والدال أربعة ، فذلك ثلاثة وستون) ^(٣) .

أقول : هذا مبني على قاعدة وضعها القدماء في مفاسيل

(١) أصول الكافي : ١ / ٤٤٩ ، ومعاني الأخبار : ٢٨٥ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٧٨ / ٣٥ .

(٢) في المصادر المذكورة : (أحد) .

(٣) معاني الأخبار : ٢٨٦ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٣٥ / ٧٩ ، وكمال الدين : ٥٢٠ / باب ٤٨ .

أصابع اليدين لضبط العدد من الواحد إلى العشرة الآلاف ، وصورة ثلاثة والستين أن تثنى الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى للثلاثة الأعداد كما هو المعهود عند الناس في عدّ الواحد إلى الثلاثة ، إلا أنك تضع رؤوس الأنامل في هذه العقود قريبة من أصولها ، وأن تضع ظفر إيهام اليمنى على باطن العقدة الثانية للسبابة كما يفعله الرامي ، ولا بأس بالإشارة إلى بيان القاعدة .

بيان قاعدة مفاصيل الأصابع

التي أسلم عليها أبو طالب عليه السلام

فاعلم : أنَّ الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لبيان عقود الآحاد إلى التسعة فقط ، والمبحة والإبهام منها لعقود العشرات إلى التسعين .

والخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليسرى لعقود المئات إلى التسع مئة ، والمبحة والإبهام منها لعقود الآلاف إلى التسعة الآلاف . فالواحد أن تضمَّ الخنصر تضمَّ أنملتها إلى عقدها الأوسط مع نشر البنصر والوسطى ، والاثنان أن تضمَّ البنصر مثل الخنصر معها ، والثلاثة أن تضمَّ الوسطى إليهما كذلك ، والأربعة أن تنشر الخنصر وحده وتبقى الاثنين والخمسة نشر البنصر مع الخنصر وترك الوسطى مضمومة ، والستة نشر الخنصر والوسطى وضمَّ البنصر ، والسبعة أن تجعل الخنصر فوق البنصر منشورة مع نشر الباقي أيضاً ، والثمانية ضمَّ الخنصر والبنصر فوقها ونشر

الباقي ، والتّسعة ضمّ الباقي إلىهما ، فهذه تسع صور جمعت في ثلاثة أصابع الخنصر والبنصر والوسطى فهذه^(١) الآحاد .

وأما العشرات فالعشرة أن يجعل ظفر المسبحة في مفصل الإبهام في جنبها ، والعشرون وضع رأس الإبهام بين الإبهام والوسطى ، والثلاثون ضمّ رأس المسبحة مع رأس الإبهام ، والأربعون أن تضع الإبهام معكوفة الرأس إلى ظاهر الكف ، والخمسون أن تضع الإبهام إلى باطن الكف معكوفة الأنملة ملصقة بالكتف ، والستّون أن تنشر الإبهام وتضمّ إلى جانب الكف أصل المسبحة ، والسبعون عكف باطن المسبحة على باطن رأس الإبهام ، والثمانون ضمّ الإبهام وعكف باطن المسبحة على ظاهر أنملة الإبهام المضمومة ، والتّسعون ضمّ المسبحة إلى أصل الإبهام ورفع الإبهام عليها .

وإذا أردت آحاداً وأعشاراً عقدت من الآحاد ما شئت مهما شئت ، وإذا أردت أعشاراً بغير آحاد عقدت ما شئت من الأعشار مع نشر أصابع الآحاد كلّها ، وإذا أردت آحاداً بغير أعشار عقدت في أصابع الآحاد ما شئت^(٢) مع نشر أصابع الأعشار .

وأما المئات فهي عقد أصابع الآحاد من اليد اليسرى فالمائة كالواحد والمئتين كالاثنين ، وهكذا إلى التّسع مئة .

(١) في نسخة أخرى : فهذه صور .

(٢) في نسخة أخرى : عقدت ما شئت من الآحاد .

وأما الألوف فهي عقد أصابع العشرات من اليد اليسرى ، فالألف كالعشرة والآلاف كالعشرين إلى التسعة الآلاف ، فإذا عرفت هذا تبيّن لك معنى الحديث .

وكتب : أحمد بن زين الدين

معنى السبعين خريفاً في عذاب جهنم الحديث الثالث عشر

روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام (أن عبداً مكث في النار يناشد الله سبعين خريفاً وسبعين خريفاً ، والخريف سبعون سنة ، وسبعون سنة وسبعون سنة) ^(١) انتهى .

فذاك أبي وأمي لم يقل عليه السلام مئةً وأربعين خريفاً وكذا مئتين وعشرين سنتين .

أقول : لعل المراد بذكر (سبعين خريفاً وسبعين خريفاً) ، ما أشير إليه في كثير من الآيات والروايات من أن عذاب أهل النار بأعمالهم ، وأن دوامة بنياتهم ، فلما كان طور الأعمال يقتضي الظاهر والنيات تقتضي الباطن حسن التفرقة بين الجزأين في التعبير تبعاً للتفرقة بين المقتضيين .

وأما ما ذكره في بيان الخريف ثلاث مرات ، فاعلم أن

(١) وسائل الشيعة : ٩٨ / ٧ ح ٨٤٢ ، وأمالي الشيخ : ٦٧٥ ، وبحار الأنوار : ٩١ / ٢ ح ٢

الأعمال التي قلنا : إنّها تقتضي الظاهر أنّ مرادنا أنّها تقتضي ذلك بصورها ، لأنّ الأعمال صور الشّواب والعقاب ، وموادرها في الشّواب امثالي الأوامر واجتناب التّواهي ، وفي العقاب اجتناب الأوامر وارتكاب التّواهي ، فصار حكم أهل النار بالنسبة إلى متعلق العقاب فيهم ثلاثة أحوال كما أشار إليه سبحانه : (انْظِلُوهُمْ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ) ^(١) .

قالوا : الشّعبة السفلى تعذّب بها ^(٢) الأرواح ، والشّعبة التي فوقها تعذّب بها ^(٣) النّفوس ، والشّعبة العليا تعذّب بها الأجسام . فصار المعنى كأنّه قال : والخريف سبعون سنة لتعذيب الأجسام ، وسبعون سنة لتعذيب النّفوس ، وسبعون سنة لتعذيب الأرواح ، والخريف في نفسه سبعون سنة كما في الاحتمال الثاني الآتي ، فكان هذا العبد ينادى الله بلسانه سبعين خريفاً حتى تقطع لسانه ، وناشده بقلبه سبعين خريفاً حتى تقطع من قلبه فلم يستجب له حتى سأله بمحمد وآلـه صلـى الله عـلـيه وآلـه .

ويحتمل أن يكون المراد أنّه بقي ينادى الله سبعين خريفاً حتى نضجت جميع قواه ثمّ أعيـدت ، فأخذ يناشـده سبعـين خـريفـاً ، فـكان الإـفرـاد لـلـفـاصـلة الـحاـصـلة مـن سـحـقـه بـالـنـار قـبـل الإـعادـة ، أو

(١) سورة المرسلات : ٣٠ .

(٢) في نسخة أخرى : فيها .

(٣) في نسخة أخرى : فيها .

أنه ناشده بلسانه حتى تقطع ثم بقلبه كما مر أو بمقاله حتى ختم على فيه ثم ناشده بحاله .

والحاصل : أن عدم الجمع لفائدة كما أشرنا إلى بعض نوعها^(١) ، فافهم .

ثم اعلم أن ما رواه الصدوق^(٢) في معاني الأخبار ليس فيه تكرار في الموضوعين كما هو المعروف ، وهو هكذا عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : (إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً والخريف سبعون سنةً ، قال : ثم إنه سأله عز وجل بحقّ محمد وأهل بيته لما رحمتني ، قال : فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل عليه السلام أن اهبط إلى عبدي فأخرجه)^(٣) الحديث ، وهذه رواية المعاني ليس فيها تكرير وكذلك رواية الخصال .

وأما رواية التكرير فلم يحضرني الآن مكانها ، ولكن على كلّ تقدير فالفائدة في التكرير على ما حضرني الآن كما سمعت .
وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) في نسخة أخرى : أنواعها .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشهور بالصدوق .

ولد بداع الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٣) بحار الأنوار : ١٥٠ / ٧٠ ، وأمالي المفيد : ٢١٨ ح ٦ ، وأمالي الطوسي : ٦٧٥ ح ١٤٢٥ .

في الرئاسة الحديث الرابع عشر

عن أبي حمزة الشمالي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :
(إياك والرئاسة ، وإياك أن تطأ أعقاب الرجال) .

قال : قلت جعلت فداك أمّا الرئاسة فقد عرفتها ، وأمّا أن أطأ
أعقاب الرجال فما ثلثاً ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال ؟
فقال : (ليس حيث تذهب ، إياك أن تنصب رجلاً دون
الحجّة فتصدقه في كلّ ما قال) ^(١) انتهى .

فديتك بين لي كيف تقرأ العبارة غير المنقطة ^(٢) ، وما عنى
الراوي بسؤاله ، وما المراد من الجواب زدت حكمة وبرهاناً ؟
انتهى .

أقول : أمّا العبارة التي غير منقطة ^(٣) ، فتقرأ هكذا كما
كتبناها (فما ثلثاً ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال)
يعني أنّ الثلاثين مما عندي من العلم إنّما تعلّمته من الرجال ، فقال
عليه السلام ما تقدّم ، ومعناه أنّ مرادي ليس هذا وإنّما أردتُ أن

(١) الكافي : ٢ / ٢٩٨ ح ٥ ، ومعاني الأخبار : ١٦٩ ح ١ ، ووسائل الشيعة : ٢٧ / ١٢٦ ح ٣٣٣٨٧ .

(٢) في نسخة أخرى : المنقوطة .

(٣) في نسخة أخرى : منقوطة .

أَحَذْرَكَ أَن تَتَخَذَ لَكَ إِمَامًا تَأْتِمَ بِهِ دُونَ مَن جَعَلَهُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ حَجَّةً عَلَى عِبَادِهِ ، وَالإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَذَرَهُ عَنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا هَذَا ، وَالثَّانِي هُوَ أَوَّلُ مَا حَذَرَهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : (إِيَّاكَ وَالرِّئَاسَةِ) ، فَقَالَ : (أَمَّا الرِّئَاسَةُ فَقَدْ عَرَفْتُهَا) ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَن يَكُونَ أَرَادَ مَا أَرَادَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَيَحْتَمِلُ أَن يَكُونَ إِنْمَا فَهْمُ مَطْلُقِ التَّرْؤُسِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَرَادَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ بِهَا دُعَوْيَ الْإِمَامَةِ الْمَطْلُقَةِ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُبَيِّنْ لَهُ هَذَا كَمَا بَيَّنَ لَهُ فِي الثَّانِي لِأَنَّ تَرْكَ مَطْلُقِ التَّرْؤُسِ كَافٍ فِي الْمَطْلُوبِ .

وَكَتَبَ : أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ

فِي أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ لَحْوَ النَّبِيَّ وَالْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْحَدِيثُ الْخَامِسُ عَشَرُ

رُوِيَ الصَّدُوقُ فِي الْفَقِيهِ وَغَيْرِهِ أَيْضًا عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنِ عُمَرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَخْرَجَ عَظَامَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَصْرَ وَوَعَدَهُ طَلْوَعَ الْقَمَرِ) وَسَاقَ بِالْخَبَرِ إِلَى أَنْ قَالَ : (فَاسْتَخْرُجْهُ مِنْ شَاطِئِ النَّيلِ فِي صَنْدُوقٍ مَرْمَرٌ ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرِ فَحَمَلَهُ إِلَى الشَّامِ) ^(١) .

(١) أَصْوَلُ الْكَافِيِّ : ٢ / ١٥٥ ح ١٤٤ ، وَالْخَصَالُ : ٢٠٥ ، وَعَلَلُ الشَّرَائِعِ : ١ / ٢٩٦ ، وَبِحَارُ الْأَنُوَارِ : ١٣ / ١٢٧ ح ٢٥ .

وقد ورد في عدّة أخبار أيضاً أنّ نوحًا قد حمل عظام آدم عليه السلام من الكعبة ودفنتها في الغري .

وهذه الأخبار معارضة للأخبار الكثيرة المستفيضة من أنّ الأنبياء والأوصياء يرفعون من الأرض بعد الدفن بأبدانهم إلى السماء فكيف التّوفيق بينهما؟ .

أقول : الإشكال في هذا الحديث وما بمعناه من وجهين :

الأول : أنّه قد دلّت أخبارهم أنّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والأوصياء بل العلماء العاملون بعلمهم والملوك العادلون كذلك ، وظاهر هذه الأحاديث أنّ الذي حمله موسى عظام يوسف عليه السلام ، وكذلك نوح عليه السلام ، إنّما حمل عظام آدم عليه السلام ، وهذا صريح في أنّ لحوم الأنبياء تأكلها الأرض .

ويؤيّده ما روي عن استسقاء الرّاهب بعظام نبيّ يكشفه تحت السماء فتهطل السماء ، فأخذه الحسن العسكريّ عليه السلام بيده ثمّ قال : (استسق الآن) ، واستسقى وكانت السماء مغيّمة فتقشّعت وطلعت الشمس بيضاء ، فقال الخليفة : ما هذا العظم يا أبا محمّد؟

قال عليه السلام : (هذا رجل مرّ بقبرنبيّ من الأنبياء فوقع في يده العظم ، وما كشف عن عظمنبيّ إلا هطلت السماء بالمطر) ^(١) .

(١) الخرائج والجرائم : ١ / ٤٤٢ ح ٢٣ ، وكشف الغمة للإربلي : ٣ / ٢٢٦ ، وبنحار الأنوار : ٥٠ / ٢٧١ .

في أن الأنبياء والأوصياء لا يبقون
في قبورهم بل يُرْفَعُون إلى السّماء

الثاني : أنه قد تكثرت الأخبار في أنهم عليهم السلام لا يبقون في قبورهم بل يُرْفَعُون إلى السّماء مثل ما رُوِيَ عن أبي عبد الله بن بكر الأرجاني في كامل الزيارة عن الصادق عليه السلام قال له : قلت : جعلت فداءك أخبرني عن الحسين عليه السلام لو نُبِشَ كانوا يجدون في قبره شيئاً ؟ قال عليه السلام : (يابن بكر ما أعظم مسائلك الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه والحسن عليهم السلام في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله يُحْبِّون ويُرْزَقُون ، فلو نبش في أيامه لوجد ، فأمّا اليوم فهو حيٌّ عند ربِّه ينظر إلى معسكته ، وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله ، وأنه لعلى يمين العرش متعلّق^(١)) الحديث .

وفيه^(٢) عن زياد بن أبي الحال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (ما مننبي ، ولا وصيٌّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام ، ثم يرفع روحه وعظامه ولحمه إلى السّماء ، وإنما يؤتى

(١) كامل الزيارات لابن قولويه القمي : ٥٤٣ ح ٨٣٠ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٦ ، وبشارة المصطفى للطبرى : ١٣٠ ح ٧٩ ، ووسائل الشيعة : ١٠ / ٢٣٠ ح ١١٩١٣ .

(٢) في نسخة أخرى : وفي كامل الزيارة .

مواضع آثارهم وبلغونهم من بعيد السلام ، ويسمونهم في موضع آثارهم من قريب^(١) .
وأمثال هذين كثير .

والجواب عن الإشكال الأول : أنه قد أشاع وذاع عند أهل اللغة إطلاق العظام على الجسم ، وهذا مما لا يجهل ولا يدافع ، إنما لشرف العظام في الجسم أو لأنها قوامه أو لتأصلها فيه^(٢) ، أو لأنها آخر ما يبلى وما أشبه ذلك ، فيراد بعظام يوسف وآدم عليهما السلام جسماهما ، ولهذا قال في رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنك زائر عظام آدم ، وبدن نوح ، وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام)^(٣) الحديث .

فذكر بدن نوح وجسم عليّ عليه السلام ، ولا قائل بالفصل ظاهراً وإنما غاير في الثلاثة لتحسين اللفظ ، وفيه في الحقيقة سرّ خفي يطول ببيانه الكلام ، وسنشير إلى بعض ذلك في جواب^(٤) الإشكال الثاني إن شاء الله .

(١) كامل الزيارات ، الباب الثامن والمئة ، نوادر الزيارات ح ٣ ، وبحار الأنوار : ١١ / ٦٧ ح ٢٢ ، ووسائل الشيعة : ١٤ / ٣٢٣ ح ١٩٣١٥ .

(٢) في نسخة أخرى : لتدخلها فيها .

(٣) كامل الزيارات للصدقون : ٩٠ ح ٩١ ، وتهذيب الأحكام : ٦ / ٢٣ ح ٥١ ، ووسائل الشيعة : ١٤ / ٣٨٤ ح ١٩٤٣٥ ، والغارات للثقفي : ٢ / ٨٥٣ .

(٤) في نسخة أخرى : في الجواب عن .

وأما العظم الذي عند الرّاهب فيجوز أن يكون أخذه فقطع اللّحم عنه لينكشف^(١) العظم ليبرز تحت السماء ، ويجوز أن يكون المراد بقولهم : إنّ الأرض لا تأكل لحومهم ، أنها لا تحيلها تراباً كما تحيل لحوم سائر الناس ، بل إنّ لحومهم تفكك وتتفرق أجزاء صغيرة لطيفة بحيث لا تستبين للنّاظر من غير أن تنقص الأرض منهم شيئاً ، بخلاف سائر الناس .

مثالُ الفريقين مثالُ الذهب والنّحاس في الأرض ، فإنَّ الذهب إذا حُك بالمبرد وألقى في الأرض اختلط بالتّراب وغاب فيه من غير أن تكون الأرض تحيل منه شيئاً ، وإذا حُك النّحاس كذلك وألقى في الأرض وبقي فيها أكلته الأرض وأحالته تراباً ، هذا في سائر الصالحين الذين لا تأكل لحومهم .

وأما محمد وأهل بيته صلّى الله عليه وآله فإنَّ الأرض لا تأكل لحومهم كما مرّ ولا تفكّكها ولا تفرّقها ، لأنَّ حقيقة لحومهم ليست من الأرض وإنما الأرض بل والسماءات من فاضل فاضل أجسامهم ، ويأتي التلويع إلى الجمع بين الأخبار وهو يتضمن بيان هذا الحرف الأخير على سبيل الإشارة .

بيان معنى رفع آل محمد عليهم السلام إلى السماء

والجواب عن الإشكال الثاني : هو أنّهم عليهم السلام أشباح

(١) في نسخة أخرى : فكشف .

نورانية بحسب ظواهرهم وراء عالم الأجسام وألبسو الصور البشرية في مدة حياتهم في الدنيا كما ألبس الشخص ثياب ، وإذا شاؤوا خلعوا تلك الصور كما يخلع الشخص ثيابه بإرادته واختياره ، وإذا خلعوا تلك الصور كانوا وراء الأجسام بل وراء عالم ملوك ما سواهم في الرتبة والمكانة لا أنهم يصعدون إلى جهة العلو المحسوس كما يتوهّم من لا يعرف العلو المعقول .

ومثاله فيك أنك إذا نظرت إلى شيء محسوس انطبعت صورته المحسوسة في بصرك وهو من هذا العالم ، وإذا تخيلت تلك الصورة بخيالك ارتفعت صورة ملوكها عن هذا العالم واستقرت في ملوكتك الذي هو نفسك في الملوك قبل عالم الأجسام بأربعة آلاف عام ، ولم يكن هذا الارتفاع والصعود إلى جهة العلو المحسوس ، لأن نفسك ليست فوق جسمك الفوقي المحسوسة ، وإنما كانت نفسك في هذا الهواء بين الأرض والسماء ، لأنه فوق جسمك .

وإذا تعقلت معنى تلك الصورة استقر ذلك المعنى في عقلك فقد ارتفع ذلك المعنى عن الصورة التي في نفسك مسيرة ألفي عام فوق ملوكتك ، لأن عقلك أعلى من جسمك بأربعة آلاف عام وبألفي عام ، وليس مقدار الألف من الألفين كمقدار الألف من الأربعة بل الألف من الألفين مثل الدرجة من محذب الفلك الثامن ، والألف من الأربعة مثل الدرجة من محذب الفلك الرابع

تقريباً ، ومع هذا فليس عقلك وراء جسمك في العلو الحسبي ، فإذا ارتفع ملوكوت المحسوس الذي رأيته ببصرك لم يدركه بصرك مع أنه لم يرتفع عن المحسوس إلى الجهة المحسوسة ، وإذا ارتفع معناه إلى عقلك لم يدركه نفسك كذلك .

إذا عرفت المثال عرفت بأن المراد من رفعهم عليهم السلام إلى السماء هو رفعهم إلى رتبة أشباحهم وأجسامهم إذا خلعوا الصور البشرية لا إلى هذا السماء المحسوس ، بل هو وراء جبروتكم وإن كان في هذه الصور الظاهرة ، ولو نبشت لم تر أجسامهم لخلعهم البشرية كما أنهم لو نبشو في أيامهم عليهم السلام لوجودوا ، وذلك قبل خلعهم الصور البشرية ، فافهم الإشارة من المثال والعبارة .

وقول الصادق عليه السلام فيما تقدم : (إن الحسين عليه السلام لعلى يمين العرش متعلق) ^(١) ، يريد به ما ذكرنا لك وكشفنا لك من الغطاء عن هذه الأسرار وجوه تلك الأستار والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلته الطاهرين .

وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) كامل الزيارات لابن قولويه القمي : ٥٤٣ ح ٨٣٠ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٦ ، وبشارة المصطفى للطبرى : ١٣٠ ح ٧٩ ، ووسائل الشيعة : ١٠ / ٢٣٠ ح ١١٩١٣ .

بيان المراد من نية المؤمن والكافر

الحديث السادس عشر

قد ورد في بعض الأخبار (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شرّ من عمله) ^(١).

أقول : في رواية البرقي في المحسن (نية الفاجر) ^(٢) ،
مكان (نية الكافر) ، والمراد لا يختلف .

واعلم أنَّ الوارد على هذا الحديث سؤالاً :

أحدهما : أنه قد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله : (أفضل الأعمال أحمزها) ^(٣) ، وإذا كان الأحمز أفضل فكيف تكون النية خيراً من العمل مع أنَّ العمل أحمز ، لأنَّ النية قصد القلب والتفاتاته ، ولا شيء من الأعمال أخفٌ منها ؟

وثانيهما : أنه قد ورد عنهم عليهم السلام : (أنَّ نية السيئة لا تكتب حتى تعمل) ^(٤) ، فكيف تكون النية شرّاً من العمل وقد

(١) الكافي : ٢ / ٨٤ ح ٢ ، ووسائل الشيعة : ١ / ٥٠ ح ٩٥ ، وعوايي اللالي : ١ / ٤٠٦ ، وبحار الأنوار : ٦٧ / ١٨٩ ح ٢ .

(٢) محسن البرقي : ١ / ٢٦٠ ح ٣١٥ .

(٣) بحار الأنوار : ٦٧ / ١٩١ ، وجواهر الكلام : ٤ / ٢٦٥ .

(٤) الكافي : ٢ / ٤٢٨ ح ١ ، والاعتقادات للصدوق : ٦٨ ، والتوحيد للصدوق : ٤٠٨ ح ٧ .

أجاب العلماء عن السؤالين بوجوه لا بأس بإيراد كثير منها أو لا على سبيل النقل :

أجوبة الفقهاء على كون النية شرّاً من العلم

جواب السيد المرتضى

أحدها : ما حكاه المرتضى^(١) وهو أنّ نية المؤمن بدون عمل خير من عمل المؤمن بدون نية .
ويرد على هذا الجواب أنّ العمل بغير نية لا خير فيه فكيف يدخل في باب التفضيل ؟

وأجيب بأنّ ذلك مستعمل كثيراً في السنة ، ويصحّ التفضيل إما باعتبار أنّ الملحوظ بيان أفضلية الأفضل في نفسها وإن لم يلحظ فيها أنها زائدة على الآخر ليلزم حصول فضل الآخر

= ولفظه في الكافي : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن المؤمن ليهُم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة ، وإن هو عملها كتبت له عشر حسناً ، وإن المؤمن ليهُم بالسيئة أن يعملها فلا يعملاها فلا تكتب عليه) .

(١) هو السيد علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام .
ولد السيد المرتضى في رجب سنة ٣٥٥ .

وعاصر من الخلفاء المطیع سنة ٣٣٤ هـ ثم الطائع سنة ٣٦٣ ثم القادر سنة ٣٨١ ثم ابنه القائم .

وتوفي السيد المرتضى في ٢٥ ربيع الأول سنة ٤٣٦ ودفن في داره ثم نقل إلى المشهد الحسيني عليه السلام .

والفضيل زائد عليه ، أو أن التفضيل إنما جاز لما يتوهّم من حصول فضل في الآخر وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر ، وقد ورد ذلك في القرآن كثيراً مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا مُشْرِكُونَ﴾^(١) وورد أنه يستحب أن يقول القارئ بعدها : (الله خير وأكرم)^(٢) ، ولا ريب أن ما أشركوا به لا خير فيها .

وقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾^(٣) ومن المعلوم أن ذلك الضد الذي لا يهدي للحق^(٤) ، لا يجوز أن يتبع بوجه ما لا أنه يحق له ذلك ، إلا أن من يهدي إلى الحق أحق منه بالاتّباع .

وثانيها : أنه مخصوص ببعض النّيات وبعض الأعمال فإن نية الجهاد في سبيل الله وأمثاله من الأعمال الكبيرة العظيمة أفضل من العمل الصغير الخفيف كمثل تحميدة واحدة .

ويرد عليه أن هذا خلاف الأصل فإن الأصل العموم وخلاف الظاهر منه .

وثالثها : أنه قد ورد أن خلود المؤمن في الجنة إنما هو بالنية لا

(١) سورة النمل ، الآية : ٥٩ .

(٢) تهذيب الأحكام : ١١٩٥ ح ٢٩٧ ، ووسائل الشيعة : ٦ / ٧١ ح ٧٣٧٥ ، وبحار الأنوار : ٣٤ / ٨٢ ولفظ الحديث فيهم : (الله خير الله أكبر) .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

(٤) في نسخة أخرى : إلى الحق .

بالعمل ، ولو كان الخلود بجزاء الأعمال لما كانوا خالدين لانقطاع المجازات على المتناهي بخلاف النية ، فإنها لا تقف على حدّ بل المؤمن نيته أن يطيع أبداً والكافر نيته أن يعصي أبداً^(١) .

ورابعها : أن النية هي العزم على الفعل ، وذلك يمكن فيه الدوام بخلاف العمل فإنه يتغزل أحياناً ، فإذا نسبت النية إلى العمل كان الدائم أعظم من المنقطع .

خامسها : أن النية لا يكاد يدخلها الرياء .

والعجب لأننا نتكلّم على تقدير النية المعتبرة شرعاً ، ولأنه إذا رأى إنما يرائي بالعمل لا يرائي بأنه نوى أو لم ينوي أو نوى نية حسنة أو لا ، لأن ذلك فيما يشاهد ويرى وهي لا ترى إنما يرى العمل فكانت أعظم منه^(٢) .

واسادسها : أن المؤمن يُراد به المؤمن الخالص كالمغمور بمعاشرة أهل الخلاف ، فإن غالب أفعاله جارية على التقىة ، وهذه الأعمال منها ما فيه ثواب ومنها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وأما نيته فخالصة فتكون نيته خيراً من أعماله الخالية من الثواب ، لأنه وإن أظهر موافقتهم بأركانه ونطق بها بلسانه إلا أنه غير معتقد لها بجنانه^(٣) .

(١) انظر القواعد والقواعد للشهيد الأول : ١ / ١١٠ .

(٢) انظر القواعد والقواعد للشهيد الأول : ١ / ١١٠ .

(٣) انظر القواعد والقواعد للشهيد الأول : ١ / ١١٠ .

وقد رُوي عن الصادق عليه السلام وقد سأله أبو عمرو الشامي عن الغزو مع غير الإمام العادل : (إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(١).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ^(٢).

أقول : هذا الوجه فيه كلام في أصله .

وسابعها : أن لفظة (خير) ، و(شر) ، ليست التي بمعنى أ فعل التفضيل بل هي الموضوعة لما فيه منفعة ، ويكون معنى

(١) الكافي : ٥ / ٢٠ ح ١ ، وجوهر الكلام : ٢١ / ١٨ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٦٢ ح ٣٢٥ .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله رجل فقال : إني كنت أكثر الغزو وأبعد في طلب الأجر وأطيل الغيبة فحجر ذلك علي ، فقالوا : لا غزو إلا مع إمام عادل ، فما ترى أصلحك الله ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : (إِن شئت أن أجمل لك أجملت ، وإن شئت أن الخص لك لخصت) فقال : بل أجمل ، قال : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . قال : فكأنه اشتهى أن يلخص له ، قال : فلخص لي أصلحك الله ، فقال : (هات) ، فقال الرجل : غزوت فوأقعت المشركين فينبغي قتالهم قبل أن أدعوهم ؟ فقال : (إِنْ كَانُوا غَزَوا وَقُوْتَلُوا وَقَاتَلُوا فَإِنَّكَ تَجْتَرِئُ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانُوا قَوْمًا لَمْ يَغْزُوا وَلَمْ يَقْاتَلُوا فَلَا يَسْعُكْ قَتَالُهُمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ) قال الرجل : فدعوتهم فأجابني مجيب وأقر بالإسلام في قلبه وكان في الإسلام فجير عليه في الحكم ، وانتهكت حرمته وأخذ ماله واعتدى عليه ، فكيف بالمخرج وأنا دعوته ؟ فقال : (إِنَّكَ مَأْجُورَنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَعَكَ يَحْوِطُكَ مِنْ وَرَاءِ حَرْمَتِكَ وَيَمْنَعُ قَبْلَتِكَ وَيَدْفَعُ عَنْ كِتَابِكَ وَيَحْقِنُ دَمَكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ يَهْدِمَ قَبْلَتِكَ وَيَنْتَهِكَ حَرْمَتِكَ وَيَسْفِكَ دَمَكَ وَيَحْرُقَ كِتَابَكَ) .

(٢) اثنا عشر رسالة للداماد : ٤ / ١٥٠ ، وبحار الأنوار : ٤١ / ٣٤٧ .

الكلام أنّ نية المؤمن من جملة الخير من أعماله حتى لا يقدر مقدار أنّ النية لا يدخلها الخير والشرّ كما يدخل ذلك في الأعمال ، وهذا من الوجوه المنقوله عن المرتضى رحمة الله .

وفيه : أنّه خلاف الظاهر لأنّ المفهوم المتبادر منه التفضيل ، ولا يعدل عنه إلى التأويل إلا إذا لم يمكن غيره على أنّهم عليهم السلام قالوا : (إنا لا نخاطب الناس إلا بما يعرفون)^(١) ، ومع هذا فإذا أريد مجرد المنفعة فلا بدّ أن يؤتى بصورة التفضيل من باب الأولوية والأحقية ، وإن لم يلحظ جهة المرجوحة في

(١) أمالى الصدوق : ١٥٩ ح ١٥٦ ، والتوحيد : ٩٥ / ١٤ ، والكافى : ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ح ٥ ، ولفظه في الكافي : عن عبدالاعلى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط ، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرّتهم السلام ، وقل لهم : رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلى نفسه ، حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون ، ثم قال : والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره ، فإذا عرفتم من عبد إذاعة فامشووا إليه وردوه عنها ، فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه بمن يشقل عليه ويسمع منه ، فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتى تقضى له ، فالطفواف في حاجتي كما تلطفون في حوائجكم ، فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم ، ولا تقولوا : إنه يقول ويقول ، فإن ذلك يحمل علي وعليكم ، أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي ، هذا أبو حنيفة له أصحاب ، وهذا الحسن البصري له أصحاب ، وأنا أمرؤ من قريش ، قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمت كتاب الله وفيه بيان كل شيء يبدئ الخلق وأمر السماء وأمر الأرض وأمر الأولين وأمر الآخرين وأمر ما كان وأمر ما يكون ، كأنني أنظر إلى ذلك نصب عيني) .

مدخول من ويلزم منه الزبادة على مدخل من وإن لم يكن على جهة التلازم والارتباط بل على جهة الانفراد^(١).

واثمنها : أن لفظة أ فعل التفضيل قد تكون مجردة عن الترجيح كما في قوله تعالى : «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَنَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَنَ وَأَضَلُّ سَيِّلًا»^(٢) ومثله قول المتنبي :

أَبَعِدَ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنَّ أَسْوَدَ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ
قال ابن جني في بيانه : أراد لأنك أسود من جملة الظلم^(٣).

ويرد عليه ما ذكر في سابقه أولاً ، وفي الأول قيل : فإن قيل : يلزم من قولكم بطلانه لأن النية من أفعال القلوب وهي غير الأعمال فكيف تكون من جملتها ؟ وأجيب بجواز أن تسمى النية عملاً كما تسمى فعلاً .

وفيه : أن سياق الكلام في الحديث ملحوظ فيه المغایرة
فكيف يقصد منه في لحاظ واحد مع ذلك المجانسة ؟ !

وتاسعها : ما نقل عن الغزالى^(٤) بأن النية سر لا يطلع عليه

(١) انظر القواعد والفوائد للشهيد الأول : ١ / ١١٢ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٨ / ٢٦٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٧٢ .

(٣) انظر القواعد والفوائد للشهيد الأول : ١ / ١١٢ ، ورسائل المرتضى : ٣ / ٢٣٧ .

(٤) هو محمد بن محمد بن أحمد بن الطوسي الشافعى ، المعروف =

إلا الله تعالى وعمل السرّ أفضل من عمل الظاهر^(١).
وفيه : أن العمل المراد به الصحيح شرط صحته أن يكون
بالنية الصادقة فلا تكون النية وحدها أفضل منه .

جواب الشيخ البهائي

وعاشرها : ما ذكره البهائي رحمه الله^(٢) في الأربعين من أن

الغزالى (زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد) حكيم ، متكلم فقيه ،
أصولى ، صوفي ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بالطبران إحدى قصبتي طوس بخراسان سنة (٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) ،
وطلب الفقه لتحصيل القوت ، ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان ،
ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنисابور ، فاشتغل عليه ولازمه ثم
جلس للإقراء ، وحضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه نظام الملك ، فعظمت
منزلة الغزالى ، وندب للتدريس بنظامية بغداد ، ثم أقبل على العبادة
والسياحة ، فخرج إلى الحجاز فحج ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر
سنین ، ثم سار إلى القدس والاسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطورس ، ثم إن
الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلب إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك ،
ثم عاد إلى وطنه ، وابتلى إلى جواره خانقاہ للصوفیة ومدرسة . توفي سنة ٥٠٥
هـ - ١١١١ م) .

انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : انظر ١١ / ٢٦٥ .

(١) انظر القواعد والفوائد للشهيد الأول : ١١ / ١١٤ .

(٢) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملی الهمданی الجبیعی ،
وهمدان اسم قبیلة ، والمراد من الحارثي أن الشیخ منسوب إلى الحارث
الهمدانی المعروف بالحارث الأعور وهو من أصحاب أمیر المؤمنین علیه
السلام ، وكان فقیهًا نیلًا جلیلًا أصولیاً وریاضیاً بلا بدیل ولا نظیر له فی

المراد بنية المؤمن اعتقاد الحق ، ولا ريب أنه خير من أعماله^(١) ، إذ ثمرته الخلود في الجنة وعدهم يوجب الخلود في النار بخلاف الأعمال^(٢) .

وفيه : أن إطلاق النية التي هي القصد والباعث شرعاً على الأعمال على الاعتقاد الذي هو اليقين والثبات على الحق خلاف الأصل ، وخلاف المراد من الحديث .

جواب ثاني للشيخ البهائي

وحادي عشرها : مما ذكره البهائي رحمه الله ، أن طبيعة النية خير من طبيعة العمل لأنها لا يتربّ عليها عقاب أصلاً ، بل إن كانت خيراً أثيب عليها وإن كانت شرّاً كان وجودها كعدمها ، بخلاف العمل ، فإنه من ﴿يَعْمَلُ مِثْكَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَرَوُهُ وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْكَالَ ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَوُهُ﴾^(٣) فصح أن النية بهذا الاعتبار خير من العمل ، انتهى^(٤) .

التفسير ، والجubi نسبياً إلى جبع وهي قرية من قرى جبل عامل .
توفي الشيخ ودفن حسب وصيته في خراسان في جوار الإمام الرضا عليه السلام في ركن الصحن المطهر .

(١) في نسخة أخرى : عمله .

(٢) انظر شرح أصول الكافي : ٨ / ٢٦٦ .

(٣) سورة الززلة ، الآيات : ٧ ، ٨ .

(٤) التحفة السننية للجزائري : ٧٤ ، وبحار الأنوار : ٦٧ / ١٩٠ .

وهذا الوجه وإن كان توجيههاً حسناً لكنه غير المراد من الحديث لأنّه خلاف المفهوم والمبتادر منه .

وثاني عشرها : أيضاً أنّ النية من أعمال القلب وهو أفضل الجوارح وفعله أفضل من عملها ألا ترى إلى قوله تعالى : «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»^(١) ، حيث جعل الصلاة وسيلة إلى الذكر والمقصود أشرف من الوسيلة ، وأيضاً فأعمال القلب مستورة عن الخلق لا يتطرق إليها الرّياء ونحوه بخلاف أعمال الجوارح^(٢) .

وفيه أيضاً : أنه خلاف المعروف من ظاهر الحديث ، فإن المعلوم منه أنّ النية أحسن من العمل .

وثالث عشرها : أنّ المراد بالنية تأثير القلب عند العمل وانقياده إلى الطاعة وإقباله على الآخرة وانصرافه عن الدنيا ، وذلك يشتّد بشغل الجوارح بالطاعات وكفّها عن المعاصي ، فإن بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتکاثر^(٣) كلّ واحد منها بالآخر ، كما إذا حصل للجوارح آفة سرى أثرها للقلب فاضطرب ، وإذا تألم القلب لخوف مثلاً سرى أثره إلى الجوارح فارتعدت ، والقلب هو الأمير المتبع والجوارح كالرّعایا والأتباع ، والمقصود من أعمالها حصول ثمرة القلب فلا تظنّ في

(١) سورة طه ، الآية : ١٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٦٧ / ١٩٠ .

(٣) في نسخة أخرى : يتأثر .

وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنّه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنّه بحكم العادة يؤكّد صفة التواضع في القلب ، فإنّ من يجد في نفسه تواضعاً إذا استعان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكّد بذلك تواضعه .

وأمّا من سجد غافلاً عن التواضع وهو مشغول القلب بأغراض الدنيا فلا يصل من وضع الجبهة على الأرض أثر إلى قلبه بل سجوده كعدمه نظراً إلى المطلوب منه ، وكانت النية روح العمل وثمرته والمقصد الأصليّ من التكليف به فكانت أفضل^(١) .

أقول : هذا الوجه قريب من الذي قبله وإن كان أخصّ من الأول إلا أنّ الذي فيهما متقارب .

جواب ثالث للشيخ البهائي

ورابع عشرها : وهو آخر ما ذكره البهائيّ رحمه الله ، وهو طويل ويرجع معناه إلى أنّ النية في نفسها إنّما هي قصد القلب وانبعاثه إلى العمل ، ولا تتهيأ لصاحبها إلا بتحصيل الأسباب الموجبة لميل القلب إلى فعل الشيء من المقاصد ، حتى أنّه ليفعل الشيء ولم يتوجّه له القلب إذا لم يحصل له ميل إليه لوجود مقصده فيه ، فلم تكن النية اختياريّة وإنّما الاختيار في المنويّ ،

(١) بحار الأنوار : ٦٧ / ١٩٠ .

فكانت أشـق من العمل وأحـمز فلا تناـفي بين قوله صـلى الله عـلـيهـ وـآلـهـ : (أـفـضـلـ الـأـعـمـالـ أـحـمـزـهـ) ^(١) ، وبين قوله صـلى الله عـلـيهـ وـآلـهـ : (نـيـةـ الـمـؤـمـنـ خـيـرـ مـنـ عـمـلـهـ وـنـيـةـ الـكـافـرـ شـرـ مـنـ عـمـلـهـ) ^(٢) ، بل هو كالـمـؤـكـدـ والمـقرـرـ ، انتـهىـ .

أقول : وهذا أيضـاـ مثل السـابـقـةـ في عدم اـنـطـبـاقـهـ عـلـىـ المرـادـ منـ الـحـدـيـثـ إـذـ لـيـسـ المـرـادـ بـيـانـ أـنـ النـيـةـ أـشـقـ مـنـ الـعـلـمـ لـيـدـخـلـ فـيـ قـوـلـهـ : (أـفـضـلـ الـأـعـمـالـ أـحـمـزـهـ) ، وـأـيـنـ هـذـاـ مـعـنـىـ الـحـدـيـثـ ؟

وـخـامـسـ عـشـرـهـاـ : أـنـ نـيـةـ الـمـؤـمـنـ بـجـمـلـةـ الـطـاعـاتـ خـيـرـ مـنـ عـمـلـهـ يـعـنـيـ عـمـلـاـ وـاحـدـاـ ، وـنـيـةـ الـفـاجـرـ كـذـلـكـ ، فـالـنـيـةـ دـائـمـةـ وـالـعـمـلـ مـؤـقـتـ وـالـدـائـمـ خـيـرـ مـنـ الـمـؤـقـتـ .

أقول : وهذا فيه أيضـاـ ما في الـوـجـوهـ الـمـتـقـدـمـةـ .

وـسـادـسـ عـشـرـهـاـ : أـنـ الـعـلـمـ يـوـجـدـ بـالـنـيـةـ لـاـ الـنـيـةـ بـالـعـمـلـ .

أقول : هذا الـوـجـهـ أـيـضـاـ غـيـرـ وـجـيـهـ ، بلـ هوـ أـبـعـدـ مـنـ كـثـيرـ مـمـاـ تـقـدـّمـهـ .

وـسـابـعـ عـشـرـهـاـ : أـنـ سـبـبـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ أـنـ رـجـلـاـ أـنـصـارـيـاـ نـوىـ

(١) بـحـارـ الـأـنـوارـ : ٦٧ / ١٩١ ، وجـواـهـرـ الـكـلامـ : ٤ / ٢٦٥ .

(٢) الكـافـيـ : ٢ / ٨٤ حـ ٢ ، وـوـسـائـلـ الشـيـعـةـ : ١ / ٥٠ حـ ٩٥ ، وـعـوـالـيـ الـلـآلـيـ : ١ / ٤٠٦ ، وبـحـارـ الـأـنـوارـ : ٦٧ / ١٨٩ حـ ٢ .

أن يعمل جسراً كان على باب المدينة قد انهدم فسبقه يهودي فعمله فاغتم الأنصاري لذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : (نية المؤمن خير من عمله) ، يعني خير من عمل اليهودي .

أقول : بيان ذلك بهذا الحديث جار على الطريقة إلا أنا نقول : إن كان لم يرد ذلك الحديث إلا في هذه الرواية ولم يستعمله أحد من الأئمة عليهم السلام في غير هذه الرواية لا منفرداً ، ولا مستشهاداً به ، وإن كان في هذه الرواية فقد انتهى القول في بيان ذلك الحديث ، ولا يحسن توجيهه بغير ما في هذه الرواية ، وإن كان قد استعملوه عليهم السلام منفرداً أو استشهدوا به فلا حاصل في هذه الرواية لبقاء الإشكال على حاله .

وثامن عشرها : أن المراد بالنية الإرادة بمعنى أن إرادته وإخلاصه بجميع الأعمال خير من عمله ، أقول هذا وأمثاله لا يحصل منه المراد كما ذكرنا .

وتاسع عشرها : أن نية المؤمن آلا يرجع من الإيمان خير من عمله والكافر على ضدّه .

أقول : وهذا يرجع إلى الثالث والعشر و فيه ما فيهما .

والعشرون : أن نية المؤمن على أن يزداد خيراً إن قدر عليه خير من عمله وكذا نية الفاجر .

أقول : وهذا يرجع إلى بعض ما سبق ويرد عليه ما يرد على ذلك .

والحادي والعشرون : ما ذكره بعض متأخري المتأخرین وهو أنّ (خيراً وشرّاً) منصوبان على أنّهما مفعولاً نية ، وإن كان وجه حذف الألف منهما يبادر كونهما صيغتي تفضيل وأنّهما خبراً المبتدأين ، فوقع فيهما تحريف ، والمعنى أنّ المؤمن إذا نوى خيراً وإن لم يفعله كان ذلك محسوباً من جملة^(١) أعماله ، والكافر إذا نوى شرّاً كان ذلك محسوباً من أعماله ، فيُثاب المؤمن بذلك ويعاقب الكافر به .

وفيه تنبيه على أنّ هذا من العمل الذي في قوله تعالى :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ﴾^(٢)

وفي تنكير (خير وشرّ) في الحديث دلالة على أنّ كلاًّ منهما وإن كان قليلاً يكتب له وعليه ، وقد دلّ الحديث الذي نقله الشهيد رحمة الله^(٣) ، على أنّ المؤمن يكتب له الحسنة بمجرد النية ، ولا بُعد في كون السيئة تكتب على الكافر بمجرد النية .

(١) في نسخة أخرى : محسوباً عليه من .

(٢) سورة الززلة ، الآيات : ٧ ، ٨ .

(٣) هو محمد بن مكي بن أحمد بن حامد العاملي ، الجزيوني ، الشيعي (الشهيد السعيد ، شمس الدين ، أبو عبد الله) . فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مشارك في العلوم العقلية والنقلية .

ولد في سنة (٧٣٤ هـ - ١٣٣٣ م) وسكن جزين بلبنان ، ورحل إلى العراق والحجاج ومصر ودمشق وفلسطين ، وأخذ عن علمائها ، واتهم في أيام =

وبالجملة ، فإن كان ما^(١) تكلّم به العلماء على هذا الحديث بعد ثبوته عندهم بالنقل مرفوعاً وإلا فهذا وجه وجيه ، كذا قال الشيخ يوسف البحرياني^(٢) صاحب الحدائق في الدرر النجفية .

أقول : وفي هذا الوجه من بعد وخلاف الظاهر ما لا يخفى من التكليف بعيد ، بل وخلاف نفس الأمر ، فإنه يلزم عليه^(٣) أن نية الكافر مجردة عن العمل تكتب سيئة ، ولا دليل عليه بل الدليل

السلطان برقوق بانحلال العقيدة ، سجن في قلعة دمشق ، ثم ضربت عنقه في ٩ جمادى الأولى سنة (٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) فلقب بالشهيد الأول .

من تصانيفه : جامع العين من فوائد الشرحين أي شروح تهذيب الأصول ، البيان في الفقه ، كتاب القواعد ، الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، وغاية المراد في شرح نكت الارشاد .

انظر روضات الجنات للخوانساري : ٥١٧ - ٥٢٢ ، وإيضاح المكتون للبغدادي : ٤٣٣ - ٣٥٥ .

(١) في نسخة أخرى : ما قد .

(٢) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور الدرزي ، البحرياني . فقيه ، أصولي ، متكلم ، محدث ، عارف بالرجال من الإمامية بالبحرين .

ولد في المحوز سنة (١٦٩٥ م) ، وتوفي سنة (١٧٧٢ م) ودفن بكرباء في ٤ ربیع الأول . من تصانيفه : أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين ، أنيس المسافر وجليس الخواطر أو الكشكوكل ، الدرة النجفية من الملقطات اليوسفية ، الحدائق الناضرة في الفقه الاستدلالي ظهر منها ست مجلدات ، وسلسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة . انظر الفوائد الرضوية للقمي : ٧١٣ - ٧١٦ ، ومتهى المقال : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) في نسخة أخرى : على .

على خلافه بأنها كعدمها لا تحسب وإن^(١) دل على أنها قد تحسب في الأمم الماضية ، والحديث الذي نقله الشهيد رحمه الله لا يدل إلا على نية المؤمن .

فإن قيل : إن كون نية الشر مجردة عن العمل كعدمها إنما هو في حق المؤمن ، وأما الكافر فلا يدخل في هذا الحكم .

قلنا : ليس المراد بنيّة الكافر خصوص الكافر ، بل المراد أنّ المؤمن يهم من الطاعات بما لا يقدر عليه ، وأنّ غير المؤمن الصالح يهم من المعاشي بما لا يقدر عليه ، ولهذا ورد كما تقدّم (ونية الفاجر شرّ من عمله) ، فلا يختص المراد بالكافر ليخصّص احتساب نية الشر بغير هذه الأمة ، فإن كثيراً من فسقة هذه الأمة داخل في قوله : (ونية الفاجر والكافر شرّ من عمله) ، لأنّ المراد أنّ غير المؤمن سيء السريرة .

ولو سلّمنا ذلك لم تكن نية الكافر شرّاً من عمله لأنّ المفروض أنّ العمل مع النية .

جواب الشيخ الأوحد قدس سره

أقول : يظهر لي من معنى الحديث أن يراد به معنيان كلاهما فيما أفهم ، ويظهر أنه مراد له صلى الله عليه وآله وإن كان ما ذكره أولاً في نظري أظهر المعنيين للحديث :

(١) في نسخة أخرى : وما .

الأول : أن المؤمن يعزم على أن يعمل أعمالاً من الخيرات لا يسعه إيقاعها لحصول عوائق الدنيا وأشغالها وما يجري عليه من الأمراض ومن مخالطة الناس لا من جهة كثرة الأعمال الصالحة ، ولا من إصلاحها وإخلاصها والإقبال عليها مما كان في نيته ذلك مشفوعاً بعزمه أنه لا يعصي الله أبداً ، ولهذا ورد عن أهل العصمة عليهم السلام مما في نياتهم لأنفسهم وتعليمهم لشيعتهم في الدعاء (وبلغني من طاعتكم وعبادتك أملني)^(١) ، فإذا كان هذا عزمه وهذه نيته بأنه لا يترك شيئاً من الخيرات إلا ويتمنى ويترجح أن يفعله كما يحب الله ، ومع ذلك فلا تحصل منه إلا بعض الأعمال وتحصل منه التقصيرات الكثيرة فناته خير من عمله .

ويمكن أن يراد بهذا المعنى ليس محض الموازنة بحيث يكون العمل أحمر ، بل المراد منه أنه في نيته لا يفقده الله حيث يأمره ، ولا يجده حيث ينهاه بخلاف عمله .

الثاني : إن شرط كمال نية المؤمن انضمماها إلى العمل ، وشرط صحة عمله انضمماه إلى النية ، فإذا انضمما واجتمعا كما يحب الله حصل العمل الصالح الباقي ، فالنية روحه والعمل جسده فهو مركب منهما ، والنية أفضل الجزأين وأقواهما

(١) مفتاح الفلاح للبهائي : ١١١ .

وأشرفهما وأحبّهما إلى الله تعالى وأقربهما منزلة منه ، وكذلك الكلام في نية الكافر والفاجر في حكم العكس فتدبر .

والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآلـه الطاهرين .

وكتب : أحمد بن زين الدين

إشكال معرفة محمد وآلـه عليهم السلام بأسباب موتهما الحديث السابع عشر

قد رُوي في عدّة أخبار ، وفي طرق عديدة من الآثار أنّ الرّسول المصطفى أكل الكراع^(١) المسموم ، وكذا الحسن المجتبى والكافر وعليّ بن موسى الرّضا شرب الماء الممزوج ، وأكل التمر الملطخ والعنب الملطخ بالسم وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله الليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه ، وأنه عليه السلام لما سمع صياغ الأوز^(٢) (صوائح تتبعها نوائح)^(٣) ، وقول أم كلثوم له : (لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالنّاس) فأبى عليها وكثـر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح ، والحال أنه يعلم أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : الذراع .

(٢) في نسخة أخرى : الأوز قال عليه السلام .

(٣) الكافي : ١ / ٢٥٩ ح ٤ .

(٤) انظر المصدر السابق .

وكذلك الحسين عليه السلام كان عالماً بقاتله ووقت قتله وموضعه ، وهكذا الرضا عليه السلام ، وسائر الأئمة ، كما قال الكاظم عليه السلام حين إرادة أكل الرطب (اللهم إنك تعلم أنني لو كنت قادراً لتركه لما أقيمت نفسي إلى التهلكة)^(١) .

ويشكل بأن الإمام عليه السلام إذا كان عالماً بقاتله وموضع قتله ووقته وسببه من السمّ وغيرها فإن قدامه على ما يعلم أنّ فيه سماً وفيه ضرراً إلقاءً باليد إلى التهلكة ، وهو حرام بنص القرآن والسنّة ، وإن كانوا غير عالمين فيلزم أنّ علمهم كان أقلّ من تلك المرأة ومن جعيدة ومن الرشيدتين .

أقول : الإشكال في هذه المسألة من وجهين :

الإشكال الأول

الأول : أن الأخبار قد تكاثر تواردها من الأئمة عليهم السلام أنّهم لا يخفى عليهم شيء في الأرض ، ولا في السماء ، ومما يدلّ على ذلك ما رواه جعفر بن قولويه في نوادر كامل الزيارة عن عبد الله بن بكر الأرجاني عن الصادق عليه السلام في حديث طويل ، وفيه (يا بن بكر إنّ قلوبنا غير قلوب الناس ، إنّا مطيون مصطفون ، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمع الناس ،

(١) لم تجده فيما توفر لدينا من مصادر .

وإن الملائكة تنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا وتشهد طاعانا وتحضر موتانا وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون ، وتصلي معنا وتدعوا لنا وتلقي علينا أجنبتها وتتقلب على أجنبتها صبياننا وتمنع الدواب أن تصل إلينا ، وتأتينا بما في الأرض من كل نبات في زمانه ، وتسقينا من ماء كلّ أرض نجد ذلك في آنتنا وما من يوم ، ولا ساعة ، ولا وقت صلاة إلا وهي تنبئنا لها ، وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كلّ أرض عندنا ، وما يحدث فيها ، وأخبار الجن وأخبار أهل الهواء من الملائكة وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلا أتينا بخبره وكيف سيرته في الذين قبله ، وما من أرض من ستة أرضين إلى الأرض السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم) ، إلى أن قال : قلت : جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب ؟

قال : (يا بن بكر فكيف يكون حجّة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ، ولا يحكم فيهم ؟ وكيف يكون حجّة على قوم غيب لا يقدر عليهم ، ولا يقدرون عليه ؟ وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهدأ على الخلق وهو لا يراهم ؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم ؟ والله يقول : «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ**»^(١) يعني به من على

(١) سورة سباء ، الآية : ٢٨ .

الأرض ، والحجّة بعد النبي صلّى الله عليه وآلـه يقوم مقام النبي صلّى الله عليه وآلـه على ما تшاجرت فيه الأمة والأخذ بحقوق الناس والقيام بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض ، فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول : ﴿سَرِّيْهُمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال : ﴿وَمَا نُرِيْهُمْ مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(٢) فأي آية أكبر منا ؟^(٣) .

وفي الكافي^(٤) قال أبو عبد الله عليه السلام : (أي إمام لا يعلم ما يصيّبه وإلى ما يصيّر فليس ذلك بحجّة الله^(٥) على خلقه)^(٦) .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٤٨ .

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه القمي : ٥٤١ ح ٨٣٠ ، مدينة المعاجز للبحرياني : ٦ / ١٤٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٤ ح ٢٤ ، وتأويل الآيات : ٢ / ٨٨٦ ح ١٢ .

(٤) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٥) في نسخة أخرى : (بحجّة الله) .

(٦) الكافي : ١ / ٢٥٨ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ٥٠٤ ح ١٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٤٤٣ ح ٥٥ ، ومختصر البصائر : ٧ .

وفيه عن الباقر عليه السلام أنه : (أتَيَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِلَّيْلَةِ قَبْضًا فِيهَا بَشْرَابٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَهُ أَشْرَبَ ، فَقَالَ : يَا بْنَنِي إِنَّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الَّتِي أَقْبَضْتُ فِيهَا وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي قَبْضَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(١) .

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه ، وفي دخوله قبره ، فقلت : يَا أَبَهُ وَاللَّهُ مَا رأَيْتَ مِنْذَ اسْتَكْبَتَ أَحْسَنَ مِنْكَ الْيَوْمَ ، مَا رأَيْتَ عَلَيْكَ أثْرَ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ عَلِيًّا بْنَ الْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَنْادِي مِنْ وَرَاءِ الْجَدَارِ يَا مُحَمَّدَ تَعَالَى عَجَّلْ) ^(٢) .

وفي الكافي إنّ موسى بن جعفر عليهما السلام لما قال السّندي بن الشّاهك لعنـه الله : يَا هَؤُلَاءِ انظروا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ هَلْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ . . إِلَى أَنْ قَالَ موسى بن جعفر عليهما السلام : (إِنَّ مَا ذُكِرَ مِنَ التَّوْسِعَةِ وَمَا أَشْبَهُهَا فَهُوَ عَلَى مَا ذُكِرَ غَيْرُ أَنِّي أَخْبُرُكُمْ أَيَّهَا النَّفَرُ أَنِّي قَدْ سَقَيْتُ السَّمَّ فِي سَبْعِ تَمَرَاتٍ ، وَأَنَا غَدَّاً أَحْضُرُ وَبَعْدَ غَدَّ أَمْوَاتٍ) ^(٣) .

(١) الكافي : ١ / ١ ح ٢٥٩ ، ومدينة المعاجز للبحرياني : ٤ / ٢٩٠ .

(٢) الكافي : ١ / ١ ح ٢٦٠ ، وبصائر الدرجات : ٦ ح ٥٠٢ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٤٦ ح ٢١٣ .

(٣) الكافي : ١ / ١ ح ٢٥٩ ، قرب الإسناد للحميري : ١٢٣٦ ح ٣٣٤ ، وروضة الوعاظين : ١٦٧ ، وأمالی الصدق : ٢١٣ ح ٢٣٧ .

وهذه وأمثالها صريحة في أنهم يعلمون متى يموتون؟ ومن أين أتوا؟ فكيف يخفى عليهم ما فيه هلاكهم؟ .

الإشكال الثاني

الثاني : أن كونهم عالمين بمناياهم مما لا إشكال فيه عند الفرق المحققة وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا ثبت ذلك وهم قادرون على الامتناع من ذلك فإن دام لهم عليه إلقاء بأيديهم إلى التهلكة المنهي عنه !

جواب الشيخ الأوحد عن معرفة آل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم

والجواب : أنهم عالمون بذلك علم عيان وإخبار :
أما العيان فلما صحّ عنهم : (إنَّ اللَّهَ يُعْطِي وَلِيَهُ عَمُودًا مِّنْ نُورٍ
يَرَى فِيهِ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ كَمَا يَرَى أَحَدُكُمُ الشَّخْصَ فِي الْمَرَأَةِ) ^(١) ،
وإنَّهُمْ يَرَوْنَ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِّنْ أَحْوَالِهِمْ .
وأَمّا الإخبار فلأنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُمْ عَنْ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٤٥٢ - ٤٥٣ ح ٢ / ١٩٣ ح ٢ ، والبصائر : ٨ - ٨ ، والخصال : ٥٢٨ ح ٢ .

ولفظه في الخصال : (إن الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه لدلالة اطلع عليه) .

الوحى بالكلى والجزئي وما يجري عليهم وعلى غيرهم ، ولأنّ عندهم علم القرآن كله وفيه تفصيل كلّ شيء وتبیان كلّ شيء وعندهم الجفر يعلمون به كلّ شيء^(١) ، وعندهم الجامعة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآلـه وفیها كلّ ما يحدث على مستقبل الدهور ، وعندهم مصحف فاطمة وفيه جميع الملاحم والحوادث ، وعندهم الغابر فيه كلّ ما كان ، وعندهم المزبور وفيه كلّ ما سيكون ، وعندهم الاسم الأكبر وبه يعلمون

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام قال : (للإمام علامات يكون أعلم الناس وأحكم الناس وأنقى الناس وأحلم الناس وأشجع الناس وأسخن الناس وأعبد الناس ويولد مختوناً ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظل وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة ، ولا يحتلم وتنام عينه ولا ينام قلبه ويكون محدثاً ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآلـه ولا يرى له بول ولا غائط ، لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك ، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عز وجل ، ويكون آخر الناس بما يأمرهم به وأكف الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى لو أنه دعى على صخرة لانشققت نصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسيفه ذو الفقار ، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيمة وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيمة ، ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدـة ونصف الجلدـة وثلث الجلدـة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام) . الخصال : ٥٢٧
باب أن للإمام عليه السلام ثلاثة علامـة .

ما شاؤوا ، وعندهم النّكت في القلوب وهو الإلهام ، والتّقر في الأسماع وهو السّماع ، قالوا : وهذاً أفضل علومهم فهم يعلمون ما يجري به القضاء عليهم حين يجري وقبل أن يجري إذا كان محتوماً مطلقاً أي ليس له مانع في الغيب والشهادة ، ولكن إذا جرى القضاء عليهم غاب عنهم الملك المُحدّث عن أمر من الله^(١) ليجري عليهم القضاء ، فـيأكل الإمام السمّ وهو غافل وهذا أي غيبة^(٢) المحدث هو معنى ما ورد من (أنَّ الله ينسِيهِمْ لِيُجْرِيَ عَلَيْهِمْ الْقَضَاءَ)^(٣) .

بيان المراد من غيبة روح القدس عن الأئمة عليهم السلام

وبيان هذا والإشكال الثاني هو أنَّهم عليهم السلام يعلمون مناياهم عند حضورها وأسبابها وأنَّه من المحتوم عليهم لينالوا به الشّهادة والدّرجة العليا التي لا ينالونها^(٤) إلا بهذه الشّهادة والإقدام عليها ، وليس ذلك إلقاء باليد إلى التّهلكة لأنَّهم مأمورون بذلك عن الله ، وترك أمر الله هو الإلقاء باليد إلى التّهلكة لا امثال أمره ، فإنه جهاد واجب عليهم ، لأنَّ الله تعالى اشتري منهم أنفسهم بما يرضون من ثوابه .

(١) في نسخة أخرى : عن أمر الله .

(٢) في نسخة أخرى : غيبة الملك .

(٣) لم نجد في ما تتوفر لدينا من مصادر .

(٤) في نسخة أخرى : لن ينالوها .

ألا ترى أنك إذا أمرك الإمام عليه السلام بأن تمضي بنفسك إلى بعض أعدائه وتقاتلهم حتى تُقتل وأنت تعلم قطعاً أنك مقتول لا محالة فإنه يجب عليك ذلك حتى تُقتل ، وليس ذلك إلقاء باليد إلى التهلكة وإنما هو الشهادة والسعادة؟

وعلى هذا النحو خرج الحسين عليه السلام وأنصاره وقاتلوا وهم يعلمون أنهم مقتولون لا محالة ولو سلموا لسلموا ، ولكنَّه لا يجوز له التسليم لطلب السلامة ، بل يجب عليهم الجهاد حتى يقتلوه كما قد فعلوا عليهم التحية والرضاوان ، وهذا صريح قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ»^(١) الآية ، فيقدم الإمام على ما أمر به من أهل^(٢) المسموم امتثالاً لأمر الله تعالى ، وإذا أراد الأكل أنساه الله تعالى ذلك .

وبعبارة أخرى : غاب عنه المحدث أي الملك يعني روح القدس الذي يكون معهم يسددهم^(٣) .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

(٢) في نسخة أخرى : أكل .

(٣) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِمَنْ أَمْرِ رَبِّكَ» [الإسراء : ٨٥] قال : (خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد من مضى غير محمد صلى الله عليه وأله ، وهو مع الأئمة عليهم السلام يسددهم ، وليس كل ما طلب وجده) أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ - ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

معنى إنساء الله للأئمة عليهم السلام وأنه ظاهري

والمعنى في الأول أنه عليه السلام إذا توجه إلى ما أمره الله تعالى به من الأكل استغرق بجميع مشاعره استغراقاً ذاتياً في امتحال أمر الله تعالى والتوجه إليه حتى يغفل عن كلّ ما سوى الله حتى عن نفسه ، فیأكل غير ملتفت إلى نفسه ، ولا إلى ما يتربّ عليه من هلاكه ، كما يكون في صلاته يأتي بها بما يريد الله تعالى غير ملتفت إلى نفسه ولا إلى صلاته ، بل كلّ مشاعره مستغرقة في خدمة ربّه وامتحال أمره وهذا معنى الإنسان ، ومعنى ذلك أنّ الله

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : (يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه ، فتناوله الحسن عليه السلام مني ، والطير ترفرف على رأسه ، وتناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلى) قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها ، فقال له : (احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً) ، فتناوله الطير وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطير ، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : (أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى) ، فبكـت نرجس ، فقال لها : (اسكنـتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردـ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزـ وجلـ : « فَرَدَدْنَاهُ إِلَّا أُتَهُ كَيْ نَفَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْرَثْ » [القصص : ١٣]) قالت حكـمية : فقلـت : وما هذا الطـير ؟ قال : (هذا روح القدس الموكـل بالأئـمة عليهم السلام يوقفـهم ويـسدـدهـم ويـربـيـهم بـالـعـلـم) .

روضة الوعاظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ،
والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

سبحانه جذب جميع مشاعره بجمال جلاله عن نفسه وعن كل شيء ، ومعنى غيوبه الملك أنه يغيب به عنه وهو غيوبته بتوجّهه عن نفسه وعن سائر أحواله ، بمعنى أنه لا يشعر بغير امتناله الأمر ، وهو معنى أن الله أنساه ، لأن الملك يسدده عن النسيان والغفلة والسهو وهو لا يزال معهم لا يفارقهم إلا حالة جريان القدر عليهم فإنه يفارقهم ، يعني يفارق ما يتعلّق بظاهرهم إلى ما يتعلّق بباطنهم ، وهو مرادنا بغيوبته^(١) عن الإمام عليه السلام لا أنه يفارق باطنهم إذ لا مكان له في الوجود إلا قلوبهم ، بل قلوبهم شرط وجوده ، فهو يغيب وغيوبته عن ظاهرهم هو إنساء الله لهم ، لأن الله ينسىهم بغيوبه الملك .

فافهم فقد ذكرت لك الجواب عن الإشكاليين بل عن جميع الإشكالات .

وأما قولكم : ولو لا أنهم يعلمون ل كانت جعيدة بنت الأشعث لعنهمما الله واليهودية أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه الحسن عليه السلام لأنهما عالمتان بالسم الذي وضعاها ، فليس بمرتبط لأن الذي يفعل الشيء عالم به البتة بخلاف غيره فلا يدخل منه^(٢) إشكال للسؤال .

وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) في نسخة أخرى : بغيوبه الملك .

(٢) في نسخة أخرى : فيه .

حقيقة توحيد الله تعالى الحديث الثامن عشر

روى السيد الرضي رضي الله عنه في نهج البلاغة عن سعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام ، وروى الصدوق^(١) في التّوحيد والعياشي^(٢) في تفسيره أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة على منبر الكوفة ، وذلك أنّ رجلاً أتاه فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حباً ومعرفة ، فغضب عليه السلام ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللون فحمد الله سبحانه وصلى على النبي صلى الله عليه وآلـهـ وـقـالـ : (الحمد لله . . .) ، وساق الخطبة إلى أن قال : فقال عليه السلام : (فانظر أيّها السائل بما ذلك القرآن عليه من صفتـهـ فـأـتـمـ بـهـ وـاسـتـضـيـءـ بـنـورـ هـدـايـتـهـ وـماـ

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .

ولد بداعـاءـ الإمامـ الحـجـةـ عـجلـ اللهـ تـعـالـىـ فـرـجـهـ بـقـمـ المـقـدـسـةـ بـعـدـ سـنـةـ ٣٠٥ـ هـ تـوـفـيـ بـالـرـيـ سـنـةـ ٣٨١ـ هـ وـدـفـنـ فـيـهاـ قـرـبـ السـيـدـ عـبـدـ الـعـظـيمـ الـحـسـنـيـ .

(٢) هو المحدث الجليل أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندـيـ ، تـوـفـيـ سـنـةـ ٣٢٠ـ هـ وـكـانـ مـعاـصـرـاـ لـشـيـخـ الـكـلـيـنـيـ . وـعـيـاشـ : نـسـبـةـ إـلـىـ عـيـاشـ بـنـ مـالـكـ بـنـ مـيـشـمـ بـنـ ثـعـلـبـةـ بـنـ عـكـاـبـةـ . اـنـظـرـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ طـرـائـفـ المـقـالـ رـقـمـ ١٢٨٤ـ .

كُلُّكُ الشَّيْطَانُ عَلِمَ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فَرَضَهُ وَلَا فِي سَنَةِ النَّبِيِّ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أُثْرَهُ فَكُلُّ عِلْمٍ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُقْتَضِيَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ)^(١) .

أقول : أشار عليه السلام إلى أنَّ كُلَّ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَعْرُفَهُ بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُوَحِّدُهُ فِي ذَاتِهِ فَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْجِذُوا إِلَّهَيْنِ آثَرَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٢) ، وَأَرَادَ أَنْ يُوَحِّدُهُ فِي صَفَاتِهِ فَقَالَ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ، وَأَرَادَ أَنْ يُوَحِّدُهُ فِي أَفْعَالِهِ فَقَالَ : ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرِيكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٤) ، وَأَرَادَ أَنْ يُوَحِّدُهُ فِي عِبَادَتِهِ فَقَالَ : ﴿وَلَا يُشَرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٥) :

حقيقة توحيد الذات

فمن وَحَدَ اللَّهَ بِزَعْمِهِ فِي ذَاتِهِ فَقَالَ : إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدُ الذَّاتِ وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ مُغَايِرَةً وَلَوْ فِي الاعتبارِ فَإِنَّهُ لَمْ

(١) نهج البلاغة : ١٦٠ ، والقصول المهمة للحر العاملي : ١ / ١٢٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٥٤ / ١٠٧ ح ٩٠ .

(٢) سورة التحل ، الآية : ٥١ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

يصدق لفظه على معتقده ، ولقد شافهنا كثيراً منهم من يقول^(١) في قوله تعالى : (وهو مع كلّ شيء ومحيط بكلّ شيء)^(٢) إِنَّهُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بَعْلَمَهُ وَمَحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَلَنَا لَهُ : مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ وَمَحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بَدَأَتِهِ أَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ يُفْرِقُ بَيْنَ الدَّارِسِ وَالْعِلْمِ ، فَالْعِلْمُ عِنْدَهُ مُغَايِرٌ لِلذَّاتِ .

وإن كان يقول : إن علمه عين ذاته والذى يدل القرآن عليه أنه إله واحد ، فكون علمه مغايراً لذاته في حال ما أو اعتبار ما ، والعلم قديم يدل على تعدد الآلهة .

حقيقة توحيد الصفات

ومن وَحَدَ الله بصفته وقال : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ ثُمَّ يقول : إِنَّ الْخَلْقَ خَلَقَ مِنْ سُنْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَوْ مِنْ ظَلَّ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ قَالَ : بِأَنَّ الْعِلْمَ يَقْتَضِي مَعْلُومًا ، أَوْ قَالَ : بِأَنَّ الْخَلْقَ يَنْتَهِي إِلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ، أَوْ قَالَ : بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَهُ فَصْلٌ أَوْ بَيْنَهُمْ وَصْلٌ ، أَوْ قَالَ : إِنَّهُ يُعْرَفُ بِذَاتِهِ وَإِنَّ لَمْ تَدْرِكْ صَفَاتَهُ ، أَوْ قَالَ : إِنَّ الْوُجُودَ يَطْلُقُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ بِالاشْتِراكِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فَإِنَّ قَوْلَهُ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ لَمْ يَصْدِقْ عَلَى معتقده ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ شَيْءَ

(١) في نسخة أخرى : كثيراً مما يقول .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : « أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ يَكُلُّ شَيْءٍ مُحِيطٌ » [فصلت : ٥٤] .

من سنته أو كان له ظل ليس بقديم وأمثاله كثيرة ، ومن انتهى إليه المخلوق فهو مخلوق لأنه غاية المخلوق وقد أدركه المخلوق فهو مثله ، ومن كان بين شيء فصل أو وصل فهو حادث كما أن بينك وبين عمرو فصل وبينك وبين بعضك وصل ، ومن كان كذلك فله أمثال من الخلق ، وكذلك المعروف بذاته مصنوع ومن يدرك بذاته ولم تدرك صفاتيه مختلف ، والمختلف له نظير من الخلق ، والمشارك فيما يدل عليه مشارك فيما يميّزه ويختص به وهو حادث ، وكذلك العلم إذا اقتضى معلوماً كان بينه وبين المعلوم اقتران وهو حادث ، فمن قال بأمثال هذا ليس بقائل في الحقيقة أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَوْءٌ﴾^(١) .

والذي يدل القرآن عليه أن الخلق ليس من سنته كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَمَا وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾^(٢) ، وأن الخلق ليس ظلاماً له سبحانه وأن علمه لا يقتضي معلوماً وإلا لكان مقتربنا بغيره فيكون مشابهاً للمخلوق لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وأن الخلق لا ينتهي إلى الخالق وإلا لكان مدركاً لهم وقد قال تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾^(٤) .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٥٨ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

وأنه ليس بينه وبين الخلق فصل إلا لكان معزولاً عنهم ، وقد قال تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »^(١) . « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُنَّ لَا تُبْصِرُونَ »^(٢) . « أَمْ هُمْ بِالْهَمَةِ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا »^(٣) .

وأنه ليس بينه وبينهم وصل لأنه يقول : « وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ »^(٤) .

وأنه لا يعرف بذاته لأنه يقول : « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا »^(٥) .

وأنه لا يشاركونه فيما يختص به لأنه سبحانه قال : « وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْزِئُنَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(٦) . « إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَيْتِنَا لَا يَخْفَونَ عَلَيْنَا »^(٧) . وقال تعالى حكاية عن ندامة المجرمين وأتباعهم : « تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »^(٨) .

-
- (١) سورة ق ، الآية : ١٦ .
(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٨٥ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٣ .
(٤) سورة الزخرف ، الآية : ١٥ .
(٥) سورة طه ، الآية : ١١٠ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .
(٧) سورة فصلت ، الآية : ٤٠ .
(٨) سورة الشعراء ، الآيات : ٩٨ ، ٩٧ .

حقيقة توحيد الأفعال

ومن وحد الله بفعله فقال : ليس له شريك في صنعه وملكه ثم يقول : إن العبد مستقل بأفعاله وأقواله ، وإنَّه يكون في ملكه ما لا يريد أن يكون ، فإن كلامه هذا خلاف ما قال الله تعالى في كتابه فإنه يقول : ﴿أَرَوْنَ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرِيكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(١) ، ﴿وَأَسْرَوْا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾^(٣) ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤) ، ﴿Qُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾^(٥) ، ﴿فَمَنْ هُوَ فَاعِلٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٦) ، ﴿لَمْ يَعْقِبْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٧) .

حقيقة توحيد العبادة

ومن وحد الله في عبادته فقال بقوله تعالى : ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلَ عَهْلًا صَنِلْحًا وَلَا يُشِرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَهَا﴾^(٨) ثم يعصي الله

(١) سورة فاطر ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الملك ، الآيات : ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الإنسان ، الآية : ٣٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٥١ .

(٥) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .

(٦) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

(٧) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

تعالى فيما تشتهيه نفسه ويطيع غير الله في معصية الله والله سبحانه يقول : ﴿أَفَرَيْتَ مَنِ اخْتَدَ إِلَّاهُهُ هَوَنَهُ﴾^(١) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) ، ﴿أَلَرَ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٣) ﴿وَإِنْ أَعْبُدُونَ فِي هَذَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) ، وذلك لأنهم لا يعبدون في ظنهم إلا الله ولكنهم يراؤون ويعملون الماعون ويفعلون ما يشتهون فقال : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٥) ، فإذا كان يوم القيمة قال الله لهم : ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزَعَّمُونَ﴾^(٦) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتَنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٧) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترضون^(٨) .

فلاجل أنهم في الدنيا أشركوا ولم يعلموا أنهم أشركوا قال الصادق عليه السلام : (هيئات فات قوم وما توا قبل أن يهتدوا ، وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون)^(٩) .

وكذلك ما أراد سبحانه منهم أن يعرفوه من شأن نبيه صلى الله

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ .

(٣) سورة يس ، الآيات : ٦٠ ، ٦١ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ١٠٤ .

(٥) سورة الأنعام ، الآيات : ٢٢ - ٢٤ .

(٦) الكافي : ١ / ١٨٢ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ١٠ ح ١٢ ، وتفسير الصافي : ٣ / ٣١٥ .

عليه وآلـه وخلفائه وأهل بيته عليهم السلام والأنبياء والأوصياء وما جاء به محمد صلـى الله عليه وآلـه من أحوال النـشـائـتـين مما قد عـلـمـهم وأشار إـلـيـهـ لهمـ فيـ كـاتـابـهـ مـمـاـ لاـ يـسـعـ الدـفـاتـرـ شـرـحـهـ وـبـيـانـهـ ، وفيـ خـلـافـ ماـ ذـكـرـنـاـ قدـ كـلـفـهـ الشـيـطـانـ بـأـخـذـهـ وـاعـتـقـادـهـ فـمـنـهـ شـيـءـ قالـواـ فـيـمـاـ عـرـفـوـهـ بـخـلـافـ ماـ عـرـفـوـهـ وـتـكـلـفـوـاـ مـاـ لـمـ يـعـلـمـوـاـ ، فـبـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـمـاـ تـقـدـمـ مـنـ كـلـامـهـ مـنـتـهـيـ حـقـ اللهـ عـلـىـ العـبـادـ .

ثـمـ قـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ : (وـاعـلـمـ أـنـ الرـاسـخـينـ فـيـ الـعـلـمـ هـمـ الـذـيـنـ أـغـنـاهـمـ عـنـ اـقـتـحـامـ السـدـدـ الـمـضـرـوبـةـ وـالـإـقـرـارـ بـجـمـلـةـ مـاـ جـهـلـوـاـ تـفـسـيرـهـ مـنـ الغـيـبـ الـمـحـجـوبـ ، فـمـدـحـ اللهـ اـعـتـرـافـهـ بـالـعـجـزـ عـنـ تـنـاوـلـ مـاـ لـمـ يـحـيـطـوـاـ بـهـ عـلـمـاـ ، وـسـمـىـ تـرـكـهـ التـعـمـقـ فـيـمـاـ لـمـ يـكـلـفـهـ الـبـحـثـ عـنـ كـنـهـ رـسـوـخـاـ ، فـاقـتـصـرـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـلـاـ تـقـدـرـ عـظـمـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ عـلـىـ قـدـرـ عـقـلـكـ فـتـكـونـ مـنـ الـهـالـكـينـ)^(١) .

أـقـولـ : أـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـأـشـهـدـ أـنـ مـحـمـداـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـأـشـهـدـ أـنـ عـلـيـاـ وـلـيـ اللهـ وـخـلـيـفةـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـحـجـةـ اللهـ عـلـىـ خـلـقـهـ ، وـأـنـ الـأـئـمـةـ مـنـ وـلـدـهـ كـلـمـةـ اللهـ وـحـجـجـ اللهـ عـلـىـ أـهـلـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ وـالـأـوـلـىـ ، وـأـشـهـدـ أـنـ مـاـ أـتـىـ بـهـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـأـتـوـاـ بـهـ هـوـ حـقـ الـمـبـيـنـ

(١) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ ، الـخـطـبـةـ : ٩١ـ ، وـبـحـارـ الـأـنـوارـ : ٥٤ـ / ١٠٧ـ حـ ٩٠ـ ، وـأـعـلـامـ الـدـيـنـ لـلـدـيـلـمـيـ : ١٠٣ـ .

والصراط المستقيم ، وأشهد أنَّ كلام سيدِي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام حقٌّ باطن وسرٌّ ظاهر وضياءً مشرق ونور زاهر ، وأنَّ من خالف قوله هذا فقد جاز عن الهدى وهو إلى الرّدِّي ، ونقل عن الإمام الحقِّ جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السلام قال :

علمُ المَحَاجَةِ وَاضْعَفَ لِمُرِيدِهِ وَأَرَى الْقُلُوبَ عَنِ الْمَحَاجَةِ فِي غَمَى
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِهَاكِلَ وَنَجَاتُهُ مَوْجُودَةً وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ نَجَاهَا^(١)
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ وَأَبْنائِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ .

وكتب : أحمد بن زين الدين

في بيان حدود الصلاة الحادي عشر التاسع

روى المحمدون الثلاثة رحمهم الله في الكافي^(٢) والتهذيب

(١) انظر أمالى الصدق : ٥٧٨ ح ٧٩٢ ، وروضة الوعاظين : ٤١٥ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ٣٩٥ / ٣ .

(٢) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

صحيحاً ، وفي الفقيه مرسلاً عن الصادق عليه السلام أَنَّه قال :
 (الصلاحة لها أربعة آلاف حد) ^(١) .

وروى الصدوق أيضاً في الفقيه مرسلاً ، وفي العلل والعيون
 مسندأً عن الرضا عليه السلام قال : (الصلاحة لها أربعة آلاف
 حد) ^(٢) .

أقول : الحد يُراد به الحكم ، والمعنى أن الصلاة لها أربعة
 آلف حكم من واجب وحرام ومندوب ومكروه ، وهي مذكور
 أكثرها في كتب العلماء مفصّلة مثل ألفية الشهيد ^(٣) ونفليته ،

(١) الكافي : ٣ / ٢٧٢ ح ٦ ، وتهذيب الأحكام : ٢ / ٢٤٢ ح ٩٥٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩٥ ح ٥٩٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام :
 ٢ / ٢٣٢ ح ٧ .

(٣) هو محمد بن مكي بن حامد بن العاملي ، الجزيني ، الشيعي (الشهيد
 السعيد ، شمس الدين ، أبو عبد الله) . فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مشارك في
 العلوم العقلية والنقلية .

ولد في سنة (٧٣٤ هـ - ١٣٣٣ م) وسكن جزين بلبنان ، ورحل إلى العراق
 والنجاشي ومصر ودمشق وفلسطين ، وأخذ عن علمائها ، واتهم في أيام
 السلطان برقوق بانحلال العقيدة ، فسجن في قلعة دمشق ، ثم ضربت عنقه في
 ٩ جمادى الأولى سنة (٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) فلقب بالشهيد الأول .

من تصانيفه : جامع العين من فوائد الشرحين أي شروح تهذيب الأصول ،
 البيان في الفقه ، كتاب القواعد ، الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، وغاية
 المراد في شرح نكت الارشاد .

انظر روضات الجنات للخوانساري : ٥٢٢ - ٥١٧ ، وإيضاح المكنون
 للبغدادي : ٣٥٥ / ٤٣٣ .

ومثل اثنين عشرية البهائى^(١) الصلاطية وغيرها ، من أراد ذلك طلبه .

وكتب : أحمد بن زين الدين

وجه الشبه في مخالفة عليٍ عليه السلام لأبي بكر

السؤال مختصر

فسّروا تشبيه العامة علياً عليه السلام بالشكل الرابع حيث أسقطه بعضهم عن درجة الاعتبار لمخالفته الأول ، واعتبر جمهورهم الثاني بعد الأول لموافقته معه في أشرف المقدمتين ، ثم اعتبروا الثالث لموافقته معه في مقدمته الأخرى ، فما وجه الشبه في مخالفة الشكل الرابع للأول ومخالفة عليٍ عليه السلام لأبي بكر ، وكذا في الأشكال والخلفاء ؟

الجواب : الشكل الثاني يوافق الأول في الصغرى كموافقة

(١) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملی الهمданی الجباعی ، وهمدان اسم قبیلة ، والمراد من الحارثي أن الشیخ منسوب إلى الحارث الهمدانی المعروف بالحارث الأعور وهو من أصحاب أمیر المؤمنین علیه السلام ، وكان فقیهًا نبیلاً جلیلاً أصولیاً وریاضیاً بلا بدیل ولا نظیر له في التفسیر ، والجباعی نسبة إلى جبیع وهي قریة من قرى جبل عامل . توفي الشیخ ودفن حسب وصیته في خراسان في جوار الإمام الرضا عليه السلام في رکن الصحن المطهر .

الثاني للأول في زهده وتركه الدنيا ، وفي تأصله^(١) ، في الخلافة الذي هو شبيه الأصغر في اشتراكه فيما بكونه موضوعاً .

والشكل الثالث يوافق الأول في الكبرى كموافقة الثالث للأول في استحقاق الخلافة بالمشاورة والتدبير والاتفاق عليه .

وأما الشكل الرابع فهو عكس الأول في المقدمتين فيكون عليّ عليه السلام عكس الأول في استحقاق الخلافة وتأصله ، وفي عدم اتفاق الصحابة عليه .

والشكل الرابع يخالف الثاني في الصغرى كمخالفة عليّ عليه السلام للثاني في الاستحقاق والتّأصل ، والشكل الرابع يخالف الثالث في الكبرى .

وعليّ عليه السلام يخالف الثالث في عدم الاتفاق عليه من كثير من الصحابة ، فإنهم قد اتفقوا على الثالث ولم يتتفقوا على عليّ عليه السلام ﴿سَيَجْزِيهُمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) .

ومن أسقط الشكل الرابع قال : هو لا ينتج إلا برده إلى الأول فلا اعتبار به بل الاعتبار بالأول ، وقال : إنّ عليّ عليه السلام لا يصح له الخلافة إلا بشرط رده إلى الأول بأن يكون تابعاً له ومأموراً ورابعاً للخلفاء .

واما أنّ له خلافة ابتدائية فلا اعتبار في الحقيقة بخلافته ،

(١) في نسخة أخرى : تأله .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

ولهذا خالفه أصحاب الجمل وحربوه وحاربه القاسطون والمارقون ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفَّارِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(١)، ﴿أَوْلَئِكَ يَلْعَبُونَ اللَّهَ وَيَلْعَبُونَ اللَّهَ عِنْ دُونِهِ﴾^(٢).

تعرّف الأرواح

السؤال : إنّ في الحديث (إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه بذلك فلن إبراهيم عليه السلام قال : ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال : أَوَلَمْ تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي)^(٣) كيف يستنبط أعلام المحبة للإخوان من الآية المذكورة في مقام التّعليل بدليل فاء^(٤) التّعليلية؟ .

الجواب : من وجهين :

أحدهما : أنّ القلوب شواهد إذا أحببت شخصاً فاعلم أنه يحبك لأنّ (الأرواح جنود مجتدة فما تعارف منها اختلف ، وما تنكر منها اختلف)^(٥) ، وقد تحتمل الطبيعة البشرية خلاف ذلك ،

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٣) أصول الكافي : ٢ / ٦٤٤ ح ١ ، ووسائل الشيعة : ١٢ / ٥٤ ح ٦٢٤ ، وتفسير نور النّقلين : ١ / ٢٨٢ ح ١١٥ .

(٤) في نسخة أخرى : الفاء .

(٥) بصائر الدرجات : ٤١١ - ١٠٨ ، وعلل الشرائع : ١ / ٨٤ ، والكافي : ٢ / ١٦٨ .

فإذا أخبرك اطمأن قلبك كذلك ، كما أن إبراهيم عليه السلام يعلم أن الله يحيي الموتى ويعلم كيفية ذلك ، وتجوز الطبيعة البشرية احتمال أن الكيفية غير ما يعلم ، ولو لم ير بالبصر الكيفية لجاز أن يضطرب قلبه بتلون طبيعته البشرية ، كالأخ المؤمن تحبه وهو يحبك وتحتمل بشرتيه غير ذلك فإذا أخبرته اطمأن قلبه ، فلما سأله عليه السلام عن كيفية الإحياء قال الله له : ألم أخبرك بها ؟ قال : بلـى ولكن ليطمئن قلبي ، وينتفي عني تجويز الطبيعة ، بمعنى أن التعليم للقلب والباطن والرؤبة للظاهر .

و ثانيهما : أن الله سبحانه أوحى إلى إبراهيم أن لي خليلاً لو سألني إحياء الموتى لأجبته ، وكان يعلم بالتوسم أنه هو ولكنـه لا يحتم على الله ، فأحبـت أن يطمئن بما يعلم أنه خليل الله تعالى فقال : ربـ أرنـي كيف تحيـي الموتـى ، و مرـادـه ليـعلم أنه خـليل الله ، فقال الله له : أـولـم تـؤـمن ؟ قال : بلـى ، يعني أنـك تـحيـي الموتـى ولكنـ ليـطمـئـن قـلـبي بالـخـلـة ، كذلك المؤمن يـعلم بـقلـبه أنـ زـيدـاً يـحبـه لأنـه يـحبـ زـيدـاً وهذا من التـوـسـم ، ولكنـ لا يـقطعـ علىـ جهةـ الـحـتمـ ، فإذا أـعـلـمـهـ زـيدـ أـنهـ يـحبـهـ اـطـمـأنـ قـلـبهـ .

معنى محاسبة النفس

السؤال : إنـ فيـ الحديثـ : (إـذاـ أـرـادـ أحـدـكـمـ أـنـ لاـ يـسـأـلـ رـيـهـ شيئاً إـلاـ أـعـطـاهـ فـلـيـأـسـ منـ التـاسـ ، ولاـ يـكـوـنـ لـهـ رـجـاءـ إـلاـ مـنـ عـنـدـ اللهـ ، فإذاـ عـلـمـ اللهـ تـعـالـيـ ذـلـكـ مـنـ قـلـبـهـ لـمـ يـسـأـلـهـ شـيـعاً إـلاـ أـعـطـاهـ ،

فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها^(١) فما وجه تفريع المحاسبة على الأمر باليأس؟ .

الجواب : تفريع المحاسبة للنفس على اليأس من الناس هو أنَّ الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وضمن لهم كلَّ ما يحتاجون إليه في الدنيا ، فمن عبد الله وتوكل عليه فقد حاسب نفسه بمعنى أدى ما يجب عليه ، ومن لم يتوكل على الله فإنَّ الله يسأله غداً يقول له : كيف طلبت رزقك ممن لا يملك شيئاً؟ وكيف لم تصدق بضماني؟ وقد أقسمت لك في كتابي فقلت لك : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۚ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٢) ، فلم تقبل مني ، فإنَّ توكل عليه فقد يئس مما في أيدي الناس وحاسب نفسه ، وفي قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إشارة إلى أنه مالكهما ومالك ما فيهما فاعتمدوا عليه وفيه أسرار أخرى .

محنور السؤال عما عند الله تعالى

السؤال : في الحديث عن الباهر عليه السلام : (يا جابر إنَّ الدنيا عند أهل اللَّبْ وعلم بالله كفيء الظلال فاحفظ ما استرعاك الله من دينه وحكمته ، ولا تسألنَّ عَمَّا لك عنده إِلَّا ما له عند

(١) الكافي : ٨ / ١٤٣ ح ١٠٨ ، ووسائل الشيعة : ١٦ / ٩٥ ح ٢١٠٧٥ ، وأمالی الطوسي : ٣٦ / ٣٨ .

(٢) سورة الذاريات ، الآياتان : ٢٢ ، ٢٣ .

نفسك ، فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل إلى دار المستعب^(١) انتهى ، بينوا وفسروا كلامه عليه السلام (ولا تسألنّ عما لك) إلخ .

وكذا قوله : (فتحوّل إلى دار المستعب) ، ما المراد به ؟ .

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم - المعنى أنّ الدنيا التي هي الزينة والتّفاخر والتّكاثر عند أولي الألباب كفيء الظّلال سريع الزّوال وهذا ظاهر ، وإنّما يُراد منك وكلفت ما استرعاك الله من دينه من الأعمال المأمور بها ومن حكمته من الاعتقادات الصّحيحة .

ولا يُراد حبّك^(٢) أن تسأل عما لك عنده من الرّزق والثواب على صالح الأعمال ، وإنّما يراد منك أن تسأل عما له عند نفسك وهو التّكاليف وشكر نعمه ، فإن كانت دنياك عند نفسك غير ما وصفت لك مما يراد منك من الاعتقاد أو الأعمال فأعرض عنها وتحوّل إلى دار المستعب ، يعني تحوّل في الدنيا عن الدنيا التي هي كفيء الظّلال إلى ما يُراد منك من صالح الأعمال ، التي هي أفضل الزّاد إلى الآخرة التي هي دار المستعب .

(١) الكافي : ٢ / ١٣٣ ح ١٦ ، وتحف العقول : ٢٨٧ ، وبحار الأنوار : ٧٠ . ٤١

(٢) في نسخة أخرى : حسبك .

بيان أن الثواب والعقاب على كل الأرواح مع الجسد

السؤال : أَفِيدُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ كَمَا رَضِيْتُمْ عَنْهُ أَنَّ الرُّوحَ
الَّذِي يَثَابُ وَيُعَاقَبُ أَيْ رُوحٍ مِّنَ الْأَرْوَاحِ الْأَرْبَعَةِ أَوِ الْخَمْسَةِ^(١)
وَهُلْ هُوَ الشَّرِيكُ الْأَقْوَى مِنَ الْبَدْنِ أَوْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ أَقْوَى فَبَيْنَوَا
السَّبَبِ وَالجَهَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَقْوَى فَلَمْ يَحْزُنْ أَوْ يَفْرَحْ فِي عَالَمِ
الْبَرْزَخِ وَالْبَدْنِ لَا حَسْنَ لَهُ وَهُوَ فَارِغٌ عَنْهُمَا فِيهِ ، وَهُلْ هُوَ الرُّوحُ
الَّذِي يَفْارِقُ الْجَسَدَ فِي الْمَنَامِ وَيَذْهَبُ مِنْ مَقَامِ إِلَى مَقَامِ^(٢) أَوْ
غَيْرِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ فَبَيْنَوَا اسْمُ كُلَّ مِنْهُمَا .

(١) في الكافي عن جابر الجعفي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل : «وَكُنْتُمْ أَنْوَجًا ثَلَاثَةَ ٧ فَأَصْحَبْتَ الْمِيمَنَةَ مَا أَصْحَبْتَ الْمَيْمَنَةَ ٨ وَأَصْحَبْتَ الْمَشْهَدَ مَا أَصْحَبْتَ الْمَشْهَدَ ٩ وَالْمَسْقَيْفُونَ الْمَسْقَيْفُونَ ١٠ أُولَئِكَ الْمُفَرِّيُونَ ١١ » الواقعه : ١١-٧] فالسابقون هم رسول الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه ، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء ، وأيدهم بروح الإيمان فيه خافوا الله عز وجل ، وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتهروا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجهرون ، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمونة روح الإيمان فيه خافوا الله ، وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتهروا طاعة الله ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجهرون) الكافي : ١ / ٢٧٢ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ٤٦٦ .

(٢) في نسخة أخرى : مقام آخر .

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم - الذي يثاب ويعاقب هو الإنسان نفسه الحيوان الناطق المشتمل على الأرواح كلّها لا روح واحدة ، فإن روح المَذْرَج هي القوّة التي بها يسعى الإنسان وهي من قواه ، وروح الشهوة بها يأكل ويشرب وينكح وهي من قواه ، وروح القوّة بها يحمل الأثقال وهي من قواه ، وروح الإيمان بها يتحمل ثقل التكليف^(١) ، من الاعتقادات والأعمال وهي من قواه . فالثواب والمعاقب هو الإنسان نفسه الذي هو^(٢) الكلّ .

وكتب : أحمد بن زين الدين

(١) في نسخة أخرى : التكاليف .

(٢) في نسخة أخرى : التي هي .

٢ - رسالة في جواب
الملا كاظم بن علي نقى السمناني

عن ثلث مسائل

رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .
وبعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي :
إنه قد التمس مني الأكرم العالم الصفي الملا كاظم بن علي نقى
السمنانى بلغه الله صالح الأماني أنه على كلـ شيء قادر ، الجواب
عن مسائل عنونها بثلاث مسائل في حال كان القلب متفرقـاً والبال
متشتتاً ، وإنـي الحري بالاعتذار لعدم الإقبال وشدة تشتـتـ البال
فأـلحـ علىـ بالـ سـؤـالـ فـلـمـ يـسـعـنيـ إـلـاـ الإـتـيـانـ بـالـمـيـسـورـ إـذـ لاـ يـسـقـطـ
بـالـمـعـسـورـ ، وـإـلـىـ اللهـ تـرـجـعـ الـأـمـوـرـ ، وـجـعـلـتـ عـبـارـةـ سـؤـالـهـ مـتـنـاـ
وـجـوابـ شـرـحـاـ كـمـاـ هـيـ عـادـتـيـ تـسـهـيـلـاـ لـإـدـرـاكـ الـمـعـنـىـ الـمـرـادـ
وـتـخـفـيـفـاـ عـلـىـ نـفـسـيـ فـيـ الـإـيـرـادـ وـحـسـبـيـ اللهـ وـكـفـىـ .

قال سـلـمهـ اللهـ : بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ الـحـمـدـ للـهـ ربـ
الـعـالـمـينـ وـالـصـلـاةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـاهـرـينـ .

وبـعـدـ ، فـالـاسـتـدـعـاءـ مـنـ الـجـنـابـ الـأـمـجـدـ الـأـبـ الـمـاجـدـ الشـفـيقـ
الـعـطـوفـ الرـؤـوفـ الرـوـحـانـيـ وـالـعـالـمـ الـرـبـانـيـ الـذـيـ أـنـزـلـ بـهـ الـمـاءـ

على الأرض الجرز فأخرج به من كل الشمرات ، وساق به سحاباً ثقلاً لبلد ميت فأنزل به الماء ، فأحيى به الأرض بعد موتها أن يمن على أحقر عباد الله العبد المسكين كاظم بن علي نقى السمناني بتحقيق أوجوبة مسائل ثلاث ، وإن كان الحقير سمع منكم مراراً إلا أن البيان بتحرير الأقلام بالتفكير له وقع آخر .

بيان معنى كون آل محمد الثقل الأصغر والقرآن الأكبر

الأولى : منها ما المراد بكون أهل العصمة سلام الله عليهم الثقل الأصغر وكون الكتاب هو الثقل الأكبر ، كما في النبوي : (إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر ، فاما^(١) الأكبر فكتاب ربى ، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي ، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما أن تمسكتم بهما) مع أنهم عليهم السلام كلام الله الناطق والكتاب^(٢) كلامه الصامت ، هذا مع أنه ليس في عالم ذرات الوجود الإمكانية بعد النبي صلى الله عليه وآله أعلى رتبة منهم بالعقل والنقل ، مع أن القرآن علمهم والعالم أعلى رتبة من العلم ؟

مراتب آل محمد صلوات الله عليهم

أقول : إننا قد قررنا في مباحثاتنا مراراً متعددة في أماكن متفرقة أن لهم عليهم السلام ثلاثة مراتب :

(١) في نسخة : وأما .

(٢) في نسخة : القرآن .

١ - مرتبة المعانى

الأولى : مرتبة المعانى ، وهم في تلك المرتبة الحجاب الأعلى الذي لا يظهر بالكلام ولا يدرك بالأفهام ، وإنما الواجب على كل من دنا من تلك الطلول كمال الصمت وتمام الخمول وذلك أعلى معانى^(١) (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)^(٢) ، وتلك المنازل لا يمكن أن يحل بساحتها أحد إلا من سكن فيها وخرج منها وهي المعانى التي يسأل الأنبياء ربهم بها والأولياء يدعونه بها ، وهو قول الحجة عليهم السلام في دعاء رجب : (اللهم إني أسألك بمعانى جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك)^(٣) انتهى .

(١) في نسخة : المعانى .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يُعرّفنا الله تعالى يوم القيمة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سوء من اعتصم الناسُ به ولا سوء حيث ذهب الناسُ إلى عيون كدرة يُفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا تفادي لها ولا انقطاع) أصول الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وختصر البصائر : ١٩٦ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ ، والبصائر : ٥١٧ ح ٨ .

(٣) مصباح المتهدج للطوسي : ٨٠٣ ، ومصباح الكفعمي : ٥٢٩ .

وفي هذا المقام هم عليهم السلام أكبر من القرآن وكل شيء من خلق الله تعالى .

٢ - مرتبة الأبواب

الثانية : مرتبة الأبواب ، وهم عليهم السلام فيها باب الله الذي يصدر منه الفيض إلى جميع ما في الوجود المقيد بعدهم ، وهم عليهم السلام في هذه المرتبة مساوون للقرآن لأنهم عليهم السلام الآن في رتبة العقل الأول ، والعقل الأول هو الملك الأعظم المسماً بالروح من أمر الله ، وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وهو القرآن في الباطن ، وإنما افترقا من جهة الظهور ، فالظهور في اللفظ قرآن والظهور في الصورة الملكية روح من أمر الله ، وقد أشار إليه سبحانه في الكتاب (١) العزيز : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَكْتَبْتُ وَلَا أَلِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطِي مُسْتَقِيمٍ » (٢) .

والروح من أمر الله هو الموحى إليه ، وهو الملك المسماً بروح القدس الأعلى ، وهو المجعل نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده وهو القرآن ، ومن نظر بفؤاده في هذه الآية الشريفة

(١) في نسخة : كتابه .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

عرف بدليل الحكمة أنه القرآن ، وأنه الملك الأعظم ، فإنه هو الذي يقذف الله الوحي في قلبه وهو معهم يسدهم ، فلا يعلمون شيئاً إلا بواسطته وهذا هو القرآن ، فإن الله أخبر في مواضع متعددة أنه لا يعلم شيئاً قبل القرآن مثل قوله تعالى : ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِ هَذَا﴾^(١) فهم عليهم السلام في مرتبة أبواب مساوون للقرآن .

٣ – مرتبة الإمامة

الثالثة : مرتبة الإمامة ، وهو هذا الأدمي الظاهر الذي فرض الله طاعته على عباده ، وهم عليهم السلام في هذا المقام لا يعلمون شيئاً إلا من القرآن وما نزل به جبرئيل والملائكة عليهم السلام في ليلة القدر وغيرها ، إنما هو في بيان ما انطوى عليه القرآن من الخفايا ، ولهذا وصف الله علياً عليه السلام بالعلم في غاية الوصف حيث قال : ﴿وَمَنْ عِنْدُهُ عِلْمٌ الْكِتَبِ﴾^(٢) ، وقال : ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَا كِنْ تَصْدِيقَ اللَّهِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) . فأخبر عن كتابه المجيد أنه تفصيل كل شيء ، وروي أن^(٤)

(١) سورة هود ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

(٤) في نسخة : .

أمير المؤمنين عليه السلام سئل هل عندكم من رسول الله شيء من الوحي سوى القرآن؟

قال: (لا ، والذي فلق الحبة وبرا النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه) ^(١).

وقد قال في كتابه إشارة إلى قصة نوح عليه السلام : «**تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءَ الْغَيْبِ نُوَحِّيَهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنَّ وَلَا قَوْمًا مِنْ قَبْلِ هَذَا**» ^(٢) يعني القرآن .

وقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : «**نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**» ^(٣) أي من قبل القرآن .

وقال في آخر سورة يوسف : «**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءَ الْغَيْبِ نُوَحِّيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْرُونَ**» ^(٤) .

وأمثال ذلك مما يدل على أن علمهم مستفاد من القرآن ، وإنما في الغابر والزبور ومصحف فاطمة عليه السلام والجفر والجامعة وغير ذلك كله من القرآن ، فإن الله سبحانه يقول :

«**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِيمَانِ مُّبِينٍ**» ^(٥) .

(١) التفسير الصافي : ١ / ٣١ ، وتفسير الميزان : ٣ / ٧١ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٩ .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٣ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ١٠٢ .

(٥) سورة يس ، الآية : ١٢ .

ومن المعلوم عند العلماء مما لا يختلفون فيه أن الكتاب التدريني مطابق لكتاب التكويني ، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير باء باسم الله الرحمن الرحيم : (ولو شئت لأوقرت سبعين بغلًا من تفسير باء باسم الله الرحمن الرحيم)^(١) ، وقول البارئ عليه السلام : (لو وجدت لعلمي^(٢) الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد)^(٣) الحديث . وأمثال ذلك .

فإذا عرفت المراد ظهر لك أن القرآن هو الثقل الأكبر في هذه

(١) انظر نفحات الأزهار : ١٠ / ٢٥٧ ، وروي بلفظ : (لو شئت لأوقرت سبعين بغيراً من تفسير سورة الفاتحة) انظر بحار الأنوار : ٤٠ / ١٥٧ ، ومناقب أبي طالب عليهم السلام : ١ / ٣٢٢ ، وعوايي اللآلبي : ٤ / ١٠٢ وفيه : (... سبعين بغيراً من باء باسم الله الرحمن الرحيم) .

(٢) في نسخة : (للعلم) .

(٣) توحيد الصدوق : ٩٢ / باب ٤ ح ٦ ، والتفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٥ / ٣٩٣ .

والحديث طويل وفيه : (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ؟ ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ، ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علمًا جمًا هاه ألا لا أجد من يحمله ، ألا وإنى عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قومًا غضب الله عليهم قد ينسوا من الآخرة كما ينس الكفار من أصحاب القبور ...) .

المرتبة وهم الثقل الأصغر ، لأن حكمهم تابع لحكم القرآن لا العكس ، وهم حملته .

في بيان معنى الثقل

ومعنى الثقل محركاً الشيء النفيس المصنون ، وسميا بذلك لأن التمسك بهما ثقيل ، وهذا المعنى في بيان كون القرآن الثقل الأكبر ، وهم الثقل الأصغر الحقيقي .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إنني تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وطرف بيد عترتي ، ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

فقلت لأبي سعيد : من عترته ؟

قال : (أهل بيته)^(١) .

والعبارة عنه في الظاهر أن المراد أن القرآن بمنزلة العقل وهم عليهم السلام بدون العقل بمنزلة الجسم ، ولا ريب أن العقل أكبر من الجسم ، أما إذا اعتبرت العاقل فإنه أكبر من العقل ، والعاقل هنا في هذا المثال هو المرتبة الأولى المعبر عنها بالمعاني .

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٣٦ ح ٥٠ ، والخصال : ٦٥ / ٩٧ ، وبحار الأنوار : ٢٣ / ١٣١ ح ٦٤ .

وهنا جواب آخر لسائل الناس أن الحكيم لا يخاطب الناس إلا بما يعرفون ، والذى يعرفونه أنهم عليهم السلام إنما يأخذون من القرآن ، فيكون هو الثقل الأكبر ، وهو صلى الله عليه وآلـه أراد بأهل البيت^(١) الذين هم الثقل الأصغر ظاهرهم بين الناس ويريد به^(٢) مرتبتهم الثالثة كما قررنا فلاحظ .

معنى كون آل محمد كتاب الله الناطق والقرآن كتابه الصامت

وأما أنهم عليهم السلام كتاب الله الناطق والقرآن كتاب الله الصامت كما قال علي عليه السلام^(٣) ، فالمراد أن القرآن صامت بالحق لا ينطق بالحق إلا بحملته ، فالكتاب ينطق بالحق بلسان حامليه وإنـا فهو صامت ولا ينتفع بالصامت ولا يكون حجة حال صمته ، فالناطق من هذه الحقيقة أفضل لعموم الانتفاع به وقيام الحجة به ، وكون أنهم عليهم السلام ليس في ذرات الوجود بعد النبي صلى الله عليه وآلـه أعلى رتبة منهم صحيح في المرتبة الأولى .

وأما في المرتبة الثالثة فهم عليهم السلام يتعلمون من الملائكة ومن سائر الموجودات كما أخبر الميمون عليـاً عليه السلام وهو راكب عليه حين حفر المنافقون له حفيرة في الطريق

(١) في نسخة : بيته .

(٢) في نسخة : بهم .

(٣) انظر بحار الأنوار : ٣٩ / ٢٧٢ ح ٤٦ .

وغضوها بالدغل ، فلما قرب منها أخبره حصانه بذلك ، وغير ذلك من الأمور التي لا تتمشى إلا على أحوالهم الظاهرة ، والقرآن مشحون في حق النبي صلى الله عليه وآله بمثل ذلك ، مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾^(١) ، وقوله صلى الله عليه وآله : ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الْسُّوءُ﴾^(٢) ، وفي كل هذه الأحوال هم الثقل الأصغر ، وأما كون القرآن علمهم والعالم أعلى رتبة من العلم فذلك في مرتبتهم الأولى كما سبق التلويع إليه ، فافهم .

في بيان مفردات حديث كميل في معرفة الحقيقة

قال سلمه الله : المسألة الثانية : أن يمن علي بتحقيق الكلام في حديث كميل كما ينبغي بأن يتفضل علينا معاشر الطلبة بل وعلى العلماء أيضاً ، لا سيما من لا خبرة له بطريقتكم وتحقيقاتكم النفيسة بشرح كل فقرة من فقراته ببيان مراداتها المعصومية وتبيين معاني ألفاظها المتداولة بين العلماء ، لا سيما لفظ الجلال والأحدية وصفة التوحيد والسبحات ، وأمثال ذلك من الألفاظ المعصومية .

وبالجملة ، شرحها كما هي دون الاكتفاء بأقل بيان وأدنى

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

إشارة كما هي عادتكم الشريفة في أجوبة المسائل غالباً ، وهو أن أمير المؤمنين عليه السلام أردف كميل بن زياد التخعي يوماً على

نافته التي ركب ، فقال كميل : ما الحقيقة ؟

قال عليه السلام : (ما لك والحقيقة) .

قال : أولست صاحب سرك ؟

قال عليه السلام : (بلى ، ولكن يرشع عليك ما يطفح مني) .

قال كميل : أو مثلك يخيب سائلاً .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (كشف سمات الجلال من غير إشارة) .

قال كميل : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (محو الموهوم وصحو المعلوم) .

قال كميل : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (هتك الستر لغلبة السر) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (جذب الأحادية لصفة التوحيد) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على
هياكل التوحيد آثاره) .

قال : زدني بياناً .

فقال عليه السلام : (أطفيء السراج فقد طلع الصبح) ^(١) .

الفرق بين حقيقة معرفة الله وحقيقة ذات الله

أقول : المسؤول عنه حقيقة معرفة الله لا حقيقة ذات الله ، فقال عليه السلام : (ما لك والحقيقة) يعني أن الله معروف بما أظهر من آثار صنعه ، ودل بذلك على ذاته ، كما قال سيد الشهداء في مناجاة يوم عرفة : (تعرّفت لكلّ شيءٍ فما جهلك شيءٍ) ، وقال عليه السلام فيه : (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، متى بعده حتى تكون الآثار^(٢) هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقياً)^(٣) الخ .

إذا كان هذا حال تعرفه لخلقه مما لك تطلب أزيد مما ظهر لك بآياته ، وهذا تقرير منه عليه السلام على الاكتفاء بأدنى معرفة بنسبة حال العارف ، وفيه إشارة إلى أن الحقيقة لها أهل مخصوصون لست أنت منهم .

(١) شرح الأسماء الحسني للسبزواري : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للأملي : ١٢٧ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٢٢٢ .

(٢) في نسخة : (الإشارة) .

(٣) مستدرك سفينة البحار : ١٠ / ٢٦٠ ، بحار الأنوار للمجلسي : ٦٤ / ١٤٢ الباب الرابع ، وج ٩٥ / ٢٢٦ ، وفيه : (الآثار التي توصل إليك) ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٩٠٧ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٥١ ، وجامع السعادات للترافي : ٣ / ١٣٥ .

ولعله حثّ منه على الطلب لما في جوابه بالحقيقة من جلائل المنافع والمراتب العالية لأهلها ليكون جوابه منهاً يروي العارفين ويهدى المؤمنين ، وأتى به على أنحاء مختلفة في العبارة وإن كان معناه متحداً ليعلم كلّ أناس مشربهم ، وينال كلّ قوم مطلبهم ، فلما قال كميل : (أولست صاحب سرّك) ، قرره عليه السلام على دعواه ليستميّله ولا ينقطع رجاه .

ثم بيّن له أن قولك هذا لا يحسن على إطلاقه لأنّه ما وصل إليك من الأسرار إلّا ما كان عندي من ظواهر الاعتبار وطافع الآثار ، فلما قال : أو مثلك يخيب سائلاً؟ أجابه فكان كلامه عليه السلام له أولاً بقوله : (ما لك والحقيقة) يحتمل أنه أراد بذلك تعظيم ذلك في عين كمبل ليسعد بكمال^(١) الاستعداد ، لا أنه ليس أهلاً للجواب عما سأله .

ويحتمل أنه عليه السلام علم أنه ليس أهلاً وأنه عليه السلام إنما أجابه فيما بعد ، إما لينال منه بقدره وإن كان ليس أهلاً لحقيقة الجواب ، وإما لينقله إلى أهله ، مع أن من ليس بأهل شيء قد ينتفع بشيء منه ، إذ قد يكون الشخص أهلاً لظاهر هذا الكلام دون باطنه ، قد يكون الكلام موضوعاً لمعان يقال عليها بالتشكيك فينتفع ببعضه .

(١) في نسخة : لكمال .

وبالجملة : فالذي يظهر أن السائل مع معرفته الكاملة أن الكلام الذي ألقاه عليه السلام إليه لا يرشع عليه من معناه إلا ما يطفح منه كما قال عليه السلام ، وكان جوابه عليه السلام له : (كشف سمات الجلال من غير إشارة) .

معنى كشف سمات الجلال

المراد بالكشف هنا الإزالة من موضع نظر البصيرة وهو معنى المحظ الآتي والهتك ، والمراد أن القلب أو الخيال يلاحظ شيئاً محدوداً بحدود معنوية أو خيالية فهو حين يتوجه إليها ويلاحظها محجوب بها محبوس في سجن الظلمات والكثارات والحيثيات والفرقيات والكيفيات ، مقيد بقيود التشابه والتباين والتشارك والتمايز والتجانس والتقارب والتبعاد والاجتماع والافتراق والمعية والبيونة والبيانية واللمية والإانية والإبانة والتحديد والتمييز والنفي والإثبات والضم والتولد والتوليد والمعادلة والإفراد والجمع والكلية والجزئية ، والامتداد بين طرفين وبين أولية وآخرية والتجميز والاحتمال والفرض والشك ، واعتبار من وإلى وفي وعلى وكان ولو لا وقد ، إلا بالتأويل والانبساط والاستدارة والدخول والخروج والعزلة والحلول والاتحاد والممازجة والتقلب والخصوص والعموم والإطلاق والتقييد والاستبابة والفعل والانفعال والحصول والوضع والأين والمتنى والإضافة والسبة والضدية والتضاد والتخالف والتوافق والتعالي والاعتزاز

والانزعال والفصل والوصول والتوقيت والانتظار والزيادة والنقchan
والاستكمال وال الحاجة والاستنارة والإنارة والحركة والسكنون
والنمو والذبoul والشفافية والكمودة والتحلل والتخلل والتفتت
والقطع والصيرورة والصعبية والسهولة والخشونة والنعومة
والصلابة والصرابة والرخاوة واللين والخرق والالتياM والفرح
والحزن والضيق والسعنة والمرض والصحة والعافية والبلاء
والضحك والبكاء والنوم واليقظة والخلاء والملاE والشدة والرخاء
والجوع والظماء والشبع والري والخلو والأمتلاء والفراغ والشغل
والنطق والصمت والتعرض والتعريف والإيماء والتلويع والإشارة
واللون والتلوين والمعروضية والعارضية واللذة والنفرة والكبر
والصغر والتوسط والثقل والخفة والتوسيط والتركيب والتأليف
والتحول والانقلاب والانتقال والتغيير والتبدل والغلظ والرقـة
والجدة والعتق والحدة والكلال والذكاء والبلادـة والفهم والحمق
والجهل والعقل والتصور والتوهم والشك والكشف والاستبانة
والتفقه والإحساس واللمس والشم والذوق والسمع والبصر
والتقدير والتقدر والطول والعرض والعمق والقرب والبعد والشكل
والهيكل والشمول والوضع والجذب والدفع والهضم والمسك ،
وأمثال ذلك من الهيئات والنسب والإضافات والأحوال
والكيفيات في الملك والملكون والجبروت .

فهذه وأمثالها مما يقع عليه الكشف من سمات الجلال .

والسحة النور والجلال وسحات وجه رينا آلاًّا وعظمته

ونوره ، فعلى تفسير أن السبحات هي الجلال يكون المعنى كشف جلال الجلال والمراد به النور أي نور الجلال ، وإنما يسمى النور جلاً لقهاريته لكشف الظلمات ، فإن النور إذا ظهر على الظلمة امتنع وجودها معه عادة وعقلاً بالنظر إلى الخلق ، وعلى تفسير الآلاء أن كلّ شيء من الموجود إنما هو نعمة من نعم الله على غيره وعلى نفسه ، وعلى تفسير العظمة أنه عظمة الله ومظهر عظمة الله .

وعلى تفسير النور أن كلّ شيء ظاهر في نفسه عند من أدركه مظهر لغيره مما هو دليل عليه أو علة له ، هذا في الحقيقة ولا يعني بالنور إلّا الظاهر في نفسه المظهر لغيره .

معنى الجلال

والجلال : قيل : هو الحجاب أو القهر أو العظمة ، نور الجلال قيل : هو الجمال ، وقيل : الجلال نور الجمال ، ولهذا قالوا لجمال الله : سبحانه جلال إذا بدا غيب ما انتهى إليه .

وقيل لجلال الله : سبحانه جمال إذا بدا لشيء أشغله عن نفسه وعن غيره ، هذا إذا فسر الجلال بالعظمة .

وإن فسر بالعزّة فعزّة الجمال أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

بمعنى أنه تعرف بجمال من خلقه لا يشابهه شيء من خلقه وجمال العزة ظهور كمال أو كمال ظهور أو ظهور هو كمال لا يتناهى في الإمكان من كل جهة في كل جهة ، يتعالى عن جميع صفات الخلق ، فهو خلق لا يشبهه شيء من الخلق ولا يشبهه شيء من الحق ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (رجع من الوصف إلى الوصف ، وعمي القلب عن الفهم ، والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأ الطلب إلى شكله ، وألجم به الفحص إلى العجز ، والبيان إلى فقد ، والجهد إلى اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود والطلب مردود) ^(١) انتهى .

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (وإن قلت : ممّ هو ؟ فقد باين الأشياء كلها ؟ فهو هو ، وإن قلت : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت : له حد فالحد لغيره ، وإن قلت : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف ، وعمي القلب عن الفهم ، والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأ الطلب إلى شكله ، وهجم به الفحص إلى العجز ، والبيان على فقد ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بمحمه مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر ..) .

وأقوى من السبحات المذكورة موضوعاتها ومعروضاتها من جميع الوجودات من الأعيان كزيد وعمرو والحجر والمدر والجبال والتلال والقفار والأشجار والطيور والدور والنبات والحب والشمار والمساجد والمدارس والطرق والأسواق والعقاقير والمعادن .

والحاصل : سائر المعادن وسائر النباتات وسائر الحيوانات والعناصر ، وسائر ما في الملك وما في الملوك ، وما في الجبروت وما في البرازخ عن أصناف الجواهر من كلّ ما هو ظاهر التركيب أو ظاهر البساطة مما حدث عن فعل الله ، وكلها أيضاً من سبحات الجلال ، وهي للأولى جلال فالأولى سبحات جلال الجلال أو سبحات سبحات الجلال .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته وجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمدانة . له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ومنعى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل البيونة لا بينونة له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس ربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كيونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء بائنة لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، وجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٣٠١ .

وعلى كلّ تقدير فحيث تقرر في الحكمة الإلهية بدليل الحكمة أن جميع ذرات الوجود من عالم الغيب والشهادة من الجواهر والأعراض ، أعراض إضافية وجواهر إضافية بمعنى أن الجوهر عرض بالنسبة إلى علته التي صدر عنها وهي عرض لعلتها ، وهكذا .

وكذلك نقول إن هذا الجوهر جوهر لعرضه وهذا العرض جوهر لما قام به ، وهذا الاعتبار صعوداً ونزولاً إلى غير النهاية في الإمكان ، فكلّ شيء من الخلق عرض لما فوقه جوهر لما تحته صح أن يقال إن المذكورات أولاً سمات سمات الجلال والجلال أيضاً سمة لما فوقه ، وأن يقال إنها سمات جلال الجلال ، والجلال إذا اعتبرت أنه الحجاب جاز أن يكون هو المقام ، وكذا إذا اعتبرت أنه العظمة فيكون معنى (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ^(١) من عرف الجلال والعظمة عرف ربّه .

وقوله عليه السلام : (من غير إشارة) ، فيه رفع توهم من يتوهם أن كشف هذه السمات جوهرها وعرضها لا بدّ أن يكون بدلالة الإشارة القلبية ^(٢) فلا تكون مكتشوفة ، فأبان عليه السلام

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوا أبي اللالي : ١ / ٥٤ ، وبخار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

(٢) في نسخة : إشارة قلبية .

أنها من السبحات بقوله : (من غير إشارة) ، وإنما جعل الكشف للسبحات لا لمطلق الوجود ، لأن السبحات هي الموصوفة بالوجود المقيد .

وأما النفس المشار إليها في الحديث فهي الوجود بدون القيود ، وإذا اعتبرته بدون اعتبار لم تكن له إنية إنما هو نور الله ، ولهذا أشار إليه بدون القيود في قوله عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(١) ، ولم يقل ينظر بنفسه ولا بذاته ولا بحقيقة ، وذلك لأنه إذا نظر إلى نفس النور لم يشهد فيه المنير ، وإنما هو ظلمة ، ولا يرى المنير ظاهراً بالنور حتى ينظر إلى نور المنير لا إلى النور نفسه ، فإنه ظلمة فمن وجد نفسه لم يعرفها حين يجدها وإذا نظر إلى الله فقدها فعرفها حينئذ ، فهي في المثال المذكور لمن عرفها هي الجلال ولا يعرفها إلا من كشف قيودها حتى الكشف لأنها هي السبحات التي من كشفها من غير إشارة عرف ربها .

وإنما قلنا : فمن وجد نفسه لم يعرفها ، لأن النفس إنما توجد بالقيود ، وهي المشخصات ومشخصات المشخصات وهكذا من اللوازم ولوازم اللوازم ، ومنها ما يخطر على الأوهام ويجري في

(١) بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٠ ح ٣٢ ، وعيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ .

الأفهام وما تقلب فيه القلوب من مكشوف ومحجوب ومحبوب ومكرره ، فإذا أزلت القيود التي هي المعينات للنفس زال تعينها فأحرق نوره الذي هو ذلك الوجود وتلك النفس بعد إزالة تلك القيود جميع ما انتهى إليه بصره من تلك القيود والمقيدات .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : (إن الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبعات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ^(١) انتهى .

وهذا الوجود الذي هو النفس بدون القيود سبعة من سبعات وجهه ذي الجلال والإكرام ، وكشف الحجب بهذه السبعة ، وإنما تحرق ما وصلت وانتهت إليه والسبعات مختلفة في الكشف على حسب مقام السبعة ورتبتها من الوجه الباقي ، فكلما قربت من الوجه كانت أوسع كشفاً وأشد إزالة .

كلام الشيخ الكاشي في الحقيقة

وقال كمال الملة والدين عبد الرزاق الكاشي صاحب

(١) عوالى اللآلى : ٤ / ١٠٦ ح ١٥٨ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٤٥ و ٧٣ / ٣١ ، وشرح أصول الكافى : ٤ / ١٢٩ ، والحكمة المتعالية في الأسفار : ٧٨ / ٧ ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٣١ .

ورواه المازندرانى في شرح أصول الكافى بلفظ : ٤ / ٤ (إن الله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبعات وجهه كل من أدرك بصره) قيل : (سبعات وجهه جلاله وعظمته) .

التأويلات عفا الله عنه : الحقيقة هنا هو الشيء الثابت الواجب لذاته الذي لا يمكن تغييره بوجه ما ، ولما كان كميل قدس الله روحه من أصحاب القلوب طالباً لمقام الولاية التي هو مقام الفناء في الذات الأحدية ، اقتضى حاله السؤال عن الحقيقة ، فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام بما يدل على أنها مقام بعيد عن مقام صاحب القلب ، وهو مقام تجليات الصفات والجلال هو احتجاب الوجه الذاتي بحجب الصفات ، كما أن نور الجمال هو نور الوجه من دون الحجاب ، والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمه ، والسبحات هي الأنوار ، وأنوار تجليات الصفات هي حجب الوجه ، وتسمى سبحات الجمال .

وقوله عليه السلام : (من غير إشارة) أي بلا إشارة ولو عقلية أو روحية لأنها تشعر بالإثنينية وهي عبارة عن مقام الفناء المحسن أي الحقيقة ، وهي طلوع الوجه الباقى بكشف حجب الصفات عنه لنفي سبحات وجهه ما سواه ، فلا تبقى الإشارة إلى شيء كما قال الله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ﴾^(١) الآية .

وقال تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) ، ومصدق ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله : (إن الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

إليه بصره من خلقه) ، فهداه عليه السلام إلى مقام الفناء والبروز من وراء حجب الصفات إلى عرصة كشف الذات ، انتهى كلامه .

ولا يخفى أن هذه الكلمات جارية على طريقة أهل التصوف والقول بوحدة الوجود ، وفيها ما يخالف مذهب أهل العصمة عليهم السلام ما لا يخفى على من شرب بكأسهم ، مثل قوله : إن المراد بالحقيقة الذات الواجب ، ومثل أن الوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمه ، ومثل : وهي طلوع الوجه الباقى بكشف حجب الصفات عنه لنفي سبّحات وجهه ما سواه ، ومثل : إلى عرصة كشف الذات .

وغير ذلك من المفاسد التي لا تصح إلا على القول بوحدة الوجود وقول أهل التصوف ، ولكن لسنا بصدق بيان بطلانه ، وإنما كنت ترى ما سمعت رأي العين .

قال عبد الرزاق بعد ما نقلناه عنه : (ولم يكتفى يعني كميلاً بذلك لوفر استعداده وعلمه بأن ذلك الكشف قد يكون مع كون صاحبه في مقام التلوين ولا يدل على مقام الوحدة إلا بالالتزام ، وأن الذات الأحدية لا تخلو من الصفات أي يلزمها دائماً فاستزاد البيان ، فقال عليه السلام : (محو الموهوم وصحو المعلوم) ، فأشار عليه السلام إلى التلوين لحساب صاحبه وجود غيره بالتوهم ، وليس وجود العين في الحقيقة إلا نقشاً موهوماً استقر ورسخ عليه باستيلاء الوهم وسلطان الشياطين على القلب ، فمن

أخلصه الله من عباده محا عنه ذلك الوجود الموهوم الذي ليس إلا نقشاً خيالياً لا وجوداً حقيقياً يحتاج إلى الفناء ، ولهذا قال بعض العرفاء :

الباقي باقٍ في الأزل والفازي فان لم يَرِزِّلِ

وبالثاني أشار إلى أن الإيهام اللازم لدلالة الالتزامية هنا إنما يكون لسلطنة القوة العقلية ، واعتبار العقل بكثرة الصفات وامتناع عروجه عن الحضرة الواحدية من عرف الحق الأحادية بالطريق العلمي ، لم يخلص عن حجب الصفات إلى عين الذات ، ولم يرتقي عن الحضرة الواحدية إلى عرصة الأحادية ، فلا تنكشف الحقيقة إلا لمن عزل عقله بنور الحق وجن بالجنون الإلهي ، كما قال إمام الحق^(١) جعفر الصادق عليه السلام : (العشق جنون إلهي)^(٢) ، فصحا معلومه عن غمام كثرة الصفات وصفا عن كدوره الاعتبارات وارتفت الكثرات العقلية عن تنور العشق الحقيقي والحب الذاتي حتى يبلغ صاحبه مقام الإخلاص الذي أشار إليه بقوله عليه السلام : (وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه)^(٣) . الخ .

(١) في نسخة : المحق .

(٢) انظر الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٣ / ١٧١ .

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (وكمال توحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة =

فصار علمه عيناً ، وعينه حقاً ، وتوحيد شهادة وشهوداً وعياناً لا علمأً وبياناً) انتهى .

ورد المصنف على الشيخ الكاشي

أقول : ما ذكره من كون الكشف قد يكون صاحبه في مقام التلوين والتشبيه بالواصلين وهو لا يدل على رتبة الوحدة ، وأن الذات الأحدية لا تخلو عن الصفات ، فلذلك استزاد البيان فيه أن الكشف إن أزال جميع السمات حصل له حقيقة المعرفة ، وإلا فلا ، لأن الذات البحث لا يجري عليها الكشف كما لا يحيط به الوصف ، فإن كل شيء أمكن كشف حجبه عنه فهو معلوم بذاته وذلك الكافر مساو له أو أعلى منه .

ولا يصح شيء من ذلك في حق الواجب ، على أن الإمام عليه السلام إنما قال : (كشف سمات الجلال) ، وهي أنواره أي آثار الجلال وصفات أفعاله ونسبة وهي غير الجلال ، ولم يقل كشف الجلال ، لأن الكافر حينئذ من مظاهر الجلال والجلال غير الجليل جلّ وعلا فليس الكشف جارياً على الذات الحق ، وإنما مراد الإمام عليه السلام بهذا الكلام معرفة النفس لأنّ النفس إذا كشفت عنها جميع سماتها مما أشرنا إليه سابقاً ، وما أشبهه

= كل صفة ومحض بالاقتران ، وشهاده الاقتران بالحدث ، وشهاده الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث) نهج البلاغة : ١ / ١٥ ، والكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ .

ظهر لك أنها وصف الحق لك نفسه لأنه ظهر لك بك ، وظهور الشيء وصفه .

ولو كان المراد بالحقيقة المسئول عنها هو الذات الحق تعالى لزم مع حصول مدركيته تساوي جميع العارفين فيها لا فرق بين الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ولا بين سائر العارفين ، وكلّ مدع لذلك له أن يقول إن مقامي في الوصول نفس محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآلـه وعليهم أجمعين ، لأن كلّ واحد قد حصل له كشف جميع الحجب والمظاهر ، ولم يقل بهذا أحد .

وإن كان المراد بتلك الحقيقة المسئول عنها هي حقيقة تعرف الحق للعبد ، وأنه إنما تعرف له به وظاهر له به كما هو الحق ، دل على أن الكشف إنما هو لسبحات الجلال الذي ظهر لك به واحتجب عنك به ، وهو في الحقيقة وجودك^(١) به سبحانه ، كما قال سيد الوصيين عليه السلام : (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها)^(٢) .

(١) في نسخة : وجد لك .

(٢) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ٣ ، ١٨٩٤
ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : (واحد لا بعد ، و دائم لا بأمد ، و قائم لا بعمر ، تتلقاء الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحاط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به =

فيكون ذلك الوجود هو الجلال الذي إذا كشف سبحانهاته عرفت الحق سبحانه من عرف نفسه فقد عرف ربّه ، ويلزم من هذا أن كلّ عارف له جلال يختص به هو وجوده الذي هو نور الله كما قال عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(١) ، وهذه الأجلة سبحانهات للجلال الأعلى ، فهي مظاهره وهو أعلى مظاهر الحق فتحصل الحقيقة لكلّ عارف ببنسبته وكلها أمثاله سبحانهاته التي ليس كمثلها شيء والله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم .

فكـلّ عارف لا يفـنى فيما فوق وجودـه ، لأنـ هذا الفـناء المشار إـلـيه بـقاءـ فيه ولا يـبـقـى فيما فوقـه ، فإنـ نورـ الشـمـسـ يـفـنىـ فيـ ظـهـورـ الشـمـسـ بـهـ وـهـوـ وـجـودـهـ لـاـ فـيـ ذـاتـ الشـمـسـ ، وـأـيـنـ التـرـابـ وـرـبـ الـأـرـيـابـ ، وـهـذـهـ الـمـقـامـاتـ الـمـتـكـثـرـةـ هـيـ مـصـارـعـ الـمـحـبـينـ ، فـهـيـ تـعـرـفـاتـ الـحـقـ لـهـمـ بـهـمـ فـلـاـ فـنـاءـ فـيـ ذـاتـ الـحـقـ الـبـحـثـ .

وقوله : (وأنـ الذـاتـ الـأـحـدـيـةـ لـاـ تـخلـوـ عـنـ الصـفـاتـ) ، فيهـ :
أنـ الذـاتـ الـأـحـدـيـةـ إـنـ أـرـادـ بـهـ الـظـاهـرـ بـالـصـفـاتـ فـلـيـسـ ذـلـكـ هوـ
الـذـاتـ الـبـحـثـ ، وـإـنـ أـرـادـ بـهـ الـذـاتـ الـبـحـثـ فـلـيـسـ ثـمـ شـيـءـ غـيرـهـ ،
وـإـنـماـ هوـ بـلـاـ مـغـايـرـةـ وـلـاـ تـكـثـرـ وـلـاـ تـعـدـ بـكـلـّـ فـرـضـ وـاعـتـبارـ .

= النـهـاـيـاتـ فـكـبـرـتـهـ تـجـسـيـداـ ، وـلـاـ بـذـيـ عـظـمـ تـنـاـهـتـ بـهـ الـغـاـيـاتـ فـعـظـمـتـهـ تـجـسـيـداـ ،
بلـ كـبـرـ شـأـنـاـ وـعـظـمـ سـلـطـانـاـ) .

(١) بـحـارـ الـأـنـوارـ : ٢٥ / ٢٠ حـ ٣٢ ، وـعيـونـ أـخـبـارـ الرـضاـ : ٢ / ٢٠٠ بـابـ ٤٦
حـ ١ ، وـمـدـيـنـةـ الـمـعـاجـزـ : ٧ / ١٥ حـ ٢٢٤٣ ، وـمـحـاسـنـ الـبـرـقـيـ : ١ / ١٣١
حـ ١ .

وليس الكشف المراد تجريد الذات عن الصفات بأي نوع كان ، لأن الشخص قد يتوهم ذاتاً مع قطع النظر عن جميع صفاتها ، ومع ذلك هي متوهمة محدودة قد ميزها بوهمه ووضعها في موضع من وجدانه وباقى وجدانه حال منها يضع فيها متخيلاته وموهوماته التي هي سمات وجوده ، بل الكشف المراد أن يمحو عن وجدانه جميع الأشياء من ذات وصفة وغيرهما حتى وجوده ومحوه ، فهناك يظهر له الحق بحقيقة ظهوره له وحينئذٍ يعرف نفسه .

ولما كان كمبل يتعلق قلبه بشيء ليس في جهة من وجدانه ولا هيئة له في أوهامه ، وإنما تجول بصيرته في الصحاري والأودية السحرية يطلب حيث يرد ، فلا يعرف كيف الوصول فبيّن عليه السلام له أنك في هذه الحال تطلب المحال لأنك ناظر بنظر طالب بطلب ، ومطلوبك قد احتجب بك وبطلبك ونظرك عنك ، وأنت حجاب كثيف غليظ أقام جدارك لحفظ كنزك ، فإذا أردت أن تستخرج الكنز وتحل الرمز فقض الجدار من غير إشارة ، فطلب منه زيادة البيان لوجوده ذاته طالبة ، فكيف يطلب بغير طالب ولا طلب ؟

فقال عليه السلام : (محو الموهوم وصحو المعلوم) ، يعني ما أنت إلا نقش فهواني قد أشار لك بك ، ولا ريب أن النقش موهوم لأنه تمثيل فهواني أي تنبئه تعريفه ، فأنت موهوم

وإشارتك صفتك ، فإذا كشف الموهوم ، يعني محي^(١) وأزيل ، صحا المعلوم ، يعني أن المعلوم ليس مستوراً ولا محتاجاً فلا يحتاج إلى الإظهار والتبيين ، وإنما أنت حجاب نفسك فإذا أزلت الحجاب صحا لك المعلوم ، وفي الحديث : (إن نبياً من أنبياء الله قال : يا رب كيف الوصول إليك ؟ فأوحى الله إليه ألق نفسك وتعال إلي)^(٢) .

وقول عبد الرزاق : (وليس وجود العين في الحقيقة إلا نقشاً موهوماً استقر ورسيخ عليه باستيلاء الوهم وسلطان الشياطين) ، يريد به أنك في الحقيقة صورة منطبعة في مرآة كونك لا حقيقة لك إلا ظهور موجدك ، وإنما كانت تلك الحقيقة^(٣) عند نفسك لأجل استيلاء الشياطين على قلبك فأشغلك عن ذكر الله الذي هو معرفة أظهرتكم من كل شيء ، فینظر الوهم إلى نفسه استقرت لها حقيقة عنده لنسيانه ذكر الله وهو حق ، لأنه لو كانت لها حقيقة غير النّقش لكان مستقلة مستغنّية عن المدد ، فيكون كونها بنفسها وقيامها بذاتها وهو باطل ، وإذا ثبت أنها لا حقيقة لها إلا ظهور الحق بها لها كانت حقيقتها من نفسها وهذا وسبحاتها من نفسها وهذا من الموهوم وحقيقة من ظهور الحق معلوماً .

(١) في نسخة : كشف .

(٢) لم نجده فيما توفر لدينا من مصادر .

(٣) في نسخة : لك حقيقة .

فالمعرفة الحقيقة المسؤول عنها محو حقيقتها من نفسها ومحو سمات حقيقتها من ظهور الحق ، فإذا محا ذلك من نظر الوجودان صحا حقيقتها من ظهور الحق الذي هو المعلوم لأنّه صفة الله وتعرفه لذلك العبد والشيء إنما يعرف بصفته ، وهذا المعلوم هو المعنى لكل عارف بنسبة مقامه بقوله تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »^(١) ، كما أشرنا إليه في الفائدة الثانية من الفوائد فقوله عليه السلام : (محو الموهوم وصحو المعلوم) هو معنى قوله عليه السلام : (كشف سمات العجلال من غير إشارة) .

فالمحو هو الكشف ، إلا أن المحو أجي وآبين ، لأن الشيء قد يكشف عما ستره وهو باق بخلاف المحو ، والموهوم هو السمات من الذوات والصفات والأفعال والنسب والإضافات إلا أن بيان كون وجودها موهوماً ليس بصريح من الجواب الأول .

والملعون هو العجلال إلا أنه قد يحتمل أن العجلال هو حجاب المعلوم ، فيتن عليه السلام في الجواب الثاني أن المراد بالجلال في الجواب الأول هو المعلوم في الثاني لأنّه بيانه ، فكان الثاني أخص من الأول ، فلهذا صلح لزيادة البيان .

فقول عبد الرزاق الكاشي : فمن أخلصه الله تعالى من عباده محا عنه ذلك الوجود الموهوم ، الخ) . في الحقيقة ظاهر ، ولا

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

ريب أن كاشف سمات الجلال وما هي الموهوم هو الله تعالى ، وهو الذي يعرف نفسه عباده ، إلا أن الظاهر من الحديث أن الكاشف والماهي هو العبد العارف ، وإن كان في الواقع لا يكون إلا بالله ، لكن لما كان يسأل كمبل عن كيفية الوصول إلى حقيقة المعرفة ناسب إسناد الكشف والمحو إلى العبد ، ولهذا قال عليه السلام : (من غير إشارة) ، ولا يكون هذا التقييد إلا إذا أُسند إلى العبد .

وقوله : (واعتبار العقل بكثرة الصفات ، الخ) ، مبني على طريقتهم من أن الموهوم هو الصفات ، وأن المعلوم هو الذات ، وأن الفناء فيه فناء في الذات .

وهذه الأمور لا تصح على نهج أهل العصمة عليهم السلام ، لأن الصفات إن أريد بها صفات الذات فهي الذات فلا معنى لكونها موهومة ، وإن أريد اعتبار تعددتها أو من حيث متعلقاتها من الحوادث فهي موهومة ولكن بكشفها لا يحصل للكاشف صحو الذات البحث كما تقدم ، لأن ما سواه لا يحوم حول حماه ، وإنما كلامه جار على طريقة أهل التصوف القائلين بوحدة الوجود ، وأن الخلق عين الحق إذا قطعت النظر عن المشخصات الموهومة ، ولهذا قال : (من عرف الحق الأحدي بالطريق العلمي لم يخلص من حجب الصفات إلى عين الذات ، الخ) .

يعني إذا محا الموهوم الذي هو حجب الصفات اتصل بعين

الذات ، وهذه طريقة أهل الضلال والتصوف ، وقد قال شاعرهم :
 جَعَلْتَ نَفْسَكَ فِي نَفْسِي كَمَا جُعِلَ الْحِمْرَةُ فِي مَاءِ الرَّلَالِ
 وَإِذَا سَرَّكَ شَيْءٌ سَرَّنِي إِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ
 وقال مميت الدين الأعرابي^(١) في الفصوص :

فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَانَا لَمَا كَانَ الذِّي كَانَ
 فَإِنَّا أَعْبُدُ^(٢) حَقًّا
 وَإِنَّا عَبْنُهُ فَاعْلَمْ
 فَلَا تَحْجَبْ بِإِنْسَانَ
 فَكُنْ خَلْقًا وَكُنْ حَقًّا
 وَغَذْ خَلْقَهُ مِنْهُ
 فَأَعْظَيْنَاهُ مَا يَبْلُو
 فَصَارَ الْأَمْرُ مَقْسُومًا
 وَأَحْيَاهُ الذِّي يَدْرِي

(١) هو أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسى .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .

مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ / ١١ / ٢٦ م) .

انظر ترجمته في الدر الشمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٣٢٥ / ٢ .

(٢) في نسخة : نعبد .

(٣) في نسخة : أنا .

وَكُنَا فِيهِ أَعِيَانًا وَأَكْوَانًا وَأَزْمَانًا
وَلَيْسَ بِدَائِمٍ فِينَا وَلَكِنْ كَانَ أَحِيَانًا^(١)

والحاصل أن هذه الطايفة أنكروا العيان ولبسوا في البيان حتى ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، قال عبد الرزاق : (ولما نفى سلطان الوهم والعقل بطردها عن طريق الحق عرف السائل أن ذلك لا يكون إلا بظهور سلطان العشق ، وذلك لا يكون اختيارياً ولا منوطاً بسعى السالك وإرادته ، فأشكل ذلك عليه فطلب زيادة الوضوح ، فقال عليه السلام : (هتك الستر لغبطة السر)).

أقول : ما ذكره من أن إدراك الحقيقة لا بالاختيار جار على ظاهر الحال ، وأما في الحقيقة فهو بالاختيار ، وقد قررنا في الفوائد أنه ليس في الوجود شيء يقع منه فعل إلا باختيار ، فإن الطلب من الشيء لا يكون إلا بما يمكن في ذاته سواء كان الطلب بجميع الأسباب والمسبيبات من الشيء المقرونة بجميع القيود كما ترى منه جواز الفعل والترك ، أم ببعضها كما تجد من بعض الحيوانات والجمادات ، أم بحقيقة الشيء من ربه كما يكون من العارف ومن الأشياء المفتقرة إلى مدبّرها ، لأن المراد من الطلب في كلّ مقام من كلّ شيء هو الافتقار إلى الغنى أو إلى جهة من الغنى ، فهذا الميل الحقيقي هو الميل الانوجادي من القوابل

(١) شرح فصوص الحكم : ٨٧٣ - ٨٧٥ .

الفواعل لأفعال الفاعلين ولا ريب في اختيارها ولهذا أتاهم الإيجاد بصورة السؤال المشعر بطلب الإجابة والقابلية منهم حين قال : «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»^(١) ؟ ليجيبوه ويقبلوا منه باختيارهم ، وأول شيء تكوينه بنفسه ثم تكوينه بأسبابه ومسبباته ولا يعني بالاختيار إلا هذا .

وإذا نظرت بفؤادك جميع الأشياء وجدتها مختارة بنمط واحد ، وإنما تختلف هيئات المختارين لاختلافهم في مراتب الاختيار من جهة الدواعي والعوائق والعاشق مختار ، وإنما خفي ذلك فيه لشدة رغبته ومحبته وإقباله على مطلوبه ، حتى غالب ذلك منه على التفاته إلى ما سوى معشوقه .

وهذا معنى ما قال عليه السلام (لغلبة السرّ) ، يعني أن السرّ الذي هو ذلك الميل والقابلية التي هو بها هو غالب على كل حجاب بينه وبين معشوقه من كلّ ما سوى معشوقه بحيث لا يلتفت إلى ما سواه ، وذلك لا ينافي الاختيار وإن لم يشعر بنفسه ، بل شرط صدق الحب عدم الإشعار بما سوى المحبوب .

ومن هنا قال الصادق عليه السلام ما معناه : (المحبة حجاب بين المحب والمحبوب) ، وهو قد علل طلب الزيادة بما ذكر والأقرب في نفسي أنه إنما طلب الزيادة في البيان لما وجد في

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

نفسه من صعوبة الطريق حتى ظن العجز بدون إعانته بالبيان ودلالته على أسباب التحصيل والوصول ، قال عليه السلام له الحقيقة : (هتك الستر لغلبة السر) ، أي لغلبة سرك الذي هو تصحيح الفقر الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله (الفقر شعاري وبه أفتخر)^(١) .

وهذا الفقر يحصل بالتدرج حتى لا يشهد له ولا لجميع ما له وما ينسب إليه أثراً في نظر الوجدان ، فإذا فقد عن وجданه ما سوى معبوده الذي هو هتك الستر والحجاب بينه وبينه ظهر له أن ما حصل له ذلك لتمام فقره وصحته الذي هو غلبة السر ، لأنه حينئذ ليس هو وإنما الموجود نور الله الذي تجلّى به وتعرف به وهو هو بلا مغایرة بوجه ما .

وأما ما ذكره من تعليل طلب زيادة البيان فهو وإن كان قد يكون له وجه في الجملة لكنه قشري بخلاف ما ذكرنا ، وهذا التعريف أبين مما قبله ووجه صلوحه لزيادة البيان أن المحم للشيء الموهوم لا يدل على كونه حاجباً ساتراً للمطلوب بخلاف هتك الستر ، فإنه يدل على إزالة الساتر فتكون إزالته أبلغ في ظهور المطلوب .

(١) عدة الداعي : ١١٣ ، وعوايي اللالى : ١ / ٣٩ ح ٣٨ ، ومستدرك الوسائل : ١١ / ١٧٣ ح ١٢٦٧٢ ، وبحار الأنوار : ٦٩ / ٣٠ ح ٢٦ .

بيان معنى غلبة السر

وأما غلبة السر فإنه أدل على المطلب الحق من صحو المعلوم لما في المعلوم من الإبهام والإجمال لجواز أن يفهم منه إرادة الذات البحث وهو باطل بخلاف غلبة السر ، فإنه لا يفهم منه ذلك . وإنما يفهم أن السر شيء غير الذات البحث ، وقد يفهم منه أنه إذا هتك ما يحجب عنه مطلوبه دل على أن حصول ذلك له إنما هو لغلبة السر والسر المراد هنا هو المعلوم ، ويدل عليه ما في بعض نسخ الحديث من إبدال اللام بالواو ، فيكون محو الموهوم وصحو المعلوم هو هتك الستر وغلبة السر ، وهذا السر هو سر الخليقة وهو الحقيقة وهو ظهور الحق لك بك ، كما قال علي عليه السلام : (تجلى لها بها ، وبها امتنع منها) ^(١) .

بيان معنى جذب الأحدي

قال عبد الرزاق : (ولا يلزم من غلبة السر حصول الحقيقة ، كما قال أحدهم :

شَرِبَتُ الْحُبَّ كَاسًا بَعْدَ كَأسٍ فَمَا نَفَدَ الشَّرَابُ وَمَا رُوِيَتْ

فاستزاد البيان ، فعلم عليه السلام قوة استعداده فقال :

(جذب الأحدي) التي لا كثرة فيها لصفة التوحيد إلى نهاية في غلبة السر ، قوة جذب الحضرة الأحدي التي لا اعتبار للكثرة فيها

(١) كما تقدم في الحديث .

أصلاً لصفة التوحيد المشعر بالكثرة الاعتبارية في الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات ، وذلك النور هو العين الكافوري الذي هو مشرب المقربين خاصة ، فلا يبقى مع هذا الجذب والشرب الحقاني لغير عين ولا أثر) .

أقول : قوله ولا يلزم من غلبة السر حصول الحقيقة ، ليس ب صحيح عندنا ، أما على مذهبهم فهو صحيح عندهم لأنهم يريدون بها الذات البحث وهذا عندنا باطل ، لأن الذات البحث لم يكن معه غيره ولا يكون غيره إياه ، وإنما الحقيقة ظهور الذات بأثر فعله فيه له .

وأيضاً هو يريد أن الحقيقة لم تحصل بذلك فاستزاد البيان ، وهذا لا يصح لأنه يستزيد البيان ولا يطلب الحقيقة طلباً أصلياً غير الطلب الأول ، إذ من المعلوم أنه عليه السلام قد أجابه في كلّ صورة بما يلزم منه حصول الحقيقة ، وقد علم كميل ذلك إلا أن فيه إجمالاً بالنسبة إلى فهمه ، فلهذا إنما طلب زيادة البيان ، لكن عبد الرزاق إنما قال بعدم حصول الحقيقة بغلبة السر ليرتب على ذلك ، استزادته للبيان .

والذي يقتضيه التأمل : أنَّ استزاده البيان فرع الحصول قبل ذلك ، فافهم .

وقوله : فعلم عليه السلام قوة استعداده ، ليس بظاهر ، لأن علمه عليه السلام باستعداد كميل فيما سبق من جوابه عليه السلام

له أولى ، لأن الجواب بما فيه الإجمال أنسب بقوة الاستعداد من الجواب المشتمل على البيان ، والأنسب عندي أنه إنما طلب زيادة البيان لقصور فهمه عن كمال إدراك المعنى المراد من جوابه عليه السلام ، كما هو عادة طالبي استزادة البيان فقال عليه السلام : (جذب الأحادية لصفة التوحيد) .

قال في الإنسان الكامل^(١) : (الأحادية عبارة عن مجلى ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقيقة والخلقية ، وليس لتجلي الأحادية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتبارك وأخذت بك فيك عن خواطرك ، فكنت أنت في غير أن تنسـب إليك شيئاً مما تستحقه من الأوصاف الحقيقة ، أو ما هو لك من النعوت الخلقية ، فهذه الحالة للإنسان أعم مظهر الأحادية في الأكوان ، فافهم) .

أقول : ما ذكره عبد الكريم في كتابه الإنسان الكامل مبني

(١) هو للشيخ عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجبلان من أعمال فارس .

ولد سند ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ

مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٢٢ هـ

انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣ ، وكشف الظنون : ١٥٢٥ .

على وحدة الوجود لأنه من كبار أهل التصوف من العامة ، ولهذا قال : الأحديّة عبارة عن مجلّى ذاتي . إلى أن قال : فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقيقة والخلقية ، فإنّ جعل الاسم عين المسمى كما هو صريح كلامه هنا وفي أكثر المواضع من كتابه لم يصح جعل الإنسان المعروف عنده لا سيما ما يدعونه من ذلك لأنفسهم أعلى مظاهر الذات ، لأن أعلى مظاهر الذات أول صادر عنه وهو المشيئة ، وإن كانت عندنا هو الأدم الأول لكن لا يريده .

وأيضاً إذا أريد بالأحديّة الذات فلا معنى لتجرده عن الاعتبارات الحقيقة ، وإن أريد به غير الذات الواجب فلا معنى لتجرده عن الاعتبارات الخلقية .

وقوله : (وليس لتجلّى الأحديّة في الأكوان مظهر أتم منك ، الخ) ، ليس ب صحيح ، لأن أتم المظاهر وراء الأكوان وهو الفعل إذ لا يظهر على شيء إلا بفعله فيكون فعله أو مظاهره ، وأما فعله فيه فهو .

وقوله : (فكنت أنت في أنت ، الخ) ، ليس ب صحيح ، لأن كون أنت في أنت لا يجري إلا فيمن ماهيته بذاته وهو الغني عمّا سواه ، وأما من كان بغيره فلا يكون هو في هو وإن حصر نظر نفسه في نفسه كان مقتضراً على سراب ، فهو في وجданه وقدانه فاقد ، بخلاف ما لو حصر نظر نفسه في ربّه فإنه في وجدانه وقدانه واحد .

الحق في الأحادية

والحق أن الأحادية بكل اعتبار اعتبرها المخلوق لا تقع على صرافة الذات البحث ، وإنما يدرك المخلوق مخلوقاً ، فلا يعرف أحد من الخلق من معنى الأحادية إلا معنى محدثاً والمعنى المحدث لا يقع إلا على معنى محدث ، إلا أن من المعاني المحدثة ما هو مختص بحيث لا يصدق على شيئاً ، وما كان كذلك كان ما يدل عليه من الأسماء كذلك وإن لم يدل عليه ، فإذا وجدت الألوهية لا تجوز لغير الله دل على اختصاصها به تعالى ، وكذلك معناها ولكن المعنى الذي يقع عليه هذا اللفظ منها محدث ، وإن كان مختصاً بالبحث والأحادية دون الألوهية ، لأن الأحادية صفة الأحد والألوهية صفة الله لا العكس .

والحاصل أن الأحادية وإن كانت جامعة لمراتب التوحيد الأربع توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وتوحيد العبادة ، لكنها أخص شمولاً من الألوهية التي هي الجامعة لصفات القدس والعزة وصفات الإضافة والنسبة ، وصفات الخلق والتربية فهي من صفات الألوهية ، فتقول : الله أحد فيحمل على الله ، ولا تقول : الأحد الله إلا على البذرية أو على نسبة البيانية ، وما ذهب إليه أولئك من معناها ليس بصحيح وهو^(١) معنى محدث ليس لغير

(١) في نسخة : هي .

المعبد بالحق ، وإن كان لها مراتب لا يُحصي عددها إِلَّا الله ، يطلق هذا اللفظ عليها من باب التشكيك والعارف إذا كشف سمات الجلال من غير إشارة ظهرت الأحادية فيه ، وهي الجلال في الجواب الأول ، والمعلوم في الثاني ، والسر في الثالث ، وهي النفس في (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)^(١) ، وهي حقيقتك من ربّك .

وإنما قال عليه السلام : (جذب الأحادية) ، لأن الباقي بعد إزالة الفاني في الحقيقة هو الجاذب للفاني ، كما أنه في الإيجاد هو الدافع له ، والمعنى أن الحقيقة في الإيجاد يفيض عنها آثارها ، فهي تدفعها من كتم الإمکان إلى شهادة الأعيان وفي الإعدام والإففاء هي تجذبها من شهادة الأعيان إلى غيب الإمکان فحقيقتك عنها ظهرت وفيها فنيت ، ففي حالة إيجادها هي دافعة وفي حالة الإففاء هي جاذبة ، فإذا فسّرنا الأحادية بنسبة مقامها قلنا إن صفة التوحيد هنا هي سمات الجلال وهي الموهوم وهي الستر الحاجب وبيان كون السمات المذكورة صفة التوحيد حتى يكون ضرورياً يحتاج إلى التطويل^(٢) .

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعواoli اللاali : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

(٢) في نسخة : تطويل .

وأما على سبيل الإشارة فالسبحات وهي شؤون الحقيقة وجميع ما لها من المتعلقات والأثار وهي صفتها ، والحقيقة هي التوحيد والأحدية وصفتها هي صفة التوحيد وهي الواحدية ، لأن الواحدية صفة الأحدية ، ولذلك قالوا : هي حضرة الأسماء والصفات التي هي السبحات ، وإنما كان قوله عليه السلام : (جذب الأحادية لصفة التوحيد) صالحًا لزيادة البيان ، لأن ما تقدم لا يدل على معرفة المزيل للموانع ولا على كيفية الإزالة ولا على نسبة المزال إلى الباقي بحيث يتوقف ظهوره على إزالته ، وهنا اشتمل على ذلك كله مع أنه بمعنى ما تقدم ، فبين عليه السلام أن المزيل هو الأحادية التي هي الحقيقة لأنك أنت المزيل لنفسك وما يرتبط بها .

ويدل على هذا قوله تعالى في الحديث القديسي حين قال ذلك النبي عليه السلام : (يا رب كيف الوصول إليك فأوحى الله إليه ألق نفسك وتعال إلي)^(١) ، وقد تقدم وأن كيفية الإزالة وإن كانت بالتدريج لكن جذب تلك الأوصاف والإضافات من الوجдан إلى فقدان إشعاراً بأن الأحادية بها قوام صفة التوحيد ، وأن صفة التوحيد إنما تفقد فيها وأنها الكتاب الحفيظ لصفة التوحيد ، وأن نسبة صفة التوحيد التي هي سبحات الجلال في الأول والموهوم في الثاني والستر في الثالث إلى الأحادية التي هي الجلال في

(١) لم نجد في مما توفر لدينا من مصادر .

الأول ، والمعلوم في الثاني ، والسر في الثالث ، نسبة النور إلى المنير ، والصورة إلى الشاخص ، والحجاب إلى المحتجب ، والصفة إلى الموصوف ، وفي هذه الفقرات وما يأتي أسرار كثيرة يعرف كثير منها مما كتبنا في رسائلنا وذكرنا في مباحثاتنا .

قال عبد الرزاق : ولما كان كميل عارفاً بأن مقام الوحدة في الفناء في الذات وإن كان مقام الولاية ليس كمالاً تاماً ، لأن صاحبه لا يصلح للهداية والتكميل ما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل ، ومن الوحدة إلى الكثرة ، ولم يصل إلى مقام الصحو بعد السكر ، ولم يحصل له مقام الاستقامة المأمور بها النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(١) ، فاستوضح واستزاد البيان فقال : (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)^(٢) .

(١) سورة هود ، الآية : ١١٢ .

(٢) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة ؟ قال : ما لك والحقيقة ؟ قال : أو لست صاحب سرك ؟ قال : بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ! قال : أو مثلك يُخَيِّب سائلاً ؟ قال : الحقيقة كشف سبعات العجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال :محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السر . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إطفِ السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١ ، ١٣٣ =

أقول : يجوز أن يكون ما ذكره علة لطلب زيادة البيان على بعد ، ويجوز أن يكون المراد منه قصوره عن نيل المراد ، فيطلب الزيادة في البيان مرة بعد أخرى لا لأجل أنه يتطلب التفصيل ومعرفة الرجوع من الوحدة إلى الكثرة ، بدليل الجواب الأخير فإنه على النسق^(١) الأول وما بعده ، ولو كان كما قال لكان الأخير فيه تفصيل أشد مما قبله .

وأما ما ذكره من التفصيل وذكر الوحدة في الكثرة فهو نوع من البيان والجواب ، وإنما في جميع تعريف الحقيقة لا يتحقق إلا بانبساط^(٢) نظر البصيرة إلى جميع أقطار الوجود والوجودان فيتوجه إلى الوحدة في الكثرة وإلى الأولية في الآخرية وإلى البطون في الظهور وإلى البعد في القرب وإلى الوصل في الفصل وإلى الاتحاد والتعدد وإلى المزايلة في الملاصقة^(٣) إلى غير ذلك من جهات الوجودان .

فمهما بقي جهة أو احتمال لشيء من الأشياء لم تسلكه بحيث لا تشهد كلّ شيء في كلّ شيء ، لم تكشف سمات الجلال ولم تمتح الموهوم ، ولم تهتك الستر ، ولم تجذب الأحادية لصفة

= كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للأملبي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

(١) في نسخة : نسق .

(٢) في نسخة : بانبساطها .

(٣) في نسخة : المواصلة .

التوحيد ، ولم تظهر لك الوحدة في الكثرة بحيث يغيب وجود الكثرة في ظهور الوحدة .

فظهر لمن نظر واعتبر وأبصر أن مفad الأجوبة واحد وإنما اختلفت^(١) لاختلاف التبيين ، وبذلك ظهرت فوائد جمة لا تسع هذه الكلمات بيانها ، فقوله عليه السلام : (نور) أشار به إلى الجلال والمعلمون والسر والأحدية كما تقدم ، وقوله عليه السلام : (أشرق) يريد به بيان حدوثه كما أشرنا إليه سابقاً لا ما توهموه من أنه الذات البحث المجردة عن الاعتبارات الحقيقة والخلقية ، بل هو حادث لأنه أشرق من صبح الأزل ، والصبح هو المشيّة ، والشمس التي لم تطلع بذاتها وإنما طلعت بآثار فعلها هو الأزل الذي لم يزل عزّ وجّلّ ، فيلوح من ذلك النور المشرق من صبح الأزل على هياكل التوحيد آثاره .

مراتب هياكل التوحيد

وهياكل التوحيد لها مراتب تطلق وتعرف من مقام الإطلاق في الاستعمال ، مرتبة كلّ مقام والمراد بالهياكل الصور ، والمراد بالتوكيد هنا صفة ذلك النور المشرق ، والهياكل صفة ذلك التوحيد ، والآثار صفة تلك الهياكل ، يعني أن الحقيقة نور أشرق من مشيّة الله سبحانه وهو الوجود بدون القيود والحدود لأنها هي

(١) في نسخة : اختلف .

السبحات المكشوفة ، وهذا الوجود هو المعبر عنه بالحقيقة تارة وبالوجود بدون القيود أخرى ، وبالنفس مرة وبنور الله أخرى ، وبالفؤاد أيضاً .

وهذا التوحيد صفتة بمعنى أن هذا النور ليس في مكان ، ولا يحييه مكان ، ولا يخلو منه مكان ، وليس في جهة لا قبل ولا بعد بل قبله عين بعده ، وأوله نفس آخره ، وظاهره حقيقة باطنها وكل الجهات جهاته ولا تخلو منه جهة ، وليس في زمان ولا يقع عليه وصف و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) ، وكل ما ميزته فهو غيره ، وكل ما توهمته فهو بخلافه بريء من الحدود والأمكنة والجهات والأوقات والأنداد والأضداد والأشباء والكثرة والكلية والجزئية والعموم والخصوص والإجمال والتقييد والجمع والتفصيل وسائر صفات الخلق ، وهو معنى قولنا : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، ولو كان هذا النور الذي هو النفس المشار إليها في الحديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) له مثل لكان لو عرف نفسه بشيء من صفات الخلق لزم منه أنه يعرف ربه بصفات الخلق وأنه مخلوق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فإن قلت : إنك إذا وصفت نفسك بهذه الصفات كنت قد وصفتها بصفات الواجب ، وهذا باطل عقلاً ونقلأً .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

قلت : إنك إذا جردت نفسك عن كلّ ما يغايرها لزمالك أن تصفها بهذه الصفات .

فإن قلت : إني في مكان والمكان غيرك والكون فيه غيرك ، وكونك ابناً أو أباً غيرك وكونك مدركاً أو معلوماً غيرك ، ومع وفي ومن وإلى وعن كلها غيرك ، وأين غيرك ومتى وحيث وكيف ولم عند وأول وآخر وظاهر وباطن غيرك والاقتران والاجتماع والافتراق والحركة والسكون غيرك ، وجميع ما ينسب إليك وينفي عنك غيرك ، فإذا أخذت تجرد عنك هذه السمات لم يبق إلا وجود لا يلتبس بشيء ، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، لأن الالتباس والمشابهة والمماثلة غيرك ، وهذه صفة الحق تعالى ، فمن عرف صفة الحق تعالى فقد عرفه ، لأن الشيء لا يعرف إلا بصفته وهذه الإشارة كافية في بيان صحة هذا البيان لمن أحب الله أن يعرفه نفسه .

وهذا التجريد صفة هذا النور وهذه الصفة هي التوحيد ، وللنور مظاهر لصفته هي أكمل التوحيد أي صوره وأعلاها أربعة عشر هيكلأ وليس معها في وجودها شيء ومن دونها هيكل متعددة ، ومن دون هذه المتعددة هيكل كثيرة وهكذا ، ومعنى هيكل التوحيد أن يظهر لذلك النور المشرق من صبح الأزل صفة تفيد هذا التجريد الكامل بهيئتها كما تفيد الإشارة إلى الشيء الدلالة عليه ، والإشارة بالإقبال المجيء وبالإدبار المضي ، فافهم .

آثار النور المشرق

ولذلك النور المشرق آثار صدرت من صفاته التي هي هياكل التوحيد ، تظهر وتلوح على تلك الهياكل^(١) أي تظهر مشابهة لتلك الهياكل بمعنى أن صفاتها بل ذواتها تشابه صفات عللها المؤثرة ، فإن كلّ صفة تشابه صفة مؤثرة .

والإشارة إلى بيان ذلك لو رأيت صفة كلامك لدل عليك بهيئته التي هي من هيئتك كما تدل عليك صورتك في المرأة ، ولو برب لك عقل زيد أو علمه أو كلامه أو مشيه أو حركته أو حرارته أو رطوبته أو برودته أو يبوسته أو إشارته أو فكره أو خياله أو شيء مما ينسب إليه لعرفته أنه لزيد كما تعرف زيداً بصورته في المرأة ، بل ترى كلّ واحد مما ذكرنا لك من كلّ ما ينسب إليه رجلاً أنت تعرف أن اسمه زيد وأنه لزيد ، وإن كان ذلك لامرأة رأيتها امرأة تسمى باسمها وهي لها لا تنكر شيئاً من هذا لو رأيتها قطعت به ضرورة كما تقطع بنفسك أنك أنت فإذا عرفت الإشارة ظهر لك أن تلك الآثار التي هي آثار ذلك النور ظهرت على صورة صفات فعله التي هي هياكل التوحيد ، فقوله عليه السلام : (نور) خبر ، لمبتدأ محذوف تقريره^(٢) الحقيقة نور فكان ذلك النور هو الحقيقة .

(١) في نسخة : على الهياكل .

(٢) في نسخة : تقديره .

ثم إنه عليه السلام بين أن كلّ ما ينسب إليه من صفة ذات كالتوحيد أو صفة فعل كالهياكل أو آثار فعل كالآثار المذكورة غير ذاته ، بل هي من سماته ليعرف فناؤها في بقائه بل إنما هو ليس شيء غيره .

قال عبد الرزاق الكاشي بعد أن ذكر كلاماً على مذاقه ، لأن المتصوفة كلامهم لا يختلف تشابهت قلوبهم ، فإنهم عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض^(١) ، قال : (وعند ذلك غالب حال كميل ، فسكت وجذب الشوق عنان تمسكه ، فاستزاد البيان ، فقال عليه السلام : (أطفئ السراج فقد طلع الصبح) ، قال : أي دع البيان العلمي واترك الجدال العقلي) .

أقول : كلامه متدافع بنفي بعضه بعضاً ، لأن قوله : (غالب حال كميل فسكت وجذب الشوق عنان تمسكه) ، ينافي قوله في البيان :

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يُعرفنا الله تعالى يوم القيمة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يُؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لا يكتبون ، فلا سواء من اعتمد الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع) أصول الكافي : ١ / ٢٤٩ ح ٤ ، وختصر البصائر : ١٩٦ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٩ ، والبصائر : ٥١٧ ح ٨ .

(أي دع البيان العلمي ، الخ) ، لأن من غالب حاله حتى سكر لا جدال معه ولا بحث له ، بل إما أن يكون لم يعرف أصل المراد من الأجرة أو أنه عرف ولا يكون هذا خطابه وتوجيهه بأنه بين له حاله قبل السؤال أو على سبيل الترديد في المقال ، أو تعرضاً لغيره من الجھال بعيد لا ينال ، وإنما كان حاله في ذلك كله إنما طلب الجواب ليستدرك بالاستزادة ما فاته من فهم ما سبق ، إذ قد يحصل المطلوب بتلقيق المدرکات من كل جواب فيكمل له من أبعاضها كلّ يتم له به المطلوب ، أو يكون بالتكرار يتقطن في المراد .

بيان المراد من السراج

فقوله عليه السلام : (أطفئ السراج) المراد بالسراج النور العلمي والنور العقلي والنور البصري والسمعي والشمسي والذوقي واللمسي فإنها هي المدركة لسبحات الجلال فنبه السائل على معنى عجيب يحسن لاستزادة البيان ، وهو أن السبحات المعروفة لا تكشف ولا تمحي ولا يراد ذلك في ظهور الحقيقة ، وإنما المراد أن لا ينظر إليها ولا يحصل ذلك إلا بعدم استعمال الخيال والعقل والحواس الخمس التي هي سراج الإنسان في ظلمات الكثرات والتعددات المعبر عنه^(١) بالإطفاء ، فقال له ما معناه : إذا لم تنظر بخيالك وعلمهك اللذين لا يدركان إلا الصور المجردة

(١) في نسخة : عنها .

عن المواد العنصرية والمدد الزمانية ولا يدركك إلا المعاني ، ولا يبصرك الذي لا يدرك إلا الألوان والهئيات ، ولا يسمعك الذي لا يدرك إلا الأصوات ، ولا بشتمك الذي لا يدرك إلا الروائح ، ولا بذوقك الذي لا يدرك إلا الطعوم ، ولا بلاستك التي لا تدرك إلا الأجساد ، ولا سراج لك في هذه الظلمات إلا هذا^(١) القوى الظاهرة والباطنة ، فإذا لم تستعملها فيما خلقت له فقد أطفأتها ولا يسعك إطفاءها حتى تستغنى عنها بنور أقوى منها مثل طلوع الصبح ، فإنه يكشف جميع الظلمات بخلاف تلك السرج السبعة ، فإنها إنما تكشف بعض ظلمات ما توجهت إليه بنسبة قوة نورها .

إذا ظهر ذلك النور الأعظم المشبه بطلوع الصبح الذي هو من نور شمس الأزل بطلت فائدة السرج لعدم الانتفاع بها في كشف ما تستعمل لكتشه ، ولأن النور القوي إذا ظهر اقتضى إبطال الأنوار الضعيفة فحيث كان مقتضياً لإبطالها ولا انتفاع بها ، قال عليه السلام : (أطفيء السراج فقد طلع الصبح) وفي قوله عليه السلام : (فقد طلع الصبح) ، إشارة إلى سرّ مكتوم من أسرارهم عليهم السلام وضع الله عليه حجاباً مسيرة سبعين عاماً لو أذن ببيانه^(٢) لكتبه من أذن له ببيانه ، وحيث كان كلّ شيء

(١) في نسخة : هذه .

(٢) في نسخة : في بيانه .

مرهوناً بوقته تركنا ذكره ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ ﴾^(١) ، والحمد لله رب العالمين .

الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر

قال سلمه الله : (الثالثة : ما الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر ؟ وما الفرق بين إدراكاتها ومدركاتها ؟ وهل القلب والعقل بمعنى ؟ فكيف جعلتهما اثنين في رسالة شرح أحاديث الطينة ؟ وإن كانا متفاوتين فبینوا الفرق بينهما ؟ وهكذا هل المراد بالصدر والنفس واحد أم متعدد وعلى الثاني فما الفرق بينهما ؟ وما الفرق بين الصدر والعلم إذا أريد به النفس مع أن النفس ليست إلا الصورة النفسية المجردة عن المادة والمدة والعلم ليس إلا الصورة النفسية كذلك ؟ وما الفرق بين الخيال والصدر ؟ فإذا كانا واحداً فلِمَ جعلتهما في تلك الرسالة وغيرها اثنين ، وما الفرق بين المتخيلة والمتفكرة والحافظة المأمول من جانب الأستاذ لا يقهر اليتيم عن إمامه ولا ينهر السائل من بابه ؟

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَهَرَ ﴽ ١١ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا ثَنَرَ ﴽ ١٢ ﴿ وَأَمَّا بِنْعَمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ ﴽ ١٣ ﴾ .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣١ .

(٢) سورة الضحى ، الآيات : ٩ - ١١ .

بيان معنى القلب

أقول : القلب هو اللب وهو وسط الشيء ، فالقلب هو العقل وسمى قلباً لأنه يتقلب في معانٍ مدركاته ، أو لأنه الوسط ومنه قلب النخلة وهو السعة الوسطى من سعفها أو قبل انتشار خوشه وهو ورق النخل ، أو لأنه تقلب فيه المعانٍ أي تفرغ ، أو أنه قالب المعانٍ لانتباعها فيه وهو في إطلاقات الشارع عليه السلام يراد به العقل ، ويراد به مقر اليقين وخزانة العقل ، فهو بمنزلة الحافظة للخيال ، وفي المذهبة التي كتبها الرضا عليه السلام إلى المؤمنون عليه السلام : (فملك الجسد هو القلب ، والعمال هو العروق والأوصال والدماغ ، وبيت الملك هو قلبه وأرضه الجسد والأعوان يداه ورجلاه وعياته وشفتاه ولسانه وأذناته ، وخزانته معدته وبطنه ، وحجابه صدره)^(١) الخ .

والمراد بالقلب الذي هو الملك هو النفس الناطقة على ما قيل .

والمراد بالقلب الذي هو بيت ذلك القلب هو اللحم الصنوبرى الكائن في وسط الصدر ، والمعروف من كلام بعضهم أن القلب الذي هو اللب بمنزلة الملك بكسر اللام ، وهو متعلق باللحم

(١) بحار الأنوار : ٥٩ / ٣٠٩ ، شرح إحقاق الحق : ٢٨ / ٦٢٩ .

الصنوبري تعلق تدبير لأنه ليس من عالم الجسمانيات التي في الزمان وإنما هو من عالم الغيب .

ويؤيده ما روى كميل بن زياد عن علي عليه السلام ، قال عليه السلام : (والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفس الملكية ، ولها خواصيتها النزاهة والحكمة)^(١) .

(١) عن كميل بن زياد قال : سالت مولانا علينا أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين أريد أن تعرفي نفسى ، فقال : (يا كميل وأى النفس تريد أن أعرفك) فقلت : يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة ؟ ! فقال عليه السلام : (يا كميل إنما هي أربعة : النامية النباتية ، والحسنة الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلية الإلهية ، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتها . فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربيّة ، ولها خواصيتها : الزيادة ، والنقصان ، وابتعاثها من الكبد . والحسنة الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشم ، وذوق ، ولمس ، ولها خواصيتها : الرضا ، والغضب ، وابتعاثها من القلب ، والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ولها خواصيتها : النزاهة والحكمة . والكلية الإلهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعميم في شقاء ، وعز في ذل ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خواصيتها : الرضا والتسليم ، وهذه التي مبدئها من الله وإليه تعود ، وقال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَتَأَبَّلُهَا النَّفَشُ الْمُطْمَئِنَةُ ﴾ [٢٨] آرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَأْيِهِ مَهْبِهِ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] والعقل وسط الكل . بحار الأنوار : ٥٨ / ٨٥ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٣٨٦ كلمة بها يتبيّن أن للإنسان نفوساً عديدة وأن بعضها يختص بالخواص .

وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام قال عليه السلام :
 (قوة لاهوتية بده إيجادها عند الولادة الدنيوية ، مقرها العلوم
 الحقيقة الذهنية ، موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف
 الربانية) ^(١) الخ .

(١) روى عنه أن أعرابياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس .
 فقال عليه السلام : (عن أي النفس تسأل؟).

قال : يا مولاي هل النفس أنفس عديدة؟

قال عليه السلام : (نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حيوانية حسية ، ونفس ناطقة
 قدسية ، ونفس إلهية ملوكية) .
 قال : يا مولاي ما النباتية؟ .

قال عليه السلام : (قوة أصلها الطبائع الأربع ، بده إيجادها عند مسقط
 النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ،
 وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود
 مجازة لا عود مجاورة) .

قال : يا مولاي وما النفس الحيوانية؟

قال عليه السلام : (قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأخلاق ، بده
 إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة والظلم ، والغشم
 والغلبة ، واكتساب الأموال ، والشهوات الدنيوية ، مقرها القلب ، سبب
 فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود مجازة لا
 عود مجاورة ، فتندفع صورتها وبيطل فعلها وجودها ويضمحل تركيبها) .

قال : يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية؟

قال : (قوة لاهوتية ، بده إيجادها عند الولادة الدنيوية ، مقرها العلوم الحقيقة
 الدينية ، موادها التأييدات العقلية ، فعلها المعارف الربانية ، فراقها عند تحلل
 الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود مجازة لا عود
 مجازة) .

=
 قال : يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية؟

ويؤيد أنها تتعلق باللحم الصنوبرى الذى في الصدر : أنك إذا التفت إلى آنیتك أو أشرت إليك أو أشار إليك أحد إنما تشير أنت أو غيرك إلى صدرك .

وقيل : هو العقل ، ولهذا قال بعضهم : إن العقل في القلب الذي هو اللحم الصنوبرى في الصدر ، والذي يشهد به الوجدان أن العقل في الدماغ بمعنى أنه متعلق به تعلق التدبير أو تعلق الظهور .

والدليل على الأول من الوجدان : أنك إذا أشرت إلى المسمى بأنك أشرت إلى صدرك ، وإذا أشرت إلى تعقلك أشرت إلى رأسك ، لأن عين^(١) بصيرتك في رأسك ، وهذا قول الأكثرون وهو الأصح ، والقلب هو مدرك المعاني ومقر اليقين ، وقد يطلق على العقل في كثير من كلام أهل الشرع وكلام العلماء وبالعكس بمعنى الاتحاد .

قال : (قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات ، أصلها العقل ، منه بُدئَت ، وعنه وَعَت ، وإليه دلت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بُدئَت الموجودات ، وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة المتمهى ، وجنة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضل سعيه وغوى) .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟

قال عليه السلام : العقل جوهر دراك ، محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ٢ / ٤٦ ، والتتعليق على الفوائد الرضوية للقمي :

١١١ ، وشرح الأربعين للقمي : ٢٨٥ .

(١) في نسخة : عيني .

وقد يراد التعدد فيكون القلب بمنزلة المبصر والعقل بمنزلة البصر وقوة الإدراك ، وأخذ هذا وجداً ، فإن القلب معلوم أنه في اللحم الصنوبرى المسمى بالقلب وسمى به لتعلقه به ، وإذا أردت أن تدرك شيئاً وتعلقه فإنك تجد محل ذلك الدماغ ، فإن في الرأس عينين يتعلقاً بهما الأشياء ويبصر بهما المعانى من مصدر واحد هو في جهة الدماغ كمثل العينين المبصريتين للمحسوسات من مصدر واحد ، وسمى ذلك المصدر عقلاً لتعلقه المعانى فتعرف نافعها من ضارها فيعقل صاحبه عن الضار أي يحبسه ويحبس النفس عن هواها ، واللسان عن الكلام الذي لا نفع فيه ومنه عقلت البعير إذا ربيطت يده بالعقال وهو من الصوف أو الشعر أو الليف .

والتحقيق في الفرق بينهما : أن القلب عبارة عن العقل والروح والنفس والطبيعة ، فهو مركب في الحقيقة من هذه الأربع^(١) القوى التي هي قلب الإنسان ولبه والعقل أعلى الأربع وهو أعظم أركان القلب ووزير الملك ووليه على أعوانه العينين والأذنين والأنف واللسان والشفتين واليدين والرجلين ، فتعمل في صالح الملك على نظر الوزير وتدبيره هذا في الأصل ، وأما في الاستعمال والإطلاق فيطلق أحدهما على الآخر .

(١) في نسخة : الأربع .

معنى الصدر

وأما الصدر ، فالمراد صدر القلب وظاهره وهو منه بمنزلة الفلك المكوك من المحدد ، فإن المحدد فيه جميع ما في الكوكب من الأحكام والأسرار والمكوك ظاهره ، وإلى هذا الإشارة بقول الصادق عليه السلام في رواية حنان بن سدير ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال : (إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة على حدة ، فقوله : «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(١) يقول : رب الملك العظيم ، وقوله : «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى»^(٢) يقول : على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفوفة في الأشياء ، ثم العرش في الوصل منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشية وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والباء ، فهما في العلم ببابان مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلم الغيب

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٥ .

من علم الكرسي ، فمن ذلك قال : «**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» أي صفة أعظم من صفة الكرسي فهما في ذلك مقرران .

قال : جعلت فداك فلِمْ صار في الفضل جار الكرسي ؟

قال عليه السلام : (إنه صار جاره ، لأن علم الكيفوفة فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها وحد رتقها وفتقها فهذا نجاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف) ^(١) الحديث .

فالقلب هو الباطن والصدر هو الظاهر ، المراد أن القلب هو محل المعاني المجردة عن الصورة النفسانية والمثالية والمدة الزمانية والمادة العنصرية والصور النفسية هي ظاهر المعاني والمعاني باطنها ، والصدر الذي هو الظاهر عبارة عن الذهن الذي ينتقد فيه صور المعلومات ، وهو مراد النفس عندنا في إطلاق ، وهو الكتاب المسطور ، وهو اللوح المحفوظ في العالم الكبير .

بيان الوهم

والوهم ، محل الصور الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ، وقيل : محل الصور المدركة بالإحساس ، والأول هو المراد وبابه فلك المريخ وهو يستمد بواسطة الشمس من نفس الطبيعة الكلية طبيعة الكل .

(١) توحيد الصدوق : ٣٢١ ح ١ باب العرش وصفاته ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٣٠ ح ٥١ ، نور البراهين : ٢ / ٢٠٠ ح ١ .

بيان الخيال

والخيال ، محل الصور الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ، وبابه الزهرة وهو يستمد بواسطة الشمس من صفة طبيعة الكل وهمما من مصدر واحد ، إلا أن الوهم بارد الفؤاد ، مطمئن الباطن على كرسي من ذهب ، ظاهر الغضب ، لابس ثياب القهـر والخيال ، منظو على طرب وتزيـن ، لابس ثياب الذهب قاعد على كرسي من دم .

بيان الفكر

وأما الفكر ، فإنه يقلب الأشياء ويرتبها ويصنع منها آلات لمطالبه ويلتقط ما في الحس المشترك من صور المحسوسات ويضعها في خزانة الخيال ، كما يلتقط من المثل الغيبية العلوية صورها ويضعها في الهمة^(١) ، ويرتب الحاصلين من الجزئيات فيتولد منها الصور الكلية ويضعها في خزانة النفس الناطقة .

وأما الحكماء ، فقالوا : القوى الباطنة مدركة فقط أو مدركة ومتصرفة ، والمدركة مدركة للصور الجزئية أو المعاني الجزئية ، فالمدركة للصور الجزئية المحسوسة بالحواس الظاهرة تسمى الحس المشترك لاشتراكه في إدراكه بين الحواس الظاهرة وبين

(١) في نسخة : القيمة .

المتخيلة ، فهو واسطة بين النهرين ، ويسمى هذا الحس في اللغة اليونانية بـ *نطاسيا* وخزانته الخيال ، وهو الحافظة للصور الجزئية بعد زوالها وانفصالها عن الحس المشترك .

وأما المدركة للمعاني الجزئية القائمة بالمحسوسات ككون هذا الشخص صديقاً والأخر عدواً ، فهي الوهم وخزانته الحافظة وهي التي تحفظ المعاني الجزئية ، قالوا : وأما المدركة والمتصرفة فهي التي تتصرف في المدركات المخزونة في الخزانتين اللتين للحس المشترك والوهم بالتركيب والتخليل فتركب إنساناً له رأسان وبحراً من زيف وهي عند استعمال العقل تسمى مفكرة ، وعند استعمال الوهم تسمى متخيلة .

وقالوا : الحس المشترك هي القوة المرتبة في مقدم الدماغ ، وهو المنتبت الذي تنبت منه أعصاب الحواس الظاهرة تجتمع عندها مثل جميع المحسوسات الظاهرة فتدركها على سبيل المشاهدة ، فتكون الصور المأخوذة من خارج منطبعة فيها ما دامت النسبة بينها وبين المبصر أو المسموع أو غيرهما محفوظة أو قريبة العهد ، فإذا غاب المبصر أو غيره انمحى الصورة عنها ولم تثبت زماناً معتبراً ، ومهما كانت الصورة في الحس المشترك فهي محسوسة فقط ، فإذا انبطع فيها صورة كاذبة كما للممرورين أحسته ، فإذا انتقلت الصورة إلى الخيال تصير متخيلة لا محسوسة .

أقول : قولهم : محسوسة فقط ، فيه أنه لو كان محسوساً فقط لاحتاج إلى واسطة بينه وبين الخيال ، ولكنه بربخ بين المحسوس والتخيل ، فإن النقطة النازلة من العلو يدركها الحس المشترك خطأً مستقيماً والنقطة الدائرة بسرعة يراها خطأً مستديراً ، والبصر الحسي يرى الجسم في محله ، ولا يراه في المحل المنتقل عنه إلا بالتخيل فمدرك الدائرة من النقطة الدائرة والخط المستقيم من النقطة النازلة ، مركب من البصر والخيال وهو الحس المشترك أعلى تحت الخيال وأسفله فوق البصر ، فهو بربخ بينهما بحيث لا يكون بين أحد منهما وبينه فصل ينبغي أن يكون بربخاً .

والحس المشترك غير البصر وغير الخيال فيدرك ما يدركه البصر وما لا يدركه البصر ، لأن النقطة إذا دارت عند وصولها إلى مكان مقابل للبصر ترتسم فيه نقطة ثم تزول عنه بزوال المقابلة ، لأنها حين الاستدارة لا تحصل في آن يحيط به زمانان لا تحصل فيما ، فحافظ الارتسامات مع الانتقالات واختلاف المقابلات ليس هو البصر ، وليس الارتسامات تجتمع في البصر بمحض الزمان ، وإنما هو الحس المشترك وهو المركب من الحس والخيال ، وهذا هو معنى المشترك ، ولهذا قال بعض المؤاخرين : إن الحس المشترك من جملة المرايا التي للنفس تظهر فيه الأمور الغريبة العجيبة .

الخيال عند الحكماء

والخيال ، قالوا : ويسمى بالمصورة وهي مرتبة في آخر التجويف الأول يجتمع عنده مثل جميع المحسوسات بعد غيابتها عن الحواس ، وعن الحس المشترك ، فتدركها وهي خزانة الحس المشترك ، يؤدي إليه على سبيل الاستخزان وقد يخزن ما ليس مأخوذاً عن الحس المشترك بل عن المفكرة ، كما إذا تصرفت في الصورة التي فيها بالتحليل والتركيب فركبت صورة منها أو فصلتها واستحفظتها في هذه الخزانة .

الوهم عند الحكماء

والوهم ، قالوا : وهو القوة التي يدرك بها الحيوان المعاني الجزئية الموجودة غير المحسوسة بالحواس الظاهرة التي لم يتأنّ إليها من الحواس كإدراك الشاة معنى في الذئب موجباً للهرب ، وهي العداوة ، وإدراك زيد معنى في عمرو موجب للطلب وهو المحبة والصداقة والموافقة وأمثالها من المعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات ، وإذا لم تكن للحواس الظاهرة ولا للحس المشترك والخيال قوة إدراها فلا بد من إثبات قوة أخرى غيرها تدركها وهي القوة الوهمية ، وأيضاً تكون المعاني المدركة بها لم تتأد إليها من الحواس الظاهرة دليلاً على مغايرتها للحس المشترك والخيال ، وككون القوة الوهمية موجودة في الحيوانات العجم يدل

على مغايرتها للنفس الناطقة ، وأيضاً فإنها قد تخوف من شيء لا تخوف منه النفس الناطقة كالبيات عند الموتى ، فإن النفس الناطقة تؤمنه من ذلك الخوف وتعلم بالضرورة أن الذي يؤمن غير الذي يخوّف .

المتخيلة عند الحكماء

والتخيلة ، وتسمى المتصرفة ، وهي قوة من شأنها التركيب والتفصيل ، فتركب الصور مع المعاني التي في الخيال والحافظة بعضها مع بعض ، فتجمع بين المخلفات المتباعدة وتفرق بين المتباعدات المجتمعة ، وتمثل أموراً لا توجد في الخارج ومثال تركيبها الصور الخيالية بعضها مع بعض ، أنها تدرك إنساناً له ألف رأس أو له جناحان يطير بهما وجبلأً من ياقوت وبحرأً من زيق ، وأمثال ذلك من مثال تركيبها الصور الخيالية بالمعاني الوهمية كحكمها بأن هذا الشخص صديق والآخر عدو .

أقول : الوهم والخيال والصدر والنفس يراد منها في الجملة معنى واحد وهو الصور المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية وإن كانت مراتبها من حيث المصادر مختلفة ، فالصدر من المشتري والنفس من المكوك والخيال من الزهرة والوهم من المريخ ، وقد يقال : الصدر من المكوك فهو النفس .

وأما التوهم والتخيل فهو فعل الوهم والخيال من الإدراك

والانطباع والفكر يحصل لها من المعانى والصور نقوشها النسبة الكلية .

الحافظة عند الحكماء

وأما الحافظة ، فقالوا : وتسمى الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف الآخر من الدماغ من شأنها أن تحفظ أحكام الوهم كما كان الخيال خزانة الحس المشترك ، وهذه القوة الحافظة سريعة الطاعة للقوة الناطقة في التذكير ، ويتأتى للرواية بسببها أن تستخرج عن أمور معهودة أمور^(١) منسية كانت مصاحبة لها ، فهذه القوة بعينها هل هي المتذكرة المسترجعة لما غاب عن الحفظ أو غيرها ؟

بيان عدد قوى النفس

أقول : القوى خمس ، وإن جعلت الحافظة معايرة للمتذكرة كانت ستًا كما قال بعضهم ، معللاً أن الحافظة إمساك والمتذكرة استرجاع ، فهي غيرها .

وقال في الشفا : (إنهما واحدة إلا أنهما تسميان حافظة ومتذكرة باعتبار ، الخ) .

والذي يقوى في نفسي أن القوى خمس ، وأن الحافظة غير الذاكرة لأن الذاكرة تحصل ما فات من الحافظة وتخزنه وتقيده في

(١) في نسخة : أموراً .

الحافظة ، فإذا أردت بيان هذا فانظر ما في الحافظة من أين أتتها فإنك تجده من المتشوهة والمتخيلة وهذه هي المتذكرة ، إلا أنك سميتها باسم فعلها ، فإن المتخيلة مثلاً إذا استحدثت شيئاً تسمى متخيلة لتخيلها ذلك بمعونة الفكر ، فإذا خزنته في الحافظة ونسيته الحافظة ؛ طلبته المتخيلة واستعانت بالتفكير فإذا وجدته وضعته في الحافظة وسميت متذكرة لتحصيلها الشيء المنسى ، وهذا المعنى هو مراد الشيخ في الشفا ، فالقوى خمس لا ست ، لأن الدماغ له ثلاثة بطون فمقدم الدماغ في خارجه الحس المشترك وداخله الخيال ، وهما عندهم للتصور الجزئي ، ومؤخر الدماغ في آخره الحافظة وقبله الوهم ، وهما عندهم للتصديق الجزئي ووسط الدماغ للإدراك والتصرف ، وهي المتصرفة والمتخيلة .

وعلى رأي الإشراقيين^(١) والمتألهين هـ : يـ قـوـةـ وـاحـدـةـ تـسـمـيـ بـالـأـسـمـاءـ الـمـخـتـلـفـةـ باـعـتـبـارـ اـخـتـلـافـ الـأـفـعـالـ فـيـ الـآـلـاتـ .

أقول : الحق أن القوى الظاهرة أيضاً كذلك من حيث الإدراك والتمييز ، وإنما سُميت بالأسماء المختلفة من مبصرة وسامعة ولا مسة وشامة وذائقه باعتبار أفعال ، فتسمى كلّ قوة باسم محل من آلاتها التي تعالج بها المحسوسات وبها تسمى القوى الظاهرة ، كما أن القوة الباطنة تسمى بكلّ اسم من أسماء آلاتها التي تعالج بها الغائبات ، وبها تسمى القوة الباطنة .

(١) في نسخة : أهل الإشراق .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن لنا في بعض الأحوال إطلاقات
لبعض هذه الأمور غير ما يريد منها الحكماء المشاؤون
والإشرافيون ، تفصيل ذلك وضبط علاماته لا يسعها الوقت ، إلا
أنها تعلم من سياق كلامنا فتدبره والسلام خير ختام .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في الليلة الثالثة
عشرة من شهر ربيع المولود صلى الله عليه وآلـه حامداً مصلياً
مستغفراً .

٣ - رسالة

في جواب الملا كاظم
بن علي نقى السمناني

رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدين الأحسائي : إنه قد كتب إلى بعض العارفين الطالبين للحق واليقين ثـلـاث مـسـائـل يـرـيد منـي جـوابـها ، وـأـنـا فـي ما يـعـلـم اللـه مـنـي فـي اـشـتـغال وـمـلـال وـكـمـال كـلـال ، وـلـكـن لا يـمـكـنـي رـدـه لـأـنـه مـنـ أـهـل الـاسـتـحقـاق لـلـجـواب ، فـجـعـلـت سـؤـالـه مـتـنـاً وـجـوابـي شـرـحاً ليـتـبـيـنـ له الـصـوـاب .

بيان الاسم المؤثر في خلق الله وإيجاده

قال أـيـدـه اللـه تـعـالـى : (بـسـم اللـه الرـحـمـن الرـحـيم ، الـحـمـد للـه ربـ الـعـالـمـين ، وـصـلـى اللـه عـلـى مـحـمـد وـآلـه الطـاهـرـين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين كاظم بن علي نقى السمنانى سـائـلـاً مـنـ الأـسـتـاذـ المـحـقـقـ المـدقـقـ إـلـى آخر وـصـفـه قال : الأولى أن بـإـزـاء كـلـ خـلـقـ منـ الـمـخـلـوقـاتـ اللـه تـعـالـى اـسـمـاً

خاصاً به هو المؤثر في خلقه وإيجاده أم لا؟ وعلى الأول فيلزم أن تكون أسماؤه تعالى التي لها مدخل في خلق الأشياء زائدة على ثمانية وعشرين اسمأً، مع أن عبدكم المسكين سمع من جنابكم مراراً ورأى في بعض رسائلكم أنها ثمانية وعشرون اسمأً لا تزيد ولا تنقص، وذلك لأن أول الصادر والحوادث بعد المشيّة والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء هو العقل الأول الذي هو العقل الكلي وبتبعيته العقول ثم الروح الكلية وبتبعيتها الأرواح، ثم النفس الكلية وبتبعيتها النفوس، ثم الطبيعة الكلية وبتبعيتها الطبائع، ثم المادة الكلية وبتبعيتها المواد الآخر، ثم المثال الكلي وما تحته من المثالات الجزئية والأفلاك التسعة من العرش المعبر عنه بالأطلس أحياناً إلى السماء الدنيا ثم النار ثم الهواء ثم الماء ثم الأرضون السبع ثم الملك ثم الصخرة ثم الحوت ثم البحر ثم جهنم ثم الطمطم ثم الشري ولا يعلم ما تحت الشري إلا الله، وهذه اثنان وثلاثون خلقاً، وإذا انضم إليها الأفعال الخمسة أعني المشيّة والإرادة والتقدير والقضاء والإمضاء تصير سبعاً وثلاثين مخلوقاً.

بيان الثمانية والعشرين حرفأً من الحروف الكونية

أقول : اعلم أن الوجود المقيد من العقل الأول إلى الشري بجميع مراتبه وأفراده ومعرضها وأعراضها وارتباطاتها من جميع

الأشياء لا يكون شيء إلا باسم من أسماء الله ، وتفصيل ذلك لا يدخل تحت علمنا ، وإن كنا نعلم مما علمنا الله سبحانه ببعض مجملاتها ، وإنما ذكرنا الثمانية والعشرين اسمًا ، لأن العارفين يقسمون مراتب الحق على قسمين :

قساً مراتب الحق

دائرة العقل ودائرة الجهل ، ومراتب دائرة العقل ثمانية وعشرون حرفاً يسمونها الحروف الكونية ، ومراتب دائرة الجهل كذلك ثمانية وعشرون حرفاً يعكس دائرة العقل ، فأماماً دائرة العقل فأول مراتبها العقل وهو بإزاء البديع ، والنفس بإزاء الباущ ، والطبيعة الباطن ، والمادة الآخر ، والمثال الظاهر ، وجسم الكل الحكيم ، والعرش المحيط ، والكرسي الشكور ، وفلك البروج غنى الدهر ، وفلك المنازل المقتدر ، وفلك زحل الرب ، وفلك المشتري العليم ، وفلك المريخ القاهر ، وفلك الشمس النور ، وفلك الزهرة المصور ، وفلك عطارد المحصي ، وفلك القمر المبين ، وكرة الأثيرية القابض ، وكرة الهواء الحي ، وكرة الماء المحيي ، وكرة التراب المميت ، ومرتبة الجمامد العزيز ، ومرتبة النبات الرزاق ، ومرتبة الحيوان المذل ، ومرتبة الملك القوي ، ومرتبة الجن اللطيف ، ومرتبة الإنسان الجامع ، ومرتبة الجامع عليه السلام رفيع الدرجات .

فهذه ثمانية وعشرون حرفاً من الحروف الكونية على ترتيب الحروف الأبجدية تبتدى من العقل الأول بالألف والنفس بالباء وهكذا إلى آخر الحروف .

وإنما ذكرتُ الثمانية والعشرين اسمًا لأنها هي التي بإزاء هذه المراتب الثمانية والعشرين المسمّاة بالحروف الكونية وهي كليات الوجود ومراتب تنزّلات العقل ، ولو أريد جزئيات كل مرتبة من هذه الثمانية والعشرين لكان يقال لكل جزئيٌّ من مرتبة كلية : اسمٌ من أسماء الله سبحانه يختص به ويكون غيره به والذي هو بإزاء تلك المرتبة الكلية كما أن ذلك الجزئي رأسٌ من رؤوس تلك المرتبة وبيانه العقل بإزاء الاسم البديع ، وكل جزئي من جميع عقول الخلق كلهم فهو رأس من رؤوس العقل الكلي ولذلك الاسم رؤوسٌ بعده جزئيات ذلك العقل ، فكل جزئي من رؤوس العقل بإزاء اسمٍ جزئيٍّ من رؤوس الاسم البديع .

وعلى هذا قياس سائر الحروف الكونية بالنسبة إلى جزئياتها إلى نسبته إلى جزئيات تلك الأسماء ، وما ذكرت في العدد من الأرضين السبع والملك والصخرة والثور إلى آخر ، فليس من دائرة العقل ، وإنما هو من دائرة الجهل ، فلا يدخل في عدد دائرة العقل ليكون زائداً وكذلك المراتب الخمس للفعل لأنها هي مبادئ الأسماء المذكورة وغيرها فلا تكون بإزائها .

قال سلمه الله تعالى : (وعلى الثاني فهل البرزخ بين كلّ [شيئين]^(١) ليس بإزائه اسم خاصّ به بل يطلق عليه اسم أحدهما تارة واسم الآخر أخرى ، فتكون لذلك ثمانية وعشرين اسمًا أو يكون بإزائه اسم كذلك تكون زائدة عليها) .

في أن لكلّ برزخ اسمًا خاصًّا

أقول : إن لكلّ برزخ اسمًا خاصًّا به بربخين غير اسمي الشيئين ويكون ذلك مركبًا من اسمي الشيئين ، مثلاً قالوا : النخل برزخ بين النبات الذي هو بإزاء الاسم الرزاق وبين الحيوان الذي هو بإزاء الاسم المذلّ ، فيجب أن يكون بإزاء اسم مركب من الاسم الرزاق والاسم المذلّ ، فالنخل بإزاء اسم غير اسم النبات وغير اسم الحيوان ، وذلك من حيث كون النخل نباتاً له صفات الحيوان من الأنس والوحشة والخوف والعشق وغير ذلك .

قال سلمه الله تعالى : (وعلى التقاضير كلها فأسائل من جنابكم أن تمنوا عليّ ببيان الثمانية والعشرين بأسمائها الخاصة المخصوصة مع ما هي بإزائه أنها ما هي ، وذلك بأن تبيّنوا بالشفقة والعطف عليّ على أن اسم الله البديع بإزاء العقل الأول مثلاً وما تحته ، وهكذا وإن المشيّة والإبداع هل هو المنشيء

(١) في الأصل : لشيئين .

والابداع أم غيرهما ؟ وأن أسماء الإرادة والقدر والقضاء والإمضاء هل هي ما اشتقت منها من المريد والمقدّر والقاضي والممضي أم غيرها ؟) .

أقول : أمّا بيان الثمانية والعشرين وأسمائها الخاصة وكذلك بيان اسم الله البديع بإذاء العقل ، الخ ، فقد تقدم ذكره .

في بيان المشيّة والإبداع وأنهما فعل الله

وأمّا أن المشيّة والإبداع هل هما المنشئان ، فاعلم أن المشيّة والإبداع هو فعل الله ومحله الحقيقة المحمدية فهو بمنزلة الفعل والحقيقة المحمدية بمنزلة الانفعال ، والمراد بالفعل جهة العلية وبالانفعال جهة المعلولة لا التعدد لأنّه في غاية البساطة الإمكانية لراجحية بيان وجوده ، وإلى ذلك الإشارة بقولهم الحق عليهم السلام : (نحن محال مishiّة الله) ^(١) .

والمشيّة الذي هو الإبداع هو المنشيء لأنّه عبد الله مطيع لم يخلق الله عبداً أطوع منه الله ولا أقرب إليه منه ، فكلّ شيء مما سوى الله فإنّما هو شيء بالمشيّة وسمّي الشيء شيئاً لأنّه مشاء هذا بحسب الظاهر ، وأمّا بحسب الحقيقة فالله سبحانه هو المنشيء

(١) عن أبي محمد عليه السلام قال : (كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله فإذا شاء شيئاً) بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٧ باب نفي الغلوخ ١٦ .
وفي لفظ : (إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده) مشارق أنوار اليقين : ١٨١ .

ينشىء بالمشيّة ما شاء وهو المبدع يبدع بالإبداع ما شاء وأراد ، وذلك لأن المشيّة من حيث إنه منشىء عبارة عنما اشتقت منه فهو المنشىء وكذلك باقي الأفعال ، والمنشىء هو الصفة وما تقوم به وهو وجه الفاعل بالفعل لا بذاته ، لأن الفعل لا يتقوم بذات الفاعل من حيث ذاته ، وإنما يتقوم به من حيث فاعليته وذلك هو وجه الفعل من الفاعل بالفعل وهو الذي يعبر عنه بنفس الفعل ، كما أشار إليه صلى الله عليه وآلـه بقوله : (خلق الله المشيّة بنفسها)^(١) وهذا هو معنى قولنا : إن الله هو ينشىء بالمشيّة ، وكذلك الإرادة والقدر وغيرهما من أفعاله تعالى .

في معراج النبي صلى الله عليه وآلـه

قال سلمه الله تعالى : (المسألة الثانية - أن المعراج لنبينا محمد صلى الله عليه وآلـه الذي نقرؤه الآن عندكم ونتكلّم فيه ، هل كان في كلّ شيء بحسبه وما يناسبه بأن يكون سيره وعروجه في الأجسام بجسمه الشريف وفي المثال بمثاله وفي المادة بما داته ، وفي الطبيعة بطبيعته ، وفي النفوس بنفسه ، وفي الأرواح

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيّة) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ . وفي رواية : (خلق الله المشيّة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيّة) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيّة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

بروحي ، وفي العقول بعقله ، وفي مرتبة ﴿أَوْ أَدْنَى﴾^(١) بالمشية التي هي الحقيقة المحمدية في اصطلاح حكم ، أم كان عروجه وسيره في كلّ المراتب المذكورة بالجسم الشريف على مشرفه آلف تحية وثناء؟).

في بيان أن المراجج بجسد النبي صلى الله عليه وآله

أقول : أعلم أن نبينا صلى الله عليه وآله عرج بجسمه إلى ما شاء الله فلم يبق ذرة في الوجود المقيد إلا أوقفه الله عليه بجسمه ومثاله ونفسه وعقله وغير ذلك ، فمرّ في عروجه إلى مقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ على جميع ما في الدنيا والرجعة والبرزخ والآخرة ، وقد أشار إلى ذلك بقوله صلى الله عليه وآله في حق البراق عند عروجه عليها قال : (ولو أذن الله لها لجالت الدنيا والآخرة في جريدة واحدة)^(٢) ، فأشار لأهل الإشارة أنها جالت الدنيا في جريدة والآخرة في جريدة أخرى ، وذلك لأنّه لما عرج من البشرية بالجسد البشري لم يحسن منها أن يكون سيرها به في الدنيا على

(١) سورة النجم ، الآية : ٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٣٥ باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة ح ٤٩ ، وبحار الأنوار : ١٨ / ٣١٦ ح ٢٩ ، وتفسير الأصفى : ١ / ٦٧٠ .

ولفظه في العيون : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إن الله سخر لي البراق وهي دابة من دواب الجنة ليست بالقصير ولا بالطويل ، فلو أن الله تعالى أذن لها لجالت الدنيا والآخرة في جريدة واحدة وهي أحسن الدواب لوناً).

نحو سيرها به في الآخرة ، بل بنحو آخر وهو معنى أن الدنيا في جريدة والآخرة في جريدة .

وبالجملة ، فقد طوى في عروجه المكان والزمان والدهر وجميع ما فيها ولما تجاوز ذلك وقف على كل ذرة من الوجود من الأجسام والمكان والزمان وال مجردات والدهر عند صدورها من الفعل إلى الوجود ، وفي ذلك الحال أشهده الله خلق مخلوقاته وأنهى إليه علمهم وإليه الإشارة بمفهوم قوله تعالى : ﴿مَا أَشَهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَخَذِّدًا مُّضِيلًا عَصْبَدًا﴾^(١) ، فأشار بمفهومه إلى أنه سبحانه اتخذ الهدىين أعضاداً وأشهدهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم حتى تجاوز قاب قوسين فكان الجسم الشريف بينه وبين مقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾^(٢) في اضطراب حتى كاد يفني ، وإنما وصل إلى ذلك بجسمه الشريف ، لأن مرتبة جسمه من أعلى عليين وهو أعلى من قلوب شيعتهم بسبعين مرتبة فافهم .

الفرق بين عالم المثال والأشباح وعالم النفوس

قال سلمه الله تعالى : (الثالثة - إن عالم المثال والأشباح وعالم النفوس ، هل هما شيئاً متغيراً أم شيء واحد يعبر عن كل منها بالآخر ؟ ، والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً) .

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٩ .

اعلم أنَّ عالم النقوس هي صور الذوات وهو صور الوجود وأصلها مركب من الهيولي الأولى والمادة النورانية ومن الصور التكليفية في الخلق الثاني وهي صورٌ نوعية خلقت الطيبة من علينا والخبيثة من سجين ، فهذه الصور صور ذاتية للموجود ، بمعنى أن زيداً له وجود ثان قد ترکب من وجود وماهية وذلك الوجود هو مادته ووجوده الثاني وله صورة وهي صورة التكليف في الذر المعيَّر عنها بالطينة ، وهذه المادة والصورة لزيد كالمرأة للصورة فزيد هو الشبح المنتقم في مرآة هذه المادة والصورة من تجلّى الوجه الخاص به من فعل الله ، فقولنا : أنها صور ذاتية له أنَّ الشبح الذي هو ذاته يلوح في كونه على حسب قابلياتها من النور والظلمة والكبير والصغر والاستقامة والاعوجاج واللطافة والغلف والقرب من المبدأ والبعد ، وغير ذلك .

وأما عالم المثال والأشباح فهو على هذا النحو إلَّا أنَّ تلك الصور تقومت بالنور تحت اللوح المحفوظ وسقيت بماء العلم ، وهذه تقومت بالأجسام فوق محدّد الجهات ، وسقيت بماء الحسن المشترك فهي غيرها ؛ لأنَّ صور النقوس في العبارة الظاهرة صور علمية وهذه صور جسمانية فافهم ، والحمد لله رب العالمين .

٤ - رسالة في جواب

الملّا كاظم بن علي نقى السمنانى

عن مسأليتين :

رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدين الأحسائي : إنـالـعالـم الصـفـي العـارـف المـتقـن الـولـد الـأـعـزـ المـكـرـمـ الآخـونـدـ المـلاـ كـاظـمـ بـنـ عـلـيـ نقـىـ السـمـنـانـىـ ،ـ أـورـدـ عـلـيـ مـسـأـلـتـيـنـ يـرـيدـ مـنـيـ كـشـفـ الغـطـاءـ عـنـهـاـ فـيـ حـالـ كـانـ الـبـالـ فـيـهـاـ مـتـشـتـتـاـ بـتـفـرـقـ الـحـوـاسـ وـغـلـبـةـ الـضـعـفـ فـيـ الـبـدـنـ بـالـأـمـرـاـضـ ،ـ وـلـمـ يـمـكـنـيـ بـيـانـهـمـاـ عـلـىـ مـاـ يـرـيدـ وـلـكـنـ الـمـيـسـرـ لـاـ يـسـقـطـ بـالـمـعـسـورـ وـإـلـىـ اللـهـ تـرـجـعـ الـأـمـورـ .

قال سـلـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ :ـ (ـبـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ،ـ الـحـمـدـ اللـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ وـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـاهـرـيـنـ ،ـ وـلـعـنـةـ اللـهـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ أـجـمـعـيـنـ .ـ

وبـعـدـ ،ـ فيـقـولـ أـحـقـ عـبـادـ اللـهـ وـأـدـنـاهـمـ رـتـبةـ عـلـمـاًـ وـعـمـلـاًـ الـمـرـتـهـنـ بـمـوـبـقـاتـ آـثـامـهـ عـنـدـ رـبـهـ الشـرـيفـ الرـضـوـيـ كـاظـمـ بـنـ عـلـيـ نقـىـ السـمـنـانـىـ الـذـيـ مـنـ اللـهـ عـلـيـهـ بـدـرـكـ لـقـاءـ صـحـبـةـ شـيـخـ الـمـشـاـيخـ الـذـيـ

طاش في قطب معارفه الربانية أولو الأفئدة الألباب وتحير في عين تعينه ومعتقداته الجبروتية النبوية أرباب القلوب ، وتروع في نقطة علم يقينه وعلومه الملكوتية العلوية أصحاب العلوم الشيخ الأستاذ الأب الروحاني والعالم الرباني أن المرجو من فضل كرمه وعميم نواله أن يكشف الغطاء عن مسألتين على ما ينبغي :

الأولى : ما معنى تأويلات الفقرات الأربع في حديث القدر المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام من حقيقة الربانية وقدرة الصمدانية وعظمة النورانية وعزّة الوحدانية في قوله عليه السلام : (لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ، ولا بقدرة الصمدانية ، ولا بعظمة النورانية ، ولا بعزّة الوحدانية ؟) ^(١) الحديث .

(١) عن الأصيغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر : (ألا إن القدر سرّ من سرّ الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله ، مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم ، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزّة الوحدانية ، لأنه بحر زاخر خالص لله تعالى ، عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغارب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيتان ، يعلو مرة ويسلف أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الله الواحد الفرد ، فمن تطلع إليها فقد ضاد الله عزّ وجلّ في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسره وباء بغضب من الله و Mayer جهنم وبئس المصير) .

التوحيد : ٣٨٣ ح ٣٢ باب (٦٠) القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال ، وبحار الأنوار : ٥ / ٩٧ ح ٢٣ .

وهل المراد بالأولى الفؤاد منهم وبالثانية عقلهم وبالثالثة روحهم أو نفسمهم ، وبعبارة أو صدرهم ، وبالرابعة نفسهم أو المشعر الملكي أو العكس ، بأن يراد من الرابعة الفؤاد ، الخ ، من باب الشرقي من الأدنى إلى الأعلى ، أو المراد من الفقرات الأربع الأنوار الأربع منهم أو غير ذلك كله ، وعلى كلّ تقدير ما المناسبة بين كلّ عبارة من الفقرات الأربع وما يعبر بها عنه ؟

في بيان الحقيقة الربانية والقدرة الصمدية

أقول : أما معنى هذه الفقرات الأربع والله سبحانه وتعالى ثم رسوله وأله صلى الله عليه وآله أعلم فاعلم أن المراد من حقيقة الربانية ظهور الرب سبحانه بما أوجد ، وربي من مصنوعاته بتربية وإتقان صنعه لما خلق .

وأن المراد بقدرة الصمدانية اقتداره على صنع ما صنع من غير أن يكون ذلك من شيء ولا بشيء بدون أن يخرج منه شيء ، أو ينسب إليه شيء ، أو يقترن به شيء ، ولا كيف لذلك .

وأن المراد بعظمة النورانية عظمة تجلّيه بإيجاد ما أثبت ومحا من غير أن يكون على نحو الإشراق والظل والنسب والاقتران .

وأن المراد بعزة الوحدانية أن الظهور والإيجاد والتجلّي يقتضي الكثرة والتعدد والاقتران ، وهو سبحانه ظهر بهذه الصفات من غير أن يكون تعدد ولا كثرة ولا اقتران ، بل بكونه متواحداً

منزهاً عن مطلق الكثرة والتعدد لا في الحقيقة ولا بما يلزم ، فلم يفارق التقى والوحدة بما أظهر وأحدث .

ويصير معنى الفقرة الأولى : أنهم لا ينالونه أي لا ينالون ظهوره بإدراك تربيته لما صنع ، ومعنى الثانية أنهم لا يدركون اقتداره على إيجاد ما أوجد من غير أن يلحقه تغيير ولا اختلاف لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ، ومعنى الثالثة أنهم لا يدركون عظمة إيجاده لما صنع من غير أن يكون كإشراق المنير وكتقوم الأنظمة بالشوامخ وما أشبه ذلك ، ومعنى الرابعة أنهم لا يدركون تجليه بإيجاد ما أراد إيجاده من غير اقتران ولا انتساب .

ولهذا ترى كثيراً من يتعقب في هذه الأمور من غير هداية من الله عَبَرَ عن ذلك بالظل والشبح ، لأنَّ هذا هو الذي يتعقله عقله فوق في الضلال من حيث لا يشعر .

ومراده عليه السلام والله ثم رسوله وهم عليهم السلام أعلم : أن من ادعى الاطلاع على مصدر الأفاعيل الإلهية من المحو والإثبات فقد ادعى أنه أدركه على نحو الفقرات الأربع ، ويلزم منه أنه مدع لمعرفة تلك الصفات المذكورة ، ويلزم منه أنه متقدم عليها غير صادر عن شيء منها ، لأن من أدرك شيئاً فهو أعلم منه .

ويصدق عليه قوله عليه السلام في أمر الحديث : (في قعره شمس مضيء لا ينبغي أن يطلع عليها^(١)) إلا الواحد الفرد ، فمن

(١) في الاعتقادات والتوحيد : (إليها) .

تطلع عليها^(١) فقد ضاد الله في حكمه ونمازعه في سلطانه ، وكشف عن سرّه وستره ، وباء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير)^(٢) .

والمراد أنه لا يعرف القدر بحقيقة كنهه الذي عبر عنه بهذه الفقرات الأربع ، وليس المراد من الفقرات الأربع في الحديث هذه المشاعر للإنسان التي هي الفؤاد والعقل والروح والنفس ؛ نعم لو عرف حقيقة الإنسان وأفاسيله ومشاعره وقرأ ما كتب الله فيها من الآيات عرف المراد ، والله أعلم بالسداد .

تفسير المراد من البيوت في القرآن

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : (الثانية : ما مرادكم في الاستشهاد بتأويل قوله تعالى : «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ يُوتَكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَّنَا وَمَتَّعَاهُ إِلَى حِينٍ»^(٣) في أكثر الموارد ؟) .

أقول : المخاطبون بهذه الآية في التأويل آل محمد صلى الله

(١) في نسخة أخرى : (على ذلك) .

(٢) توحيد الصدوق : ٣٨٣ ح ٣٢ ، ومحضر البصائر : ١٣٦ ، والاعتقادات للصدوق : ٣٥ ، وتقدم نص الحديث قريباً .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٨٠ .

عليه وآلـه ، والبيوت محـال أفـكارـهم وأنـظـارـهم من الأـجـسـام والـنـفـوسـ وما بـيـنـهـما مـنـ التـعـلـقـاتـ والنـسـبـ والـبـرـازـخـ لـاستـنبـاطـ أـحـكـامـهـاـ ، وجـلـودـ الـأـنـعـامـ ظـواـهـرـهاـ وـالـأـنـعـامـ رـعـيـتـهـمـ منـ المـجـاهـدـينـ بـيـنـ أـنـفـسـهـمـ وـهـمـ الـحـامـلـونـ أـثـقـالـهـمـ إـلـىـ بـلـدـ لـمـ يـكـوـنـواـ بـالـغـيـهـ إـلـاـ بـشـقـ الـأـنـفـسـ ، لـأـنـ الرـعـيـةـ يـفـدـونـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ وـمـنـ الـعـامـلـيـنـ بـهـدـيـهـمـ الـمـتـبـعـيـنـ لـهـمـ فـيـ أـعـمـالـهـمـ وـالـأـوـلـوـنـ هـمـ الـحـمـوـلـةـ وـالـآـخـرـوـنـ هـمـ الـفـرـشـ وـالـأـصـوـافـ وـالـأـشـعـارـ مـنـ الـآـخـرـيـنـ الـذـيـنـ هـمـ غـنـمـهـمـ وـالـأـوـبـارـ مـنـ الـأـوـلـيـنـ الـذـيـنـ هـمـ إـبـلـهـمـ ، وـالـأـصـوـافـ وـالـأـوـبـارـ وـالـأـشـعـارـ أـفـعـالـهـمـ التـيـ يـعـمـلـونـهـاـ بـأـمـرـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ تـقـرـيـباـ إـلـىـ اللـهـ ، فـإـنـهـاـ لـسـادـاتـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـالـسـادـاتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ عـلـيـهـمـ تـعـوـيـضـهـمـ عـنـ أـعـمـالـهـمـ الصـالـحةـ ، فـإـذـاـ اـسـتـشـهـدـنـاـ بـالـآـيـةـ عـلـىـ مـطـلـبـ نـرـيدـ بـهـ بـهـاءـ^(١)ـ فـيـ التـأـوـيلـ مـعـنـىـ مـاـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ عـلـىـ جـهـةـ الـاقـتصـارـ وـالـحـمـدـ اللـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ .

وكتب أحمد بن زين الدين

في سنة ثلاث وثلاثين بعد المئتين وألف من الهجرة
النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكي السلام .

ويقول كاتب الرسالة الشريفة الرضوي كاظم بن علي
نقـيـ السـمـنـانـيـ : قد فـرـغـتـ مـنـ اـسـتـنـسـاخـهـاـ فـيـ يـوـمـ الـخـمـيسـ فـيـ

(١) كـذاـ بلاـ نقطـةـ .

الثاني والعشرين من الربيع الثاني من السنة المشار إليها حامداً
شاكرأً مصلياً .

والمرجو من الناظر المنتفع بها الاستغفار لي ولوالدي فضلاً
وكرماً منه من غير استحقاق مني لذلك ، فإني لا شيء واللا شيء
لا يستحق الشيء .

٥ - رسالة في جواب السيد
محمد ابن السيد أبي الفتاح

رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدين الأحسائي : إنـ جـنـابـ سـيـدـنـا^(١) الأـجـلـ ذوـ الفـهـمـ الـلامـعـ وـالـعـلـمـ الـوـاسـعـ السـيـدـ المـمـجـدـ السـيـدـ مـحـمـدـ أـرـسـلـ إـلـيـ بهـذـهـ المسـائـلـ يـرـيدـ الجـوابـ عـمـاـ يـرـدـ منـ الإـشـكـالـ فـيـهاـ لـدـىـ ذـوـيـ الـأـلـبـابـ ،ـ وـلـمـ كـانـ منـ أـهـلـ الذـوقـ الـمـسـتـقـيمـ وـالـطـبـعـ السـلـيمـ^(٢) ،ـ اـكـتـفـيـتـ بـالـإـشـارـةـ وـالـاختـصارـ .

تعدد معنى الإرادة بين العابد والمعبد

فأـقـولـ :ـ وـبـالـلـهـ سـبـحـانـهـ الـمـسـتـعـانـ ،ـ وـاعـلـمـ أـنـ الإـرـادـةـ فـيـ حـقـ العـبـدـ غـيرـهـ فـيـ حـقـ الـوـاجـبـ سـبـحـانـهـ لـأـنـهـ فـيـ حـقـ الـوـاجـبـ عـلـىـ ماـ هـوـ الـحـقـ الـمـطـابـقـ لـمـذـهـبـ أـهـلـ الـعـصـمـةـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ مـنـ أـنـهـ لـيـسـ لـهـ إـرـادـةـ قـدـيـمةـ ،ـ وـإـنـمـاـ إـرـادـتـهـ حـادـثـةـ وـإـنـ الإـرـادـةـ غـيرـ الـعـلـمـ

(١) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرىـ :ـ سـيـدـ .

(٢) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرىـ :ـ الـمـسـتـقـيمـ .

فإنك تقول : افعل كذا إن شاء الله ، ولا تقول : افعل كذا إن علم الله ودعوى من يعتقد قدمها باطلة .

أما دعوى أهل الإشراق والمشائين والصوفية وأمثالهم من أنه تعالى أبداً مرید إذ ليس له حالة كان فيها منقضاً عن الفعل والميل الذي هو العناية المقتضية لربط^(١) الأسباب بالأسباب على كمال ما ينبغي ويعبر عنها بالإرادة ، فيكون بعد حصولها متغيراً ، بل كلما جاز عليه وجب له وهذا باطل ، لأن كل ما أشاروا إليه غير محضر الذات ، وكل ما سوى الذات البحث حادث ، ولا يجري هذا في العلم والقدرة لأنّا لا نريد منها^(٢) معنى مترب على الذات كما هو شأن الإرادة ، بل نريد أن العلم والقدرة عين الذات بلا مغایرة لا في الفرض والاعتبار ، ولا في حيث ، ولا في الواقع ، ولهذا قلنا : إنه عالم بالأشياء ، معناه أنه^(٣) سبحانه فهو عالم ولا معلوم^(٤) ، يعني فهو هو ولا شيء غيره ، وأما على

(١) في نسخة أخرى : له باطل .

(٢) في نسخة أخرى : بها .

(٣) في نسخة أخرى : معناه سبحانه .

(٤) عن الإمام الرضا عليه السلام (. . . فمن وصف الله فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف فقد استوصفه ، ومن قال : على مَ فقد حمله . ومن قال : أين فقد أخلى منه ، ومن قال إلى مَ فقد وقته ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، وكذلك يوصف ربنا وهو فوق ما يصفه الواصفون) التوحيد : ٥٧ ح ١٤ . =

ما يقرر^(١) المتكلمون من أنه لو كانت حادثة لكان^(٢) لا يخلو إما أن تكون^(٣) قائمة به^(٤) فيكون محلًا للحوادث و^(٥) قائمة بغيره ، وصفة الشيء لا تقوم بغيره أو بنفسها والصفة لا تقوم بنفسها ، وأيضاً لو كانت حادثة كانت محدثة^(٦) بإرادة أخرى ، وهذا ويلزم التسلسل أو الدور .

فجوابه عن الدور^(٧) : أنها حادثة وليس قائمة بذاته قيام عروض ، وإنما هي قائمة به قيام صدور ، لأن قيام الشيء بالشيء على أربعة أقسام قيام صدور كقيام الكلام بالمتكلم ، وقيام عروض كقيام السواد بالجسم ، وقيام ظهور كقيام الوجود بالماهية ، وقيام تحقق كقيام الماهية بالوجود فلا يكون محلًا للحوادث ، وأيضاً فقد أقامها بنفسها وكونها صفة إنما هو بالنسبة إلى الواجب ، وإلا فهي بالنسبة إلى جميع المخلوقات ذات

= وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (... كان ربًا إذ لا مربوب ، وإلهًا إذ لا مألوه ، وعالماً إذ لا معلوم ، وسميعاً إذ لا مسموع ...) التوحيد : ٣٠٨ ح ٢ .

(١) في نسخة أخرى : يقرره .

(٢) في نسخة أخرى : وكانت .

(٣) في نسخة أخرى : يكون .

(٤) في نسخة أخرى : تكون قائمة .

(٥) في نسخة أخرى : أو .

(٦) في نسخة أخرى : حادثة .

(٧) في نسخة أخرى : الأولى .

تذوّت الذوات بفاضل تذوتها ، بل كل الأشياء ذات باعتبار ما تحته عرض باعتبار ما فوقه من أول الوجود إلى آخر ما لا نهاية له من الممكّنات كلها بهذه النسبة .

وقولهم : إن الصفة لا تقوم بغير موصوفها غلط ، فهذا الكلام صفة لا بمتكلم وهو قائم بالهوا ، وإن قيل : إنه قائم بالمتكلم فهو قيام صدور ، وكذلك المشيئة فإنها قائمة بالله قيام صدور ، وكذا جميع الخلائق .

وأما قولهم : فإنها لو كانت محدثة لكانـت محدثة بمشيئة أخرى ويلزم التسلسل أو الدور .

فالجواب : أنها محدثة بنفسها ، وهذا قطعي شهد له الوجدان والعقل والنقل ، أما النقل ظاهر وهو قوله عليه السلام : (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة)^(١) ، وأما العقل فلأن المشيئة والإرادة فعل والفعل مفهومه الحركة الإيجادـية ، فإذا أردت إيجاد حركتك إنما توجـدها بحركة وهي حركة ، فـتـوـجـدـهـاـ بـنـفـسـهـاـ إذ لا يمكن الإيجاد إلا بـحـرـكـةـ وـذـلـكـ فـيـ كـلـ شـيـءـ بـحـسـبـهـ .

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .

وفي رواية : (خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

وأما الوجدان فأظهر ، فإنك توجد صلاتك بنائك بلا خلاف ، ونائك توجدها بنية أخرى أم بنفسها والعلماء أجمعوا أنك توجدها بنفسها ، ولا تحتاج في إيجادها إلى نية أخرى ، وهي أفضل ما في العمل ، وقد قال صلى الله عليه وآله : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى)^(١) ، فليس لك من العمل إلا ما نويت ، فلو لم تكن النية منوية لما أثبتت عليها لكتنك ثتاب عليها البة ، فتكون منوية البة ولم تكن لتنويها إلا بنفسها البة ، فعلى جهة الاختصار ثبت كونها حادثة ، مضافاً إلى ما رواه الصدوق^(٢) في التوحيد عن الرضا عليه السلام أنه قال : (المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله تعالى لم يزل شائياً مريداً فليس بموحد ، فأما الإرادة من الخلق فالضمير وما يبدو لهم من الأفعال قسم من إرادتهم)^(٣) .

فنقول : قولكم : لا تخلو ، يعني الإرادة من العبد إما أن

(١) قواعد الفوائد للشهيد الأول : ٨٤ / ١ ، وتهذيب الأحكام : ١ / ٨٤ ح ٢١٨ ، ووسائل الشيعة : ١ / ٤٨ ح ٨٩ .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشهور بالصدوق .

ولد بدعا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٣) توحيد الصدوق : ٣٣٨ ح ٥ باب معنى البداء ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩ ، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

تكون واجبة أو ممكنة مما تريدون بهذا الوجوب ، ت يريد أن إرادة العبد هي الله سبحانه أم غيره ؟ فإن كان غير الله فليس واجباً أن كل ما سواه ممكناً ، وإن كان هو الله فتعالى الله^(١) أن تكون^(٢) صادراً عن الحادث ، فليس لذكر الوجوب هنا معنى أصلاً فإرادة العبد ممكنة .

وقولكم : ننقل الكلام إلى علة الرجحان ، فيه أن رجحان الفعل لا يوجبه إذ ليس كل ما كان راجحاً وجب إيجاده ، لأن الرجحان قد يكون خلاف الحق ، وخلاف الحق لا يكون راجحاً في الواقع ، وإنما يكون راجحاً عند المكلف عندما تغلب عليه شهوته على الفعل ، وتقدم النفس عليه مع ما ترى من الأمور القبيحة والمقتضية لترجح الترك ، وإنما الترجيح شهوة ممحضة غلطت البصيرة عن قبح ما تعلمها قبيحاً وترى قبحه فتغمض عما ترى .

إذا أردت أن تعاين حقيقة ما قلت لك فانظر نفسك وغيرك من الناس تجد أن المقصري يعرف أنه ملوم ويقدر على ترك ما يلام عليه ، ولو كان عمله إنما عمله لأنه ترجح^(٣) عنده بحيث لا يقدر على تركه لأنه واجب الترجح^(٤) لعرف ذلك ، ولكن إذا عوتب

(١) في نسخة أخرى : الله يلزم .

(٢) في نسخة أخرى : يكون .

(٣) في نسخة أخرى : يرجح .

(٤) في نسخة أخرى : بالترجح .

وقيل له : لِمَ فعلت ؟ تقول : إنني لا أقدر على تركه ، ويعرف ذلك من نفسه ولكن الواقع على العكس ، بل يعرف أنه ما عمله يقدر على تركه ، وإنما فعله متعمداً ، وكذلك فعل الطاعات ، وتوهم أن ما ترجم^(١) باطل فهذا يكفي ذا الفهم والقابلية المستقيمة في فهم المسألة ، وعلى نحو العيان والضرورة .

في فعل العبد وتعلق إرادته بـالله تعالى

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : (الثانية - لا شك أن التكليف حال استواء دواعي العبد إلى الفعل والترك أو حال رجحان دواعي أحدهما . فعلى الأول يستحيل وقوع المأمور به ، فالتكليف غير جائز ، لأن الممكن ما لم ترجم^(٢) وجوده لم يقع) .

أقول : لا يقال : الشك^(٣) في عدم استحالة الوقع ، بل اليقين هو جواز الوقع في هذه الصورة المفروضة ، وإنما حصل التوهم من جهة الإطلاع على معرفة الدواعي ، وأنا أشير إلى بيان بدء الدواعي ومنشئها على سبيل الاختصار :

فأقول : أعلم أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته^(٤) ،

(١) في نسخة أخرى : ترجم وجوب .

(٢) في نسخة أخرى : لم يتترجم .

(٣) في نسخة أخرى : لا شك .

(٤) قال الإمام الرضا عليه السلام : (واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير =

يعني بسيطاً حقيقياً للدلالة عليه ، فالملحوظ خلق من وجود وماهية وهم حادثان ، والحادث لا يستغني في بقائه عن المدد طرفة عين وإنما يميل إلى نوعه ووجوده^(١) مده من الله ، فالوجود نور وحين يميل إلى مده من الخير والنور وهو الطاعات ، والماهية على العكس في كل شيء فهي ظلمة وشرّ تميل^(٢) إلى مدها من الشر والظلمة وهو المعاشي والمكّلّف مركب منهما ، فداعي ميله إلى الخير من جهة الوجود وداعي ميله إلى الشر من جهة الماهية وهو محتاج إلى أحد الميلين ، وأيهما مال إليه وعمل به كفاه في بقائه بذلك الاستمداد ، لأنه إن كان خيراً قوي الوجود بما فيه من النور ، وحصل للماهية حفظ الأصل عن الفناء بما في ذلك الخير من شائبة الظلمة ، لأن الخير كما تقدم لا يكون وجوداً بحثاً بدون

= ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدور ، فليس في كل واحد منها لون ولا وزن ولا ذوق ، فجعل أحدهما يدرك بالأخر وجعلهما مدرّكين بأنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذى أراد من الدلاله على نفسه وإثبات وجوده والله تعالى فرد واحد لا ثانى معه يقيمه ويعرضه ولا يمسكه ، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيته) التوحيد للصدقون : ٤٣٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣١٣ .

(١) في نسخة أخرى : وهو جهة .

(٢) في نسخة أخرى : يميل .

شيء يحفظ بقاءه في^(١) الماهية ، وإن كان الذي من الماهية في ذلك الخير يكاد يفني لضعفه ، وبهذا الضعف يستمسك ماهية المكلف عن الفناء .

وإن كان شرًا قويت الماهية بما فيه من الظلمة ، وحصل للوجود حفظ أصله عن الفناء بما في ذلك^(٢) من شائبة النور ، لأن الشر كما قلنا قبل في الوجود لا يكون ماهية بحثاً بدون شيء يحفظ بقاءها من الوجود ، وإن كان الذي من الوجود في ذلك الشر يكاد يفني لضعفه ، وبهذا الضعف يستمسك وجود المكلف عن الفناء ومن ميل جزأي المركب كل واحد إلى جهة مدده من جنسه حصل للمكلف منها اختيار ، لأن الفعل المكلف فيه العبد إما خيراً يؤمر به وإما شرًا ينهى عنه ، ولما كان المكلف هو المجموع المفرد المركب كان إن شاء فعل هذا وإن شاء فعل ضده ، وهذا هو الاختيار .

فالداعيان من المكلف من جهة الصلوح متساويان أبداً إلى فعل شيء بما يناسبه ، وإلى تركه بضده هذا في أصله بنيته^(٣) ، فإذا ورد عليه ورد بالترغيب والترهيب المعينين^(٤) لداعي الخير

(١) في نسخة أخرى : من .

(٢) في نسخة أخرى : ذلك الشر .

(٣) في نسخة أخرى : بنية .

(٤) في نسخة أخرى : المعينين .

والتخلية والتزيين ، بمعنى لا يمنع من إرادة الشر ، ولا يمنع منه عدوه المزين الشيطان والنفس وهوها الدنيا وزينتها المعينين^(١) لداعي الشر .

ولهذه الرتبة من المكلف داعيَان متساويان ، فإذا مال إلى فعل الخير أعاذه الملك بتحبيب الطاعة ولطف به الرب اللطيف سبحانه وتعالى ، وهو إعاذه على الطاعة لطفاً لا يكون مانعاً من التمكّن من فعل ضده ما لم يفعله ، فكان داعيُ الخير حينئذ راجحاً رجحاناً لا يمنع النقىض ، بمعنى أنه ما لم يفعله يمكنه تركه وفعل ضده ، وإن كان ذلك الضد مرجحاً لأنَّه إذا مال إليه ترجع مرجوحية^(٢) بما يقويه من التخلية والتزيين والخذلان ، وكذلك إذا مال إلى فعل الشر أعاذه الشيطان المقيض بتزيين المعصية ، وخذله الرب العدل الحكيم بأنَّ خلاه وهوَاه تخلية لا أنه تكون مانعة له من فعل ضده هوُ الخير ما لم يفعل الشر ، فكان داعيُ الشر حينئذ راجحاً رجحاناً لا يمنع النقىض ، بمعنى أنه ما لم يفعل المعصية يمكنه تركها وفعل الطاعة ، وإن كان فعل الطاعة حينئذ مرجحاً ، لأنَّه إذا مال إلى المعصية تراجحت مع كونها قبل مرجوحية بما يقويها الميل إليها من تحبيب الملك المؤيد له لها ، ومن اللطف به من اللطيف الخير سبحانه ، فالاستحالة المتوجهة باطلة .

(١) في نسخة أخرى : المعينين .

(٢) في نسخة أخرى : تراجع مع مرجوحيته .

وقولك : إن الممکن ما لم يرجح وجوده لم يقع ليس كذلك ، لأن الترجيح الموجب للفعل هو شروع المکلف للفعل ، لأنه حين يفعل لا يمكنه ألا يفعل ويمكنه أن يقع فعله ، والترجح ما يبلغ الوجوب يمكن عکسه وفعل ضده ، ويكون بذلك مرجوحاً ، وإذا بلغ الوجوب امتنع تركه وبلوغه الوجوب هو فعله ، وأحاديث أئمتنا عليهم السلام ناطقة^(١) لمن خاطبوه بها ، فافهم واشرب صافياً ودع عنك الأوهام ، كما رُوي عنهم عليهم السلام ما معناه : (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بنور الله)^(٢) . انتهى .

قال أیده الله : (وعلى الثاني فالمرجوح ممتنع الوقع وإلا

(١) في نسخة أخرى : ناطقة بهذا .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يُعرّفنا الله تعالى يوم القيمة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يُؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهما عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتمد الناسُ به ولا سواء حيث ذهب الناسُ إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نقاد لها ولا انقطاع) أصول الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وختصر البصائر : ١٩٦ ، وبحار الأنوار : ٢٤٩ ح ٤ ، والبصائر : ٥١٧ ح ٨ .

لزم ترجيح المرجوح ، فالراجح واجب الوقع فالتكليف بالراجح
تكليف بإيجاد ما يجب وقوعه ، وبالمرجوح ما يمتنع وقوعه
وكلاهما مستحيلان) .

أقول : قوله : (وعلى الثاني فالمرجوح ، الخ) .

جوابه ما تقدم من أن ممتنع الوجود من أفعال المكلفين ما
فعل ضده حين فعل ضده إما قبل فعل ضده أو بعده ، فهو ممكن
ال الواقع والحوالة في ذلك على الوجودان ، فتأمل في أفعالك تجد
كلامنا هذا ضروري الحقيقة لا شك في شيء منه .

وكذلك قوله : فالراجح واجب الوقع لا يجب وقوعه إلا
حين يقع لا قبله ولا بعده ، فالتكليف بالراجح وبالمرجوح إذا
كان الراجحية والمرجوحة إنما هي لقوة ميل المكلف وتحبيب
الملك أو تزيين الشيطان تكليف بإيجاد ما يجوز وقوعه وعدمه ،
ولا يكون تكليفاً بما يجب وقوعه إلا حين وقع ، ولا يكون
التكليف بالمرجوح تكليف^(١) بما يمتنع وقوعه إلا حين أوقع ضده
لا قبل إيقاعه ولا بعده ، فافهم ، فإنه لمن عرف كلامي أظهر من
الشمس في رابعة النهار إذا لم يكن عليها سحاب ولا غبار .

(١) في نسخة أخرى : تكليفاً .

بيان أن الأمر بالتكليف لفائدة

قال سلمه الله تعالى : (وأيضاً ورد الأمر بالتكاليف إما لفائدة أو لا لفائدة ، فإن^(١) كان الأول فهي عائدة إلى المعبود أو إلى العابد ، والأول محال لأنك كامل الذات بذاته ، وإن كان الثاني فهي إما عاجلة أو آجلة ، والأول باطل ، لأن التكاليف كلها مشاق وآلام في الدنيا ، والثاني عبث ، لأن الله قادر على تحصيل رفع آثار^(٢) ، وتحصيل اللذة للعبد ابتداء من غير توسط^(٣) العبادة ، وكذلك حكم الشق الثاني) .

أقول : ورد الأمر بالتكاليف لفائدة وهي عائدة إلى العابد وعودها إليه في العاجل والأجل معاً ، ولا يكون العاجل باطلأً ، وبيان هذه الأمور طويل لتوقفه على بيان المقدمات ، ولكنني أقتصر على البعض ومن عرف أغناه بما سواه إن شاء الله تعالى .

فأقول : كما خلق الخلق إما جوداً أو تفضلاً كذلك أنعم عليهم ، ثم لما كان جوده وكرمه يجريه^(٤) على كمال ما ينبغي ، ولاإ لم يكن كاملاً ، وجب أن يجري فعله في جميع المفهولات

(١) في نسخة أخرى : إن .

(٢) في نسخة أخرى : الألم .

(٣) في نسخة أخرى : توسط .

(٤) في نسخة أخرى : يجري .

على حسب قوابلهم ، لأن فعله واحد ونسبة على جميع الأشياء على السواء ، فإذا أراد خلق الخلق فلا يخلو إما أن يخلقهم على حسب مقتضى فعله أو على حسب مقتضى قوابلهم حين الخلق ، فإن كان الأول وجب أن يكون الخلق شيئاً واحداً لا تعدد فيه ولا اختلاف ، لأن نسبة فعله على حسب مقتضاه إلى جميع الخلق على السواء ليس شيء منها أقرب من شيء ، ولا شيء أسهل من شيء ، ولا شيء قبل شيء ، ولا جهة للفعل إلى شيء دون شيء فيكون^(١) مصنوعة^(٢) واحداً ، ولو كان كذلك بطلت فائدة الصنع والإيجاد ، فلا يحسن في الحكمة أصل الإيجاد وإن كان الثاني ، وهو أن فعله يجري على سائر الخلق على حسب قابلياتهم حين الخلق ، كان ما قلنا من أنه خلقهم ليعبدوه فعرّفهم عبادته بالتكليف .

وببيان هذا أنه خلقهم فلزم الخلق على مقتضى الحكمة أن يحدث المخلوق على ما هو عليه ، وذلك أنه لم يكن شيئاً مذكوراً فإذا اخترع حصة من الوجود خرجت كما هي لا كما الأولى ، فهذه هي قابلية الثانية وهي غير قابلية الأولى وإلا كانت هي الأولى .

والقابليتان لم تكونا قبل خلق الحصتين شيئاً مذكوراً ، وإنما كانتا باختراع الحصتين فلزم هذا نظام مرتب لا يكون شيء كما

(١) في نسخة أخرى : فتكون .

(٢) في نسخة أخرى : مصنوعه .

هو إلا بذلك ، وهذا - أعني النظام المرتب - شرع وتكليف وجودي لو لم يكن المصنوع كما هو ، فيظهر لمن عرف كلامي هذا أن هذا التكليف أعظم فائدة للمكلف إذ بدونه لا يوجد فيبقى في عدم الإمكان نسياً منسياً ، فيحرم ما عرضه الله بسبب وجوده لخيرات الأبد والسعادة التي لا تنفد ، فأي فائدة أعظم من هذا هو البنيان الصوري القشرى ؟ !

وأما البنيان المعنوي العقلي فإنه تفضل عليه مرة بعد أخرى ، فكلفه بالتكليف الشرعي بأن أمره ونهاه ، وقبوله لأمره ونهيه أو تركهما هو روح كونه على ما هو عليه في الخلق ، وهو جسم لهذه الروح التي هي قبوله لأمره ونهيه أو تركهما ، وذلك المقبول^(١) هو ما هو عليه في الشرع من سعادة أو^(٢) شقاوة ، والمكلف لا محالة قابل لأمره ونهيه و^(٣) تارك لهما ، فلزم التكليف الشرعي الوجود الشرعي^(٤) ، إن شاء الله تعالى بعمل المكلف من قبوله أو تركه ، خلقه الله من مادة أمره ونهيه وصورة امثال المكلف وعدهمه .

وهذا الوجود الشرعي روح وجود المكلف المعلوم كما أشرنا وأصله وحياته ، ولذا أشار سبحانه إلى ذلك بقوله : «أَوْ مَنْ كَانَ

(١) في نسخة أخرى : القبول .

(٢) في نسخة أخرى : و .

(٣) في نسخة أخرى : أو .

(٤) في نسخة أخرى : وجود شرعي .

مَيْتًا فَأَحْيَنَّهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ، فِي النَّاسِ كَمَنْ ^(١)
وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي
الْقُبورِ » ^(٢) وقال تعالى : « أَمَوْتُ عَيْرَ أَحْيَأُ » ^(٣) فأخبر أن
الكافر ميت لا حياة له مقبور في قبر طبيعته لا حياة له إلا
بإيمان ، ولا إيمان إلا بامثال أمره ونفيه تعالى .

فهذا الوجود الشرعي المخلوق في المؤمن من أمر الله وامثال
المكلف ، وفي الكافر من أمر الله وترك امثال أمر الله تعالى هو
علة الوجود الكوني ، فيكون التكليف علة الكون إذ لا يمكن
التكوين على ما ^(٤) المكون عليه إلا بقبوله عن الله ، وقبوله عن الله
بامثاله وعدمه لا يكون إلا بالتكليف ، فقد توقف إظهار كرم الله
وجوهره وتفضيله على تكوين محله ومتعلقه وتكوينه على قبول
ذلك ، وقبول ذلك لا يكون إلا بامثاله وعدمه ، وهذا متوقف
على التكليف ، وهذا معنى قولنا : إن الإيجاد متوقف على
التكليف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونَ » ^(٥) ، وإنما خلقهم لعبادته لخلقهم بها خلقاً يصلح
له تعلق رضاه أو غضبه .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٢١ .

(٤) في نسخة أخرى : ما هو .

(٥) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

فقوله : والأول باطل ، يعني به أن تكون الفائدة عاجلة لا معنى له صحيح ، لأن كونها عاجلة شرط الإيجاد الذي هو سلب سعادتهم ونعمتهم وكونها آجلة ، لأن ما أعد لهم من النعيم لا ينفد إنما هو ثمرات أعمالهم ، لأن أعمالهم شجرة طيبة ﴿تُؤْتَى أَكُلَّهَا كُلًّا حِينٍ﴾^(١) وكذلك ما أعد لمن عصاه من العذاب الأليم المؤبد إنما هو ثمرات أعمالهم ، لأن أعمالهم شجرة خبيثة هي : ﴿طَعَامُ الْأَثَيْمِ ﴾٤٤﴿ كَالْمُهَلَّ يَغْلِي فِي الْبَطْوَنِ ﴾٤٥﴿ كَعَنْ الْحَمِيمِ ﴾٤٦﴾^(٢) .

فالتكاليف وإن كانت مشاقاً وألاماً^(٣) بالنسبة إلى النفس لأنها تألف من الانفعال لما فيها من الدعوى الباطلة ، فهي في الحقيقة ملاذ وراحة^(٤) إلى ما تجد نفسك بعد أداء صلاة الفريضة التي هي أعظم المشاق من اللذة والراحة والسرور ، ولهذا أمر الشارع عليه السلام بسجدة الشكر شكرأً لنعمة ، التي هي أداء الفريضة ، ولو كانت في الحقيقة مشقة وألمًا لما وجدت اللذة والراحة والسرور هذا كله في الدنيا ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله : (جعلت قرة

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الدخان : ٤٤ - ٤٦ .

(٣) في نسخة أخرى : مشاق وألام .

(٤) في نسخة أخرى : راحة ألام .

عيني في الصلاة^(١) ، ولو لم تكن نعيمًا ولذة لما قال : إن قرة عينه فيها .

فإن قلت : إنما ذلك كذلك بمحاجة ما يترتب عليها من النعيم .

قلت : وهذا أيضاً كاف في كونها في الحقيقة نعيمًا ولذة .

وقوله : (والثاني عبث . إلخ) ، قد تقدم جوابه في ضمن ما ذكرنا ، وبيانه أن تكون الفائدة آجلة . (إلخ) : ليس كذلك ، كيف يكون عبثاً وتلك الكرامات العظيمة من الله التي لا غاية لها في البقاء ، وفي النعيم متوقفة عليه كما بيناه ؟ !

هل الله تعالى يفعل بمقتضى قدرته و فعله ألم بمقتضى القابلية ؟

وقوله : لأن الله تعالى قادر على تحصيل دفع الألم ودفع^(٢) اللذة للعبد ابتداء من غير توسط^(٣) العبادة ، إلخ ، ليس بمتجه ، لأن الله سبحانه قادر على كل شيء لا شك فيه ، ولكننا قلنا : هل يفعل بمقتضى قدرته و فعله ألم بمقتضى القابلية ؟ فإن كان بمقتضى

(١) قال النبي صلى الله عليه وآله : (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة) انظر الخصال : ١٦٥ ح ٢١٨ ، وروضة الوعاظين : ٣٧٣ ، ووسائل الشيعة : ١ / ١٤٤ ح ٨٩ .

(٢) في نسخة أخرى : تحصيل .

(٣) في نسخة أخرى : توسيط .

قدرته و فعله تساوى في ذلك جميع الخلق ، بل لا يكون المخلوق إلا واحداً ، بل الحكمة تقتضي كون الإيجاد من أصله مرجحاً ، فلا يحسن الإيجاد من أصله لما يلزم فيه من المفاسد ، وإن كان يفعل بمقتضى القابلية كما هو الأمر الواقع وجوب لكمال علمه وقدرته وإتقان صنعه أن يكون المصنوع على غاية كمال ما اقتضته قابليته من فعل صانعه ، فيقتضي كمال ذلك الاقتضاء أن يحكم له من الوجود وشرعه من الشرع ، ووجوده ما خلق له أولاً من أنه خلق للمعرفة والطاعة اللذين هما شرط بقائه ونعمته ، وهذا شأن الكريم اللطيف الحكيم لأنه إنما خلقهم للخير الدائم ، وما خلق به ثانياً من أنه خلق ثانياً لما هو ميسر له وعامل له بعمله .

وهذا ما سمعت من الوجودين شرطه القابلية كلها من عمل المكلف سواء كانت في الوجودي أو التكليفي ، وشرط القابلية وتحقيقها التكليف ، فلو لم يكن التكليف لم تتحقق القابلية لا في الشرعي لأنه إنما يطيع بقبول الأمر ويعصي بتركه ، ولا في الوجودي لأنه سبحانه عرض عليهم الإيجاد ، فلم يقبل من قبل ولم يترك من ترك إلا بالعرض^(١) ، إذ لو أتاهم بمقتضى فعله وإرادته لقبلوا بلا اختلاف فيكونون سواء وهو السر في قوله تعالى لهم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»^(٢) حيث عرض ذلك الإيجاد عليهم ولم

(١) في نسخة أخرى : بالغرض .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

يقل لهم : أنا ربكم وقبولهم لذلك هو عملهم حين الخلق لا قبله ولا بعده ، كما أن الانكسار لا يكون قبل الكسر ولا بعده بل يكون معاً^(١) ، ومع هذا فهو فعل منه المفعول كما قال الله تعالى : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) ، ولو لم تتحقق القابلية لم يتحقق الوجودان^(٣) ، ولو لم يكونا بطل النظام لعدم وجود متعلق الكرم والوجود ، فعلى الثاني يكون الأمر المذكور حقاً لأنه عبث ، فلا يمكن في الحكمة تحصيل دفع الألم وتحصيل اللذة للعبد إلا لتوسط^(٤) التكليف ، فافهم .

في أن السعيد من سعد في بطن أمه

قال أيده الله تعالى : (وأيضاً إذا كان السعيد سعيداً في بطن أمه والشقي شقياً في بطن أمه ، ولا يختلف^(٥) ولا يتبدل أبداً على ما هو مفاد بعض روایات الطينة فلا يتصور ثمرة للتکلیف^(٦) إذ كل ينساق الغایة^(٧) البتة) .

(١) في نسخة أخرى : مع الكسر .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٣) في نسخة أخرى : الوجود .

(٤) في نسخة أخرى : بت وسيط .

(٥) في نسخة أخرى : لا يختلف .

(٦) في نسخة أخرى : التکلیف .

(٧) في نسخة أخرى : إلى غايتها .

أقول : لا شك أن السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه^(١) ، ولكن الإشكال في معرفة الأم ومعرفة قدر عمرها وقدر بقاء جنينها في بطنها ، فإن من عرف ذلك زال الإشكال عنه ، ونشرع في بيان هذه الثلاثة أولاً على سبيل الاختصار والاقتصار لتوقف زوال الإشكال عليه :

(١) هو مضمون حديث وله نصان : الأول روي عن محمد بن أبي عمير قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه) فقال : (الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء ، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء) قلت له : فما معنى قوله صلى الله عليه وآله : (اعملوا فكل ميسر لما خلق لكم) ؟ فقال : (إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله عز وجل : «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات : ٥٦] فيسر كلاما خلق له فالويل لمن استحب العمى على الهدى) . توحيد الصدوق باب (٥٨) السعادة والشقاوة ح ٣ ، وشرح أصول الكافي : ١ / ٢٣٢ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٦٢ ، ونهاية الأفكار للعرافي : ٢ / ١٧١ .

والثاني ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل قال فيه : (خطب النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الخروج إلى تبوك بثنية الوداع ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس إن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة القوى . . . إلى أن قال : وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال الينيم والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع . . .) رواه المفید في الاختصاص : ٣٤٣ ، والصدوق في الأمالی : ٥٧٧ ح ٧٨٨ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٤٠٢ ح ٤٠٢ ح ٥٨٦٨ .

معاني الأم

فأما الأم فلها معنيان مقصودان في الحديث :

١ - أنها الصورة لا المادة

أحدهما : أن الأم هي الصورة لا المادة كما توهّمه بعض الحكماء ، والمادة هي الأب بعكس ما قالوا ، وقد أشرنا إلى ذلك في الفوائد ، وبعض معناه أن الحكم لا يتعلّق بالمادة وإنما لتساوت أفراد الجنس في الحكم ، فيكون الإنسان والكلب واحداً وكذلك السرير والصنم لأنهما من الخشب ، ولكن لما كان الحكم متعلقاً بالصورة كالسرير^(١) من الخشب مستحسناً ، والصنم من الخشب مستقبحاً ، وليس ذلك إلا من الصورة فالحسن إنما حسن في بطن أمه وهي الصورة ، والقبح إنما قبح في بطن أمه وهي الصورة ، ولو كانت الأم هي المادة لكان الصنم إنما قبح لكونه خشباً ولم يقل به عاقل ، أو يقال : إن السعيد من سعد في صلب أبيه ولم يقل به مؤمن .

٢ - أنها الوالدة

والثاني : أن الأم هي الوالدة المعروفة ، وعلى هذا المعنى

(١) في نسخة أخرى : كان السرير .

ليس في صلب الأب إلا ماء وهو النطفة يصلح للسعيد أو الشقي^(١) كالمداد قبل الكتابة ، والصورة تصلح للاسم الشريف والوضيع ، ولا يتميز إلا في بطن أمه أي الصورة ، لأن تخطيط البنية المعنوية كاعتدال المزاج وصفائه عن الفضلات البلغمية والدموية ، وسلامته من الاحتراق الناري من الجمود السوداوي إذا كان في أخلاطه زيادة سوداء صافية مستقيمة ، وما يطابقه من تخطيط الصورة الظاهرة يقتضي الإتيان بالأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة والميل إلى الخيرات وذلك هو منشأ السعادة ، ولا تتحقق هذه الهندسة من تعديل المزاج والبنية إلا في بطن أمه لا في صلب أبيه ، وكذلك عكس هذه الأشياء من إفراط المزاج والبنية وتفریطهما المقتضيان^(٢) للإتيان بالأعمال الطالحة والاعتقادات الباطلة والميل إلى الشرور التي هي منشأ الشقاوة ، إنما يتحقق في بطن أمه .

قدر عمرها الأم الأولى (الصورة) ومراحلها

وأما قدر عمرها فالأم الذاتية^(٣) التي هي الصورة ، فعمرها طويل وله فصلان :

(١) في نسخة أخرى : للسعيد والشقي .

(٢) في نسخة أخرى : المقتضيان .

(٣) في نسخة أخرى : الثانية .

الفصل الأول : فصل التكليف الظاهري ، وهو من أول البلوغ الشرعي إلى الممات ، وفي هذا الفصل يتزعزع^(١) الأحكام الظاهرة الفرعية من الشرعية والعقلية فإذا مات ارتفع هذا التكليف .

الفصل الثاني : هو فصل الترقيات والتكاليف الحقيقة وهو من الكون الجوهرى أي العقلى إلى الكون المائى من الأظلاء والذر ، ثم منه إلى ما لا نهاية له في الإمكان ، وفي هذا الفصل تزرع الأحكام الباطنية الأصلية من الشرعية والعقلية والترقيات الذاتية في طرف الإقبال والإدبار إلى ما لا نهاية له في الإمكان ، فمن عرف هذا الوقت الذي هو عمر الأم الذاتية التي هي الصورة ظهر له عدم تحقق التخلف والتبدل أبداً ، كما هو ظاهر كلامه حرسه الله تعالى من الزيف والزلل تعويلاً على ما قال على ما هو مفاد بعض روايات الطينة ، وهذا التوهם سار في ضمائر الكل إلا الأقلين .

ولهذا ترى بعضهم ينكر أحاديث الطينة ويوجب طرحها ويحكم ببطلانها ، وبعض يقول : لا نعرف منها شيء^(٢) ويسكت عنها ، وهو إنصاف وسلامة له ، وفي بعض قبلها وتكلم في بيانها وخطب خطب عشواء وركب عميا لا يدرى في مسیره هل هو مقبل

(١) في نسخة أخرى : تزرع .

(٢) في نسخة أخرى : شيئاً .

أو مدبر؟ ولا يدرى حين وضع قدمه في سيره أين وضعه؟ على قرار أم على غير قرار؟ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وإنما توهموا هذه التوهمات لظن بعضهم أنها عنصرية، وظن بعض منهم أن القلم جفّ فيها ولم يعلموا ما هي.

أسماء الأم الذاتية (الصورة الوجودية - الطينة)

وأما أسماؤهم التي خلقها سبحانه بأعمالهم وهي الصورة الوجودية الشرعية وهي أبداً تصاغ وتكسر، لم يفرغ القلم من كتابة حروفها في الفصل الأول من أحكامه إلى الممات، وفي الفصل الثاني من أحكامه إلى غير نهاية، فالطينة هي الصورة الوجودية المخلوقة بعمل المكلف، فإذا عمل خلقت له وإذا خلقت له حركته إلى العمل، وإذا عمل ما يطابق الأول أحكم صيغة^(١) الأولى وزيد فيها من نوعها، وإذا عمل ما يخالف الأول كسرت وصيغت على مقتضى العمل الثاني، فهذه الطينة فهي لم تكمل ولم يفرغ منها ليقال السعيد من سعد في بطنه أمه والشقي من شقي في بطنه أمه، ولا يتختلف ولا يتبدل أبداً، بناء على أن القلم جف من كتابة الطينة وكتابة مقتضاها.

(١) في نسخة أخرى : صنعة .

زمن ومرحلة الشقاء والسعادة في بطن الأم

وأما على ما بيته من السر المقصون والغيب المكنون يظهر
لمن عرفه كالشمس الطالعة أن السعيد من سعد في بطن أمه
والشقي من شقي في بطن أمه ، وأن المكلف لا يفارق بطن هذه
الأم ، وأن هذه^(١) الأم دائماً يُزاد فيها وينقص أبداً ، وبالتكليف
دائماً يتغير المكلف ويسبق ويقصر ، وبهذا تظهر ثمرة التكليف .

ومع هذا فلا ريب أن كل أحد ينساق إلى غايتها البتة ، كما
قال صلى الله عليه وآله لسرّاقة بن مالك لما سأله عن هذا ،
فقال : (اعملوا بكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله)^(٢) ،
لكن تلك الغاية يخلقها للمكلف الحكيم العليم بخاتمه التي هي
نتيجة سابقته .

قدر بقاء جنين الأم في بطنها

وأما قدر بقاء جنينها في بطنها فكما مرّ من أنه قد بقي في
الكون الجوهرى ألف سنة في بطن أمه ، وفي الكون الهوائي ألف
سنة ، وفي الكون المائي ألف سنة ، وفي الكون الناري ألف

(١) في تসخة أخرى : عنده .

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني : ١٦٠ / ٧ ، وصحیح مسلم : ٤٤ / ٨ ط .
القاهرة ، ومسند أحمد : ٣ / ٢٩٣ .

سنة ، وفي الكون الأظلمة والذر ألف سنة ، ثم تنزل إلى الملائكة حتى كمنت فيه روحه ودفعته إلى الريح على جهة الوديعة ، ثم إلى السحاب ثم إلى التراب ثم إلى المعدن ثم إلى النبات ثم إلى الغذاء ثم إلى المعدن ثم إلى النبات ثم إلى الحيوان ، ومن المعدن الثاني إلى الحيوان أربعة أشهر ، ثم إلى كمال الحيوان بأن تستقيم الأرحام في تسعه أشهر أو ينقص ^(١) في ستة أشهر إلى تسعه أشهر أو تزداد إلى سنة ، ثم إلى أن يموت ، ثم إلى أن يبعث يوم القيمة الكبرى ، ثم إلى ما لا نهاية له أبداً في بطن أمه .

نعم ، قد يكون له أحوال كاملة يكون فيها خارجاً عن أمه مولياً عنها فراراً فاقداً لها في وجوده ، فإنه أبداً لا يفارقها وذلك حين يعرف نفسه ، وهو مع ذلك كله عامل بعمله يصاغ ويكسر بصيغة ^(٢) حتى يورده الله سبحانه ^(٣) ما يشاء في حكمه وهو الحكيم العليم .

واعلم أن الأم الظاهرة هي محل لزرع الأم الباطنة في الدنيا ولكل أم ثلاثة قدرت لك في التنزيل ، وهي أم قد حملت بك في التأويل وهي الأرض فإنها التي : «وَلَقْتَ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ» ^(٤)

(١) في نسخة أخرى : يغيب .

(٢) في نسخة أخرى : بصنعة .

(٣) في نسخة أخرى : سبحانه إلى .

(٤) سورة الانشقاق ، الآية : ٤ .

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا﴾^(١) ، فافهم واشرب عذباً صافياً .

التفريق بين عقاب العبد وعدم حاجة الباري لعبادته

قال سلمه الله تعالى : (الثالثة - أن مخالفة التكليف^(٢) ، وترك العبادات من العبد لما يصير منشأ للعذاب ، مع أنه تعالى مستغن عن طاعة العبد منه عن لذة الانتقام متعال عن الغرض الحاصل له ، ومع ذلك وصف نفسه بأنه متقمق بما وجه التوفيق؟) .

في أن عذاب المكلف من عمله باختياره

أقول : إن الله سبحانه ليس كما يتوهّم الجاهلون من أنه سبحانه إذا عصاه عبده غضب عليه لأجل معصيته كما هو مدلول السؤال ، بل السر في ذلك أنه سبحانه إنما خلقهم ليعرفهم نفسه ويظهر عليهم آثار كرمه ، وكان قد خلقهم لا من شيء ولا لشيء ، وما كان هذا حقيقته بحيث لا تكون له حقيقة قائمة ب نفسها ، وإنما لكان إنما غير مخلوق وإنما أنه مخلوق من شيء كالجدار ، فإنه لما بناء البناء من الطين واللبن قام بأصله وإن أضمحل صانعه ، وإنما مثال ما يخلق لا من شيء الصورة في المرأة فإنها لم تخلق من

(١) سورة الحج ، الآية : ٢ .

(٢) في نسخة أخرى : التكاليف .

شيء ولا أصل لها إلا تجلی الشاخص لها بها^(١) ، فكذلك المخلوق لا حقيقة له إلا تجلی الله سبحانه له به ، فلا يقوم بأصله كما يقوم الجدار ، فإذا أردنا تshireح هذا المخلوق بنظر الفؤاد لم نجد له مادة إلا نفس تجلی الحق سبحانه لديه ، ولا صورة إلا نفس انفعال ذلك التجلي عند فعل المتجلی كما نَقُل^(٢) : ليس للصورة في المرأة مادة إلا ظهور الشاخص لها بها وليس لها صورة إلا هيئة المرأة من الصقالة والبياض و^(٣) السواد والاستقامة أو^(٤) الاعوجاج والطول أو^(٥) العرض والكبير أو^(٦) الصغر والقرب أو البعد ، وفي المرأة ليس للصورة صورة إلا ما لبسها^(٧)

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ٣ ح ١٨٩٤
٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، ويحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : (واحد لا بعدد ، و دائم لا بأمد ، و قائم لا بعمر ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلی لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمنها ، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأنها وعظم سلطانها) .

(٢) في نسخة أخرى : نقول .

(٣) في نسخة أخرى : والبياض أو السواد .

(٤) في نسخة أخرى : الاستقامة والاعوجاج .

(٥) في نسخة أخرى : والطول والعرض .

(٦) في نسخة أخرى : والكبير والصغر .

(٧) في نسخة أخرى : لبسها .

من هيئتها من التخطيط والهيئة واللون ، وذلك هو المراد بالمرأة التي تظهر فيها الصورة ، لأن الصورة إنما تظهر بنفسها ، ولا نريد بالمرأة في الحقيقة هذه الزجاجة ، فإذا عرفت أن المخلوق خلق لا من شيء وأن مادته هو التجلي وأن صورته هو الهيئة الانفعالية ، والهيئة الانفعالية مركبة من أشياء كثيرة تسمى المشخصات ، وتلك المشخصات هي القابلية وهي في الحقيقة أعمال المكلف في الظاهر وفي الباطن كما تقدم .

ولا يكون المخلوق^(١) بدون هذه القابلية التي هي من عمله وقبوله للإيجاد حين خلق ، فلما أراد سبحانه أن يلطف بهم بين لهم أن المخلوق لا يمكن إيجاده بدون أن يقبل الإيجاد ، وقبوله لذلك هو حقيقة عمله ، والإيجاد خير من قبول الخير بالأعمال الطيبة ، وشرّ في قبول الشر بالأعمال الخبيثة ، والأعمال صفات العاملين كما قال تعالى : ﴿ سَيَبْرِزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ﴾^(٢) ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِيفُونَ ﴾^(٣) وإيجاد الصفات بنحو إيجاد الذوات^(٤) وهداهم النجدين بأن قال لهم : (إنما هي أعمالكم ترد عليكم)^(٥) ،

(١) في نسخة أخرى : الخلق .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

(٤) في نسخة أخرى : الذوات وأخبرهم .

(٥) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٥ / ٣١٦ ، وروي عنه صلى الله عليه وأله بلفظ : (إنما هي أعمالكم ترد إليكم) انظر توحيد المفضل : ٥٠ ، =

وإن^(١) أطعتم لا محالة كانت أعمالكم بامثال أمري نعيمًا ولذةً ، وإن عصيتم لا محالة كانت أعمالكم بترك أمري عذاباً أليماً ، لأن النعيم مركب من مادة هي أمر الله وصورة هي عمل المكلف به ، وامثاله لا يصح أن يترتب إلا من هذا ، والعذاب مركب من مادة هي أمر الله ومن صورة هي عمل المكلف بترك أمري الله ، والمخالفة^(٢) لا يصح أن يترتب من غير هذا .

فإذا عرفت هذا ظهر لك أن عذاب المكلف نشأ من عمله الذي أوقعه باختياره وتمكنه من تركه من غير جبر ولا ضرورة ، وإنما أمره طاعته لأنه يريد به اليسر ، ولا يريد به العسر ليس من عذابه الذي هو من معصية^(٣) .

ألا ترى أنك إذا رأيت رجلين أجنبيين معك ليس بينك وبين أحد منهما معرفة ولا صدقة ومحبة^(٤) ولا بُغض وعداوة^(٥) بوجه من الوجوه ، فدعوتهم وأجباك واحد وأنكرك واحد كيف كان المجيب طائعاً ، فمن أين جاء هذا الوصف المحبوب إلا من قبوله دعوتك ؟ ! وكيف كان الممتنع عاصياً فمن أين جاءه هذا

= والحكايات للمفید : ٨٥ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٩٠ ، وتفسير الصافي : ١ /

. ٢٣٧

(١) في نسخة أخرى : فإذا .

(٢) في نسخة أخرى : بمخالفته .

(٣) في نسخة أخرى : معصيته .

(٤) في نسخة أخرى : لا محبة .

(٥) في نسخة أخرى : ولا عداوة وبغض .

الوصف المبغوض إلا من عدم قبوله دعوتك؟! وهذا القبول وهذا الترك هو القابلية التي لا يكون الشيء بدونها والله سبحانه لا حاجة له في ثوابهم ، ولا عقابهم ، ولا يلتذ بالانتقام ، ولا بالإثابة ، وإنما وصف نفسه بالمثيب والمنتقم لأنه لما سأله^(١) عباده القراء أعطاهم ما هم مذكورون به من أنهم إذا خلوا واختارهم اختاروه فعلم ما سيكون منهم ، وخلق للعاصي الأسباب وترتيب عليها المسبيبات والأسباب والمسبيبات فقراء محتاجون إلى كرمه وجوده فأعطاهم ما سألوه بحقيقة استعدادهم ، لأنه كريم لا يبخلا ، فخلق للعاصي بمعصيته مقتضها وهو العقاب ، فسمى نفسه بذلك الترتيب أي إعطائه مقتضى عمله من الانتقام متقدماً وكذلك الثواب .

بيان علة تعذيب المؤمن وأنه موافق للعقل

قال سلمه الله تعالى : (وأيضاً التعذيب في الآخرة ضرر حال عن جهات النفع) .

أقول : وإن كان التعذيب ضرراً حالياً عن جهات النفع لا يجوز في الحكمة عدم إيقاعه ، لأنه سبحانه لو منع مقتضى المعصية لجاز منع مقتضى الطاعة ، لأن كلاً منها كان مسبباً لسببه فكيف يمكن تأثير سبب ويعطي تأثير سبب وهما في الحاجة

(١) في نسخة أخرى : سأل .

إليه سواء ، وأيضاً هذه صفاتهم ، ولا يحسن منع الموصوف صفتة ، كما قال تعالى : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ مَا صَفَّهُمْ ﴾^(١) ، وقال عليه السلام : (إنما هي أعمالكم ترد إليكم) .

وقد تقدم أنه سبحانه أجرى عادته أنه لا يفعل إلا على حسب القابلية ، وإلا وقع خلاف الحكمة أن خلقهم على ما علمهم وفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، وإن خلقهم على غير ما هم عليه كانوا غيرهم ، وأيضاً هم فعلوا ما يلزمهم به التعذيب باختيارهم ، ولو رفعه عنهم لكان فعل بهم غير ما طلبوا منه بأسنة استعداداتهم ، فإذا سأله سائلهم فإن أعطاهم ما سأله كان ما رأيت وسمعت ، وإن أعطاهم غير ما سأله كانت عطيته بلا قابل ، لأن السؤال إنما هو القابلية وإذا كانت بلا قابل تعذر إيجادها .

إنما قلنا ذلك لأن المخلوق لا يخلو من تنعم أو تألم ما دام موجوداً ، وهذا^(٢) العاصي إن عذب فذلك وإن نعم كان النعيم لا في محل ، لأن المحل كان منتهياً للعذاب ومتقدر له بسبب المعاصي ، فلا يصلح أن يكون محلاً للثواب ، فإن المحل المثلث مثلاً لا يصلح للحال المربع وبالعكس ، ولا ينطبق المستدير عليهم ولا ينطبقان عليه ، والظلمة لا تقتضي النور وبالعكس ، فافهم الإشارة .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٢) في نسخة أخرى : هنا .

رفع إشكال قبح التكليف

قال سلمه الله تعالى : (وأيضاً أنه تعالى كان عالماً بأن الكافر لا يؤمن كما هو مدلول بعض الآيات ، متى كلف لم يظهر منه إلا العصيان سبباً للعقاب ، فكان ذلك التكليف مستعيراً لاستحقاق العقاب ، فوجب أن يكون قبيحاً لكونه مستعيراً للضرر الخالي من النفع) .

أقول : إنه تعالى كان عالماً ولا معلوم ، ولا كافر ولا مؤمن هذا علمه الذاتي الذي هو ذاته ، وله علم آخر مطابق للمعلوم فقولك : (كان عالماً بأن الكافر ، الخ) ، معناه ليس ب صحيح ، لأن معناه أنه كافر قبل أن يكفر ، وهذا لا معنى له ، والقول الصحيح أن يقال له : إنه تعالى كان عالماً بأن زيداً لا يؤمن ليصح أن يقال : فمتى كلف ؟ الخ ، هذا ما يرجع إلى تصحيح اللفظ .

وأما المعنى فالذي نبه الإمام عليه السلام عليه في هذه المسألة هو^(١) حقيقة الجواب إلا أن فهمه صعب .

في أن إرادة الله تجاه العبد اختيارية لا حتمية

قال عليه السلام : (كان عالماً ولا معلوم)^(٢) فلما وجد

(١) في نسخة أخرى : هي .

(٢) عن الإمام الرضا عليه السلام (... فمن وصف الله فقد حدّه ، ومن حدّه فقد =

المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والمعنى أنه كان وحده لم يزل ، ولا يزال ، فلما أحدث المعلوم كان معلوماً له حين أحدثه وقبل أن يحدثه كان عالماً ، ولا معلوم إذ ليس قبل أن يوجد معلوماً وإلا لكان شيئاً قدِيماً معه تعالى .

ولكن العبارة الظاهرة للجواب هي أنه تعالى لما كان علمه غير زماني ولا دهري ، بل الأزمنة والدهور ، وما فيها نقطة في علمه لا تقبل القسمة لذاتها عند علمه ، وجميع الأجزاء والجزئيات الواقعية في الأزمنة والدهور في مستقبل الأمور يعلم سبحانه مجملها ومفصلها في أزمنة وجودها وأمكنة حدودها والاستقبال والماضي ، والحال إنما هو عندها وبنسبة بعضها إلى بعض ، وعنده جلّ وعلا في آن واحد ، فإن من سيوجد بعد مئة سنة من أيامنا هذه مثلاً ، وبعد بلوغه يكفر باختياره قد كان عند الله في وقته الذي حَدَّه له ، وكفر في وقت كفره وعندنا لم يكن من ذلك شيء ، وإنما هو أمر مستقبل ، والله تعالى فيه البداء فإن بدا

عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف فقد استوصفه ، ومن قال : على مَ فقد حمله . ومن قال : أين فقد أخلى منه ، ومن قال إلى مَ فقد وقته ، عالم إذ لا معلوم ، وخلق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، وكذلك يوصف ربنا وهو فوق ما يصفه الواصفون) التوحيد : ٥٧ ح ١٤ .
وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (... كان ربّاً إذ لا مربوب ، وإلهًا إذ لا مألوه ، وعالماً إذ لا معلوم ، وسميعاً إذ لا مسموع ...) التوحيد : ٣٠٨ ح ٢ .

الله في أن يعصمه من الكفر قبل أن يكون وقته تحت الفلك كان له ذلك ولم يكفر ، وهذا الذي كان في علم الله ، فالذي في علم الله يقع والذي يقع فهو^(١) ما شاء .

وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام كما رواه في الكافي^(٢) في باب الاستطاعة : (ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر ، وهم في إرادة الله وعلمه ألا يصيروا إلى شيء من الخيرات)^(٣)

(١) في نسخة أخرى : هو .

(٢) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٣) عن صالح النيلي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام : هل للعباد من الاستطاعة شيء ؟ قال : فقال لي : (إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم) ، قال : قلت : وما هي ؟ قال : (الألة مثل الزاني إذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى ، ولو أنه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه إذا ترك) قال : ثم قال : (ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً) قلت : فعلى ماذا يعذبه ؟ قال : (بالحججة البالغة والألة التي ركب فيهم ، إن الله لم يجبر أحداً على معصيته ، ولا أراد - إرادة حتم - الكفر من أحد ، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر ، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير) قلت : أراد منهم أن يكفروا ؟ قال : (ليس هكذا أقول ولكنني أقول : علم أنهم سيكفرون ، فأراد الكفر لعلمه فيهم وليس هي إرادة حتم إنما هي إرادة اختيار) الكافي : ١ / ١٦٢ ح ٣ ، وشرح أصول الكافي : ٥ / ٤٣ .

الحديث ، فعلم الله بأنه يكفر ليس موجوداً لكفره بل هو باق على اختياره إن شاء آمن وإن شاء كفر ، وإن آمن كان الواقع في علمه هو الإيمان قبل أن يؤمن ، وإن كفر كان الواقع في علمه كفر قبل أن يكفر لأنه علم ما سيفعل في مستقبل أمره باختياره .

فالعبد مختار بينهما حتى يقع منه أحدهما ، ثم هو مختار في الانتقال إلى الآخر ، والله سبحانه يعلم ما يكون منه لأنه هو الذي يخلقه بعمله : «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(١) ، وهو سبحانه مختار في عبده وأعماله إن شاء عصمه وإن شاء خذله ، ثم إذا وقع من عبده أحد الحالين كان جلّ وعلا مختاراً في ملكه إن شاء غير وإن شاء أبقى ، فالذي أنتم تفرضونه أن الله يعلم أنه يكفر وأمره بالإيمان هو عند الله أنه قادر على الإيمان وعند العارفين بالله وبأفعاله ، فإن آمن كان الله إنما يعلم منه الإيمان وإن كفر كان إنما يعلم الله منه الكفر .

وأما هذا الكلام الذي ذكره الأشاعرة^(٢) فباطل لأنه تشبيه علم

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٢) قال الشيخ الحر العاملي : (قد روي أحاديث متعددة في لعن القدرية وذمهم وكفرهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فإذاً أن يراد بهم من ثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسّر العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجّه على الوجهين ، والقسم الأول الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلا الإمامية) .

الله بعلم خلقه الدهري وهو قول الصادق عليه السلام : (بدت قدرتك يا إلهي ، ولم تبُد هيئة يا سيدِي ، فشبّهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي ، فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي) ^(١) الدعاء .

فمتى كلف العبد كان ذلك التكليف استنطاقاً لطبيعته يؤول أمره إليها باختياره بمعونة اللطف والخذلان ، فإن اختار الإيمان أمكنته ذلك ، فإن آمن كان ما في علم الله هو إيمانه ، وإن اختار الكفر كان ما في علم الله هو كفره ، وهذا الرجل الذي وقع منه الكفر قبل أن يكفر ليس في علم الله أنه كفر ، وإنما الداعي أنه في علم الله أنه سيكفر .

والجواب أن نقول : هذا الرجل قبل أن يكفر في علم الله أنه

(١) مصباح المتهجد : ١١٥ ، وتوحيد الصدوق : ١٢٤ ، وبشارة المصطفى : ٣١٩ ، وأمالی الصدوق : ٩٧٠ ح ٧٠٧ ، ولفظه في المصباح : (اللهم يا رب الأرباب وبما معتقد الرقاب أنت الله الذي لا تزول ولا تبيد ولا تغيرك الدهور والأزمان ، بدت قدرتك يا إلهي ، ولم تبُد هيئة ، فشبّهوك يا سيدِي ، واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي ، فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي ، وأنا يا إلهي بريء إليك في هذه الليلة من الذين بالشبهات طلبوك ، وبريء إليك من الذين شبهوك وجهلوك ، يا إلهي أنا بريء من الذين بصفات عبادك وصفوك ، بل أنا بريء من الذين جحدوك ولم يعبدوك ، وأنا بريء من الذين في أفعالهم جوروك ، إلهي أنا بريء من الذين بقبائح أفعالهم نحلوك ، وأنا بريء من الذين عما نزهوا عنه آباءهم وأمهاتهم ما نزهوك ، وأبراً إليك من الذين في مخالفة نبيك وآل الله عليه وعليهم السلام خالفوك ، وأنا بريء إليك من الذين في محاربة أوليائك حاربوك ، وأنا بريء إليك من الذين في معاندة آل الرسول عليهم السلام عاندوك ، اللهم صل على محمد وآلـه واجعلني من الذين عرفوك فوحدوك . . .).

يمكن منه الإيمان ، وليس يمكن منه الإيمان فإن كان الأول تساوى الحالان بالنسبة إليه ، فجاز أن يؤمر بالإيمان ، ولا يجوز أن يقال : إنه لا يقع منه إلا الكفر ، لأن هذا ليس بمختار فيما ، وليس هذا الفرض الأول بل الفرض الثاني ، وإن كان الفرض الثاني لزم . أما أن يُقال : إنه لم يفعل شيئاً لأنه ما كفر ، وإنما أحدث فيه الكفر بل لا يصح أن يقال : كفر ، لأن هذا اللفظ الذي هو كفر فعل ماض صدر من فاعل قاصد للفعل راض به ، ويقبل^(١) خلق الله كفره كما تقول في صورة جسمه : خلقها الله ، ولا تقول خلق صورته أو تصور .

فإذا جاز وقوعه منه وهو قاصد له وجب أن يكون مختاراً في فعله ، وإن كان مختاراً فيه أمكن له تركه ، وإذا أمكن له تركه تمكّن من ضده وهو الإيمان ، وجاز تكليفه به كما هو الواقع ، فكما جاز منه الكفر جاز منه الإيمان ، أو لم يكلف به لأنه تكليف بما لا يطاق ، وإذا جاز منه وقوع الإيمان بل لم يخلق إلا للإيمان ولم يطلب منه غيره ، فلما فعل غير ما خلق له وغير ما يراد منه وجري على^(٢) مقتضى فعله الموجب للعذاب لم يلزم من ذلك أن يكون داعي التكليف وباعثه قبيحاً ، لأنه إنما يكلف^(٣) بالطاعة

(١) في نسخة أخرى : لقيل .

(٢) في نسخة أخرى : عليه .

(٣) في نسخة أخرى : كلف .

ليصل بها إلى كل خير ، فلما نسوا ما ذكروا به لزمهن وصفهم ، وليس من التكليف ليكون مستعقباً للضرر الخالي من النفع ، وإنما ذلك بتركهم التكليف : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقَرَىٰ إِمَّا تَوَلَّوْا وَإِنَّمَا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُنْ كَذَّبُوكُمْ فَأَخْذُنَّهُمْ »^(١) . « ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ »^(٢) .

في أن التكليف نفعه للعبد

قال سلمه الله تعالى : (وأيضاً أنه تعالى إنما كلفنا النفع لعوده إلينا قال تعالى : « إِنَّ أَحَسَنَتُمْ أَحَسَنَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ »^(٣) الآية ، فإذا عصينا فقد فوتنا على أنفسنا تلك المنافع ، فهل يحسن في العقول أن يأخذ الحكيم إنساناً ، ويقول : إنني أعتذبك العذاب الشديد لأنك فوتت على نفسك بعض المنافع ، فإنه يقول له : إن تحصيل النفع مرجوح بالنسبة إلى رفع^(٤) الضرر فهو أني فوت على نفسي أدون المطلوبين فأنت تفوتك على لأجل ذلك أعظمها ، كيف يليق هذا بأحكام الحاكمين ؟ !) .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٧ .

(٤) في نسخة أخرى : دفع .

عذاب العبد العاصي موافق للعدل الإلهي

أقول : لا شك أنه سبحانه إنما كلف عبده النفع لعوده إليه لأنه لما علم فقره و حاجته وعدم استغنائه عن إعانته ومدده في حال من الأحوال ، كلفهم قبول النفع منه ، ولما علم أنهم لا يقدرون على ما يحتاجون إليه من المعونة والنفع منه بل لا طريق إلى ذلك إلا بقبولهم هذا التكليف الخاص بهم ، ولا يمكنهم غيره^(١) ، كما سمعت ورأيت .

وهذا التكليف هو طريق قبولهم النفع منه لا غيره ، ونفعهم محصور في تنعمهم وتلذذهم بما يحبون وما يشتهون لا غير ، ولما كانوا في أنفسهم محتاجين مفتقرين إليه في كل حال لأنه غني مطلق وهم فقراء كذلك ﴿وَاللَّهُ أَفْغَى وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٢) ، وَجَبَ لكونهم فقراء مطلقاً أن حصول مطلوبهم في طلبهم فيه^(٣) لا غير وليس لهم طلب إلا القبول منه ، ولا يتحقق القبول النافع إلا لأمره وإرادته المواتفين لمحبته ، وليس في شيء مما يوافق محبته قبح بوجه ما ، بل كل ما يحب حَسَن لأنَّه تعالى الحق المطلق ، فإذا لم يقبلوا منه ما يوافق محبته وجب أن يقبلوا عنه^(٤) ما يوافق كراحته ، إذ لا واسطة بين محبته وكراحته ، ولا استغناء للمحتاجين عن الاحتياج إلى المدد .

(١) في نسخة أخرى : غيره كلفهم . (٣) في نسخة أخرى : منه .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٨ . (٤) في نسخة أخرى : منه .

فإذا قبلوا ما يوافق كراحته لزمهن مقتضاها وليس فيما يكره شيء من الحُسن ، بل كله قُبح لأنه سبحانه لا يكره الخير ولا يحب الشر ، وليس في شيء من القبيح لذة ولا محابة في ذاته ، بل هو لذاته خلاف مطلوب النفوس ، وإنما يظهر للغافلين حُسنه لغفلتهم عن قبحه .

مثلاً إذا زنى الرجل الغافل عن قبح المناهي بالأجنبي يتلذذ ويستحسن فعله لغفلته عن قبحه ، ولو أنه تأمل في قبحه^(١) ما لو كان الزاني غيره والمزنى بها أخته أو بنته^(٢) ، لعرف ما في الزنى من القبح ، وفي حُسنه لو كان موافقاً لمحبة الله ، كما لو تزوج ذلك الأجنبي أخته أو بنته فإذا قبل المكلف ما يوافق كراحته كان بذلك بعيداً من القرب إليه ومن الذات الحقيقة بنفس فعله ، وليس ضد القرب الذي هو الخير المطلق إلا بعد الذي هو الشر ، فإذا لم يقبل منه فوت على نفسه النفع فيلزمه ضده الذي هو الضر ، ولا يعني بالعذاب إلا هذا ، فهو حين فوت النفع أبداً فاقد له والفاقد للنفع أبداً واجد للضر^(٣) ، لأن الممكן ما دام موجوداً هو متصرف بأحدهما ، لأن إما مقبل متلذذ بإقباله إلى الخير وإما مدبر متالم بإدباره عن الخير إلى الشر ، ولا واسطة بينهما ، وهو

(١) في نسخة أخرى : قبحه مثل .

(٢) في نسخة أخرى : بنته .

(٣) في نسخة أخرى : أبداً واجداً .

قوله صلى الله عليه وآلـه : (ليس وراء دنياكم هذه بمستعبد ، ولا
دار إلا جنة أو نار) ^(١) .

وليس المراد أن العذاب الذي استحقه العاصي أنه لموجب
عين ^(٢) فعله وصادر من عين ^(٣) عمله ، ليقال : إنه إذا ترك النفع إنما
ترك حظ نفسه ، ولا يعاقب على ذلك كما يقال : إذا ترك الأكل لا
يضرب على ترك الأكل لأنـه لم يفعل ما يستوجب به الضرب ^(٤) ،
إنه إنما جرى عليه العذاب من عمله كما لو ترك الأكل الذي لو أمر
به فإنه بسبب ترك الأكل يؤلمه الجوع إلى أن يقتله ، إلا أنه
يضرب عليه ، ولكن تركه الصلاح هو الفساد وتركه ^(٥) الراحة هو
النـصب ^(٦) ، وترك الطاعة هو المعصية ، وترك النـعيم هو العذاب
وهكذا .

(١) الكافي : ٢ / ٧٠ ح ٩ ، وروضة الوعاظين : ٤٥٢ ، وتحف العقول : ٢٨ ،
ولفظه من الكافي : عن حمزة بن حمران قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام
يقول : (إن مما حفظ من خطب النبي صلى الله عليه وآلـه أنه قال : يا أيها الناس
إن لكم معالـم فانتهوا إلى معالـمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايـتكم ، إلا إن
المؤمن بعمل بين مخالفـين : بين أـجل قدمـضـى لا يـدرـى ما الله صـانـعـ فـيهـ وبين أـجلـ
قدـبـقـى لا يـدرـى ما الله قـاضـ فـيهـ ، فـلـيـأـخـذـ العـبـدـ المـؤـمـنـ مـنـ نـفـسـهـ ، وـمـنـ دـنـيـاهـ
لـآخـرـتـهـ ، وـفـيـ الشـيـئـةـ قـبـلـ الـكـبـرـ ، وـفـيـ الـحـيـاةـ قـبـلـ الـمـمـاتـ ، فـوـالـذـيـ نـفـسـ مـحـمـدـ
بـيـدـهـ مـاـ بـعـدـ الدـنـيـاـ مـنـ مـسـتـعـدـ ، وـمـاـ بـعـدـهـ مـنـ دـارـ إـلـاـ جـنـةـ أـوـ نـارـ) .

(٢) في نسخة أخرى : غير .

(٣) في نسخة أخرى : غير .

(٤) في نسخة أخرى : الضرب بل نقول .

(٥) في نسخة أخرى : ترك .

(٦) في نسخة أخرى : التعب .

فلو قال : يا رب إني فوت^(١) نفسي أهون المطلوبين إلى آخره .

قيل له : أنت جاهل بدوائك ودائلك لأنك في الحقيقة ليس إلا مطلوب واحد وضده ، فإذا تركت الراحة ليس غيرها إلا ضدها وهو التعب .

ولو قال : أنت تقدر على أن تعطيني الراحة وإن تركتها .

قيل له : كيف يمكن أن تستريح ، وأنت لا تستريح ونظيره لو كان قريباً منك رجلان فدعوتهما فأقبل شخص وأدبر الآخر فإن المقرب إليك المجيب دعوتك البتة يكون قريباً منك ، فإذا كنت في نور وليس نور إلا عندك كان من أقبل إليك^(٢) قريباً منك ومستيناً بنورك ، والمدبر عنك المعرض عن إجابتك البتة يكون بعيداً عنك ، لأنه لم يقرب منك ، فكيف يكون قريباً منك وهو قد بعد عنك ؟ ويكون مظلماً لأنه لم يدخل في النور الذي عندك ، فلو قال لك : أنا بعدت عن قربك ، ولا أريده ، ولا أدخل نورك وقد فوت على نفسي قربك ونورك فلما لا تجعلني قريباً منك من حيث بعدت عنك وداخلاً في نورك من حيث لم أدخل ؟ فإنك تقول له : أنا دعوتك إلى قربي ونوري فتركتهما فكيف تدخل فيما لم تدخله ، وإنما أنت باق في البعد والظلمة اللذين طلبهما فهو معذب بما طلب باختياره ، فافهم .

(١) في نسخة أخرى : فوت على . (٢) في نسخة أخرى : إليك كان .

مبررات دوام العذاب على العصاة يوم القيمة

قال سلمه الله تعالى : (الرابعة - سلمنا العقاب وجوزنا العذاب فمن أين القول بالدوام ، وما الدليل عليه في المقام ؟ مع ^(١) أقسى الناس قلباً وأشدتهم غلظة وبعداً عن الخير والرحمة إذا أخذ من بالغ في الإساءة إليه ^(٢) عذبه يوماً وشهراً وسنة ثم إنه شبع منه ولو بقي مواظباً عليه يلومه كل أحد ، ويقال : هب أنه بالغ في الإساءة والإضرار بك ولكن إلى متى هذا التعذيب ؟ فإذا ما أن يقتله وإما أن يخلعه ، فإذا قبح هذا من الإنسان الذي يلتذ بالانتقام ، فالغنى عن الكل كيف به هذا الدوام مع أنه تعالى قال : ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ ^(٣) الآية) .

أقول : إن الإنسان في كل حال من أحواله له مثال منه صفة له يعمل عمله من خير أو شر في مكان عمله ووقته ، فكل ما توجهت إليه وجدته قائماً في ذلك الزمان وذلك المكان بذلك العمل .

مثلاً أنت رأيت زيداً في العام الماضي في بيت مخصوص يزني ، وبعد شهر رأيته في السوق يسرق ، وهذه السنة مثلاً رأيته في المسجد يصلي ، ففي كل وقت التفت خيالك إلى ذلك البيت

(١) في نسخة أخرى : مع أن .

(٢) في نسخة أخرى : التي .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٣٣ .

في ذلك العام الماضي رأيت زيداً يزني ، وذلك مثاله لا ينفك عن العمل كلما التفت رأيته كذلك ، وكلما التفت إليه في السوق بعد شهر وجدته يسرق أبداً لا ينفك عن هذا الفعل ، وكلما التفت إليه في المسجد في ذلك الوقت وجدته يصلّي أبداً لا ينفك عن هذا العمل ، كلما التفت إليه وجدته كذلك ، وكذلك حال أكله وشربه وقيامه وعوده وجميع أحواله وحركاته وسكناته كل حال له مثال له قائم بتلك الصفة أبداً ، سواء بقي هو عليهما أم أعرض عنها أم تاب حياً أم ميتاً .

وهذه الأمثال صفاته لازمة له كلزوم الظل للشخص مثبتة في هذا اللوح المحفوظ ، كلما أحدث شيئاً كتب فيه قال تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنِسُخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) ، فكما كان مثاله أبداً يعمل عمله وكان مثاله هو صفتة كذلك يكون هو أبداً متصفاً بذلك .

وقد قدمنا أن أعمال المكلف صور ثوابه وعقابه كما قال تعالى : ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْهُمْ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿وَلَا تُحِرِّزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) ، ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِالإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٤)

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٣) سورة يس ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة النجم ، الآية : ٣٩ .

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(١) ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّنُ بِهَا جِاهَدُهُمْ وَجُوْبُوهُمْ وَظَهُورُهُمْ هَذَا مَا كَزَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْرِزُونَ﴾^(٢) فإذا كان متصفًا بذلك وهو أبداً يعمل المعصية فالمعصية أبداً لا تنتهي ، كما أن الطاعة أبداً لا تنتهي ، وإنما هي شجرة ﴿تُؤْتِي أُكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(٣) ، فإن^(٤) تاب عن تلك المعصية توبة نصوحاً ، بقي ذلك المثال يعمل المعصية إلى يوم القيمة ، ثم يُمحى من ذلك اللوح ، وتنسى ذكره الملائكة من السماء الثانية ، ويُمحى من تلك البقعة التي عمل فيها ، ومن ذلك الوقت فلا يذكره أحد أبداً .

فإن قلت : إن قولك : كلما توجهت إليه وجدته عاملاً بالمعصية ، لا يدل على دعواك ، لأن ذلك إنما هو شيء في التصور وأنت تدعى وجوده في الخارج وأين ما في الذهن مما في الخارج ؟ !

في أن علة الخلود هو النية

قلت : إنما تتصور بذهنك الصورة وهي ظل للخارجي ، لأن الذي في ذهنك لا يخلو إما أن يكون ظلاً أو يكون ذاتاً ، فلو كان

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة التوبه ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٥ .

(٤) في نسخة أخرى : وإن .

ذاتاً لزم أن يكون ذهنك فيه البلدان والأشخاص بذواتها ولم يقل به أحد ، ولا يتوهّمه عاقل ، وإذا كان ظلاً لزم أن يكون لشيء خارجي ، ويجب أن يكون موجوداً خارج الذهن وليس إلا مثال زيد ، ولهذا إذا أردت أن تذكر مثاله وتراه بخيالك لا يمكنك ذلك إلا أن تلتفت إلى زمانه ومكانه ، بل لو عمل يوم الجمعة في المسجد لم تره ، ولا تراه إلا إذا التفت إلى المسجد يوم الجمعة ، وكون العاصي متصفاً أبداً بذلك المثال وأن ذلك المثال أبداً يفعل المعصية هو المشار إليه بما روي عنهم عليهم السلام : (إنما حُلِّدَ أهل النار في النار بنيّاتهم) ^(١) .

والسر في كون النية علة للخلود وهو أهل النار في الدنيا كانت نياتهم أنهم أبداً لا يطيعون الله ، فلما كانت نياتهم كذلك دلت على أن حقائقهم لم يكن في أصل تكونها شيء مقتض للخيرات وإنما لبدا عنه ميل ما ، ولو بالتسويف إلى جهة الخير ، فلا تنبع النية على المعصية بالتأييد ، لأن الدواعي والميول

(١) محسن البرقي : ٢ / ٣٣١ ح ٩٤ ، والكافي : ٢ / ٨٥ ح ٥ ، وعلل الشرائع : ٢ / ٥٢٣ ، ووسائل الشيعة : ١ / ٥٠ ح ٩٦ .

ولفظه من الكافي : عن أبي هاشم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (إنما خلد أهل النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنما خلد أهل الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطعوا الله أبداً ، فالنيات خلد هولاء وهولاء ، ثم تلا قوله تعالى : « قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْكِرَتِهِ » [الإسراء : ٨٤] قال : على بيته) .

الخالصة لا تنبئ خالصة أبداً عن الحقائق المشوبة ، فإذا كانت حقائقهم هكذا لم يكن فيها جهة قبول ما هو خلاف ما هي عليه في حد ذاتها ، فلم يجري عليها إلا ما قبلته بمقتضى ذواتها بأعمالها الظاهرة والباطنة ، ومنها النية لأنها الباعث على العمل ، ولكن أعمارهم ما وفَت بما عزموا عليه ، ولو عاشوا أبد الآدين ما همّوا بطاعة الله أبداً ، حتى أنهم يندمون على تفريطهم ولا يعزمون على التلافي ، كما حكى الله عنهم في قوله : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلِينَنَا نُرَدُّ وَلَا تُكَذِّبَ بِيَقِينَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) ، فكذبهم الله تعالى لعلمه بما عزموا عليه فقال : ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِونَ مِنْ قَبْلِ﴾ ، فإنهم كانوا يتبرؤون من التقصير ، فلما ظهر للناس أنهم قصرروا ظهروا لهم الاعتذار حياءً لا ندماً على تقصيرهم ، فقال تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ﴾^(٢) أخبر تعالى عن نياتهم واستدامتها أبداً ، فلهذا أقامها^(٣) التمكן مقام أعمالهم بالمعاصي ، لأنهم لم يمنعهم من معاصي الله إلا عدم منها أو الموت مع العزم عليها .

ولو جاز تعنيفهم والحال هذه لجاز خلاف الاستحقاق وخلاف القابلية وخلاف الحكمة ، ولو حسن هذا لجاز تعذيب

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٢٨ .

(٣) في نسخة أخرى : أقامهم .

الطبائع ، ولو جاز ذلك لبطلت فائدة التكليف ، ولو جاز هذا لم يحسن إيجادهم ، لأن فائدة الإيجاد هي المعرفة والعبادة المتوقفين على التكليف ليصل المكلف بهما إلى الخيرات والتنعيم الدائم ، فهذا من الأدلة المشتبة لدوام العذاب عند أولي الألباب .

الأدلة العقلية والحكمية على دوام التعذيب

ومنها : أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً إلا وخلق له ضدأ ليعلم^(١) ، فلما خلق الرحمة وجب في الحكمة أن يخلق ضدها فخلق الغضب وهو ضد الرحمة وهما ركنان للوجود ، فخلق من الرحمة أهل الجنة وخلق من الغضب أهل النار ، والمراد من هذا الخلق هو الخلق الثاني الذي هو خلق التقدير ، وفيه السعادة والشقاوة لا الخلق الأول الذي أشار إليه تعالى بقوله : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَيَحْدَدُهُنَّ »^(٢) ، وهو خلق مواد الخلق أي إيجادهم تامين في الخلقة الظاهرة ناقصين في الخلقة الباطنة ، يعني خلقهم خلق الإيجاد ولم يخلقهم خلق التكليف إلا أنهم كانوا صالحين لقبول الخير والشر ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وهذا خلق التقدير والتكليف وبه السعادة والشقاوة .

والمراد من^(٣) خلق السعداء من الرحمة والأشقياء من

(١) في نسخة أخرى : ليعلم إلا ضده .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٣) في نسخة أخرى : ومعنى .

الغضب أنه خلق الفريقين موادهما من الوجود في الخلق الأول كلّ منهما صالح لقبول الخير من جهة وجوده ، ولقبول الشر من جهة ماهيته ، فقال لهم : ﴿أَلَستُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١) من أجاب دعوتي وأمن بي خلقت صورته من جنس إجابتي والإيمان بي وهو الرحمة ، ويكون بذلك مآلء إلى جنتي ورحمتي ، ومن أعرض عني وكفر بي^(٢) ، وهو الغضب ويكون بذلك مآلء إلى ناري وغضبي ، فمنهم من أجاب خلقه من الرحمة وإليها يعود ، ومن أنكر خلقه من الغضب وإليه يعود ، فأجرى على كل^(٣) أصل فروعه ، وفروع كل من الأصلين لا نهاية لها ، فصورة الرحمة خلقها لمن أطاعه بإجابته وإلى الرحمة يعود .

ومن فروعها الجنة ونعمتها الدائم الذي لا انقطاع له ، بل كلما تطاولت الدهور عليهم ازدادوا نعيمًا ولذةً وجدةً وشباباً ، وعكسها صورة الغضب خلقها لمن عصاه بمعصيته وعدم قبوله لدعوته وإلى الغضب يعود ، ومن فروعها النار وحميمها الأليم وعذابها الذي لا انقطاع له ، بل كلما تطاولت الدهور عليهم ازدادوا تالماً وعذاباً وضعفاً على عكس الجنة وأهلها ولهم عذاب

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) في نسخة أخرى : أعرض عن دعوتي ولم يؤمن بي خلقت صورته من جنس الإعراض عني والكفر .

(٣) في نسخة أخرى : كل أهل .

مقيم ، فكما أن أهل الجنة دائمًا يأكلون ويتلذذون من ثمرات أعمالهم ، كذلك أهل النار يتآملون من طلع أعمالهم ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا تُفْوِتُنَّ مِنْهَا أَبْطَلُونَ﴾ ٦٦ ثم إن لهم علية شوائب مِنْ حَيْمٍ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَيَّ الْجَحِيمَ﴾ ٦٧ ، استجير بالله من غضب الله .

ومنها : أنه قد دل العقل والنقل وإجماع المسلمين على أن أهل الجنة أبداً يتنعمون ، وأن نعيمهم لا انقطاع له ، وقد دل العقل والنقل على أن النار عكس الجنة وضدتها ، وأن جميع ما فيها ضد ما في الجنة ، وقد ثبت أن الجنة لا ينقطع نعيمها وتنعم أهلها ، فيجب أن تكون النار لا ينقطع عذابها وتألم أهلها لأنها ضد (١) الجنة ، فكيف يصح أن ينتهي الظل ذو الظل لا ينتهي ، ولا شك أن تألم أهلها ظل لتنعم أهل الجنة ، لأن التنعم فرع الجنة والتألم فرع النار وهي ضدها وظلها .

وهذه التي سمعت من الأدلة العقلية ولكنها من دليل الحكمة الذي ينظر به الفؤاد .

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٦٦ - ٦٨ :

(٢) في نسخة أخرى : ظل .

الأدلة النقلية على دوام التعذيب

وأما الأدلة النقلية فالآيات والروايات ناطقة بذلك كقوله تعالى : « كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ »^(١) .

وقوله تعالى : « لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا »^(٢) والأحاديث مشحونة بذلك ، وإجماع العلماء من الفريقين على ذلك معلوم لا ينكر ولا يجهل .

ودعوى أن أهل النار يؤول أمرهم إلى النعيم باطلة ، فإن هؤلاء المتصوفة أعداء أهل البيت عليهم السلام هم القائلون بذلك لما قال أهل العصمة عليهم السلام بدوام التألم لأهل النار ، وأولئك همهم الخلاف لأهل العصمة عليهم السلام^(٣) ليتقربوا بذلك إلى أئمة الجور ، فجرى فيهم قول النبي صلى الله عليه وآله كما رواه الفريقان : (لتركبنا سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة)^(٤) الحديث .

وذلك أن اليهود قالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ٣٦ .

(٣) في نسخة أخرى : الحق .

(٤) بحار الأنوار للمجلسي : ٥١ / ١٢٨ ، وتفسير العياشي : ١ / ٣٠٣ ح ٥ ، والصراط المستقيم : ٣ / ٢٣٧ باب ١٦ .

وقال بعضهم إلّا أياماً معدودات ، ونظيرهم في هذا الأمر القائلون بانقطاع العذاب عن الكافر وأن مرادهم يؤول إلى النعيم .

وبيه قال مميت الدين بن عربي^(١) ، وتبعه جهال من أهل هذه المذاهب في صورة العلماء ، وتتكلفوا تأويل القرآن والنصوص ، وصرفوا القول عن مفهومه ، وحرفوا الكلام عن مواضعه حتى وقعوا في مهلكة غفلة ، بأن جعلوا محكمات الكتاب ونصوص أهل الخصوص تابعاً لرأي أهل الضلالة كابن عربي وعبد الكريم الجيلاني^(٢) ، وهم لا يعلمون ، ولو قلدوا أئمتهم وردوا الأمر إليهم لكان خيراً لهم وأقوم .

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسى .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .

انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٣٢٥ .

(٢) هو الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجيان من أعمال فارس .

ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ .
مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٣٢ هـ .
انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣ ، وكشف الظنون : ١٥٢٥ .

دفع إشكال الصوفية في حسن العفو في دوام العذاب

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ هُبَ عَصَى طُولَ عُمْرِهِ^(١) مِنَ الْأَبْدِ ، فَيَكُونُ الْعَذَابُ الْمُؤْبِدُ ظَلْمًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ التَّجَاوِزَ عَنِ الْوَعِيدِ مُسْتَحْسِنٌ فِيمَا بَيْنِ النَّاسِ) .

أقول : قد تقدم جواب أول هذا السؤال بأنه إنما عذب أبداً على نيته وعزمه القاطع أنه يعصي أبداً، وإنما منعه عن^(٢) عمل المعاصي أبداً الآبدين بالجوارح عدم^(٣) تمكنه ومعاجلة الأجل، ولأنه لو انقطع عنه العذاب لا يخلو ، إما ألا يكون موجوداً وليس في الآخرة عدم ، وإما أن ينعم .

وقد تقدم أن حقيقته لا تقتضي التغريم ، ولا يحسن العبث من الحكيم الذي لا يفعل إلا عن حكمة ، فلو وضع الأشياء في غير موضعها لكان ظلماً للحكمة ، ويكون فاعل ذلك ضعيفاً ، كما قال عليه السلام : (وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف)^(٤) ، فيكون

(١) في نسخة أخرى : عمره فأين عمره :

(٢) في نسخة أخرى : من .

(٣) في نسخة أخرى : لعدم .

(٤) مصباح المتهجد للطوسي : ١٩٥ ، ومفتاح الفلاح : ٢٥٦ ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ٤٩١ ، ومصباح الكفعمي : ٩٥ .

ولفظه في المصباح : (فمن ذا الذي يعرض لك في عبده أو يسألك عن أمره ، وقد علمت يا إلهي أنه ليس في نقمتك عجلة ولا في حكمك ظلم ، وإنما =

تعذيبه لهذا المنافق بالعذاب المؤبد عدلاً ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) .

وأما ما احتاج به الصوفية فيه من أن التجاوز عن الوعيد مستحسن لأنّه عفو ، ومن كرم النفوس ، ومن أولى في^(٢) كرم النفس من الله تعالى ، ولأنّه مدح أقواماً يغفون عمن يستحق العقوبة وسمّاهم محسنين كما قال تعالى : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) فليس ب صحيح :

أما أولاً : فلأن الوعيد إذا كان لمن لا يحسن العفو عنهم فإنه وعد من جهة ، وذلك لأن ذلك الانتقام قصاص لمظلومين في الدنيا ، وهو وإن كان وعيداً بالنسبة من المقتضى منه لكنه وعد بالنسبة إلى المقتضى له لأنّه في مقابلة مظلمته ، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَوَيْعًا وَمَثْلَهُ مَعَهُ لَأَفْنَدُوا بِهِ﴾^(٤) ، ولهذا سماه الله وعداً قال تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ﴾^(٥) ، وإذا كان وعد الآخرين لا يجوز في الحكمة

يعجل من يخاف الفوت وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا إلهي = عن ذلك علواً كبيراً) .

(١) سورة يونس ، الآية : ٤٤ .

(٢) في نسخة أخرى : من .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٤ .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .

(٥) سورة الحجّ ، الآية : ٤٧ .

العفو عنه ، لأن فيه إبطال حق الغير مع ما فيه مما يلزم عليه مما ينافي المصلحة .

وأما ثانياً : فلأن العفو عن الوعيد لا يحسن إلا عمن يصلح للإحسان إليه ، وإلا لما جاز مطلق العدل والحساب لأنه ينافي العفو ، وإذا فتح جواز هذا الباب بطل حكم التكاليف^(١) ، لأن من عفي عنه لا يبقى واقفاً بل لا بد من الإحسان إليه ، ومن لا يصلح للإحسان إليه كيف يصبح الإحسان إليه ؟ ! وهذا مع ملاحظة ما تقدم .

وأما ثالثاً : فلأن العفو عن الوعيد إذا كان أحسن من القصاص فهل^(٢) الحسن مطلق أو أنه مقيد ؟ فإن كان مقيداً فنحو نقول بمحاجبه ، لأن بعض من يحسن الإحسان إليه يعفي عنه لا مطلقاً ، وإن كان مطلقاً ففيه بحث : وهو أن نقول : إما أن يكون المراد بالإطلاق أنه يحسن العفو عن كل أحد أو أنه يحسن العفو عن كل ذنب ، فإن كان المراد به الأول لزم منه ما قلنا من بطلان فائدة التكليف ، وإن^(٣) كان الثاني فنقول : لم لا يكون العفو المستحسن إنما هو عن البعض دون الكل ؟

فإن قلت : يجوز أن يكون المراد به العفو عن البعض .

(١) في نسخة أخرى : التكليف .

(٢) في نسخة أخرى : فهل هذا .

(٣) في نسخة أخرى : فإن .

قلنا : فيه شيئاً :

الأول : ترجيح البعض دون البعض الآخر ترجيح بلا مرجع ، إذ نسبة الذنوب كلها إلى عفوه^(١) لغناه المطلق على السواء ، فلا يكون المراد به بعضاً دون بعض .

وإن سلمنا أنه عن بعض دون بعض فنقول المعفو^(٢) عنه هو الصغار أم الكبائر ، فإن كان هو الصغار لزم ما قلنا سابقاً من لزوم الدوام ، إذ^(٣) العفو عن الصغار خاصة كلاً عفو لأنه لا يترتب عليها عذاب يلزم منه الدوام ليكون المعفو^(٤) عنه ناطقاً^(٥) عن الدوام ، وإن كان عن الكبائر^(٦) مكفراً للصغار ، فيكون العفو عن الكبائر عفوأً عن الكل ، وهو خلاف المفروض مع ما فيه من خلاف الحكمة ، فإن العفو إذا كان تدريجياً يجب على مقتضى الحكمة أن يكون الابتداء بالصغار ، وكون العفو عن الكبائر دون الصغار يستلزم تأخر الصغار وهو مخالف للحكمة .

وإن قلت : إن العفو المستحسن إنما هو عن الكل ، لأن التمدح بالعفو عن الكل أكمل وأولى بالغنى المطلق وال الكريم الذي لا يتلذذ بالانتقام ، ولا تستفزه الأحوال .

(١) في نسخة أخرى : عفو متساوية .

(٢) في نسخة أخرى : العفو .

(٣) في نسخة أخرى : أو .

(٤) في نسخة أخرى : العفو .

(٥) في نسخة أخرى : قاطعاً .

(٦) في نسخة أخرى : الكبائر قلنا : إن العفو عن الكبائر .

قلنا : الأمر في حقه تعالى كما قال وفوق ما نقول ويقول القائلون ، ولكن يلزمك أن تقول : إنه يغفو عن كل أحد ، ولا يؤاخذه^(١) عن ذنب ، فكيف قلت إنه يعذبهم مدة من الأوقات ويتألمون من ابتداء دخولهم ؟ فلِمَ جاز أن يعذبهم ولا يغفو عنهم ابتداء ؟ لأن العفو عنهم ابتداء أبلغ في التمدح بالعفو عنهم بعد تطاول الدهور ، ولأن يغفو عن إبليس ويدخله الجنة أبلغ من ذلك ، فكيف حكمت أنه يعذبهم ابتداء ثم يمتدح بالعفو عنهم ؟ ! فإن كان ذلك عن ذنوب يغفو عنها .

فنقول : إنه تعالى قد حكم ألا يغفو عنهم قال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ»^(٢) ، وإن كان إنما عقاب ذنوبهم قد انتفى^(٣) فينبغي أن يقال : إنه يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ، وإلا لكانوا مظلومين وهو خلاف الحكمة .

فإن قلت : إنما الحكمة أن يرتفع عنهم التألم ويتنعمون بالعذاب .

قلنا : لو خيروا أن يخرجوا من النار ويدخلوا الجنة هل يرضون بذلك ، أم يقولون : نعيم النار خير لنا ؟ ولا شك أنهم يختارون الجنة وليس ذلك إلا بعد النقم^(٤) ، ولو بالنسبة على

(١) في نسخة أخرى : لا يؤاخذ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤٨ .

(٣) في نسخة أخرى : انتهى .

(٤) في نسخة أخرى : لعدم النعم .

قولكم ، ثم نقول : إذا كانت الجنة خيراً لهم وقد فرض أن لا ذنب عليهم فلما لا يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة وهي خير من النار ؟ !

فإن كان لأجل أنه حَكْمَ أَنَّهُ حَرَمَ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ ، قلنا : إن كان منعهم من الجنة لحكمه عليهم بذلك ويكون حكمه هو المانع ، قلنا : بما استحقوا ذلك بدون تقصير ، فكيف يحكم عليهم من غير استحقاق ؟ ! فإن كان حكمه جرى على مقتضى الحكمة مع أنهم لا ذنب عليهم كذلك حكم بأنهم أبداً يتأنمون جار على مقتضى الحكمة ، وإن كان هو الموجب لتأنفهم .

وإن كان أن حُكْمَه لا يجري على مقتضى الحكمة إلا إذا كانوا^(١) مستحقين كذلك ، نقول : إنما جرى حكمه عليهم بتأنفهم لأنهم كانوا مستحقين بسبب ذنبهم ، وذنبهم إنما كانت غير متناهية ، لأن نياتهم كانت غير متناهية في التصميم والعزم الجازم على العصيان ، وإنما قامت النيات مقام الأعمال لأنها ميل ذاتهم الذاتي إلى ما هُم عليه من العصيان .

أدلة الصوفية على انقطاع التألم يوم القيمة

ومن أدلةتهم على انقطاع التألم أن الله تعالى قال : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » ، ولا ريب أن الكافر شيء فتسعه الرحمة .

(١) في نسخة أخرى : كان .

والجواب : أن الرحمة الواسعة هي الفضل والعدل بخلاف الرحمة المكتوبة فإنها فضل خاص^(١) ، ولهذا قال تعالى : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٢) الآية ، وهو الصفة^(٣) الرحيم الخاصة بالمؤمنين : ﴿وَكَانَ إِلَّا مُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٤) فالرحمة^(٥) الواسعة صفة الرحمن ، وهو اسم خاص بصفة عامة ومعنى عموم صفتة أنها تشمل المؤمنين والكافرين في الدنيا أو في الدنيا والآخرة .

وعلى الرواية الأخيرة أن رحمته تشمل المؤمن بجهة الفضل والكافر بجهة العدل ، ولو كان المراد بالرحمة الواسعة هي جهة الفضل خاصة لكان يلزم أحد الأمرين^(٦) إما ألا تشمل كل شيء لأنها لا تشمل الكفار أول دخولهم النار فلا تسع كل شيء فيبطل استدلالهم ، أو تشملهم فلا يتأنمون أبداً ، ولم يقل به أحد من المسلمين ، وأمثال ذلك مما لافائدة في ذكره ، لأنه مخالفة العقل^(٧) والنقل .

(١) في نسخة أخرى : خالص .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٣) في نسخة أخرى : هي صفة .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٣ .

(٥) في نسخة أخرى : والرحمة .

(٦) في نسخة أخرى : أمررين .

(٧) في نسخة أخرى : مخالف للعقل .

والتأويل للنقل هنا باطل للإجماع على تصحيح^(١) ظاهره ، وأما العقل فلا يتوهمون أن دعواهم مطابقة للعقل ، غلط ، لأن هذا الذي ذكروه ليس بعقل إذ شرط العقل المسموع أن لا يخالف المطبوع ، لأن المسموع قد يكون مكتسباً من مذهب قلد فيه أو اعتقاد اعتقدت نفسه له وآمنت به ، والمطبوع فطرة الله وهي حق ، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

**رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ
فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَطْبُوعٌ
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ**
والحاصل تفهم الكلام تعرف الحق من الباطل .

قال الشاعر :

فَهَبْ أَنِي أَقُولُ الصُّبْحَ لَيْلًا أَيْعَمِ النَّاظِرُونَ عَنِ الضَّيَاءِ

إشكال آخر على دوام العذاب

قال سلمه الله تعالى : (وأيضاً إيجاد هذا الموجود المستحق للعذاب الدائم لا يخلو عن إشكال ، فإن ذلك الموجود له أن يقول لموجده حين الذم والعقاب : أنا ما كنت راضياً بالوجود فلماً أوجدتني وابتليتني بهذا البلاء العظيم مع علمك بأن ذاتي كذلك ؟)

(١) في نسخة أخرى : الصحيح .

وليس عدم رضائي من سفاهتي وقلة عقلي ، بل كل العقلاء يؤثرون العدم على مثل هذا الوجود المبتلى بالعقاب دائمًا ولم يخلص من العذاب أبدًا .

أقول : ليس لهذا الموجود أن يقول هذا القول لأنه إنما أوجده باختياره ورضاه ، بعد أن بين له ما يؤول أمر الطائع والعاصي بالدليل الذي يفهمه بذوقه فهماً قطعياً ، حتى أنه لو علم منه أن عقله ما ذاق أزيد^(١) منه بقي ملهياً عنه ، حتى يكون يوم القيمة ويجدد له التكليف كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْلِلُ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(٢) ، ولهذا قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٣) حتى أنه خاطبهم بالاستفهام التقريري الدال على إقرار المخاطب بالذكر وعلمه به ورضاه بذلك الإقرار بما سُئل عنه ، كما تقول لمن تريده الإقرار لك بأنك الذي أعطيته دراهم ألسْتُ بالذي أعطاك دراهم؟ فيقول : بلـ ، فإذا تأملت هذا الكلام ظهر لك أنه راض بذلك الإقرار .

ولما أقرّوا بذلك قال للملائكة : اشهدوا يا ملائكتي قالوا : شهدنا ، كراهةً أن تقولوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ﴾^(٤) ،

(١) في نسخة أخرى : ما أريد .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٤) روي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق =

فكيف يقول : ما كنت راضياً بالوجود مع أنه هو الذي دخل في البلاء العظيم باختياره ، فإن الله تعالى مثلاً قال لعمرو : لا تأكل دينار هذا اليتيم فإن من أكل مال اليتيم إنما يأكل في بطنه ناراً ، وبعد أن عرّفه ذلك حتى علم به يقيناً واشتهى طعاماً لا يموت بدونه^(١) أخذ دينار اليتيم فأكله ، فإذا كان يوم القيمة أتى به فأطعم ذلك الدينار ناراً في بطنه يصهره^(٢) ، فإذا كان اشتد به الأمر قال : يا رب ما كنت راضياً بوجودي في الدنيا حتى لا آكل دينار اليتيم ، ولا شك أنه لو رجع في الدنيا واشتهى شهوة ولم يجد إلا ذلك

الخلق خلق ماءً عذباً ، وما مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : « أَلَسْتُ إِبْرَيْكُمْ قَالُوا بَلْ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : « أَلَسْتُ إِبْرَيْكُمْ » ، وأنّ هذا محمد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ « قَالُوا بَلْ » ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ، ومحمد رسولي ، وعلىي أمير المؤمنين وأوصياؤه : من بعده ولادة أمري ، وخزان علمي ، وأنّ المهديّ انتصر به للدينبي ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكراهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهادنا) أمالی الصدقوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ ، والكافی : ٢ / ٨ ح ١ ، وختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسیر نور الثقلین : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ .

(١) في نسخة أخرى : بدون .

(٢) في نسخة أخرى : يطهر .

الدينار لأخذه ، وهكذا ، فهذا إنما يقول : ما كنت راضياً بالوجود
وإذا وقف على النار ولو رد وسأل ربّه الوجود .

وأما قوله : مع علمك بأن ذاتي كذلك ، فغلط ، لأن الله تعالى إنما علم قبح ذاته بمعصيته ، ولو أطاع لعلم حسن ذاته^(١) ليست شيئاً قبل الإيجاد ليعلّمها أنه^(٢) قبيحة ، فيكون قد خلق ما كان شقياً ليشقيه ، بل ما كانت شيئاً ، فلما خلق كونها وغيبها جعل ذاتاً صالحة للشر للتمكن^(٣) من قبول الخير ، فإنه لو جعلها متمكنة من الخير ولم تكن متمكنة من الشر^(٤) إذ شرط التمكن من الخير التمكن من الشر ، لأنه إذا ترك الشر باختياره وهو قادر على فعل الخير كان فاعلاً للخير باختياره^(٥) ، فلا يسعه بفعله للخير لأنه لا يمكنه تركه ، فلما جعل ذاته صالحة للخير وللشر عرفة طريق الخير الموصى للسعادة وطريق الشر الموصى للشقاوة ، وأخبره أن طريق الخير هو الإجابة وطريق الشر هو الإنكار .

بعد إبلاء الأعذار أمره فأنكر وترك أمره باختياره وحقت عليه

(١) في نسخة أخرى : ذاته لأن ذاته .

(٢) في نسخة أخرى : إنها .

(٣) في نسخة أخرى : لتمكن .

(٤) في نسخة أخرى : الخير .

(٥) في نسخة أخرى : باختياره ولو لم يتمكن من الشر كان فاعلاً بغير اختياره فلا يكون فاعلاً باختياره .

الكلمة بعمله ، وكيف يقول : مع علمك بأن ذاتي هكذا إنما كانت ذاته كذلك بعمله باختياره ؟ !

وأما قوله : وليس عدم رضائي هذا من سفاهتي وقلة عقلي ، الخ ، غلط ومحالطة ، بل من سفاهته وقلة عقله ، لأنه بعد أن فعل ما يوجب العذاب الأليم الدائم باختياره وعمله^(١) البلة ، يكون عدمه أخف على نفسه من بقائه في هذا البلاء ، ولكنه هو الذي^(٢) أدخل نفسه في حلول^(٣) البقاء وعظيم الشقاء ، فلِمَ لم يطع وهو سالم ؟ كما قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِيٍ وَيَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴾^(٤) ، والعاقل إنما يجوز هذا القول لمن أوجد بغير اختياره وبغير طلبه ثم لم يكن اختيار ينصرف به عن المهالك .

وأما من طلب بفقره أن يغنيه الغني سبحانه ثم إنه أعطاه ما يوصله إلى سعادة الأبد وأمره بما فيه نجاته وبين كيفية السلوك إليه وخلده^(٥) من موارد الهلاكة ، ثم بيّن له أن الفضل ليس له قبول إلا

(١) في نسخة أخرى : علمه .

(٢) في نسخة أخرى : التي .

(٣) في نسخة أخرى : طول .

(٤) سورة القلم ، الآياتان : ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) في نسخة أخرى : حذر .

بالعمل الصالح وهو كذا وكذا ، ولا أعطيه بدونه إذ لا ربط له بك إلا العمل الصالح ، وأن النعيم لا يحصل إلا بذلك وأن العدل الذي يكون موصلاً إلى البلاء العظيم والعقاب الأليم ليس له قبول إلا بالعمل الطالح^(١) ، وهو كذا^(٢) ، ولا أجريه إلا به ، ولا أدفعه مع وجود سببه لثلا تبطل حكمتي وعدلني فأكون ظالماً ، ولا يظلم إلا المحتاج العاجز ، فإنه لا يجوز أحد من العقلاة له الاعتراض كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ إِيَّنِي ثُلَّا عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا شُكَنِبُرْتَ﴾ ١٥٦ قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا سِقْوَتْنَا وَكُنْتَنَا قَوْمًا ضَالِّينَ^(٣) الآيات ، وهو ظاهر . ١٥٧

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـهـ الطـاهـرـين .

كتبه : أحمد بن زين الدين الأحسائي
في السنة السابعة والعشرين بعد المئتين والألف
حامداً مصلياً مسلماً^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : الصالح .

(٢) في نسخة أخرى : كذا وكذا .

(٣) سورة المؤمنون ، الآياتان : ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤) زيادة من نسخة أخرى .

٦ - رسالة في جواب
الملا محمد مهدي الأسترابادي

عن عشرين سؤالاً

رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي عن عشرين سؤالاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة على محمد وآلـه الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد عرض عليّ . . . (المحترم الحليم) العالم الحكيم المطيع الملا محمد مهدي ابن الحاجي الملا محمد شفيع الأسترابادي مسائل أراد بيان ما أشكل منها أو ما يلزم منها الإشكال ، وأنا على حال لا يحسن وصفه من كثرة الأمراض ودواعي الأعراض ، ولقد استقلتُ من الجواب والتمسّت منه أدام الله بقاءه أن يعرضها على المحب مشافهة ويكون الجواب مشافهة ، لأنـه أسهل من الكتابة فلم يقبل وهو يريد بسط الكلام ، وذلك متعرّضـ بالنسبة إلى حالـي من جهة الاشتغال وضعـف الحالـ من كثرة الأمراض ، فعزمـت على أن أكتب على مسائلـه أسعـده الله بالصـواب بعضـ الكلـمات على جهة الاختصار والاقتـصار وذلك اعتمـادـاً على فـهمـه وتسـهيلـاً على نـفـسي لـضـيقـ وقتـي واللهـ المـوـفقـ للصـوابـ وإـلـيـهـ المرـجـعـ والمـأـبـ .

هل الممكن ممكّن لذاته؟

قال أيده الله : (السؤال الأول : قال رئيس المشائين في شفائه إن للمعلول في نفسه أن يكون ليس وله عن علته أن يكون آيساً) .

أقول : اعلم أن كلامه هذا مبني على ما يذهبون إليه من أن الممكّن ممكّن لذاته ، وأن الإمكان أمر اعتباري ليس شيئاً مخلوقاً ، وأيضاً التفريع عليه في نفسه لا يصح ، فالوجهان باطلان .

أما الأول : فلأن الممكّن إذا كان ممكّناً لذاته فهو قديم وإنما سمي ممكّناً تسمية لفظية ، وقد دلت الأدلة القطعية الضرورية العقلية والنقلية أن الله عزّ وجلّ كان ولم يكن معه غيره وهو الآن على ما كان ثم أحدث ما سواه ، وكلّ ما يصدق عليه السواء فهو مخلوق له تعالى ، وقد قال جعفر بن محمد عليه السلام : (كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم) ^(١) .

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الرافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سمعت عالماً قادرًا إلا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله زبانيتين لأنهما كمالها ، وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

وقال الرضا عليه السلام على ما رواه الصدوق (ره)^(١) في أول علل الشرائع تقريراً من نحو أربع ورقات قال ما معناه : (أنه ما يقع في وهم أحد من الخلق شيء إلا وقد خلقه الله قبل ذلك لئلا يقال لم لا يخلق الله ذلك ؟)^(٢) انتهى .

وجعفر بن محمد وعلي بن موسى عليهم السلام إن كان المؤمن يصدق بأنهم علماء أعلم من ابن سينا^(٣) ونحوه ، وحكماء

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشهور بالصدوق .

ولد بداعي الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ باب (٩) علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨١ ح ١ ، بحار الأنوار : ٣ / ٤١ ح ١٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥١ ح ٦٢ .

ولفظه في العلل : عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لم خلق الله سبحانه وتعالى الخلق على أنواع شتى ، ولم يخلقهم نوعاً واحداً ؟

فقال عليه السلام : (لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز ولا يقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير) .

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .

أحکم من سائر الحکماء وأنهما معصومان لا يغفلان ولا يسهوان ولا يجهلان ولا يكذبان مسدّدان من الله تعالى مؤيّدان بروح القدس^(١) ، فيجب عليه أن يقبل قولهما فيما يعلم ، فكيف فيما

ولد بخرميشن من قرى بخارا في صفر (٩٨٠ هـ - ٣٧٠ م) ، وتوفي بهمدان في رمضان سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م) .

وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحکمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(١) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الْرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ » [الإسراء : ٨٥] قال : (خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه والله ، وهو مع الأئمة عليهم السلام يستدهم ، وليس كلّ ما طلب وجده) أصول الكافي : ١ / ٤ ح ٢٧٣ ، وبصائر الدرجات : ٤٤٥ - ٤٥١ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : (يا عمّة تناوليه وهاتيه ، فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه ، وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امض بي إلى أمه لترضعه وردبيه إلى) قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبيي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : (احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً) فتناوله الطير وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : (استودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى) فبكّت نرجس فقال لها :

لا يعلم ، وإن دخل في قلب المؤمن ربُّ أو توقف فليقبل قول الله تعالى في كتابه : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَانَةُ وَمَا نَتَرَكُ لَهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ »^(١) .

فإن قال : إن الممکن قبل التکوین ليس شيئاً والإمكان ليس شيئاً .

فأقول : هل وضعتم اللفظ بإزاء شيء فيلزمكم أنها أشياء ، وإن قلتم لا بإزاء شيء فيلزمكم أن هذه الألفاظ مهملة ليست موضوعة وأنكم تتكلمون فيما ليس له محل للكلام لأنه ليس بشيء .

وأما الثاني : فلأن الإمكان هو ظرف فعل الله المکاني والسرمد ظرفه الوقتي وهو الوجود الراجح ، يعني فعل الله الذي هو مشيته وإرادته وظرفاه الإمكان محله والسرمد وقته .

وقد كان الله تعالى ولا شيء ثم أحدث الفعل بنفس الفعل فلزم ظهوره إمكانات الأشياء على وجه لا يتناهى في السرمد ، فكان إمكان زيد مثلاً جزئياً بالنسبة إلى الفعل الإمكانی كلياً في

= (اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردد موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عز وجل « فَرَدَدَنَاهُ إِلَيْأَنْ أُتْهِيَهُ كَنْ تَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْرَبَنَاهُ » [القصص : ١٣]) قالت حكيمه : فقلت : وما هذا الطير؟ قال : (هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفهم ويسدهم ويربيهم بالعلم) . روضة الوعظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ، والأنوار النعمانية للجزائري : ١٨ / ٢ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

نفسه ؟ بمعنى أنه يمكن أن يخلق زيداً وأن يخلق أرضاً أو سماء أو براً أو بحراً أو جبلاً أو حيواناً أو ذباباً أو نبياً أو شيطاناً إلى غير النهاية ، فإذا خلق من ذلك الإمكان زيداً بقي إمكانه صالحًا لكل شيء فافهم .

وليس للممكن أن يكون في نفسه ليساً ، لأن الليس إن أريد به الإمكان فلا يزيد الممكن قبل التكوين على ما هو عليه من الإمكان ، لما قلنا إنه إنما كان الممكن ممكناً بإمكان الله تعالى له بفعله أي بجعل الممكن ممكناً حين الجعل لا قبله ، إذ ليس قبل الجعل شيئاً أصلاً وإنما أمكنه الله ولم يكن قبل إمكانه تعالى ممكيناً ولا واجباً ولا ممتنعاً ، فهو ممكّن لغيره لا لذاته ، وإن أريد بالليس الامتناع فهو أيضاً باطل ، وليس للممكن عن علته أن يكون آيساً ولكنه بعلته يكون آيساً إذ كونه آيساً إنما هو بقابليته لتأثير فعل الله فيه والقابلية ، إنما تحدث من نفس أثر الفعل ، لأنّ أثر الفعل هو الوجود والقابلية هي الماهية كالكسر والانكسار ، فإن الكسر حدث من فعل الكاسِر والانكسَار الذي هو الماهيّة أحدهُه الكاسِر من نفس الكسر الذي هُوَ أثرُ الفعل ، فلذا نُسِّب إلى المكسور كما تحدث الشمس الظلّ من نفس أثْرها وهو النور من حيث هو هُو لا من حيث الشمس وإلا لكان نوراً ، ولذا نُسِّب إلى الجدار فلا يتّجه الترجّح من غير مرّجح .

على أنا نقول إنما الترجح الذي يكون علة الترجيح فلا بد وأن

يكون من المعلوم حين الإيجاد لا قبله ولا بعده وليس من الفاعل ، وإنما الترجح إذا أريد به الكون أي لباس حلة الوجود ، فإن المعلوم لا يكون من نفسه إحداث نفسه .

نعم ، يكون منه أنه يقارب أن يستغني عن المؤثر ، وإن كان لا يمكن استغناؤه وهو معنى قوله تعالى : ﴿يَكَادُ زَيْثَانًا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾^(١) لكنه لا يضيء إلا بمس النار ، فافهم .

هل يستغني الممكن بالذات عن السبب ؟

قال أيده الله : ومثل هذا الكلام يعطي بظاهر الفكر والإفهام أن للممكن البات والمنفي الصرف اقتضاء العدم الذي هو شقيق الوجود في نفسه ، مع عزل النظر عن العلة قضاء لحق المقابلة ، ولازم ذلك استغناء الممكن بالذات عن السبب في اتصافه بأحد طرفي الإمكان ، فيتتجه حيتئذ الترجح بلا مردج المسلم بطلانه عند العقلاة الأعيان ، مع أن فاقه الممكن في كلا طرفي الوجود والعدم إلى المقتضي من البديهيات الأولية ، فإن المعلوم ليس له في نفسه أن يكون معدوماً كما ليس له في نفسه أن يكون موجوداً لإمكانه بذاته وهو يرادف القوة القابلة في حد ذاته للأيس والليس المستدعاية في فعليته إلى العلة الفاعلية ، فقد استبيان بعين العيان أن ما عليه الرئيس خلاف شاكلة الممكن وشفاء ما استمرره عندكم هيئن) .

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥

أقول : لو سُلِّمَ قول أبي علي لكان ما ذكرتم وارداً عليه وكلامكم على فرض صحة قوله صحيح إلا أن في تعليلكم^(١) شيئاً ، أعني قولكم : لإمكانه في ذاته ، وقد أشرنا إلى بطلان كون الممكن ممكناً لذاته ، وفيما ذكرنا جواب الذي احترز منه القائل بأنه ممكن لذاته وهو قوله : وإنما لزم أن يكون الممكن بالغير ، أما أنه قبل فعل الخير واجباً أو ممتنعاً ، وكلا الفرضيين باطل لامتناع انقلاب الحقائق ، فإن من كلامنا المتقدم يظهر جواب هذا الوهم وهو إذ ليس قبل الجعل شيئاً ، يعني لا واجباً ولا ممتنعاً ولا ممكناً .

وقوله سَلَّمَهُ اللَّهُ : (إِنَّ مَا عَلَيْهِ الرَّئِيسُ خَلَافُ شَاكِلَةِ الْمُمْكِنِ ، الْخِ) ، صحيح وكذلك قول : أنه ممكن لذاته ، فإنه خلاف شاكلة الممكن ، لأن ما لذاته لا يجري عليه ما من الغير لاستغنائه لذاته الموجب للاستقلال في جميع الأحوال ، إذ كلّ ما يستغني في حال فهو قائم بنفسه على الاستقلال ، وهذا أعلى معاني الصمد الذي نصف بها ذا الجلال عزّ وجلّ .

بيان أن كلّ ممكناً هو زوج تركيبي

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ : (السُّؤَالُ الثَّانِي : حُكْمُ الْحُكَمَاءِ بِأَنَّ كُلَّ مُمْكِنٍ فِيهِ زَوْجٌ تَرْكِيبِيٌّ ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِسِيطَ الذَّاتِ فِي الْأَعْيَانِ

(١) في الأصل : تعليكم .

لكنه مزدوج من الجنس والفصل في الأذهان ، وذلك على خلاف ما عليه شاكلة الحق الواجب الوجود ، إذ لا ماهية له ، بل هو نفس الوجود بشرط سلب الزوائد والقيود ، ومنه إفاضة ذوات الماهيات المكتسبة لخلقه الوجودات اللاشرعية ، وقد يعبر عن وجود الحق بالوجود المطلق وتارة بالوجود بشرط لا ، كما أشار إليه أبو علي ابن سينا ، لكنهم قد يفسرون الوجود المطلق بالمعنى العام بمعنى الوجود لا بشرط شيء ، ويحكمون بأنه عين الحق تعالى فيرد حينئذ الإشكال كما بيّنه بعض أهل الحال بأن الحكم بوحدة معنى الوجود وحمله على ذات الواجب وعلى غيره لكن في الواجب هو نفسه وفي غيره وزائد عليه عارض له غير منقح المناط إذ غنا الوجود عن الماهية المضاف إليها إن كان لنفس الوجود فليكن الجميع كذلك لوجود الوجود فيها ، وإن كان لشيء زائد في الواجب تعالى قدسه فهو مخالف للقواعد المبرهنة ومستلزم لتكرر ذات الحق الفرد المطلق ، ومن المستبين استحالته ومنكم نرجو بياناً تندفع به مقالته) .

أقول : الحق أنَّ كُلَّ ممكِن زوج تركيبي في المحال الثلاثة : في الذهن ، وفي نفس الأمر ، وفي الخارج ، وليس في الأعيان ولا في الأذهان ولا في نفس الأمر ، أعني ما قام عليه البرهان ما هو بسيط الذات إلَّا الواجب السبحان مع أن الواجب لا يدخل في قولهم كُلَّ ممكِن وإن أريد به الإمكان العام ، لأنَّ كلامهم

منصوص عليه كما أرادوا في الممکن المحدث ، والواجب تعالى له ماهية لکتها نفس وجوده بلا مغايرة في المحال الثلاثة وليس هو نفس الوجود بشرط سلب الزوائد والقيود ، فإن القول بهذا هو حقيقة الجحود للواجب المعبد إذ المقيد بشرط سلب أو إثبات سواء كان في أحد الأمكنته الثلاثة أم في الفرائض والاعتبار والتقدیر مرکب ، وهذا قول أهل التصوف فإن شاعرهم يقول :

وَمَا النَّاسُ فِي التَّمَثَّلِ إِلَّا كَثَلَجَةً وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابُعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلَجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ وَيُوَضَّعُ حُكْمُ الْمَاءِ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ

وهذا القول لا ينطبق على قواعد المسلمين .

فإن قلت : ما تقول في المجردات كعقل الكل وما أشبهه ؟

قلت : العقل وغيره من الحوادث كلها مرکبة فإن الحكماء نصوا على أن كل محدث فله اعتباران : اعتبار من ربّه واعتبار من نفسه ، فالاعتبار من ربّه هو الوجود ، والاعتبار من نفسه هو الماهية ، وهذا مما لا يرتاب فيه أحد ممن له علم ومعرفة .

وأما معنى أنه مجرد فإن المراد أنه مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية ، وأما مطلقاً فلا ، وقد قال سيدنا وإمامنا علي بن موسى الرضا عليهم السلام : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ) ^(١) انتهى .

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام : (واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير =

وقوله سَلَّمَهُ اللَّهُ : (وَمِنْهُ إِفَاضَةُ ذَوَاتِ الْمَاهِيَّاتِ الْمَكْتَسِيَّةِ لِخَلْقِ الْوَجُودَاتِ الْلَاشْرَطِيَّةِ) ، لِيُسَبِّحُ بِالصَّحِيحِ ، لِأَنَّ ضَمِيرَ مِنْهُ يُرِيدُ بِهِ الْعُودَ عَلَى الْوَجُودِ الْحَقِّ وَتَعَالَى فِي عَزَّ جَلَّهُ أَنْ يَفِيضَ مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يَفِيضَ مِنْ شَيْءٍ بَلْ ذَوَاتِ الْمَاهِيَّاتِ أَحَدُثُهَا بَعْدَ وَجُودَهَا بِسَبْعِينِ سَنَةٍ ، وَأَنْ ظَهُورَهُمَا مُسَاوِقٌ لِمَا يُسْبِقُ ظَهُورَهُمَا ظَهُورَ الْآخِرِ كَالْكَسْرِ وَالْانْكَسَارِ لَا أَنَّهَا كَانَتْ فِي عِلْمِهِ الَّذِي هُوَ ذَاتُهُ ثُمَّ كَسَاهَا فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ حَلَّةُ الْوَجُودِ ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُقْلِدُو الصَّوْفِيَّةِ ، الْوَجُودَاتِ الْلَاشْرَطِيَّةِ وَجُودَاتِ مُشْرُوَّطَةِ .

فَالْحَقُّ الْمَنْجِي مِنَ الْعَذَابِ أَنَّ التَّسْمِيَّةَ فِي تَقْسِيمِ مَا يُسَمِّي بِالْوَجُودِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَقْسَامُ الْوَجُودِ

الْأُولُّ : الْوَجُودُ الْحَقُّ ، وَهُوَ الْوَاجِبُ تَعَالَى .

الثَّانِي : الْوَجُودُ الْمُطْلَقُ ، وَهُوَ الْوَجُودُ الرَّاجِحُ وَهُوَ الْفَعْلُ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ كَالْمُشَيَّةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْأَخْتَرَاعِ وَالْقَدْرِ

= ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدور ، فليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق ، فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركتين بأنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده ، والله تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه وبعضاً ولا يمسكه ، والخلق يمسك ببعضه بعضاً بإذن الله ومشيئته) التوحيد للصدقوق : ٤٣٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣١٣ .

والقضاء وما أشبه ذلك ومكانه الإمكان المسمى بالعمق الأكبر ووقته السرمد ، فهذا الوجود المطلق وهو راجح الوجود .

والثالث : الوجود المقيد ، وأوله العقل وآخره الشري ، ومنه الوجود بشرط لا ولا بشرط ، ما لم يرد بلا بشرط عدم التقييد فيدخل في الثاني ، وما اصطلحوا عليه ليس ب صحيح ، ومن أطلق على الوجود الحق الوجود المطلق وفسر المطلق بالمعنى العام بمعنى الوجود لا بشرط شيء فهم أصحاب الثلجة كما تقدم في الشعر ، ومع هذا فالإشكال المذكور وارد على هذا القول والتعليق للإشكال فيه إشكال ولكن لا فائدة في الكلام عليه .

بيان حقيقة الجوهر والنفس

قال أيده الله : (السؤال الثالث : الظاهر من تقسيم ابن سينا في كتاب الشفاء الجوهر إلى العقل والنفس أن حقيقة العقل هو الجوهر المتبرئ عن المواد ذاتاً وفعلاً ، وحقيقة النفس هو هو الجوهر المفارق عنها ذاتاً لا فعلاً ، وعندني فيه إشكال ، لأنه إن أريد عدم الاحتياج في الذات ومطلق الأفعال فينتقض الجميع بالعقل الفعال إذ تأثيره في الحوادث اليومية مسبوق بالمادة على كلّ حال ، وإن أريد الغناء في الذات والفعل في الجملة وبعض الأحوال لزم كون بعض النفوس عقلاً كما في خوارق العادات والمعجزات المثبتة للنبوات والإمامات فيبطل المنع) .

أقول : معنى قولهم أن العقل هو المتبصر عن المواد ذاتاً أن العقل لا يدرك بنفسه إلا المعاني المجردة عن المادة والمدة والصورة ، فيكون تعلقه منوطاً بالاعتقادات .

ومثاله : إذا قلتُ لك الظلم قبيح والحسن حسن أم لا ؟
أجبتني بقولك : بلى ، ولم يكن لك حالة متوقعة في جوابي ،
وليس لي أيضاً حالة متوقعة في خطابي وجوابك ، بل حين قلتُ
للك لم تنتظر غير الجواب وأنا كذلك ، فلم يبق لنا حالة يتوقف
الخطاب والجواب عليها ، فكان العقل وما أجاب عنه منجزاً في
الغيب ولم يكن له انتظارٌ إلى شيء يتوقف الخطاب أو الجواب
عليه ، لأن العقل لا يتعلّق بذاته ولا بفعله بشيء من الأجسام .

وأماماً في النفس ، فذاتها مثل ذات العقل في نفس الذات وفي نفس الإدراك لا في تعلقه ، فإني إذا قلت لك : أريد أن تكتب لي غداً خطأً فيه كذا وكذا ، وقلت : نعم ، بقي مرادي وحاصل جوابك موقفين على وقوع الكتابة غداً ، لأنّي ما أردت منك ما أتصوره أنا ، أو ما تتصوره أنت ، وإنما أردت الكتابة منك وجوابك لي إنّما هو بفعلها غداً فكانت نفسي ونفسك في تخيلهما مقترنين بحصول الكتابة غداً وهي من الأجسام ، فهذا نوع كون النفس مقترنة بفعلها بالأجسام بخلاف العقل ، ولم يريدوا بقولهم في العقل والنفس شيئاً غير نوع ما ذكرت لك ، وليس مرادهم احتياج النفس في فعلها يعني في تعلقه إلى الأجسام إلا ما ذكرت لك ، وكذلك العقل فيما ذكرنا .

وأماماً في ذات العقل والنفس فهما من عالم الجبروت ومن عالم الملوك لا تعلق لها بالأجسام ، فلا يرد نقض بالعقل الفعال ، لأن العقل الفعال لا يتعلق بنفسه ولا بفعله بالمowaّد إلا بواسطة النفوس الفلكية .

على أنا نقول إن القول بعقول عشرة غلط ، لأنَّه قد دلَّ الدليل القطعي السمعي والعقلي : إنَّ الإنسان الصغير طبق العالم الكبير ، فكل ما فيه يوجد في العالم الصغير وما جهلَ منه يُطلَب في الصَّغير ، وقد أجمع المسلمون والعلماء أجمعون على أنه ليس في الإنسان الصَّغير أزيد من عَقْل واحد ، فكيف يكون في الإنسان الكبير عُقولٌ عشرة ؟

نعم ، في الصَّغير عقل واحد ونفوس ثمانية وجسم نفس كلية وقلب هو العقل وعقل أي نفس متعلقة وهي من فلك زُحل ، ونفس العلم ونفس الوهم ونفس الوجود الثاني ونفس الخيال ونفس الفكر ونفس الحياة ، وجسم مركب من العناصر فهو مطابق للكبير فالعقل الفعال على معنى ما قالوا لا أصل له ، ولو قلنا بقولهم كان فعله مُتعلقاً بنفوس العناصر وهي متعلقة بأفعالها بالمowaّد العنصرية .

وأماماً قوله : لزم كون بعض النفوس عقلاً ، الخ ، فيه أنه لا يلزم ، والاشتباه نشأ من اشتباه العقول أو الأرواح بالنفوس فيظن من اشتبه عليه أن النفس قد تستغنى عن الاقتران في فعلها بالمادة الجسمانية والغلط نشاً من عدم معرفة المستغنِي ما هو ، فيظن أنه

النفس وليس هو بنفس ، وإنما هو روح أو عقل ، لأن النفس لا يحصل فيها إلا الصور ذات التخطيط وهي أشباح منتزة من الأجسام المصورة ، إذ غير الأجسام لا صورة لها فلا تنتزع النفس صورةً مما لا صورة له فافهم .

القول بأزليّة العدُم

قال أيده الله تعالى : (السؤال الرابع : من المقرور عند الأسماع أزليّة العدُم واستمراره ولم يتصدّ أحد من أهل العلم لإنكاره ، ولا يصح على ذلك بطلانه بطروع الوجود عن مفيض الخير والجود لِمَا برهن عليه من القاعدة التامة في الأمور العامة وهي ما ثبت قدمه امتنع عدمه) .

أقول : القول بأزليّة العدُم جهل محض ، لأن العدُم إن كان شيئاً فهو إما واجب وإما ممكّن ، وإن لم يكن شيئاً فلا معنى لوصف لا شيء بالأزل الذي هو الشيء ، ومن لم ينكر أزليّة العدُم فهو منكر لأزليّة الواجب ولو قلنا بأنه شيء ممكّن أو هو الإمكان لم يبطل بطوع الوجود ، وأما القاعدة المذكورة فيعني بها ما ثبت قدمه أي شيء ثبت قدمه ولا شيء قدّيم إلا الله سبحانه .

بطلان كون الماهية من حيث هي ليست إلا هي

قال سلمه الله تعالى : (السؤال الخامس : ومن الأقوال

المسلمة عند أهل الحال القول بأن الماهية من حيث هي ليست إلا هي ، فلا تكون موجودة ولا معدومة ولا واحدة ولا كثيرة ولا كلية ولا جزئية ، وعلى هذا يتوجه إشكالان : أحدهما أن مقتضى ذلك هو الحكم بجواز أن يرتفع النقيضان وهو مما حكم بامتناعه بالبرهان بل الضرورة والوجودان كاجتماعهما في الوجود والأعيان ؛ وثانيهما ، أن الحكم بأن تلك الماهية ليست إلا هي بمعنى أنها ليست شيئاً من الأمور المزبورة فرع تصوّرها وتعلق الإدراك بها وليس ذلك إلا نحو وجودها ، فلا يصح منهم الحكم المذكور كما لا يخفى) .

أقول : أكثر الأقوال المسلمة على نحو ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يُفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها)^(١) انتهى .

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يُعرفنا الله تعالى يوم القيمة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهما عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يُفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع) =

وهذه الأقوال المسلمة إنما هي عند من ذهب إلى غيرهم ولا شك في فساده ، لأن كلّ شيء لا يخلو من وجود أو عدم ولا واسطة إلّا باعتبارين ، وما كان كذلك فهو جهتان جهة وجود وجهة عدم ، وكذا باقي الأوصاف .

ثم على فرض تسلیم قولهم الباطل لا عيب في ارتفاع النقيضين واجتماعهما في بعض الأشياء فلا ينبغي إحالتهم مطلقاً . ومن ذلك الواجب سبحانه فإنه يجتمع في وصفه النقيضان ويرتفعان ، واجتماعهما نفس ارتفاعهما فهو أول آخر بجهة واحدة ولحظ واحد ، وهو ظاهر باطن وهو عال دان وهكذا ، وارتفاعهما لا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن ولا قريب ولا بعيد وهكذا ، والاجتماع عين الارتفاع في وصفه تعالى ، لأن ما يمتنع على خلقه يجب له وما يجوز على خلقه لا يجوز عليه ، ومن ذلك فعله ليس أولاً ولا آخرأ لأنّه محدث والأولية المحدثة والآخرية محدثان به فلا يجريان عليه ، وكذلك الحركة والسكن والظهور والبطون الحادثان لأنها كلها صادرة عنه ، وأماماً ما كان منها صفة للقديم تعالى فلا يتتصف الفعل بها وإنما حكموا بالامتناعين في الأجسام فافهم .

وأمّا الإشكال الثاني فصحيح وارد لا مرد له من الله .

= أصول الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وختصر البصائر : ١٩٦ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٤٩ ح ٤ ، والبصائر : ٥١٧ ح ٨ .

في بيان تفسير القدرة

قال أيده الله تعالى : (السؤال السادس : من الصفات العينية لواجب الوجود القدرة وتفسيرها على ما يظهر من الكتب الكلامية : إن شاء فعل وإن لم يشاً لم يفعل ، أو : وإن شاء لم يفعل ، ولا ريب أن هذا المعنى مساوٍ لمعنى الإمكان لتساوي الطرفين الحكم باتصافه تعالى بمثل هذه الصفة مستلزم لاتصاف الشيء بضدّه ، بل لاتحاد الوجوب والإمكان على الحق من عينية الصفات وهو إجماعي الاستحالة لإفضائه إلى اجتماع الوجوب الذاتي والإمكان الذاتي ، وهم قد صرّحوا بقضيّهم وقضيّضهم بأن الموارد الثلاث أعني الوجوب والإمكان والامتناع غير ممكنة الاجتماع إذا كانت ذاتية ، نعم قد يمكن اجتماع الإمكان الذاتي مع الوجوب الغيري بوجود العلة ومع الامتناع الغيري بعدهما ولا يمكن اعتبار الغيرية في الإمكان حتى يجتمع مع الوجوب الذاتي) .

أقول : تفسير القدرة بـ : إن شاء فعل وإن لم يشاً لم يفعل ، غلط ، لأن هذا تفسير الاختيار عند غير الإشراقيين ، ولكن لعله من سهو القلم .

وبالجملة ، المراد معلوم وهذا الوصف ثابت لفعله تعالى ، لأن إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، أو وإن لم يشاً لم يفعله ؛ وصف فعلي والتضاد في الأفعال كالرحمة والغضب والسخط

والرضي واتّصاف الشيء من حيث هو فاعل بضدين من آثار أفعاله لا عيب فيه ، بل هو الواقع ولا يكون وصفاً ، لأن الذات لم تكن فاعلة بذاتها إذ الشيء إنما يفعل ب فعله ، فتقول : زيد قائم وقاعد ، وهما وصفان للأفعال نسبت إليه من حيث إنهما أثر فعلية ، فافهم ، وبافي الكلام تقدم بيانه وإبطال باطله .

الحكم بعدم جواز حدوث الوجود للماهية

قال أيده الله تعالى : (السؤال السابع : وما عليه أبواب الشكوك مسدودة هو الحكم بعدم جواز حدوث الوجود للماهية المعدومة أو الموجدة ، لاستلزم الأول اجتماع النقيضين والثاني تحصيل الحاصل ، ولا تأمل في أن كلاً منها باطل فوجب القول بعرض الوجود للماهية المرسلة وهذا مستلزم لمفاسد ، مضافاً إلى أنه مقتضى لبطلان بعض القواعد مثل قولهم باستحالة ارتفاع النقيضين وأن ثبوت الشيء فرع ثبوت المثبت له ، فكيف يعرض الوجود للماهية المرسلة ؟ فمن المفاسد انحصر الممكن في الموجود والمعدوم في الممتنع ، فإن الممكن المعدوم والمعدوم الممكن غير ممكن الثبوت لثبوت التنافي إذ العدم للوجود طارد ومانع ، ومنها هدم أساس المعاد والتزام بقاء العالم أبداً الآباد إذ الوجود أيضاً للعدم غير جامع في كلّ مواد ، ولا شبهة أن ذلك خلاف الرشد والسداد بحكم العقل المتصفّى بملازمة الكتاب

والسنة وقد شهد به الضرورة الإسلامية ، ومنها القول بأزلية الموجودات وتسريمد العالم من المجردات والماديّات ، وهو مع أنه كفر وتزندق مردود ببحوث علّمت في دلائل الحدوث) .

أقول : إن الحكم بعدم جواز حدوث الوجود للماهية المعدومة أو الموجدة مما يتناوله قول أمير المؤمنين عليه السلام : (العلم نقطة كثراها الجاهلون) ^(١) أو (الجهال) على اختلاف الروايتين ^(٢) ، فإن الوجود لم يحدث للماهية وإنما حدثت الماهية له لأنها قابلية وانفعاله .

ومن سلم أن الماهية موجودة قبل الوجود لزمه تحصل الحال ، إلا إذا جعل وجودها السابق علمياً أو إمكانياً واللاحق كونياً ، ومن سلم أنها معدومة فإن أراد الامتناع لزمه اجتماع النقيضين ، سواء كان الامتناع بالذات كما يذهب إليه من يدعى إمكان تصوره أم في رتبة الذات الواجب إذا أراد بحده لـ لها في تلك الرتبة ، وأمّا إذا أراد بحده لـ لها فيما دون ذلك فلا بأس ، بل هو الحق لو قلنا بعرض الوجود للماهية ، وأمّا على ما نذهب إليه من أنها إنما يكون لها ذكر بعد ذكر الوجود ، لأنّها قابلية

(١) عوالي اللائي للأحسائي : ٤ / ٤ ح ١٢٩ ، ٢٢٣ ، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢ ، وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١ .

(٢) عوالي اللائي : ٤ / ٤ ح ١٢٩ ، ٢٢٣ ، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢ ، وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١ .

تابعة في التكون بمعنى أن تكونها مترتب على تكونه لا كما يذهب إليه من قال من الإشراقيين من أن وجودها عند من يقول به منهم تابع لوجوده ، فهي موجودة بإيجاده لا بإيجاد آخر ، ولا كما يذهب أهل التصوف من أنها عارضة له بل يكون وجودها بإيجاد آخر مترتب على إيجاد الوجود نسبته إليه نسبة الواحد إلى السبعين ، فأول ما خلق الله بفعله المادة وهي الوجود الذي نريده فلم يقدر على الظهور بدون الماهية ، فخلق الماهية دعامةً تقيمه ظهرًا معاً فهو مراد أولاً وبالذات وهي مرادة ثانيةً وبالعرض .

وقوله : (فوجب القول بعرض الوجود للماهية المرسلة) ، فليس الواجب ولا منه كون الوجود عارضاً ولم يسبق كونه كون لا في العلم ولا في الإمكان ولا في الأكوان إذ ليس شيء إلا الله وحده ، ثم أحدث الفعل بنفسه ثم أحدث الوجود بفعله لا من شيء ، وكان من حيث الفيض إنما هو نور الله أي النور الذي أحدثه بفعله ثم كان من حيث نفسه إيمان ، وهذا هو ماهيته فمنهما تركب الشيء ، لأن الوجود هو المادة في كل شيء بحسبه والماهية هي الصورة فخلقها سبحانه من نفس الوجود من حيث هو ، كما خلق الظل من نفس نور الشمس من حيث هو لا من حيث الشمس ، فإن أريد بإرسالها بعد الكون في الذات مساوقة له في الظهور فهو حق وإنما فلا فانتفت المفاسد ، ولو قلنا بذلك اتجهت المفاسد ولزمت ، ثم نقول إن انحصر الممكן في

الموجود صحيح إذا أريد به الموجود الإمكانى والكونى إذ ليس شيئاً غيرهما .

وأما انحصار المعدوم في الممتنع فباطل إذ المعدوم شيء نزع منه الوجود الكونى أو التأكيد التأليفى والممتنع ليس شيئاً وإنما يعبرون به عن شيء متصور محدث وتريدون به ما ليس شيئاً ، فإذا عبر عن الآيس بالليس حصل التنافي وهو غلط ، والممكن المعدوم هو المعدوم الممكن إذ ليس معدوماً ممتنعاً والعدم يطرد الوجود الكونى والتأليفى لا الإمكانى والعلمى ، فلا ينعدم أساس المعاد .

والحق بقاء العالم أبداً الآباد ، ولكنه مع الانتقال من بلاد إلى بلاد إلى أن يخلص من عالم الأعراض والأغراض والفساد ، كما أخبر به رب العباد وأخبر به محمد وآلـه الأمجاد صلى الله عليه وآلـه ما هدى بنور هداهم هاد .

والوجود الإمكانى وبعض الكونى جامعان للعدم في كلـ المواد ، ولا شبهة أن هذا هو الرشد والسداد بحكم العقل المصدق المطابق للاستعداد المطابق للإيجاد والضرورة الإسلامية تنادي بهذا في كلـ ناد ، وأما لزوم القول بأزلية الموجودات الخ ، فلازم على جلـ أقوالهم .

هل وحدة الحقيقة القيومية من لوازم سلب الكثرة؟

قال سلمه الله تعالى : (السؤال الثامن : ومن المحقق عند

رهط من أساطين الفلسفة أن وحدة الحقيقة القيومية من لوازם سلب الكثرة ، والظاهر أن هذا الحكم غير ملائم لما ورد في كلام أئمة الحكمة في وصفه تعالى مجده بأنه مع الظهور خفي ومع الكثرة واحد ، بَيْنُوا سِرّ المسألة للعبد حماكم الله من المكائد) .

أقول : الأمر الواقع كما قلتم قولهم ليس بسديد ، لأن سلب الكثرة تحديد لنفسها لا لوحدته تعالى ، إذ لو كان الأزل مكاناً أو وقتاً واسعاً والواجب في بعض منه ، وفي الباقي من الأزل أشياء كثيرة يتميّز منها بسلبها عنه اتجه كلامهم لكن الأزل هو ذاته وليس معه غيره ، وسلب الكثرة إنما هو في الإمكان ، لأن المتوجه أن القديم شيء ما بين أشياء لا يتميّز منها إلا بسلبها يقول إن الكثرة موجودة وإذا سلبت عن ما سوى واحد كانت وحدته لازمة لذلك السلب وهذا باطل .

وأمّا قولنا : إن السلب تحديد للكثرة ، فمرادنا أن الأشياء المتعددة إذا جرى عليها السلب كان تحديداً وتميّزاً لمخلوقيتها ، وذلك كما قال الرضا عليه السلام : (كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه)^(١) .

(١) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ ، والبحار : ٤ / ٢٢٨ .

والحديث طويل وفيه : (. . وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتتبه . .) .

وأما قولهم عليهم السلام : بأنه (مع الظهور خفي ومع الكثرة واحد)^(١) ، فمعناه أنه إنما هو بما خلق لا بذاته وكان ظهوره بهم تعرضاً منه تعالى لهم ليعرفوه بما أودع في خلقه من الآيات والدلائل ، وكان وجودهم هو الحاجب لهم عن معرفته ، ولذا أمر سيد الوصيين عليه السلام كميل بن زياد لما سأله عن الحقيقة بأن ينفي عن وجده الوجودات وجميع الاعتبارات ، فقال له : (كشف سبّحات الجلال من غير إشارة)^(٢) وذلك لأن السبّحات

(١) لم نجد في ما توفر لدينا من مصادر .

وروى الصدوق في التوحيد عن الإمام الباقر عليه السلام : (... إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول : هي هو أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك ، وإن كنت تقول لم تزل هذه الصفات والأسماء فإن لم تزل يحتمل معنيين ، فإن قلت : لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها ، فنعم ، وإن كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها ، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره ، وكان الله ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل ، والأسماء والصفات مخلوقات المعاني والمعنى بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف والاختلاف ، وإنما يختلف ويتألف المتتجزئ ، فلا يقال : الله مختلف ، ولا الله كثير ولا قليل ، ولكنه القديم في ذاته لأن ما سوى الواحد متتجزئ ، والله واحد لا متتجزئ ولا متوجه بالقلة والكثرة وكل متتجزئ ومتوجه بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالقه له) .

توحيد الصدوق : ١١٠ ح ٧ باب ٢٩ أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها وبين معاني أسماء المخلوقين .

(٢) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة ؟ قال : ما لك والحقيقة ؟ قال : أو لست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفع متى !

التي هي الأشعة كثرة فتمحى حتى الإشارة ، وهو مثل قوله عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)^(١) ، حرفاً بحرف ، فكيف يظهر من لم تتحول ذاته وكيف يخفى من ظهر بآياته وهو تعالى أيضاً مع الكثرة واحد ، لأنّه تعالى كان وحده وهو الآن على ما كان ودليله الذي هو عنوان معرفته في الكثرة واحد ، لأنّه ليس فيها ما يشابهه أو يشتبه به فلا يحتاج في إثباته إلى نفي ما سواه إلّا من يشتبه بالسواء ، فافهم .

تفسیر قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلَمَتِ رَبِّ﴾

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (الْسُّؤَالُ التَّاسِعُ : قَدْ وَجَدْنَا فِي
كَلْمَاتِ بَعْضِ مَحْقُوقِيِّ الْعِرْفَاءِ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى : «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ
مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي»^(٢) ، الْآيَةُ ،

قال : أو مثلك يُخَيِّب سائلاً ؟ قال : الحقيقة كشف سبعات الجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السرّ . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هيأكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إطف السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للآملى : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعواي اللالي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الموثق .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٩ .

بحمل الكلمات على الذوات الكائنة والبحر على الهيولي الاستقصّية ، وربما يختلج بالقلب أن الإفاضة المتعلقة بتلك الذوات إنما هي بحسب اختلاف الاستعدادات ، فيكون كل إفاضة وتأثير وفعل بإزاء استفاضة وتأثير وقبول فلا يتصور نفاد البحر قبل نفاد الكلمات إلا لأن الحوادث الكائنة حاصلة الوجود بلا إعانة من الموارد ، وهو مستلزم لكونها مجردات صرفة وعقليات محضة كما يظهر بعين السداد .

أقول : الأولى إذا عدلنا عن باطن الآية أن المراد بالكلمات ما في الخزائن الأولى الإمكانية والخزائن الثانية الأكوانية والبحر الأكوازي والكلمات الذوات والصفات أو صفات الذوات كما في التفسير الباطن .

وقولكم : والبحر على الهيولي الاستقصّية ، فيه أن اصطلاحهم جرى على تسمية المادة بأسماء تابعة للأحوال فالهيولي للمادة النوعية القابلة للصور قبل تعلقها ، والاستقص للمادة التي تعود إليها الحصص المأخوذة منها ، فإذاً إطلاق الهيولي على الاستقص خلاف ما اصطلاحوا عليه ، ولكن المراد معلوم وتفسيرهم له وجه في الجملة .

وأما ما اختلجم بضميركم فله وجه أيضاً إلا أن فيه شيئاً ، وهو أنه إنما يتم لو قلت : بأن الذوات لا وجود لها ولا ذكر قبل الإفاضة ، وأما إذا جعلت لها حصولاً ما في الذات أو في العلم كما يقولون فلا .

على أنا نقول إن البحر إنما يحصي نفسه أي ما فيه من أوصاف الكلمات وإذا جيء بمثله مددًا كان المدد إنما يحصي ما فيه .

وقولكم : مستلزم لكونها مجردات صرفة وعقليات محضة ، ظاهر في أن بعض الحوادث كالعقول والنفوس مجردات لا مواد لها أصلًا وهذا لا يصح لا أصلًا ولا فرعًا ، لأن كل ممكן زوج تركيبي وهذا لا يخص بالعنصرية بل يعم كل محدث ، وكلام المتقدمين من الحكماء أرادوا بهذا الكلام أن العقول والنفوس مجردات عن المواد العنصرية والمدد الزمانية لا أنه لا مادة لها أصلًا ، فأتى المشاؤون فأخذوا ظواهر كلام المتقدمين ، فقالوا ما قالوا ولم يفهموا مرادهم ولهذا سموا بالمشائين تشبيهًا لهم بالمشائين مع الراكب ، لأنهم سموا بذلك لكونهم يمشون تحت ركاب أفلاطون^(١) كنایة عن اقتصارهم على ظواهر كلماته .

والإشراقيون من أشرقت على الواح نفوسهم نفس أفلاطون كنایة عن فهمهم لمráده ، والرواقيون سموا بالقاعدین في رواق بيته كما هو حال الخدام ، وكيف يراد بالمجردات المتجردات عن مطلق المواد مع قولهم كل ممكן زوج تركيبي .

(١) هو أحد حكماء اليونان واسمه أرسطو قليس بن أرسطون ، ولقب بأفلاطون لعلوم نفعه ، ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، له عدة تأليف منها : العقل ، والربوبية .

في بيان حقيقة وجود وتصور الهيولي

قال سلمه الله : (السؤال العاشر : حكى عن المعلم الثاني^(١) أنه قال : إن الهيولي تصورت فوُجدت وُجِدت فتصورت ، أوضح لنا المراد من هذا الكلام حفظكم الله من الآلام بمحمد واله الكرام) .

أقول : قد تقدّم ما يشير إلى معنى هذا الكلام ، والإشارة إليه أنا قد ذكرنا مراراً أن المراد من الوجود الذي هو أول صادر عن فعل المعبد هو المادة ، وجود كل شيء إذا أردت به الذي هو حقيقة الشيء هو المادة ، والمادة إذا لُحِظَ فيها صلوحها لقبول الصور المتعددة تسمى هيولي ، وهي الوجود الأولي والوجود لا يمكن حصوله إلا بقابليته للإيجاد وقابليته للإيجاد هي صورته ،

(١) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم ، رياضي ، طبيب ، موسقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية .

ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ - ٨٧٤ م) ، وأحکم العربية ولقى متى بن يونس فأخذ ، عنه وسافر إلى حران ، فلزم بها يوحنا بن جيلان ، وسافر إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق فسكنها وتوفي بها في رجب سنة (٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م) . من تصانيفه الكثيرة : آراء أهل المدينة الفاضلة ، المدخل إلى صناعة الموسيقى ، إحصاء العلوم والتعریف بأغراضها ، المدخل إلى علم المنطق ، وتحصیل السعادة .

انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١١ - ٢٢٤ .

وعندنا أن الصورة توجد بعد المادة ، وليس لها اسم ولا رسم بحال من الأحوال قبل المادة ، وأمّا عندهم فالإمكان الأصلي اعتباري لا تتحقق له .

وأمّا الإمكان الاستعدادي هو وإن كان لا يكون إلا بعد الوجود ، لكنه له تهيؤ قريب وهو علة حدوث الحادث يعني به القابلية ، فعلى قولهم أن الهيولى تصوّرت أي تهيأت للإيجاد فوجدت ، أي فحدث وجودها فحصل منها حينئذ المادة والصورة النوعيان ووُجِدت فتصوّرت أي بعد أن وجدت في النوع تصوّرت بالصُّورِ الشخصية ، فيكون معنى كلامه تصوّرت في الاستعداد فوُجِدت ، أي لبست الوجود بالإيجاد ووُجِدت أي وبعد أن وجدت في الخلق الأول تصوّرت في الخلق الثاني .

الفرق بين الهوية والأحدية والواحدية

قال أيده الله تعالى : (الحادي عشر : أوضحوا رحمةكم الله للعبد التفرقة بين الهوية والأحدية والواحدية والألوهية واللاهوتية والرحمانية والرحيمية ، وإطلاقاتها والعنوانات الدالة عليها بعبارات مفضلة واضحة بحيث يظهر السر الممحوب ويكشف النقاب عن وجه المحبوب) .

أقول : إنَّ الكلام على مثل هذه الأمور إن كان يبيّن فيه اصطلاحات القوم على كثرة اختلافهم ، ثم يبيّن طريق الحق طال

الكلام وضاق وقتني مع ما أنا فيه ، ولكن لا بد من الإشارة إلى المراد والاعتماد على فهم من له قلب وفؤاد .

اعلم أن الهوية هي ما يراد بهو عند الإشارة إلى الذات ، فإن الهاء إشارة إلى ثبت الثابت والواو إلى الغائب كما قاله الباقي عليه السلام أو كما قال ، والمركب من الحرفين يراد به الإشارة إلى الذات الغائبة مع قطع النظر عن كل صفة غير الغيبة .

والأخذية صفة الأحد وهو الواحد في ذاته : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَيْهِنَّ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(١) والواحد في صفاته قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) ، والواحد في صنعه قال تعالى : ﴿ أَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرَكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾^(٣) وقال ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِيَّهِ ﴾^(٤) ، والواحد في عبادته قال تعالى : ﴿ وَلَا يُشَرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّيْهِ أَحَدًا ﴾^(٥) ، فالمتفرد في الأربع المراتب أحد وفي واحدة واحد وهو صفة أحد ، والأخذية صفة واحد وهي صفة الأحدية .

والإلهية صفة الله وهو الذات الجامعة لصفات القدس

(١) سورة التحل ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٣) سورة فاطر ، الآية : ٤٠ .

(٤) سورة لقمان ، الآية : ١١ .

(٥) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

كالعزيز والعلی والقدوس ، ولصفات الإضافة كالعلم والسميع والبصیر والقدیر ، ولصفات الخلق كالمشیئة والإرادة والكلام والخالق والرازق .

واللاهوتية مبالغة في الألوهية كالمملکوت مبالغة في الملك يعني غیب الألوهية ، والرحمانیة صفة الرحمن أي الذات الجامعة لصفات الإضافة وصفات الخلق كما مرّ ، وهي الرحمة الواسعة لكل شيء منها فضل ومنها عدل ، فالتنعيم للمؤمنین في الآخرة من الفضل ، والتعذیب للكافرین في الآخرة من العدل ، وكلاهما من الرحمة الواسعة وهي صفة الرحمن ، والرحیمیة صفة الرحیم وهي الرحمة المكتوبة للمؤمنین ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾^(١) وقال بعد ذلك : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾^(٢) الآية ، وقد أشرت إلى العنوانات إذ هي الأدلة على ما ذكر فهذا معنى ما ورد في الأخبار وذكره العلماء الآخيار .

بيان الفرق بين التوحيد الألهي والوجودي

قال سلمه الله تعالى : (السؤال الثاني عشر : بيّنوا ، حماكم الله ، الفرق بين التوحيد الألهي والوجودي) .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

أقول : التوحيد الألوهي توحيد الجملة بأن تثبت ذاتاً واجبة الوجود متصفه بصفات كمال لا تشارك فيها هي عين تلك بلا مغايرة إلّا من حيث اللفظ باعتبار متعلقاتها من الآثار .

والتوحيد الوجودي أن تثبت وجوداً واحداً لا تشهد معه شيئاً حتى ذاتك وشهودك وإنما تراه به كما قال الشاعر :

إِذَا رَأَمْ عَاشِقَهَا نَظَرَةً وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفَهَا
أَعَارَتْهُ طَرْفًا رَآهَا بِهِ فَكَانَ الْبَصِيرُ بِهَا طَرْفُهَا

وإليه الإشارة بقول سيد الوصيين عليه السلام : (وكمال توحيدك نفي الصفات عنه) ^(١) .

في بيان النسخ والبداء والفرق بينهما

قال سلمه الله تعالى : (السؤال الثالث عشر : المرجو من

(١) الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ . ولفظه في الكافي : (... أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيدك نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادته الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جمیعاً بالتشییة الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلاه منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعمته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غایاه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون) .

جنابكم تحقيق مسألة النسخ والبداء ، والفرق بينهما وبين مجراهما من الأحكام التكليفية والأفعال التكوينية بحيث يرفع الحجاب ويكشف النقاب) .

أقول : أعلم أن الله سبحانه خلق كلّ شيء بقابليته وقابلية مشخصاتها ومتّماتها وأصولها الكم والكيف والوقت والمكان والجهة والرتبة وفروعها كثيرة ، ولا يكون شيء عن فعل الله سبحانه إلا بعد استكمال شرائط إيجاده ، وفي الحديث بطرق متعددة : (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة مشيّة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) وفي رواية : (فقد أشرك) ، وفي رواية : (على نقض واحدة بالضاد المعجمة^(١)) ، فكلّ شيء فيه أجل ، ولكلّ أجل كتاب ؛ يعني أن الموجود لوجوده وقت يظهر فيه و وقت ينعدم وجوده فيه أو يتغيّر ولبقاءه وقت ، فإذا استكمل الشرائط بقي واقفاً بالباب حتى يؤذن له بالخروج والذهاب .

والذوات عالم مستقبل والصفات عالم برأسه ، والأفعال عالم

(١) أصول الكافي : ١ / ١٤٩ باب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة ح ١ ، وتوحيد الإمامية : ٣١٤ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٤ / ٢٦٣ ح ١ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٤٤ ح ٢٣٦ ، وبحار الأنوار : ٥ / ٦٥ ح ١٢١ .

وهو مروي في الكافي عن حريز بن عبد الله وعبد الله بن مسكنان جميعاً ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

برأسه ، والأقوال عالم برأسه ، والحرروف عالم برأسه ، والحركات عالم برأسه ، والطبائع عالم برأسه ، والألوان عالم برأسه ، والطعوم عالم برأسه ، والروائح عالم برأسه ، والأشعة عالم برأسه وهكذا ، فكلّ نوع عالم مستقل .

فإذا عرفت ما أشرنا إليه ظهر لك أن النسخ والبداء شيء واحد بمعنى واحد ، وإنما فرق بينهما باعتبار متعلقيهما ، فوجود الحكم له مدة يجري على المكلفين به فيها ، فإذا انتهت رفع وهو معنى نسخ الحكم ، ووجود الشيء له مدة يجري على كونه في الأعيان بما ليس من حالة الأكون في تلك المدة ، فإذا انتهت رفع ذلك الوجود أو تغيير وهو معنى البداء ، ولهذا قال السيد الداماد : (البداء نسخ وجودي كما أن النسخ بداء شرعي) ، ونعم ما قال .

هذا ذكر الإشارة إلى علة البداء والنسخ .

وأما ذكر الإشارة إلى وصف كونهما فاعلم أنّ البداء هو محو ما كان ثابتاً وإثبات ما لم يكن .

مثاله أنَّ الله سبحانه جعل على زيد ملائكة موكلين به في جميع قواه وطبائعه في تدبير جميع أنحائها ، فإذا نظروا مثلاً إلى آلات نفسه التي تخرج باختلالها عرفوا بأن تلك البنية تقتضي أنه يعيش عشرين سنة ، بمعنى أن تلك الآلات لم تتحلل قبل العشرين سنة انتقض في أذهانهم أنه يعيش عشرين سنة ، فإذا فعل ما ينقص العمر من الأعمال المنهي عنها كالزنى ضعفت تلك البنية ، لأنَّ

الزنى يحبس كثيراً من المدد الذي به قوام تلك الطبائع حتى كانت البنية لا تقتضي البقاء أكثر من خمس سنين ، فإذا نظر إليها الملائكة الموكلون به وجدوا بنيته لا تقتضي أكثر من خمس سنين انمحى ما كان في أذهانهم من أن بنيته تقتضي عشرين سنة ، وانتقض فيها أن بنيته تقتضي البقاء خمس سنين فقد محا سبحانه ما كان ثابتاً وهو العشرون السنة من ألواح المحو والإثبات التي هي أذهان الملائكة الموكلين به ، وأثبت فيها خمس سنين فقد محا من ألواح الجزئية وأثبت كلّ واحد بمشيّته .

وكذلك لو عمل زيد أعمالاً صالحة كالإحسان والبرّ خصوصاً بوالديه وأقاربه قوي مجرى المدد من فعله تعالى إلى قوابيل بنيته فتقوى بنيته بحيث تقتضي البقاء خمسين سنة ، فإذا نظر إليها الملائكة انمحى ما كان انتقض في نفوسهم من مدة العشرين وانتقض في نفوسهم بقاوه خمسين ، فقد محا سبحانه من ألواح الجزئية ألواح المحو ، وأثبت في ألواح الجزئية ألواح الإثبات وكلّ ذلك بمشيّته .

وكذلك الكلام في النسخ الحكم كان مثبتاً في بعض ألواح التي تحت اللوح المحفوظ ما دام الوقت والمكان والموضع ، فلما تغير أحدها ارتفع حكمه فهو كالإنسان حرفاً بحرف ، فما دام شيء من رزقه المكتوب له ومن عمره فهو حي فإذا انقضى أحدهما مات .

عدم تحريف القرآن

قال سلمه الله : (قد بلغنا أخبار كثيرة تدل على تغيير القرآن وتحريفه وتصحيفه ، مع أن الله تعالى قال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾^(١) ، وتصديق هذه الأخبار يستلزم تكذيب هذه الآية وبالعكس والعياذ بالله ، كيف وجه الجمع بين الآية والرواية؟) .

أقول : اعلم أن هذه المسألة وقع فيها الاختلاف ، والذي يظهر لي أن الاختلاف إنما هو لعلة قوله عليه السلام : (أنا الذي خالفت بينكم) ، إلا أنه بما ألقاه في خيال بعض العلماء حفظاً لهذه الفرقة ، إلا فمن نظر إلى أدلة القائلين بعدم التغيير رآها أوهن من بيت العنكبوت ، وذلك لأن الدليل إما أن يكون من الكتاب أو السنة أو من دليل العقل أو الإجماع ، والأربعة لم يثبت منها شيء .

أما الكتاب فقد دل بصربيحة المؤيد بالحديث المجمع على معناه من المسلمين كافة على أنه مغير ، محذوف منه كثير بمعونة الأحاديث المجمع عليها من المسلمين ، وهي ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : (لتركب بن سنن من كان قبلكم حذو النعل

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

بالنعل والقذة بالقذة ، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه^(١) انتهى ، وهذا لا يختلف في معناه اثنان من الشيعة .

ومن طرق العامة ما رواه عن أبي ليث الواقدي قال : كنت رديفاً للنبي صلى الله عليه وآله في غزوة أوطاس^(٢) ، فمررنا بشجرة كان المشركون ينوطون عليها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواع ، فقلت : يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواع ، كما لهم ذات أنواع ، فقال صلى الله عليه وآله : (قلتم والذي نفس محمد بيده ما قالت بنو إسرائيل لنبيهم أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، لتركين سنن من قال قبلكم حذو النعل بالنعل)^(٣) الحديث ، أو كما قال وهذا الحديث لا يختلف في معناه اثنان منهم ، فقد حصل إجماع المسلمين على المعنى .

وفي صريح القرآن « وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلَوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ »^(٤) ، وهذه التوراة التي عند اليهود

(١) تجده في بحار الأنوار للمجلسي : ٥١ / ١٢٨ ، ورواه باختصار الى قوله عليه السلام :

(.. والقذة بالقذة) العياشي في تفسيره : ١ / ٣٠٣ ح ٥ ، والبياضي في الصراط المستقيم : ٣ / ٣٢٧ ح ١٦ باب ١٦ .

(٢) أي غزوة حنين .

(٣) انظر كنز العمال : ١١ / ١٣٣ ح ٣٠٩٢٣ ، وعمدة القاريء : ١٦ / ٤٣ ح ٦٥٤٣ ، والبداية والنهاية : ٢ / ١٧٤ ، وكتاب الشريعة للأجري : ١٨ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

قد غيّروا فيها صفة محمد صلى الله عليه وآلـه بالإجماع من المسلمين ، وقد أخبر القرآن عن كثير من ذلك ، منه قوله تعالى : « وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ » يعني من أسلافهم اليهود « يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ » في أصل جبل طور سيناء وأوامره ونواهيه « ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ » مما سمعوه إذا أدوه إلى من ورائهم من بني إسرائيل « مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا » فهموه بعقولهم « وَهُمْ يَعْلَمُونَ »^(١) أنهم في تقولهم كاذبون ، ثم قال تعالى : « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَبَ يُأَيَّدُهُمْ » يحرّفونه من أحكام التوراة « ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ »، وذلك أنهم كتبوا صفة زعموا أنها صفة النبي صلى الله عليه وآلـه وهو خلاف صفتـه ، وقالوا للمستضعفـين هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان ، طويل عظيم البدن والبطن أشهـبـ الشعر ، وهو صلى الله عليه وآلـه بخلافـه ، وأنـه يجيءـ بعدـ هذاـ الزمانـ بـ خـمسـ مـئـةـ سـنةـ « لِيَشْرُوا بـهـ ثـمـنـاً قـلـيلاً »^(٢) لتـبـقـىـ لـهـمـ علىـ ضـعـفـائـهـ رـئـاستـهـ ، وـتـدـومـ لـهـمـ مـنـهـمـ إـصـابـاتـهـ ، وـيـكـفـواـ أـنـفـسـهـمـ مـؤـنـةـ خـدـمـتـهـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ ، وـقـالـ تعالىـ : « إـنـ الـذـيـنـ يـكـتـمـونـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ مـنـ الـكـتـبـ » منـ صـفـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـحـذـفـوـهـ مـنـ التـورـاـةـ « وـيـشـرـوـنـ »

(١) سورة البقرة ، الآية : ٧٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٧٩ .

يَهُءَ ثُمَّا قَلِيلًا^(١) عرضاً من الدنيا يسيراً ، وينالون به في الدنيا عند الجھال رئاسة ، وقال تعالى : « يَأَهَلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبَيِّثٌ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ » كنعت محمد صلى الله عليه وآلہ ، وأیة الرجم في التوراة ، وبشارة عیسى بآحمد في الإنجیل « وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ^(٢) مما تخونه لا يخبر به .

وفي مجمع البيان عن الباقر عليه السلام عند تفسیر قوله تعالى : « يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْتَرِعُونَ فِي الْكُفْرِ »^(٣) من سورة المائدة : (إن امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهو ممحضان ، فكرهوا رجمهما فأرسلوا إلى يهود المدينة ، وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآلہ عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة ، فانطلق منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وشعبة بن عمرو ومالك بن الضيف وكتانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدھما ، فقال صلى الله عليه وآلہ : وهل ترضون بقضائي في ذلك ، قالوا : نعم ، فنزل جبریل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك ، فأبوا أن يأخذوا به ، فقال له جبریل : اجعل بينك وبينهم

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

ابن صوريا ووصفه له ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : هل تعرفون شاباً أمراً بأبيض أبوريسكن فدك ، يقال له ابن صوريا ، قالوا : نعم ، قال : فأي رجل هو فيكم ؟ قالوا هو أعلم يهودي بقى على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى عليه السلام ، قال : فأرسلوا إليه ، فبعثوا إليه ، فأتاهم عبد الله بن صوريا ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إني أشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على موسى ، وفرق البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون ، وظلل عليكم الغمام ، وأنزل عليكم المن والسلوى ، هل تحلون في كتابكم الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم ، والذي ذكرتني به لو لا خشيت أن يحرقني رب التوراة إن كذبت ، أو غيرت ما اعترفت لك ، ولكن أخبرني كيف هو في كتابك يا محمد ؟ قال : إن شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها ، كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم ، فقال ابن صوريا : هكذا أنزل الله في التوراة على موسى ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله ؟ قال : كنا إذا زنى الشريف تركناه ، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد ، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نترجمه ، ثم زنى رجل آخر ، فأراد الملك رجمه ، فقال له قومه : لا حتى ترجم فلاناً ، يعنون ابن عمه ، فقلنا : تعالوا نجتمع فلنصنع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع ، فوضعنا الجلد والتحميم ، وهو أن يجعل دارلين جلدة ، ثم يسود

وجوهما ، ثم يحملان على حمارين ، وتجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما ، فجعلوا هذا مكان الرجم ، فقالت اليهود لابن صوريا : ما أسرع ما أخبرته به ، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وأله فرجما عند باب مسجده ، وقال : أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأنزل الله سبحانه فيه ﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١) ﴿٢﴾ الحديث .

وفي قوله ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ أَخَرِينَ﴾^(٣) عن ابن عباس وجابر بن سعيد المسمى أرسلوهم في قصة زان محسن ، فقالوا لهم : (إن أفتاكم محمد بالدية فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوا ، لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التوراة)^(٤) انتهى .

ومنها أن حكم الآخرة من الجنة وال النار حذفوه من التوراة ، فليس فيها الآن شيء من ذلك ، والله سبحانه يقول : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥) إلى غير ذلك .

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٥ .

(٢) مجمع البيان : ٣ / ٣٣٤ ، بحا الأنوار : ٢٢ / ٢٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

(٤) مجمع البيان : ٣ / ٣٣٥ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

وكذلك في الإنجيل مما حذفته النصارى من اسم محمد وصفته ، والقرآن مصري بتغييرهم في التوراة والإنجيل .

والأحاديث المجمع عليها قد دلت بنصها على أن كل ما كان في الأمم الماضية يكون في هذه الأمة ، حذوا النعل بالنعل والقدة بالقدة ، فإذا ثبت بالدليل القطعي أنهم غيرروا التوراة والإنجيل وحذفوا منها ، وثبت بالدليل القطعي أن ما كان هناك يكون في هذه الأمة حذوا النعل بالنعل والقدة بالقدة ثبت أن القرآن غير وبُدُل ، لا ينبغي للعارف بما قلنا أن يرتاب في ذلك .

وأما السنة فقد وردت الأحاديث المتكررة بالتغيير والتبديل والتقديم والتأخير والزيادة والنقيصة وغير ذلك ، حتى أن السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله ذكر في رسالته الصلاطية أن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث ، ولم نقف على حديث واحد يشعر بخلاف ذلك .

والقرآن الموجود الآن ستة آلاف آية وستمائة وست وستون آية تقريباً ، والمروي في صحيحه هاشم بن سالم الجواليلي أن القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآلـه سبعة عشر ألف آية ، وفي رواية ثمانية عشر ألف آية .

أما الزيادة فيه فوردت في روایتين أو ثلاث ، كقوله عليه السلام : (لولا ما زيد في القرآن ونقص لم يخف حقنا على ذي حِجا) .

وأجمع المسلمون على عدم الزيادة في هذا الموجود الآن ، وإنما الخلاف في النصيحة ، وحملوا أحاديث الزيادة على زيادة بعض الحروف في بعض القراءة ، مثل : « مَالِكٌ »^(١) و(مالك) ، ومثل : « مَسْكِنُهُمْ »^(٢) و « مَسَكِنُكُمْ »^(٣) ، والذي أفهم من الزيادة أنها هي الحاصلة من التقديم والتأخير ، كما في قوله تعالى : « أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنْتَهِيٍ مِّنْ رَّبِّهِ، وَيَتَلَوُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ، كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً »^(٤) فإنها هكذا (ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى) ، فكان الكلام المؤخر زائداً في المكان الثاني ناقصاً من الأول ، والكلام المتقدم زائداً في المكان الأول ناقصاً من المكان الثاني .

وأما النصيحة فالآحاديث متواترة معنى في ذلك ، فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه حذف وأسقط ما بين « وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي أَيْنَدَىٰ » وبين « فَإِنَّكُمْ حُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ »^(٥) الآية أكثر من ثلث القرآن ، وورد أن سورة الأحزاب بقدر سورة البقرة . والحاصل هي كما قال السيد نعمة الله الجزائري أنها تزيد على ألفين .

ومن روایات العامة ما رواه الشيخ سعد بن إبراهيم الأردبيلي

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٤ . (٤) سورة هود ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة سباء ، الآية : ١٥ . (٥) سورة النساء ، الآية : ٣ .

(٣) سورة القصص ، الآية : ٥٨ .

من علمائهم في كتاب الأربعين الحديث ، يرويه بإسناده إلى المقداد بن الأسود الكندي قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متعلق بأسوار الكعبة ويقول : (اللهم أعضدي ، وأشدد أزري ، واشرح صدري ، وارفع ذكري) ، فنزل جبريل عليه السلام ، وقال له : (اقرأ ﴿أَلَّا تَشَرَّحْ لَكَ صَدْرُكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْفَقَ ظَاهِرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١) بعلي صهرك^(٢) ، فقرأ النبي صلى الله عليه وآله على ابن مسعود فألحقتها في تأليفه ، وأسقطها عثمان انتهى .

وبالجملة ، إذا دلت على مسألة أخبار قدر ألفي حديث ، ولم يوجد خبر مناف لذلك ، بل القرآن شاهد بتصديقها ، لا يحسن اجتهاد في مقابلتها .

وأما الدليل العقلي فتمشيه على التغيير والتبديل والإسقاط أظهر من تمسيحيه على عدم التغيير ، لأن نافين التغيير قالوا : لو صح التغيير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن ، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً ، ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً ، فتنتفي فائدته ، وفائدة الأمر باتباعه ، والوصية بالتمسك به ، وقالوا :

(١) سورة الشرح ، الآيات : ٤ - ١ .

(٢) الروضة لابن شاذان : ١٦٨ ، بحار الأنوار : ٣٦ / ١١٦ ، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعية : ٣ / ١٩٦ .

إن الله سبحانه يقول ﴿وَإِنَّمَا لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُولُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) ، ويقول : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾^(٢) ، فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير ؟ وأيضاً قد استفاض عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ، ليعلم صحته بموافقته له ، وفساده بمخالفته له ، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرفاً بما فائدة العرض ، مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله ، مكذب له ، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله .

والجواب عن الأول : إننا لا نقول أن التغيير في جميع كلامه ، أو في كل كلمة ، أو في كل آية ، أو بما يختل به نظم القرآن ، لأن التغيير بإسقاط آيات وكلمات ، وليس كلما سقط من شيء انتفت فائدةباقي ، بل الباقي باق على كماله وبلاعنته ، مثلاً على قولكم إنه الآن كما أنزل لم يتغير ، لو أن شخصاً أسقط نصف البقرة ، وثلث آل عمران ، وربع النساء ، أو بالعكس ، هل يكون في الباقي فائدة وحججة ينتفع بها الناس أم لا ؟

فإن قلت : إن إسقاط نصف السورة لا يبطل حجية باقيها ، كما قلت في الحديث إن اشتتمال بعضه على المنافي إذا كان صحيحاً لا يخل بباقيه الموافق ، ولا يبطل الاحتجاج به ، فالقرآن

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤١ - ٤٢ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

أولى بذلك ، لأنه كلما كان أكمل كان بعضه أولى بالاستقلال من بعض غير الأكمل .

أنظر لو قلنا بأن آية الكرسي وجد منها : ﴿الله لا إله إلا هو رب الْحَيِّ الْقَيُّومُ﴾^(١) ، وأسقط باقيها ما بطلت بلاغة الموجود منها والاحتجاج به ، بل هو باق على ما هو عليه في جميع فوائده ، إلا ما كان مرتبطاً بالمحذوف .

وما كان مرتبطاً بالمحذوف فإن علم حافظ الشريعة الذي استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله شريعته أن الرعية تحتاج إليه ذكره لهم ولا يخل به ، مثل استحقاق الزوجة مع عموم استحقاقها في القرآن من كل ما ترك زوجها ، وخصوصها عليهم السلام على مقتضى إرادة الله تعالى ، لأنهم يريدون هداية الخلق إلى الحق ، فلو فقد شيء من القرآن مما تحتاج إليه رعيتهم وجب على المستحفظ للشريعة أن يلقيه إليهم في أحاديثه ، كما دلت عليه الأخبار مثل قوله عليه السلام : (إن الأرض لا تخلو من حجة كي ما زاد المؤمنون ردهم ، وإن نقصوا أتمه لهم)^(٢) ، فلا يحصل نقص على الرعية بما أسقط من القرآن ، والمسدد المكمل عليه السلام معهم بقوله وفعله وتسويده .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٢) مختصر البصائر : ١١٣ ، والخرائج والجرائح : ٢ / ٨٣١ ذ ٤٦ ، وبصائر الدرجات : ٣٣١ باب ١٠ بأسانيد شتى وألفاظ مختلفة . والكاففي : ١ / ١٧٨ =

وإن قلتم : إن إسقاط البعض يسقط حجية الباقي لاحتمال التغيير في كل آية .

قلنا : هذا إنما يتم لو لم يعلم مواضع الإسقاط ، وأما إذا علم مواضع التغيير والإسقاط ببيان العالم عليه السلام فلا يتم هذا لكم ، لأنه عليه السلام قد بين مواضع التغيير مثل : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾^(١) ، لما قرئت عند الصادق عليه السلام ، فقال : (قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة) .

فقيل له : كيف هذا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : (إنما أنزل الله واجعل لنا من المتقين إماماً)^(٢) .

ح ٢٠١ - ١٩٩ ، والإمامية والتبصرة : ح ٢٩ ح ١١ ، وعلل الشرائع : ح ٢٢ - ٣٢ بألفاظ متعددة ، وكمال الدين : ١ / ٢٠٣ ح ١١ و ١٢ . ولفظه في المختصر : قال أبو عبد الله عليه السلام : (إن الله لم يخل الأرض من عالم يعلم الزيادة والنقصان في الأرض ، فإذا زاد المؤمنون شيئاً رذهم ، وإذا نقصوا أكمله لهم ، فقال : خذوه كاملاً ، ولو لا ذلك لاتبس على المؤمنين أمرهم ، ولم يفرقوا بين الحق والباطل) .

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٧٤ .

(٢) قال : وقرئ عند أبي عبد الله عليه السلام : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرْبَةً أَعْيُنْ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ [الفرقان : ٧٤] فقال : (قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة) ؛ فقيل له : كيف هذا يا بن رسول الله ؟ قال : إنما أنزل الله : (الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرعة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً) تفسير نور الثقلين : ٤ / ٤٢ رقم ١٣٩ ، وتفسير القمي : ٢ / ١١٧ .

ومثل : ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بِلَغَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتِ رِسَالَتُهُ﴾^(١) أي من ربك في علي ، الآية .

فإن قلت : هذه أخبار آحاد لا يعول عليها .

قلنا : ما الموجب لردها وجعلها أخبار آحاد ، وهي تزيد على الألفين ، والقرآن كما سمعت يؤيدتها . فإن كان لأن العمل بها ينافي الاحتجاج به والتمسك به ، قلنا : على قولكم إنه لم يغير الحال يجوز التمسك بكل شيء منه ، أو لا يجوز لأن فيه ما يحتاج إلى صرفه عن ظاهره ، مثل : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢) و﴿إِلَى زِهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٣) .

فإن قلت : لا يجوز لأن فيه المتشابه ويحتاج به الدهري والمرجع وغيرهما ، وإنما نحتاج بمحكمه .

قلنا : في المحكم عام فلا يكون محكماً إلا بعد التخصيص ، وفيه المنسوخ وغير ذلك .

والمقرر للمحكم منه هو الإمام عليه السلام ، وهو المقرر للعمل به في بعض دون بعض ، ومنها بيان مواضع التغيير ، لأن القرآن فيه تفصيل كل شيء ، وأكثر الأحكام التي عندكم ليس فيها دليل من القرآن ، وإنما أدلتها من السنة ، وفي السنة ما من شيء

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٣) سورة القيامة ، الآية : ٢٣ .

إلا وفيه كتاب أو سنة ، وقد أخبروا في الأحاديث الصحيحة عنهم عليهم السلام إن جميع ما عندهم من القرآن ، فالذى يخبرونكم به وليس مذكوراً في هذا القرآن ، ولا شك أنه منه كما قالوا . فلما أن يكون في التأويل أو في لفظه ، والأصل عدم التأويل ، لأن من قال : إنه من القرآن ، ولم يوجد في هذا القرآن الموجود عندنا لابد له أن يقول : إنه مذكور في القرآن في لفظه .

واحتمال التأويل مرجوح لمخالفته الأصل ، وكون أمير المؤمنين عليه السلام جمع القرآن ، وعرضه على القوم ولم يقبلوه ورجعوا به مما يؤيد أنه غير هذا ، وإلا لما كان لرجوعه به ولا لعدم قبولهم له مزية إذا كان هو هذا الموجود .

ودعوى أن هذا لم يثبت مباهة لشهرته بين المسلمين من المؤلف والمخالف ، ودعوى أن ما أتى به عليه السلام إنما هو من قبيل التفسير ينافيها قوله عليه السلام : (هذا كتاب الله كما أنزل ، فإن قبلتموه فاقبلوني معه ، لا حكم بما أنزل الله فيه) ، ومخاطبته عليه السلام لطلاقة ومحاجته ، وجوابه للزنديق مشهورة .
فإن قيل : كل هذه أخبار آحاد لا يعول عليها .

قلنا : فأتوا بخبر واحد يوافق قولكم مسند أو غير مسند ، مع أنا قلنا لكم : إن أحاديث : (لتركين سنن من كان قبلكم)^(١) الخ ،

(١) تجده في بحار الأنوار للمجلسي : ٥١ / ١٢٨ ، ورواه باختصار إلى قوله عليه السلام :

مما اتفق على صحة معناها جميع المسلمين ، واللازم من ذلك نص القرآن الموجود على تغييره بإسقاط وتبديل وتقديم وتأخير وتأويل على غير مراد الله ، وغير ذلك ، خرج منه الزيادة فيه من غيره من الآيات والكلمات بإجماع المسلمين ، وإن الموجود قرآن لا شك فيه ، وبقي ما سوى هاذين داخلاً فيما نص عليه هذا القرآن من وقوع ذلك في كتب الأمم الذين قبلنا ، وراجع ما مضى .

وأما قولهم : إن الله سبحانه يقول ﴿ وَإِنَّمَا لَكُنْتُ بُشِّرًا لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^(١) ، فليس فيه دلالة على مدعاهم ، لأن إسقاط بعضه لا يلزم منه تطرق الباطل على الباقي منه لأنه حق .

ولو قيل : يتطرق الباطل على المجموع من حيث هو مجموع .
قلنا : إنما يتطرق على المجموع لو قلنا بأن ما أسقطوه ذهب ، وأما إذا كان محفوظاً عند أهله فلا يلزم منه ذلك ، فإنه مثل ما لو اتخذت من هذا الموجود أنت وحدك بعض سورة وتركت الباقي ، فإنه لا يضر الباقي ، وهو موجود عند غيرك ، على أن المراد من معنى هذه الآية أن القرآن لا يكون فيما أخبر به عما مضى ، وعما يأتي شيء مخالف للحق ، ففي التفسير : لا

= (.. والقلدة بالقذة) العياشي في تفسيره : ١ / ٣٠٣ ح ٥ ، والبياضي في الصراط المستقيم : ٣ / ٢٣٧ باب ١٦ .
(١) سورة فصلت ، الآياتان : ٤١ - ٤٢ .

يأتيه الباطل من قبل التوراة ، ولا من قبل الإنجيل والزبور ، ولا من خلفه ، أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله ، وفي مجمع البيان عنهمَا علِيهِمَا السَّلَامُ : (لِيْسُ فِي أَخْبَارِهِ عَمَّا مَضِيَ باطِلٌ ، وَلَا فِي أَخْبَارِهِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ باطِلٌ ، بَلْ أَخْبَارُهُ كُلُّهَا موافقة لِمُخْبَرَاتِهِ) ^(١) انتهى .

وكذلك قوله تعالى : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ» ^(٢) فإن إسقاط بعضه عند أناس لا ينافي كونه محفوظاً عند آخرين .

وليس المراد أنه لا يجوز أن يقال بأنه سقط منه شيء ، لأنه يخالف الآية ويلزم منه تكذيبها ، كما في متن السؤال ، لأنك يمكنك أنت أن تسقط منه شيئاً ولا يلزم منه ذلك ، لأن المراد من الآية مثل المراد من الأولى .

وإن أريد تأويلاً لها على هذا المعنى فهو الآن محفوظ عندهم عليهم السلام ، ولم يذهب المحذوف منه من الوجود ، ليكون غير محفوظ .

وأما عرض الخبر المروي على كتاب الله الخ ، فنقول : ليس المراد به العرض على جميع آياته ، بل على ما يصلح عليه العرض ، والذي أمر بالعرض عليه هو الذي أخبر بإسقاط بعضه .

(١) مجمع البيان : ٩ / ٢٧ ، منهاج البراعة : ٢ / ٢٠٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

فَلِمَ لا تقول : لعله إنما أمر بالعرض لعلمه بأن ما يحتاج إلى العرض على الكتاب من الخبرين المختلفين يبينه الموجود من القرآن بالعرض عليه ، وما لا يبينه الموجود من القرآن أمر بعرضه على السنة ، أو على ما عليه العامة ، أو لعل المعارض عليه من هذا القرآن الموجود لم يكن مُغيّراً ، ومجرد الإسقاط لا يوجب عدم جواز العرض ، لجواز أن يكون ما أسقط لا يتعلق به عرض شيء عليه ، أو ما يتعلق به من العرض تقوم السنة مقامه فيه ، أو العرض على ما عليه العامة ، بل ربما يكون هذا راجحاً من جهة أن القرآن فيه : ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، فلما أخبر سبحانه بأن القرآن فيه تفصيل كل شيء ، ورأينا أكثر الروايات المختلفة لا يمكن عرضها عليه ، ولا يوجد فيه تفصيلها ، حصل لنا قطع بمعونة تلك الأخبار المتکثرة أنه لو وجد كله لا غنى في عرض جميع الأخبار المختلفة عليه عن السنة ، وعن العرض على مذاهب العامة ، لأنه تفصيل كل شيء ، وإلا لما كان فيه تفصيل كل شيء ، لأن ما لا يغني عن غيره كان خاص النفع ، وما كان خاصاً لا يخبر عنه في القول الحق أنه عام ، فأخبار التحرير موافقة للكتاب ، ومصدقة له عند أولي الألباب .

(١) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

وأما الإجماع فهو دائر بين أن يكون منقولاً ، أو محصلاً خاصاً لوجود المخالف في كل آن من زمن الأئمة عليهم السلام إلى هذا الآن ، وإن اختلفت الشهادة باختلاف الأزمنة .

والمنقول يجوز أن يكون منقولاً عن إجماع محقق ، وهذا على فرضه ووقوعه في الظاهر يكون حجة ومصادماً للمخالف .

وفي الحقيقة قد يكون وجود المخالف بعده ، وكثرة وقوته دليلاً ناقضاً لذلك الإجماع ، لاحتمال أن يكون أصل منشأ القول المخالف من إتمام الإمام عليه السلام لما نقص المؤمنون ، أو ردهم بما زادوا بقرينة قوة الدليل ، ولما ثبت عند المحققين من جواز تعاكس الإجماعيين في بعض صور الإجماع المركب ، ومن جواز انقلاب الإجماع الظاهر ، وإن كان نادر الوقع ، كما أشرنا إلى ذلك في رسالتنا الموضوعة في الإجماع .

وقولي : (في الظاهر) لاحتمال أن تكون قطعية حصلت من التسامح ، لا من قطعية الدليل نفسه ، فإنها إذا حصلت من قطعية الدليل بنفسه أضمحل الخلاف ، لأن قطعية الدليل بنفسه لا يجتمع مع ضده إلا نادراً ، لتغير القطع بقوة الاحتمال المتجدد ، ولا يكون إلا في وقت متبعاد عن وقت الأول ، أو صقع ناء عن مكان الأول ، بحيث لا يكلف المستربط الاطلاع عليهما .

ويجوز أن يكون منقولاً عن إجماع محصل خاص ، وهذا مع ثقة الناقل وسلامته من الاحتمال الأول لا يزيد على خبر الثقة ،

وإن كان لو انفرد الخبر الصحيح معه كان أرجح من الخبر كما هو الظاهر ، لكنه لا يقاوم ألا في حديث معتضدة بلزوم نص القرآن كما تقدم ، مع أن أكثرها صحيحة يشهد العقل السليم من الشبهة لها .

والمراد بالشبهة ما بيننا كثيراً ما في أجوبتنا ومباحثاتنا إن العلماء إذا كان المباحث لهم مخالفأ لهم على أربعة أقسام : قسم يسلك طريق المكابرة والعناد ، ومثل هذا لا يوفق للصواب والسداد .

وقسم ليس كذلك ، ولكنه ربما اعتادت نفسه بشيء وأنست به ، فإذا حصل له ما ينافيء مالت نفسه ، وربما يكون من حيث لا يشعر بالاعتراض إلى صرف ما يخالف ما أنس به وتأنويله ، وهذا كذلك وإن كان أخف تقصيراً من الأول .

وقسم ليس كالأولين ، ولكنه مطمئن إلى قواعد عنده يعتمد عليها ، فيقبل ما يوافقها وينكر ما يخالفها ، وهذا أيضاً كثير الخطأ ، ولا يكاد يهتدي إلى سوء السبيل ، لأنه ربما كان الغلط والخطأ في قواعده ، إلا إذا كانت قواعده واقعية : (إما من كتاب مجتمع على تأنويله ، أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله) ^(١) انتهى ، يعني أن العقول متفقة على قبوله ، كما رواه في الاختصاص عن محمد بن

(١) الإختصاص للمفید : ٥٨ ، تحف العقول : ٤٠٧ ، بحار الأنوار : ٢ / ٢٣٨ .

الزبرقان الدامغاني عن موسى بن جعفر عليهما السلام ، ولا شك في صوابه حيثئذ .

وقد ليس كالأولين ، بل هو بعدهما مارس العلوم ، وتأدب بآداب الروحانيين حصل له عقل اكتسابي ، وفهم طبعاني ، فإذا ألقى إليه الكلام نظر فيه بفهمه ، وتدبر معنى المراد منه ، غير متفلت إلى ما اعتادت به نفسه ، ولا إلى قاعدة عنده ، بل ينظر نظر المتدارب ، ويستمع استماع المتفهم المتعلم ، فهذا هو الذي يصدق عليه قوله تعالى : «**وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِي نَهْدَهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**»^(١) .

فالعقل السالم من الشبه الثلاث يشهد بما قلنا ، بل يجوز أن يكون منقولاً عن الإجماع السكوتوي وما أشبه ذلك ، ولأجل هذا اشترط بعضهم الاطلاع الابتدائي ، ليرتفع الاحتمال ويتبيّن الإجمال . والمحصل الخاص لا يرفع الاختلاف ، بل يجوز لمن لم يحصله معارضته ، كما دل عليه خبر الاختصاص عن الكاظم عليه السلام ، حيث قال فيه : (فَمَا ثَبَتَ لِمُنْتَهِلِيهِ مِنْ كِتَابٍ مُجْمَعٍ عَلَى تَأْوِيلِهِ ، أَوْ سَنَةٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا اخْتِلَافٌ فِيهَا ، أَوْ قِيَاسٍ تَعْرِفُ الْعُقُولُ عَدْلَهُ ضَاقَ عَلَى مَنْ انْتَهَلَ تِلْكَ رَدْهَا ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ قَبْوَلُهَا وَالْدِيَانَةُ وَالْإِقْرَارُ بِهَا . وَمَا لَمْ

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

يثبت لمنتحليه من كتاب مستجتمع على تأويله ، أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآلـه لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الشك فيه والإنكار له^(١) الحديث ، إلا أنه إذا حصل له دليل معارض له ، حيث تعتبر المعارضة نظر

(١) قال عليه السلام : (بسم الله الرحمن الرحيم جميع أمور الدنيا أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها وأخبار المجمع عليها المعروض عليها كل شبهة ، والمستنبط منها على كل حادثة ، وأمر يحتمل الشك والإنكار ، وسيله استيضاح أهل الحجة عليه فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجتمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآلـه لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردـها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها ، وما لم يثبت لمنتحلـيه به حـجة من كتاب مستجتمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآلـه لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عـدـله وسع خـاصـ الأـمـةـ وـعـامـهـاـ الشـكـ فـيـهـ وـالـإـنـكـارـ له كذلك ، هـذـاـ الـأـمـرـانـ مـنـ أـمـرـ التـوـحـيدـ فـمـاـ دـوـنـهـ إـلـىـ أـرـشـ الـخـدـشـ فـمـاـ دـوـنـهـ ، فـهـذـاـ الـمـعـرـوـضـ الـذـيـ يـعـرـضـ عـلـيـهـ أـمـرـ الدـيـنـ فـمـاـ ثـبـتـ لـكـ بـرـهـانـهـ اـصـطـفـيـتـهـ وـمـاـ غـمـضـ عـنـكـ ضـبـوـءـ نـفـيـتـهـ ، وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ وـحـسـبـنـاـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ) . فأـخـبـرـتـ المـوـكـلـ بـيـ أـنـيـ قـدـ فـرـغـتـ مـنـ حـاجـتـهـ فـأـخـبـرـهـ فـخـرـجـ وـعـرـضـتـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ : أـحـسـنـ هـوـ كـلـامـ مـوـجـزـ جـامـعـ فـارـفـعـ حـوـائـجـكـ يـاـ مـوـسـىـ . فـقـلـتـ : (يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ أـوـلـ حـاجـتـيـ إـلـيـكـ أـنـ تـأـذـنـ لـيـ فـيـ الـاـنـصـرـافـ إـلـىـ أـهـلـيـ فـلـانـيـ تـرـكـتـهـ بـاـكـيـنـ آـيـسـيـنـ مـنـ آـنـ يـرـونـيـ) ، فـقـالـ : مـأـذـونـ لـكـ اـزـدـدـ . فـقـلـتـ : (يـبـقـيـ اللـهـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ لـنـاـ مـعـاـشـ بـنـيـ عـمـهـ) ، فـقـالـ : اـزـدـدـ ، فـقـلـتـ : (عـلـيـ عـيـالـ كـثـيرـ وـأـعـيـنـتـاـ بـعـدـ اللـهـ تـعـالـىـ مـمـدـودـةـ إـلـىـ فـضـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـعـادـتـهـ) ، فـأـمـرـ لـيـ بـمـائـةـ أـلـفـ درـهمـ وـكـسـوةـ وـحـمـلـنـيـ وـرـدـنـيـ إـلـىـ أـهـلـيـ مـكـرـمـاـ .
كتاب الاختصاص : ٤٢ حديث أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام .

فيهما بعين الترجيح ، وقد شاع في كتب الأصحاب في مواضع كثيرة الحكم في مقابلة الإجماع المنقول ، لقوة الدليل المعارض له وترجيحه ، بل ربما يكون بعضهم يحصل له ترجيح في مقابلة الإجماع المنقول ، باحتمال يجري على خاطره يرجح به دليله عليه ، لأنه عندهم دليل مرجع للدليل ، أو دليل يتراجع بدليل ، لا أنه دليل مستقل وحده بدون شيء يعوضه غالباً ، لقيام الاحتمال كما مر ، وإن كان هو بحكم الخبر الواحد ، وأصرح من الخبر ، لعدم الاحتمالات المنافية لدلالته المتطرفة إلى الخبر ، إلا أنه غالباً لا يستعملونه دليلاً تماماً مستقلاً ، وإلا لم يكن خاصاً ، بل كان محققاً ، ولهذا لا تكاد تجد حكماً من أحكامهم ليس له دليل ، إلا خصوص الإجماع المنقول ، بل لابد معه من روایة أو اعتبار شرعي ، وليس لأنه غير حجة ، بل لما يتطرق إليه من الاحتمالات في النقل بم ثبت به .

وأما المنقول : هل هو المحقق ، أم المحصل الخاص ، أم عام ، أم غير ذلك ، حتى أنه قد يكون إجماعاً في زمن واحد متقابلان ، ولا يكونان محققين قطعاً ، كما نقل عن الشيخ ظاهر الإجماع على جواز الصلاة في فرو السنجب ، وعن ابن زهرة في الغنية ظاهر الإجماع على المنع من الصلاة فيه ، وهما متعاصران .

وبالجملة ليس نقل الإجماع تعين به الحكم ، كما

سمعت من مثل إجماعات ابن إدريس والسيد المرتضى ، حتى أنه نقل عنه تسعه إجماعات في تسع مسائل لم يعلم بها قائل ، بل مذهب الفرقة المحققة على خلافها ، والأصل أنه إجماع حصله هو مستنبطاً لم يجده غيره .

فإذا وقفت على ما في الأدلة الأربع التي أشرنا إليها فيما نحن فيه تبين لك صحة ما قلنا ، وما نصره الشيخ أبو علي الطبرسي رحمه الله من عدم التغيير منتقض بما ذكرناه ، وبما قرره هو في مجمع البيان في مواضع كثيرة من تغيير الكتب السابقة ، وحذف كثير منها كما في التوراة والإنجيل ، المستلزم لصحة تغيير كتابنا بنص الأخبار المجمع على العمل بها من جميع المسلمين .

فإذا تفهمت ما أشرنا إليه ظهر لك مطابقة الرواية للآية ، وعدم المنافاة بينهما ، والله سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل .

في بيان شبهة ابن كمونة

قال سلمه الله تعالى : (الرابع عشر : بينوا تقرير الشبهة المشهورة المنسوبة إلى ابن كمونة ودفعها وإبطالها على القول بقدم العالم وعلى القول بحدوثه) .

أقول : قال الملا صدرا^(١) في الأسفار^(٢) : (إن مما تشوّشت به طبائع الأكثرين وتبلّدت أذهانهم ما ينسب إلى ابن كمونة^(٣) ، وقد سماه بعضهم بافتخار الشياطين لاشتهاره بإبداء هذه الشبهة العویصة والعقدة العسرة الحلّ ، فإني قد وجدتُ هذه الشبهة في كلام غيره ممن تقدّمه زماناً ، وهي أنه لم لا يجوز أن يكون هناك هويتان بسيطتان مجھولتا الکنه مختلفتان بتمام الماهيّة تكون كل واحد منهما واجب الوجود بذاته ، ويكون مفهوم واجب

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .

رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشاهد الروبية في المناهج السلوكية .

انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٢ / ١٣٢ الفصل الرابع .

(٣) هو سعد كمونة سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي (عز الدولة) حكيم ، أديب ، منطقى .
توفي سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م .

من تصانيفه : شرح الإشارات لابن سينا في المنطق والحكمة ، تنقیح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث ، الحكمة الجديدة في المنطق ، وشرح التلویحات في المنطق والحكمة .

انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣ / ١٩٣ .

الوجود منتزعاً منهما مقولاً عليهما قولًا عرضياً ، فيكون الاشتراك بينهما في هذا المفهوم العرضي المنتزع عن نفس ذاتٍ كلّ منها ، والافتراق بصرف حقيقة كلِّ منها) ، انتهى كلامه لنقل شبهة ابن كمونة .

وأنا أقول : هذه الشبهة إنما تكون شبهة عند من لا يعرف الله إلا بمفاهيم العبارات ، وأماماً من عرف الله بما وصف به نفسه فلا تكون هذه شبهة عنده ، وإنما هي كلمات متناقضة لا يحدث منها توهّم ولا إشكال بحال من الأحوال ، ونحن قد ذكرنا ما ينفيها ، ولكن أجدد ما يدلّ على معرفته تعالى كما وصف به نفسه :

ردّ الشيخ الأوحد شبهة ابن كمونة

اعلم أنّ قول ابن كمونة هناك يشير به إلى الأزل وقد بينا مراراً أنّ الأزل ليس مكاناً أو وقتاً مغايراً للذات المقدسة تعالى شأنه بأن يكون مكاناً واسعاً والواجب في موضع منه أو وقتاً ممتدّاً والواجب في مدة منه ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً بل هو ذاته البحث بكلّ اعتبار من مواضع الاعتبارات في الذهن وفي نفس الأمر ، وفي الخارج وبكلّ احتمال وفرض ، فكيف يمكن فرض هويتين بسيطتين مجهولتي الكنه مختلفتين بتمام الماهية يكون كلّ واحد منهما واجب الوجود لذاته في هوية واحدة بسيطة واجب الوجود بذاته ، لا اختلاف فيها بذات ولا صفة ولا حيّة ولا كم

ولا كيف لا في التصور ولا في نفس الأمر ولا في الخارج ، بكل اعتبار أو فرض أو احتمال ؟ وتجويز هذا مستحيل الفرض وممتنع التجويز .

إلا أن يعتقد بأنَّ الأزل مغايِرٌ للذات وأنه فضاء واسع أو وقت مُمتدٌ ، فإنَّه للجاهل أن يفرض هوتين ، وإنَّما قلتُ للجاهل ، لأنَّ العارف يمتنع عنده الفرض مع الوجوب ، لأنَّ آية ذلك التي أراكم الله إياها في الآفاق منها السراج وأشعته ، فإنَّ نفس السراج آية الواجب وليس للسراج مكان أو وقت غير نفسه ، وما خرج عن نفسه فهو أشعته وآثاره ، كذلك الواجب هو الأزل نفسه ذات بحث وما سوى تلك الذات فهو الإمكان ، فكما لا يمكن فرض سراج أو سراجين في السراج للتنافي ولا في أشعته ، لأنَّه مكان الآثار لا مكان المؤثر ، كذلك لا يمكن فرض ذاتين في ذات واحدة ولا في خارج الذات ، لأنَّه إمكان وهو محل الآثار لا يصلح أن يكون محل المؤثر .

وقوله : (ويكون مفهوم واجب الوجود منتزعًا منهما) ، يناقض قوله : (والافتراق بصرف حقيقة كلَّ منها) ، قوله : (مختلفتان بتمام الماهيَّة) ، لأنَّ الانتزاع إنْ كان من جهة جامدة بينهما ناقض قوله : (بسقطان) ، للزوم التركيب مما به الاجتماع ومما به الافتراق ، فتكونان مركبتين سواء كانا من ذاتين أم عرضيَّين أم من مختلفين لا بسيطتين ، وإنْ لم يكن الانتزاع من جهة جامدة بينهما مع اختلافهما كان المفهوم المنتزع مركباً وهو

يناقض مفهوم واجب الوجود إذ لا يجوز أن يكون مركباً ، ويناقض أيضاً قوله مقولاً عليهما قولأً عرضياً ، لأن المفهوم البسيط لا يقال على هويتين مختلفتين بسيطتين .

نعم ، إن كانا مركبتين مما به الاختلاف ومما به الاتحاد أمكن أن يقال : المفهوم البسيط مقول على ما به الاتحاد .

وأيضاً يناقض قوله : (قولأً عرضياً) ، لأن المنتزع من الذات يكون مقولاً بالذات ، لأن المنتزع من الذاتين البسيطتين وليس منتزعاً من صفتיהם العارضتين عليهما لا يكون المنتزع مقولاً على الذاتين بالعرض ، وإن بنى الانتزاع على ما هو الحق عندنا من أن المنتزع سواء كان من نفس الذات أم من صفتها العارضة أو الازمة لا يكون إلا عرضياً ، لأن الذهن لا يحله إلا الصور والأشباح المنفصلة التي هي أظللة المنتزع منه وأشعنته ، صحّ كون المنتزع مقولاً بالعرض مطلقاً أي سواء انتزع من الذات أم لا ، ولكنه يناقض كون الهويتين بسيطتين مختلفتين ، لأن المفهوم إن كان منتزعاً من كلّ منها من جهة جامدة كما لو كانتا مشتركتين في الصفة لزم تركبهما مما به الاشتراك ومما به الاختلاف كما تقدم ، فلا يكونان واجبين .

وإن كان منتزعاً مما به الاختلاف أو من حيث هما مختلفتان كان المنتزع مركباً فلا يصلح أن يكون مفهوماً لواجب الوجود ، فظهر مما ذكرنا مكرراً مردداً أن هذه الشبهة ليست شبهة إلا عند من

يرى أن المعرفة طريقها القضايا الح�مية والمفاهيم اللفظية . ويعتقد أن الأزل ظرف ممتد واسع والواجب في زاوية منه ، ويعتقد صحة الفرض بالنسبة إلى الواجب نظراً إلى أن الذهن يتعلق بشيء هو القديم وفي ذلك الم محل منه يتعلق بغيره ، وأن الذهن يسع تعدد القدماء لأنه لا يعرف من معنى القديم والواجب إلا أنه شيء والشيء يجامع غيره في حكم الذهن ، فإذا تعدد الخارج عن التعدد لم يتعدر الذهن عن تعدد جهاته ومفهوماته لأنه دائرة مدار القضايا .

وأنا أقول : الحمل لا يجدي في معرفة الله سبحانه نفعاً ، بل أقول : الحمل سقط ، وأقول : قضية ولا أبا حسن لها ، وأقول : إن أردت إبطالها فاسمع ما كتبت فيها وتفهمه راشداً .

وأما قولكم : (على القول بقدم العالم وعلى القول بحدوثه) فاعلم أن القول بقدم العالم وحدوثه لا ربط له بهذه الشبهة ولا بإبطالها ، لأن القائلين بقدم العالم مع إثباتهم الصانع كالمنقول عن ثاليس المطلي^(١) يدعون تأخر العالم عن الصانع رتبة وإن كان وجوده لازماً لوجود الصانع تعالى ، قوله : إن علة وجوده التامة كرمه ، والمعلول لا يختلف عن علته التامة .

ونحن نقول : لو سلمنا قوله كان قوله بحدوث العالم ، لأن

(١) ثاليس المطلي : أحد علماء وحكماء اليونان ، كان سنة ٥٠٥٦ قبل الهبوط ، وكان قبل الميلاد بأزيد من ٥٠٠ عام .

العالم معلول مسبوق بعلته وإن كان لا يختلف عنها فإنما لا نريد بالحادث إلا المسبوق بالغير ، ويلزم من كونه مسبوقاً بالغير أنه عدم في رتبة السابق فيصدق عليه أنه مسبوق بالعدم كما هو رأي آخرين ، ومن فرض تعدد القدماء لم يجوز كون شيء منها سابقاً أو مسبوقاً بل هي كلها سواء ، فلافائدة في ذكر حدوث العالم أو قدمه في حل هذه الشبهة ، وذكر الأدلة والإلزامات وأمثالهما لا يقتضيه المقام .

في بيان علة إنسانية الإنسان

قال أيده الله تعالى : (الخامس عشر : قال الرئيس فإن قيل : ما علة الإنسان في أنه إنسان ؟) .

قلنا : لا علة لكونه ذاتاً ، فإن العلة لوجوده لا ل Maheriyah وكونه إنساناً ، انتهى ، وهو يرشد إلى نفي جعل الذات وتعلق الجعل بالوجود المنتزع عنها .

وليت شعري ، كيف يجوز استغفاء الماهية الحقيقة عن الجاعل وافتقار الأمر الاعتباري القائم بها قياماً انتزاعياً إلى الفاعل ؟ ! ، أم كيف يمكن القول بكون الوجود هو المجعل مع أنه لا موجود ولا معدوم ، وإفاده الفاعل مثله غير معقول ؟ !

أقول : إن كونه ذاتاً شيئاً فلا يخلو ، إما أن يكون قدرياً أو حادثاً ، فإن كان قدرياً اتجه كلام الرئيس لكنه ليس بقدير

قطعاً ، وإن كان حادثاً فله علة قطعاً ، وإن لم يكن كونه ذاتاً شيئاً فلا معنى لنفي العلة عنه ، لأن النفي فرع الثبوت وثبتت شيء لشيء فرع ثبوت الشيء الذي ثبت له .

وقوله : (فإن العلة لوجوده لا ل Maherity وكونه إنساناً) غلط ، بل الحق أن أول معلول من الإنسان كونه وهو وجوده ، وثاني معلول من الإنسان Maherity وأنه هو وكل معلول فله علة ، إلا أن كلامه مبني على القول بقدم الماهيات ، لأنها هي الأعيان الثابتة في علمه الذي هو ذاته تعالى ، أو أنها معلقة بعلمه وذاته كتعلق الظل بالشاحن ، وليس مجعلولة وهذا مرض مهلك ، نعوذ بالله من سخط الله واعتراضاتك على كلامه واردة عليه متوجهة وكلها حق .

في بيان الزمان والدهر والسرمد

قال سلمه الله تعالى : (السادس عشر : منّا علينا بيان ما هو الحق في تحقيق الأوعية الثلاثة من الزمان الذي هو نسبة المتغيرات إلى مثلها ، والدهر الذي هو نسبة المتغيرات إلى الثابتات ، والسرمد الذي هو نسبة الثابتات الأبدية إلى مثلها ، وإن أيّها يأبى عن المسبوقة بالعدم حفظكم الله ؟) .

أقول : إنَّ الظروف الثلاثة في الحقيقة هي مدد لوجودات مظروفاتها وماهياتها ولو جودات حركاتها وسكناتها ، وقد يمكن تعقُّلها بحركات المظروفات ، أي يمكن تعقُّل كلَّ ظرف بنسبة

حركة مظروفه السريعة إلى البطيئة ، لا أن تلك الظروف هي تلك الحركات ، كما قالوا : إن الزمان عبارة عن مقدار حركة الفلك ، وعلة قولهم ما وجدوا في عبارات الحكماء المتقدمين في بيان تعقل الزمان ، بأن مثّلوا أنه لو ابتدأ سائران في مسافة مقدرة أحدهما يسير بحركة سريعة يقطع المسافة في ساعة والأخر بحركة بطيئة يقطعها في ساعتين إلى آخر ما مثّلوا ، ويريدون به تعقل المُدد ، وربما توهם من تأخّر عنهم أنهم أرادوا بذلك التمثيل ذكرحقيقة الزمان ، فقالوا : إن الزمان عبارة عن حركة الفلك وليس كذلك ، وإنما مثّلوا بذلك لتعقل الزمان لا لبيان حقيقته ، لأن حقيقته هي مدة مكث الجسم أو انتقاله في أفعال الجسم وفي الجسم نفسه مدة نموه وذوباته وترقيه في الرتب العالية كالصفاء والنورانية وهبوطه في الدركات السافلة كالكدورة والظلمة ، وقول من قال : الزمان نسبة المتغيرات إلى مثلها ، يصلح لإرادة بيان الحقيقة وإرادة بيان التعقل .

فالأول : إن المتغير له تنقّل ومكث ومدة بقاء كلّ واحد منهم في كونه أو فنائه إذا نسب إلى مثله في تنقّله أو مكثه مع اختلافهما في المدة ، أو اتفاقهما في التقضّي هو الزمان .

والثاني : إذا نُسب المتغير الذي هو المتحرك السريع إلى المتغير الذي هو المتحرك البطيء في قطع المسافة المقدرة كانت تلك النسبة هي تعقل الزمان ، فنسبة انقضاء تنقّل المُتّقل الذي هو

المتغير لا خلاف أحواله وانقضاءٍ مكثه إلى مثله ، أي إلى انقضاءٍ منتقل آخر ومكثه هو الزمان وهو ظاهر .

والدَّهْر هو نسبة المتغيرات إلى الثابتات أي نسبة تجدد المتجدد وتقضيه وتبَدِّله إلى المتعين الباقي القارّ ، فتجدد ثباتاً قاراً مُتعيِّناً ليس فيه تجدد ولا استعداد ولا تبدل ولا ما بالقوة ، فيحصل من ذلك تعقل الدهر لا معرفته في نفسه ، بل كما قالوا : إن الزمان عبارة عن حركة الفلك ، وهذا لا يكون تعريفاً لحقيقة الزمان وإنما هو لتعقله كذلك ، هذا في الدهر ، ألا ترى أنهم يقولون الدهر نسبة المتغير إلى الثابت ؟ فإذا حملوا نسبة المتغير عليه كان المعنى أن الدهر هو المتغير إذا نسب إلى الثابت الذي هو مظروفه فيكون الظرف مخالفًا لمظروفه في التغير والثبات .

ولو كان كذلك لما قيل في الزمان : إنه نسبة المتغير إلى المتغير ، لأن هذا يدل على تساويهما فيكون المعنى في قولهم : إن الدهر نسبة المتغير إلى الثابت ، يعني إذا نسبت المتغير إلى الثابت وعرفت تقضي المتغير وتبَدِّله الذي كان صفة للزمان عرفت أنّ الدهر هو الوقت القار الثابت الذي لا تغيير فيه لأنّه روح الزمان . كما أن مظروفه الذي هو المجردات روح مظروف الزمان الذي هو الأجسام والدهر في تعقله هكذا بخلاف الزمان في تقضيه وتجدده .

وهذا بالنسبة إلى الزمان ، وإلا فالدهر أيضاً متقضٌ ومتجدد

أيضاً كالزمان ، إلا أنه لسعته إذا طُوبِق بالزمان كان الزمان من أوله إلى آخره لحظة في الدهر فيتقضى الزمان ويتجدد في آن من الدهر ، بحيث يفنى الزمان ويتجدد في آن من الدهر لم يعقل فيه تجدد ولا تقضى ، فلذا قال الحكماء الأولون الذين أخذوا الحكمـة من الوحي بواسطة الأنبياء عليهم السلام : إن الزمان قارّ ثابت ، ولا يريدون بهذا ما فهمـه المتأخرون من كلامـهم ، بل يريدون أن ثباتـه بالنسبة إلى الزمان المتغير وإلا فهو في نفسه متغير بتقضى وتجدد ، كيف لا يكون كذلك وهم قد نصـوا بأن جميع الحادثـات تحتاج في بقائـها إلى المدد ، وأنـها قائمة بفعل الله أبداً قيام صدور ؟ !

وأمـا تعريفـه في نفسه فـكما قـيل في الزمان ، لأنـ الظاهر طـبق الباطـن فقد قال الرضا عليه السلام : (قد علمـ أولـو الأـلـبـابـ أنـ ما هـنـالـكـ لا يـعـلـمـ إـلـاـ بـمـاـ هـاهـنـاـ) ^(١) ، فيـكونـ المعـنىـ فيـ طـلبـ مـعـرـفـتـهـ أنـ الثـابـتـ ، أـعـنيـ عـالـمـ العـقـولـ وـالـنـفـوسـ وـالـأـرـوـاحـ وـالـطـبـائـعـ الـكـلـيـةـ وـالـمـوـادـ الـمـحـضـصـةـ قـبـلـ تـعـلـقـ الصـورـ بـهـاـ فيـ ثـبـاتـهـ وـعـدـمـ تـنـقـلـهـ ، وـفـيـ دـوـامـ مـكـثـهـ وـمـدـةـ دـوـامـهـ وـفـعـلـيـتـهـ فـيـمـاـ لـهـ ، وـعـدـمـ مـاـ بـالـقـوـةـ فـيـهـ لـهـ اـسـتـمـرـارـ غـيرـ مـنـقـطـعـ بـدـوـنـ تـقـدـيمـ أوـ تـأـخـيرـ أوـ تـجـدـدـ أوـ تـقـضـىـ ، فـذـلـكـ الـوقـتـ الـقـارـ الذـيـ هـوـ وـعـاءـ هـذـهـ الـمـذـكـورـاتـ وـأـمـثالـهـ الـمـطـابـقـ لـهـاـ فـيـ فـعـلـيـتـهـ وـعـدـمـ التـقـضـيـ وـالـتـجـدـدـ وـالـتـقـدـمـ وـالـتـأـخـرـ

(١) توحـيد الصـدـوقـ : ٤٢٨ ، وـنـورـ الـبـراـهـينـ : ٢ / ٤٧٩ ، وـإـلـزـامـ النـاصـبـ للـحـائـريـ : ١ / ٥٧ .

وعدم الانقطاع هو الدهر ، ولهذا ترى الزمان والمكان وما وقع فيهما غير زائل ولا متغير ولا متبدل ولا فان ، وإن كانت فانيةً في الزمان .

مثاله إذا رأيت زيداً يصلّي يوم الجمعة في المسجد ثم غبت عنه أو هو غاب بقي مثاله يصلّي في غيب المسجد وغيب يوم الجمعة إلى يوم القيمة ، فكلما التفت ذهنك رأيت المثال يصلّي في ذلك المكان وذلك الوقت أبداً ، سواء كان زيد حياً أم ميتاً ، وهذا المثال والمكان والوقت تراهما بخيالك في الدهر لأنّ الزمان تقضى والدهر ثابت ، فكان ذلك المثال في مكان من أمكنة المجردات وغيب يوم الجمعة أن من الدهر قار إلى يوم القيمة فافهم .

وأمّا قولهم : (السرمد نسبة الثابتات الأبدية إلى مثلها) ، فبمعنى ما عبّروا به في الزمان بأنه نسبة المتغير إلى المتغير ، وهنا السرمد نسبة الثابت إلى الثابت ، إلا أن مقتضى تعبيتهم في الدهر بأنه نسبة المتغير أي الزمان أو الجسم إلى الثابت أي المجردات يدل على أنّهم يريدون من الثابت المنسوب هو الدهري ، والثابت المنسوب إليه هو السرمدي ليجري الكلام على نسق واحد .

وفي كلامهم مفاسد كثيرة ترد عليهم فيها إلزامات قبيحة يطول بذكرها الكلام بلا فائدة ، لأن الغرض بيان معنى السرمد عندهم ، فليت شعري ما يريدون بالسرمد هل يريدون منه ما يريد المتكلمون من أنه ظرف للواجب إذ الأول هو الأزل والآخر هو الأبد وما

بينهما الجامع لهما هو السرمد؟ ، فإن أرادوا به هذا فنعود بالله من سخط الله ، آمنتُ بما كفروا واعترفتُ بما أنكروا ، وأجبتُ إلى ما دعوا لا إله إلا الله ربِّي وربِّ آبائِي الأولين .

وإن أرادوا به ظرف فعل الله كما نقول نحن فحسن ، ولكن كيف يعرف أو يتعقل بأمثال هذه العبارة ، نعم يمكن معرفته بمعرفة آثاره كما نعرف حركة يد الكاتب بالكتابة .

وعلى هذا فكما تقرّب في الزمان وفي الدهر اللذين هما آثاره فقرب في المؤثر من جهة تأثيره ، لأن كلَّ أثر يشابه صفة مؤثره من جهة تأثيره فيه فافهم .

في أنَّ الله خلق الخير والشر من فعل العبد

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (السَّابِعُ عَشَرُ : أَرِيدُ مِنْكُمْ تَحْقِيقَ مَسْأَلَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ بِتَقْرِيرٍ وَافٍ وَبِيَانٍ شَافٍ) .

أقول : أمّا هذا السؤال فهو مذكور في رسائلنا مكرّراً ، وأمّا أنني أقرّره على مقتضى السؤال فإني لا يسعني الحال ، نعم لا يسقط الميسور بالمعسور مما هو أقل المقدور ، وأنا عند الله إن شاء الله تعالى معدور لضعف حالِي وضيق وقتي ، فأقول :

الخير والشر من أفعال العباد ، خلق الله الخير من النور بفعل المكلف للمأمور به ، وخلق الله الشر من الظلمة بفعل المكلف للمنهي عنه بعد علمه ، وهما راجعان إلى أفعال العباد الاختيارية

ليس لله فيما يفعلون منها إلّا المعونة بالمدد لفعل الطاعة إذا ائتمر المكلف بها ، فإن الله تعالى حينئذ يُمدّه بمدده بضم الياء وكسر الميم من أمدّ ، والمعونة بالخذلان والترك لفعل المعصية إذا ائتمر المكلف بها ، فإن الله سبحانه يُمدّه بمدد خذلانه وتركه وهو نفسه بفتح الياء وضم الميم من مَدّ ، وذلك إذا لم يقبل أمره وترك ما هداه إليه مما فيه نجاته بعد التقدم بالوعيد والتلطف في الترغيب وضرب الأمثال وإطالة الإمهال .

ومعنى قوله : إنَّ الله سبحانه يخلق الخير والشر أنه إذا فعل العبد باختياره ما أمره به خلق الله من فعل العبد وأمره تعالى ثواب عمله من إنارة قلبه ، وإعانته على الخير ، وبناء قصور له في الجنة وحور عين ، وغير ذلك من إطالة عمره وإدارارِ رزقه ودفع البلايا والأمراض عنه ، وغير ذلك .

وإذا فعل العبد باختياره خلاف ما أمره به خلق الله من فعل العبد ومن ترك أمره سبحانه عقوبة عمله من ظلمة قلبه ومنعه الخير ونقص عمره وامتحانه بالبلايا وعقوبات الآخرة ، فهذا معنى قولنا : إن الله خلق الخير والشر .

في بيان القضاء والقدر

وأمّا القضاء فهو إتمام الشيء بعد تقديره فهو مؤخر في الرتبة وفي الذكر عن القدر عند أهل البيت عليهم السلام ، لأن القدر هو تقدير الشيء قبل قضائه ، مثل ما إذا أراد النجار عمل السرير

قدر الخشب من طوله وعرضه وهذا هو القدر ، ثم ركبـه ، وهذا هو القضاء بخلاف ما يذهب إليه الجماعة ، وأنت اختر لنفسك مـن في متابعتهم النجاة ، هؤلاء الحكماء المتأخرـون والصوفـية الجـاهـلـون يـقـدـمـونـ القـضـاءـ عـلـىـ الـقـدـرـ ،ـ وـهـذـاـ مـحـمـدـ وـآلـهـ أـجـمـعـونـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـجـمـعـينـ ،ـ يـقـدـمـونـ الـقـدـرـ وـيـؤـخـرـونـ القـضـاءـ وـاخـتـرـ لـنـفـسـكـ مـاـ يـحـلـوـ .

وأـمـاـ التـعـبـيرـ الـكـافـيـ الشـافـيـ عـلـىـ جـهـةـ الـاختـصارـ .

فـأـقـولـ :ـ خـلـقـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ الـإـنـسـانـ مـنـ رـكـنـيـنـ :ـ وـجـودـ هـوـ مـادـتـهـ وـمـاهـيـةـ هـيـ صـورـتـهـ ،ـ وـالـرـكـنـانـ مـحـدـثـانـ لـاـ بـقـاءـ لـهـمـاـ إـلـاـ بـالـمـدـ وـالـمـدـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـ جـنـسـهـ ،ـ فـمـدـدـ الـوـجـودـ مـنـ النـورـ لـأـنـهـ نـورـ ،ـ وـمـدـدـ الـمـاهـيـةـ مـنـ الـظـلـمـةـ لـأـنـهـ ظـلـمـةـ ،ـ فـلـاـ مـحـالـةـ يـكـوـنـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ لـهـ مـيـلـ إـلـىـ نـوـعـهـ لـأـجـلـ الـاسـتـمـدـادـ ،ـ فـلـمـاـ حـصـصـهـمـ أـيـ جـعـلـهـمـ حـصـصـاـ مـتـمـايـزـةـ جـعـلـ فـيـهـمـ الـاـخـتـيـارـ لـأـجـلـ مـقـتـضـىـ الـرـكـنـيـنـ الـنـورـ وـالـظـلـمـةـ ،ـ فـإـنـ شـاءـتـ تـلـكـ الـحـصـةـ قـبـلـتـ بـمـيـلـ الـوـجـودـ ،ـ وـإـنـ شـاءـتـ أـنـكـرـتـ بـمـيـلـ الـمـاهـيـةـ ،ـ ثـمـ كـشـفـ لـهـمـ عـنـ عـلـيـيـنـ كـتـابـ الـأـبـرـارـ فـأـرـاهـمـ صـورـ الطـاعـاتـ ،ـ وـقـالـ :ـ هـذـهـ صـورـ طـاعـاتـيـ ،ـ فـمـنـ أـجـابـنـيـ إـذـاـ دـعـوـتـهـ أـلـبـسـتـهـ صـورـةـ مـاـ أـجـابـنـيـ بـهـ مـنـ صـورـ طـاعـاتـيـ ،ـ ثـمـ كـشـفـ لـهـمـ عـنـ سـجـينـ كـتـابـ الـفـجـارـ فـأـرـاهـمـ صـورـ الـمـعـاصـيـ .ـ وـقـالـ :ـ هـذـهـ صـورـ مـعـاصـيـ ،ـ فـمـنـ عـصـانـيـ إـذـاـ دـعـوـتـهـ أـلـبـسـتـهـ صـورـةـ مـاـ عـصـانـيـ فـيـهـ مـنـ صـورـ مـعـاصـيـ ،ـ ثـمـ دـعـاهـمـ

فقال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَّا﴾^(١) فخلق من إجابتهم صورتهم الإنسانية الجسمية ، ثم قال لهم : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَّبِيُّكُمْ ؟) ، فسكتوا لأنهم أول الأمر إنما أجابوا لظنهم أنه يقتصر على ذلك ، وأنه لا يريد منا ما نتنافس عليه لأنه ليس من نوعنا .

فلما دعاهم إلى النبوة قالوا : إنه تجاوز عن حكم نفسه إلى من هو من نوعنا ، لكنه أخذ له العهد ليس لنفسه بل لذاته تعالى ، فيحتمل أنَّ مُحَمَّداً لا يُنافِسُنا إذ لم يؤخذ له عهد يرجع إليه بل إلى الله لكننا لا نجيب حتى ننظر ، فإن اقتصر على هذا أمكن تلافي الإجابة وإلا بقينا على سكتونا حتى يتجاوز عن هذا ، فلا نقبل ، فلما دعاهم إلى الولاية وقال لهم : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَّبِيُّكُمْ وَعَلَيْيِ وَلِيُّكُمْ ؟) قالوا : نعم^(٢) ، يعني لست بربنا الذي يأمرنا

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) أمالى الصدقون : ٤١٢ ح ٢٣٣ .

وعن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حِيثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءَ عَذْبَاً ، وَمَاءَ مَالْحَا أَجَاجَاً فَامْتَزَجَ الْمَاءُ اَنَّ ، وَأَخْذَ طَيْنَاهُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَ شَدِيداً . فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذِّرَّ يَدْبَوْنَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَّا شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . ثُمَّ أَخْذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّنَ ، فَقَالَ : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدُ رَسُولُهُ ، وَأَنَّ هَذَا عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ﴿قَالُوا بَلَّا﴾ ، فَثَبَتَ لَهُمُ الْنَّبُوَةُ . وَأَخْذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُولَئِكُمُ الْعَزْمَ أَنَّهُ رَبُّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُهُ ، وَعَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَّاهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ وَلَاهُ أَمْرِي ، وَخَرَّان =

بطاعة مثلنا ويولي علينا بشرأً مثلنا ، فقال بعضهم لبعض ﴿وَلَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَّارًا مِثْكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ﴾^(١) ، هذا حكم المنكريين من الكافرين والمنافقين والمسركين .

وأما المؤمنون فأجابوا في الدعوات الثلاث بقلوبهم وألسنتهم ، فمن أجابه باختياره ألبسه صورة إجابته ، ومن عصاه باختياره ألبسه صورة معصيته فبلغت حجته وتمت كلمته ﴿وَمَا رَبُّكَ يُظَلِّمُ لِلْعَيْدِ﴾^(٢) .

هل العبد مجبر بصورة المختار؟

قال أيده الله تعالى : (الثامن عشر : ما معنى قول بعضهم : إن العبد مجبر بصورة المختار ، ولا بد من الإتمام بتحقيق مسألة الجبر والاختيار ؟) .

أقول : قال المحقق الطوسي نصير الدين^(٣) : إننا مجبرون

علمي ، وأنّ المهدى أنتصر به لبني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهادنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومحضر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

(٣) هو المحقق خواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي . كان فاضلاً ماهراً عالماً متكلماً محققاً في العقليات .
له كتب منها : تجريد الاعتقاد ، والتذكرة في الهيئة ، وتحرير كتاب أقليدس ، =

في اختيارنا ، ويريد أنا لا نقدر على ألا نختار أحد الطرفين ، بل لا بد لنا من أن نختار الطاعة أو المعصية ، فنحن مجبورون في اختيارنا ليس لنا ألا نختار .

المذاهب في الأمر بين أمرين

واعلم أنّ من قال بالمنزلة بين المنزليتين باعتبار أحوالهم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يقتصر على مفاهيم الألفاظ وهؤلاء أقوالهم صحيحة وألفاظهم موافقة ، ولكنهم لا يعرفون المنزلة بين المنزليتين بقلوبهم وإنما يدركون مدلولات الألفاظ بخيالاتهم ، ويقولون : المكلفون مختارون في أفعالهم على طبق إراداتهم إن شاؤوا فعلوا الخير وإن شاؤوا فعلوا الشر ، وهؤلاء لفظهم صحيح وأكثر اعتقادهم أو اعتقاد أكثرهم قبيح .

= وتحرير المسطي ، وشرح الإشارات ، والفصول التصيرية ، والفرائض التصيرية ، وآداب المتعلمين ، ورسالة الاسطراط ، ورسالة الجواهر ، ونقد المحصل ، ورسالة المعينية في الهيئة بالفارسية ، وشرحها بالفارسية ، ورسالة خلق الأعمال ، وشرح رسالة العلم للميثم البحرياني ، وغير ذلك . يروي عنه العلامة .

ولد في ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٧ بطوس ، وتوفي في يوم الغدير سنة ٦٧٢ ودفن في جوار الإمامين موسى بن جعفر والجواود عليهما السلام في المكان الذي أعد للناصر العباسي فلم يدفن فيه .

انظر أمل الآمل للحر العاملي : ٢٩٩ ، والكتى والألقاب للقمي : ٣ / ٢٠٨ -

القسم الثاني : من ينظر إلى أصل تركيب الإنسان وأنه لا ينفك عن الميل وذلك لازم لوجوده كالمحقق الطوسي وأتباعه ، فيظهر لهم أنهم مجبورون في الاختيار ، وبهذا المعنى عندهم يتحقق القول بالمنزلة بين المترلتين .

ويقرب من قول هؤلاء قول من يقول بمثل ما في السؤال أن العبد مجبور بصورة المختار ، وكلا القولين راجع إلى القول بالجبر :

أما الأول : فلأن العبد إذا كان مجبوراً على الاختيار كان مجبوراً على ما يختار لأنه قد لا يحب واحداً منها ، وإن كان لا ينفك عن أحدهما إذ لا يلزم من عدم انفكاكه عن أحدهما جبره على اختياره أحدهما .

وأما الثاني : وهو ما في السؤال ، فلأن العبد إذا كان مجبوراً كان كونه في صورة المختار ليس موجباً للاختيار بل تكون أفعاله ونفسه في أفعاله أيضاً مع كونها جارية على الجبر ، كأنها جارية على الاختيار لأن يكون راضياً بما يقع منه والرضا أعمّ من الاختيار .

وهذا سماه كثير بالاختيار ، فقد قالوا : إن الله سبحانه مختار بهذا المعنى ، أي بمعنى أنه راض بفعله وقاد له لا أنه لو شاء لم يفعل إذ ليس له ذلك ، وهو قول بأن الله عز وجل موجب لا مختار ، والذي حداهم إلى هذا القول الشنيع توهّمهم بأنه لو جاز آلـا يفعل لوقع علمه جهلاً ، فوجب من القول بأن علمه لا يتغير

ولا ينقلب جهلاً أنه ليس له إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، وإنما معنى الاختيار في حقه تعالى هو أنه راض بما يفعل قاصد له ، حتى دعاهم هذا الجهل إلى أن جعلوا علم الله الذي هو ذاته مستفاداً من المعلوم .

قال الملا محسن في الوافي في باب الشقاوة والسعادة : (إن أحديّة المشيّة تنافي الاختيار لأنها نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم ، والمعلوم أنت وأحوالك) ، انتهى^(١) .

وقد ذكر هذا الكلام الشنيع عبد الرزاق الكاشي في شرح الفصوص لمميت الدين ابن عربي^(٢) إلى أن قال في الوافي بعد ذلك الكلام : (فليس له تعالى إلا وجه واحد ، وهذا هو الذي يليق بجناب الحق) ، انتهى^(٣) .

والحاصل : أن كلامهم هذا وأمثاله قول بالإيجاب وبالإجبار في أفعال العباد .

(١) انظر شرح فصوص الحكم : ٥٩٠ .

(٢) هو أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .

مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .

انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٣) انظر المصدر السابق .

وأما القول الثالث : فإن العبد هو الفاعل لأفعاله بالآلات والقوى والإرادات وغيرها من شرائط الاستطاعة التي خلقها لأجل الطاعة صالحة للمعصية ، والعبد وما أعطاه الله من الآلات والحركات وغيرها كلها قائمة بأمر الله قيام صدور ، فما دام الله حافظاً لها فهي بحفظه شيء وبذلك يفعل ما يختاره من الخير أو الشر ، ففي الحقيقة هو مع كونه مستقلاً بالفعل لم يكن شيئاً يفعل أو يترك إلا بحفظ الله له ، فلا يفعل إلا بالله إذ لو لم يحفظه ويحفظ عليه لم يكن شيئاً ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فهو يعمل خيره أو شره بقدر الله تعالى ، ولم يكن فاعلاً لفعله ولا مشاركاً له فيه ، وإنما ذلك لأنه لا يمكن أن يفعل أو يترك إلا بقدر الله ، لأن القدر في فعل العبد هو حفظ العبد وجميع آلاته وشرائط استطاعته بأمره الذي به قام كل شيء .

وهذا هو الحق وهو الذي يشهد له صحيح الاعتبار ونطقت به الأخبار ، مثل ما قاله علي بن الحسين عليهما السلام ما معناه أو يقرب من لفظه : (إن القدر والعمل كالروح والجسد فكما أن الروح لا تحسُّ بدون الجسد والجسد لا حرراك له بدون الروح ، كذلك القدر والعمل فلو لم يكن القدر بموافقة من العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يحسُّ ، ولو لم يكن

(١) سورة التكوير ، الآية : ٢٩ .

العمل بموافقة القدر لم يتم ولم يمض ، والله فيه العون لعباده الصالحين)^(١) .

وهذا القول الأخير ما أكثر من يدعى له ولم يقفوا على حقيقته حتى ظهرت منهم أقوال متعددة غير ما ذكر ، وهي مع كثرتها لم يوافق شيء منها هذا القول الأخير ، وبعضها يوافق القولين الأوليين وبعضها يلزم منه التفويض ، وكلها خارجة عن الطريق المستقيم ما سوى هذا الأخير ، فمن كان له في فهمه نصيب فقد أخذ بحظه سهم المعلى والرقيب .

في أن العدم لا يتحقق من دون وجود

قال سلّمه الله تعالى : (التاسع عشر : قد وجدت مرضًا في الشفاء ، حيث ذكر ابن سينا فيه تارة أن العدم لا يتحقق بدون الوجود فإذا لم يكن هناك وجود لم يكن عدم ، وإن كان على

(١) بحار الأنوار : ٥ / ٥٤ ح ٩٦ ، وفقه الرضا عليه السلام لابن بابويه : ٣٤٩ رقم ٩٣ .

ولفظه في البحار : (القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير الجسد لا يتحرك ولا يرى ، والجسد بغير الروح صورة لا حراك له ، فإذا اجتمعا قوياً وصلحاً وحسناً وملحاً ، وكذلك القدر والعمل فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يُعرف الخالق من المخلوق ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكن باجتماعهما قوياً وصلحاً ، والله فيه العون لعباده الصالحين) .

سبيل السلب التحصيلي . وأخرى أن كلّ عدم فإنه يتحقق بالوجود فما يكون له رفع يكون له ثبوت وما يكون له ثبوت كان ثابتاً) .

أقول : إن الشفاء من حيث هو شفاء لا يكون فيه مرض ، وكلامه هذا كله حق قد نطق به روح القدس على لسانه ، إذ العدم ليس شيئاً ولا عبارة له إلا إذا أريد به العدم المفهوم المدرك للأذهان فإنه شيء خلقه الله وكلّ مخلوق فله وجود إلا أن الوجود قسمان :

قسم إثبات لما لم يثبت وهو وجود ، وقسم هو نفي ما ثبت وهو وجود ، فإن نفي ما ثبت إنما حدث على ذلك المنفي بعد ثبوته ولو لم يكن شيئاً مخلوقاً موجوداً لم يحدث ولم ينفي ما قد ثبت ، ولأنه إن لم يكن موجوداً لم يكن مخلوقاً ، وإذا لم يكن مخلوقاً كان سابقاً للثابت المنفي به ، فيجب آلا يثبت ذلك المنفي ، لأن نفيه قد سبقه ، ولأن لا شيء لا يزيل شيء ، ولأن النفي لفظ مستعمل فإذا لم يكن النفي الذي هو سمة شيء كان لفظاً مهماً لا مستعملاً ، ولأن الموت منه وهو مخلوق قال الله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^(١) ، فكيف يكون الموت لا شيء وهو مخلوق ، ويؤتي به يوم القيمة في صورة كبس أملح بعد دخول أهل الجنة وأهل النار النار ، فيذبح بين الجنة والنار وينادي منادي : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، يا أهل النار خلود

(١) سورة الملك ، الآية : ٢ .

ولا موت^(١)؟ ! ومعنى هذا وارد مجمع عليه بين المسلمين ، فكيف يكون الموت نفياً بمعنى لا شيء ، وليس بموجود؟ ! ما هذا إلّا جهل محض وغلط صرف ، فكأنهم ما يعرفون من الموجود إلّا الأجسام والذوات المصورة .

(١) في تفسير علي بن إبراهيم حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد الحناط عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن قوله : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحِسْرَةِ » قال : (ينادي مناد من عند الله عزّ وجلّ وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار : يا أهل الجنة وبما أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون : لا ، فيؤتى بالموت في صورة كبس أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادون جميعاً أشرفوا وانظروا إلى الموت ، فيشرفون ثم يأمر الله عزّ وجلّ به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً ، وبما أهل النار خلود فلا موت أبداً ، وهو قوله عزّ وجلّ : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحِسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي عَقْلَةٍ » [مريم : ٣٩] أي قضي على أهل الجنة بالخلود فيها ، وقضى على أهل النار بالخلود فيها . تفسير نور الثقلين ح ٨١ ، وتفسير القمي : ٢ / ٥٠ .

ورواه السمرقندى عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظ : (إذا كان يوم القيمة واستقر أهل الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبس أملح ، وينادي مناد يا أهل الجنة اشرفوا ، وبما أهل النار اشرفوا ، فيشرفون كلهم ، فيقال لهم : أتعرفون هذا؟ فيقولون : لا ، فيقال لهم : هذا هو الموت ، فيذبح بين الجنة والنار ، وينادي مناد يا أهل الجنة خلود فلا موت ، وبما أهل النار خلود فلا موت ، فعند ذلك تعظم حسرات أهل النار ويرجعون باكين ، ويشتد فرح أهل الجنة ويرجعون إلى قصورهم ، فيبعث الله سبحانه وتعالى لهم مغان من الحور العين فيجلسون في رياض الجنة في إيوان من درّة بيضاء طوله مئة عام وعرضه خمسون عاماً ، والنساء كلهن عند فاطمة الزهراء عليها السلام ، والرجال عند النبي صلى الله عليه وآله في إيوان آخر) .

قرة العيون للسمرقندى : ١٧٢ - ١٧١ المجلس الثالث والأربعون .

والحاصل أنّ ما ذكره في هذا الموضع من الشفاء من هذا الكلام شفاء لا مرضٌ .

هل الكفار مأمورون بفروع الشريعة؟

قال أيده الله تعالى : (العشرون : اختلف العلماء في أن الكفار مأمورون بفروع الشريعة أم لا ، والحق الأول عند المشهور ، وحيثئذ فتكليفهم مع علمه تعالى بعدم الإتيان هل هو تكليف حقيقي وفساده ظاهر أو ابتدائي لازدياد العقاب وهو يستلزم الجبر ؟) .

أقول : هذه آخر مسائله ، واعلم أن المشهور بين علمائنا وجوب الفروع على الكفار وكثير منهم نقل الإجماع على ذلك وخالف فيه شاذ منا وجمهور العامة ، وربما استدلّ من خالف منا مثل الملا محسن^(١) في ذلك بقوله عليه السلام : (كيف تجب

(١) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيناً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أدبياً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربع مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الاحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجّة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

عليه الصلاة وهو لا يشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله^(١) أو كما قال ، وحمله الأصحاب مع الطعن في السنن بالحمل على التقية أو على أن الصلاة هنا هي الصلاة على محمد وآله لا ذات الأركان ، أو على أن المراد كيف يقبل ويلتزم بوجوب الصلاة وهو لا يشهد بالنبوة ، أو على معنى كيف تجب وجوباً مسقطاً للقضاء موافقاً للأمر بها ووجباً للثواب وغير ذلك .

وعلى كلّ حال فوجوبها على الكفار لا يوجب تركه عقوبة مثل عقوبة تركها من المسلم ، لكون الوجوب في الحقيقة مشروطاً بشرط لا يت苏ّر تحصيله ، فهو في الجملة معلق على مقدماته بخلاف ذلك مع وقوع الشرط وحصول المقدّمات ، كما قال عليه السلام في حق القدرية^(٢) المنكرين للقدر : (إنهم

(١) انظر إرشاد الأذهان للحلي : ١ / ٢٧١ .

(٢) قال الشيخ الحرّ العاملي : (قد روي أحاديث متعددة في لعن القدرية وذمّهم وكفراهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فإنما أن يراد بهم من ثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسره العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجّه على الوجهين ، والقسم الأول الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلا الإمامية) .

وقال المجلسي : (الظاهر أنّ المراد بالقدرية هنا من يقول : إنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدرة الله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه ، وصدور أحدهما عنه لا بمحاجب غير الإرادة ، كما ذهب إليه =

يعدبون بالنار قبل الكفار : فيقولون : يا ربنا كيف عذبتنا بالنار قبل الكفار ؟ ففيأتمهم النداء ﴿ذُوْفُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٨﴾ (١) و﴿إِنَّمَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩﴾ (٢) ويقال لهم : إنَّ من لا يعلم ليس كمن يعلم ، وكما قيل لقتلة الحسين عليه السلام ، فافهم .

وأما تكليفه لهم مع علمه تعالى بعدم الإتيان فهو تكليف حقيقي ولا فساد فيه بوجه ، والإشارة إلى كشف الاشكال صعب المنال على أكثر عقول الرجال ، ولو بسطنا الكلام فيه لضاق به المجال ، وبعد فهمه لكثرة الشقوق وفتح باب الاعتراض والسؤال ولكن يكون من باب التلويع ، لأنَّ كلَّ ما ظهر ظهر بيانه وكلَّ ما خفي خفي برهانه ، فنقول وبالله المستعان وعليه المعمول والاتكال :

بعض المعترضة . لا يقول بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه) مرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ .

(١) سورة القمر ، الآياتان : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) رواه الصدوق عن أبي إسحاق ، عن العارث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (إنَّ أرواح القدرة تعرض على النار غدوًا وعشياً حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة عذبوا مع أهل النار بأنواع العذاب ، فيقولون : يا ربنا عذبتنا خاصة وتعذبنا عامة ، فيرة عليهم ﴿ذُوْفُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾) .

ثواب الأعمال : ٢٥٢ ح ١ ، وعنه البحار : ٥ / ١١٧ ح ٥٠ وتفسير كنز الدقائق : ١٤٠ / ١٠ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ١٨٦ ح ٣٧ .

قسمًا العلم

اعلم أن العلم قسمان : قسم ينسب إلى الفعل وهو منشأ التكليف وهو سابق على الإيجاد ، وقسم ينسب إلى المكلف وهو عين المعلوم .

العلم الأول : كذلك عين معلومه فمعلوم الأول أنه يمكن وقوع ما كلف به وعده من المكلف ، فإن نسبة الإتيان بالمؤمر به وعدهه عنده على حد سواء في جميع ما يترب عليه الفعل والترك ، فيرد من العلم الأول التكليف لأنه قبل الفعل .

والعلم الثاني : هو عين الفعل الواقع من المكلف وعدهه في وقته ومكانه ، وهذا علم إشرافي لم يحصل إلا عند حصول معلومه لأنه هو هو والشيء لا يحصل قبل حصوله ، ومنه قوله تعالى : «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَاءَ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ»^(١) .

والعلمان عند الله في رتبتهما من الإمكان يحصلان حين يحصلان ويعدمان حين يعدمان ، ومتصلق الأول الذي هو نفسه إمكان وقوع المؤمر به وعدهه من المكلف باختياره واستطاعته للامثال وتركه قبل الامتثال وتركه ، فإنهما قبل الواقع ممكناً للمكلف باختياره فيتوجه إليه الأمر والنهي حينئذ ، ومتصلق الثاني

(١) سورة سباء ، الآية : ٢١ .

الذي هو نفسه وقوع أحدهما باختياره حين وقع لا قبله ، والعلمان إشراقيان يحصلان للعالم حين يحصلان في أنفسهما ويفقدان حين يفقدان في أنفسهما ، وهما فعليان ، والعلم الذاتي هو ذاته تعالى لا ينسب إليه شيء ولا ينسب إلى شيء ، وبيانه الإلزامي أن العلم لا بد أن يكون مطابقاً للمعلوم وواقعاً عليه ومقترباً به .

وهذا مما لا إشكال فيه عند أحد من العقلاة ، فلو قلت : إنَّ العلم المنوط بتكليف المؤمن والكافر بوقوع الفعل وإيقاعه وعدمهما هو العلم الذاتي الذي هو الله فما معنى قولك : إن ذات الله مُطابِقة لفعل المكلف أو واقعة عليه أو مقترنة به ، فإن قلت : ليست مطابقة لم يجز أن يكون العلم غير مطابق للمعلوم وإلا كان جهلاً وكذا الواقع والاقتران .

والحاصل : التكليف حقيقي لأنَّه أمر لمكلف مختار مستطيع لل فعل وعدهمه قبل أن يفعل شيئاً ولم يكن ما فعل ، فإذا فعل أحد الطرفين باختياره وقدرته على تركه وفعل ضدَّه وقع العلم اللاحق حين فعل بما فعل ، كما أشار إليه جعفر بن محمد عليه السلام في رواية صالح النيلي كما في الكافي^(١) وغيره في قوله : (ولكن

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

حين كفر كان في إرادة الله وعلمه أن يكفر^(١) الحديث .
وبيان هذا لا يرتوي به منه من أراد إزالة الظمة عنه أصلاً إلا
بالمشاهدة أو بطول الكلام وهو متيسر على لضيق وقتى والحمد لله
رب العالمين .

وكتب أحمد بن زين الدين الأحسائي في أواسط جمادى
الثانية السنة الثالثة والثلاثين من الهجرة النبوية على مهاجرها وآلها
أفضل الصلاة والسلام حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

(١) أصول الكافي : ١ / ١٦٢ ح ٣ باب الاستطاعة ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٣٤٦ ح ٣٥ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٥ / ٤٣ ح ٣ . ولفظه في الكافي : قال عليه السلام : (إن الله لم يجبر أحداً على معصيته ، ولا أراد - إرادة حتم - الكفر من أحد ، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر وهم في إرادة الله وفي علمه ألا يصير إلى شيء من الخير) .
قلت : أراد منهم أن يكفروا ؟

قال عليه السلام : (ليس هكذا أقول ، ولكنني أقول : علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم ، وليس إرادة حتم ، وإنما هي إرادة اختيار) .

٧ - رسالة في جواب
بعض العلماء (الملا مهدي)

رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي)
في أنه هل يبقى جسد الأنبياء والأوصياء بعد موتهم في الأرض ؟
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد بعث إلى بعض العلماء الأفضل أيده الله بمسائل يريد جوابها على حال اشتغال البال ببواطن الدنيا وبالأمراض المانعة من التوجّه ، ولكن لا بدّ من إيراد ما يحصل به التنبية على الجواب في الجملة إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وقد جعلت كلامه الشريف متناً ليحصل لكلّ كلام ما يناسبه من الجواب ومن الله إلهام الصواب .

في أن الذي وراء الإمكان ليس شيئاً

قال سلمه الله : (أما بعد ، فالباعث من تصديع جنابكم هو أن تمنّوا على العبد الفقير بالجمع بين الأحاديث التي ذكرها الشيخ الطوسي في التهذيب في كتاب الزيادات وبين الحديث الذي ورد أنَّ موسى عليه السلام أخرج عظام يوسف عليه السلام ، وما قال العسكري عليه السلام في حق ذلك الرجل : إنَّ في يده عظماً من عظام نبي من الأنبياء عليهم السلام) .

أقول : اعلم أن المعلوم بالدليل القطعي أن الله عز وجل لم يخلق شيئاً من الأجسام المعروفة خارجاً عن حيطة محدّد الجهات وليس وراءه شيء مخلوق بل لا شيء وراءه .

وأمّا ما نسبته من عالم الأشباح والهيوان المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كعَالَمِ المثال ، وما نسبته من الأجسام المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كذلك ، كجوهر الهباء المذكور والطبائع الأولى والنفوس ، وما نسبته من الجواد المجردة عن الزمان والمكان والعناصر وتمام الصورة للأرواح ، وما نسبته من المعاني القارة والجواد المجردة عن الزمان والمكان والعناصر والصور كالعقول ، وما نسبته من أضدادها وعكوسها ، فإنّما هي في جوف هذه الأجسام التي أعلاها محدّب محدّد الجهات وأسفلها أسفل التخوم من الأرض السابعة المسماة بمركز العالم فهي في غيب هذه الأجسام .

وقولنا : (ليس وراء محدّد الجهات شيء) ، نريد به ما قاله الحكماء الأوّلون من أنه ليس وراء خلاء ولا ملأ ، ومعناه غير ما قاله المشّاؤون وأتباعهم من المتكلمين لأنّهم يتواهّمون شيئاً هناك فضاء لا يوصف بخلاء ، لأنّ فيه مجرّدات ، ولا بملاء لأنّ المجرّدات ليست أجساماً لتملاً ما هي فيه ، كذا زعمه بعضهم ، وأمثال هذا مما ليس بشيء لأنّهم نقلوا هذه العبارة عن الحكماء الأوّلين ولم يفهموا مرادهم منها ، والأوّلون أخذوها عن الأنبياء عليهم السلام ، والمعنى ما قلنا لك .

وليس قولنا : (إنه لا شيء) ، نفيًا للإمكان بل هو نفي للإمكان إذ لا واسطة بين الإمكان والوجوب ، والمحال لا يصلح للواسطة بحال من الأحوال ، لا في الواقع ولا في الفرض وليس وراء المحدد وجوب ، تعالى الله عن أن يكون معزولاً عن خلقه كما ليس محصوراً فيهم ، فالذى وراء الإمكان ليس شيئاً بمعنى أنه لم يكون لا بمعنى أنه لا يمكن فيه التكوين كما قاله من جهل قدرة الله سبحانه فنفاه على حسب ما اقتضاه عقله ولستنا بصدق بيانه .

فإذا عرفتَ أنه لم يوجد شيء من الأجسام المعروفة إلا الفلك
الأطلس وما في جوفه .

فاعلم أنّ عالم المثال عالم ذو أعاجيب وهو في الإقليم الثامن أسفله على محدد الجهات ، والمراد أنه كذلك في الرتبة لا أنه خارج عنه ، وفي هذا العالم جنة الدنيا التي هبط منها آدم وإليها تأوي أرواح المؤمنين وهي الجنة المدهامتان^(١) وهي في

(١) عن عبد الكري姆 بن عمرو الخثعمي قال : قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (. . . فإذا كان يوم الوقت المعلوم كـ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها الروحاء قريب من كوفتكم ، فيقتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق الله عزّ وجلّ العالمين ، فكأنني أنظر إلى أصحاب علي أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مئة قدم ، وكأنني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط العبار عزّ وجلّ : ﴿فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْفَكَارِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقَضَى الْأَمْرُ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه =

جهة المغرب ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَيْشَيَا ﴾^(١) ، ومنها تستمد الأنهر الأربع سيحان وجيحان^(٢) والنيل والفرات ، وفيه نار الدنيا في جهة المشرق ، وإليها تأوي أرواح الكفار والمنافقين والمرتدين ، قال تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾^(٣) ﴿ إِنَّا رُّبُّ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَيْشَيَا ﴾^(٤) .

وهذا العالم إذا خلعت جسده في النوم رأيت ما هناك لأنك إذا دخلت في النوم خلعت الجسد العنصري البشري الكثيف ، وبقيت في الجسد العنصري الذي هو من أرض هورقلية^(٤) من هذا العالم المذكور .

بيده حرية من نور ، فإذا نظر إيليس رجع القهقرى ناكصاً على عقيبه ، فيقولون له أصحابه : أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول لهم : ﴿ إِنَّ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأناش] : ٤٨ ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائد] : ٢٨] ، فيلتحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه ، فعند ذلك يبعد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي صلوات الله عليه ألف ولد من صلبه في كل سنة ذكر ، وعند ذلك تظهر الجتنا المدهانتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله مختصر البصائر : ٢٧ ، الرجعة : ٣٤ / ح ٣ ، والبحار : ٥٣ / ٤٢ ح ١٢ ، والإيقاظ من الهجعة : ٣٦١ ح ١١٣ ، وتفسير البرهان : ٢ / ٣٤٣ ح ٣ ، ومدينة المعاجز : ٣ / ١٠١ ح ٧٦٤ ..

(١) سورة مریم ، الآية : ٦٢ .

(٢) سيحان وجيحان : هما نهراً بالعواصم عند المصيصة وطرسوس . انظر النهاية في غريب الحديث : ١ / ٣٢٣ ، ويجمع البحرين : ٢ / ٤٦٦ .

(٣) سورة المؤمن ، الآياتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم =

وهذا الجسد الذي خلعته عند النوم هو الذي يدرك في هذه الدنيا من العناصر الأربع الزمانية المعروفة من المزاج المترّكب منها الساري بالأغذية من الطعام والشراب ، فإذا خلعته لم تدرك بهذه الأ بصار وإنما تدرك بأ بصار أهل ذلك العالم ، وأهل العصمة عليهم السلام يدركون في هذه الدنيا ما في ذلك العالم وما وراءه ، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج وقد عرج بجسده الشريف الذي خرج به في الدنيا لأهل زمان بعثته رأى جميع ما في عالم الغيب والشهادة وما في الدنيا وما في البرزخ وما في الآخرة وأوقفه الله سبحانه على جميع ما خلق كل في مكانه ووْفَتْه من عالم الملك والملائكة والجبروت .

ومعنى كلامي أنه صلى الله عليه وآله رأى ليلة المعراج عند وصوله إلى مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ عقل الكل في الوقت الذي خرج

= مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوى بـ (هورقليا) ، يعني ملكا آخر وعالمه السفلي بـ (جابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى .

وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : (وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحدو حدو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبة من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكا آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك = الماديات العنصرية) انتهى .

فيه من كتم غيب الإمكان إلى الوجود الكوني ، ورأى ما دونه إلى ما تحت الشري ، كذلك ورأى ما فوق العقل وتحت المشية في مقام «أَوْ أَدْنَى»^(١).

أقسام الأجساد

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأجساد جسدان : جسد عنصري بشري وهو المرئي المحسوس ، وجسد عنصري بروزخي من عناصر هورقليا ، وهذا هو الذي يبقى في القبر مستديراً ويحشر فيه بعد تصفيته ، وهو الباقى الذى خلق للبقاء نزل في الأصل من باع «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

الجسد البشري العنصري

والجسد البشري العنصري هو المتكون من الأغذية وهو داخل خارج دخوله وخروجه على السواء ، ولا يتعلق به في نفسه ثواب ولا عقاب وليس له بقاء ، بل هو فان لا يعود لأنه

وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(١) قال تعالى : «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُنْ وَمَا عَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْئِدِ ③ إِنَّهُ مُوَلَّا وَهُنَّ يُؤْخَذُونَ ④ عَلَيْهِمْ شَدِيدُ الْفَوْزِ ⑤ ذُو مِرْقَبٍ فَاسْتَوْىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأَقْفَى الْأَعْلَى ⑦ ثُمَّ دَنَّدَلَ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑨ فَأَرْجَعَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩» [النجم : ١ - ١٠] .

بحكم الثوب لبسه ويخلعه ، نعم هو حامل في الدنيا للجسد الباقي المذكور .

وهذا الجسد العنصري الفاني له ارتباط بالباقي وذلك الارتباط مختلف في الأشخاص ، فمن كان طيباً ظاهراً زاكياً نقىأ من المعاصي والذنوب كان ارتباط الفاني فيه بالباقي ضعيفاً ، فهو أقل وأضعف من ارتباط الثوب الذي تلبسه بجسمك ، وهذا الطيب إذا أراد خلعه في الحياة كان أسهل عليه من خلع ثوبه .

ومن كان خبيثاً نجساً متھتكاً مُخلطاً كان الفاني في باقيه مُعرقاً متمكناً لا يتخلص منه إلا بعد طول بعيد ومكث في أطباقي الشري طويل بعد تقطّع أو صاله وتبدد أعضائه وتفتت عظامه ، لأن جسديه قد تمازجا لما بينهما من التقارب والتناسب ، بخلاف جسد الطيب مع ما يلحقه من العنصري فإنه قشر عليه ظاهرٌ صحبه إلى وقت مقدر له ، ومن أصواتها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين .

ومن بين الطيب والخبيث مختلف التعلق والارتباط « ولِكُلِّ دَرَجَتٍ إِمَّا عَكْلُواً »^(١) ، فعلى هذا يكون المقصومون أسرع خلعاً لبشريتهم وأسرع غيوبية عن أبصار أهل الدنيا وغيرهم أبطأ ، وقد ثبت بالإجماع والأخبار المتواترة معنى بأن النبي نوحًا على

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٢ .

محمد وآله وعليه السلام عند الطوفان استخرج عظام آدم عليه السلام من سرنيب أو من مكة - على اختلاف الروايتين - وحمله في السفينه^(١) ، وفي رواية استخرج جسد آدم عليه السلام وحمله في السفينه ودفنه بعد استواء السفينه على الجودي في ظهر الكوفة فهو الآن ضجيع نوح خلف قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وكان عمر آدم على ما رواه الصدوق^(٢) في الإكمال سبع مئة سنة وثلاثين^(٣) .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينه أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف بالبيت أسبوعاً كما أوحى الله إليه ، ثم نزل في الماء إلى ركبته فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينه حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف ، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض : ﴿أَلْقَى مَاءك﴾ [هود : ٤٤] فبلغت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينه فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري) .

انظر بحار الأنوار : ١١ / ٢٦٨ .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .

ولد بداع الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .

توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٣) قال الصدوق : حديثنا أبي رضي الله عنه قال : حديثنا أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى العطار جميعاً قالاً : حديثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال : حديثنا محمد بن يوسف التميمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده =

والمستفاد من كلام مروج الذهب للمسعودي مع انضمامه إلى الرواية المذكورة أن بين موت آدم عليه السلام وحمل نوح عليه السلام لجسده في السفينة ألف سنة وخمس مئة سنة وأربع عشرة سنة ، وقد ثبت في اللغة العربية استعمال لفظ العظام في الجسد لأنها معظم الجسد ، ولهذا ورد وجوب صلاة الأموات على مجموع العظام كما وجبت على الجسد ، وإن لم يكن فيها شيء من القلب كما في صحيح علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام .

وأيضاً روي في المشهور المقبول من الروايات أن موسى عليه محمد وآلـه وعليـه السلام حمل عظام يوسف على محمد وآلـه وعليـه السلام من شط نيل مصر ودفنه في بيت المقدس^(١) ، وكان بينهما

= عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه قال : (عاش أبو البشر آدم عليه السلام تسع مئة وثلاثين سنة وعاش نوح عليه السلام ألفي سنة وأربع مئة سنة وخمسين سنة ، وعاش إبراهيم عليه السلام مئة وخمساً وسبعين سنة ، وعاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مئة وعشرين سنة ، وعاش إسحاق بن إبراهيم عليه السلام مئة وثمانين سنة ، وعاش يعقوب بن إسحاق مئة وعشرين سنة ، وعاش يوسف بن يعقوب عليه السلام مئة وعشرين سنة ، وعاش موسى عليه السلام مئة وستاً وعشرين سنة ، وعاش هارون عليه السلام مئة وثلاثة وثلاثين سنة ، وعاش داود عليه السلام مئة سنة منها أربعون سنة ملكه وعاش سليمان بن داود عليه السلام سبع مئة واثنتي عشرة سنة) .

كمال الدين باب ٤٦ باب ما جاء في التعمير ح ٣ .

(١) عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال : (احتبس القمر عنبني إسرائيل فأوحى الله إلى موسى أن أخرج عظام يوسف من مصر =

أربع مئة سنة تقريباً أو تنقص قليلاً ، وكان يوسف عليه السلام من عباد الله المخلصين فلا ينقص عن حال آدم عليه السلام .

والمراد بإخراج عظامه إخراج جسده وإنما عبرَ عنه بها لأنها معظمُ الجَسَدِ ، واستعمال ذلك كثير في كلام العرب في خطاباتهم ومُحاوراتهم وفي أشعارهم ، ومنه ما قال الشاعر يرثي طلحة بن عبيد الله بن خلف ويسمى طلحة الطلحات ، لأن أمّه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد مناف قال :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظُمَاً دَفَنُوهَا بِسَجِستانَ طَلْحَةَ الطَّلْحَاتِ^(١)
فسمى جسده المدفون بسجستان أعظمًا ، واستعمال ذلك غير منكور في لغة العرب ، وأنت إذا عرفت ما حققنا لك قبل لم تشك في أنَّ الذي حمله نوح وموسى على محمد وآلـه وعليهما السلام

ووعلـه طلوع القمر إذا أخرج عظامه ، فسأل موسى عمن يعلم موضع قبر يوسف فقيل له : هاهـنا عجوز تعلم علمـه ، فبعث إليها فأـتـي بـعـجـوزـةـ عـمـيـاءـ فـقاـلـ لـهـاـ : أـتـعـرـفـيـ مـوـضـعـ قـبـرـ يـوـسـفـ ؟ـ قـالـتـ :ـ نـعـمـ ،ـ قـالـ :ـ فـأـخـبـرـيـ بـهـ قـالـتـ :ـ لـاـ ،ـ حـتـىـ تعـطـيـنـيـ أـرـبـعـ خـصـالـ تـلـقـ لـيـ رـجـلـيـ وـتـعـيـدـ إـلـيـ بـصـرـيـ وـتـعـيـدـ إـلـيـ شـبـابـيـ وـتـجـعـلـنـيـ مـعـكـ فـيـ الـجـنـةـ ،ـ قـالـ :ـ فـكـبـرـ ذـكـرـ عـلـيـ مـوـسـىـ ،ـ قـالـ :ـ فـأـوـحـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ إـلـيـ يـاـ مـوـسـىـ أـعـطـهـاـ مـاـ سـأـلـتـ ،ـ فـإـنـكـ إـنـماـ تـعـطـيـ عـلـىـ فـعـلـ ،ـ فـذـلـكـ عـلـيـهـ فـاسـتـخـرـجـهـ مـنـ شـاطـئـ النـيـلـ فـيـ صـنـدـوقـ مـرـمـرـ ،ـ فـلـمـاـ أـخـرـجـهـ طـلـعـ الـقـمـرـ فـحـمـلـهـ إـلـيـ الشـامـ ،ـ فـلـذـلـكـ تـحـمـلـ أـهـلـ الـكـتـابـ مـوـتـاهـمـ إـلـيـ الشـامـ .ـ

الشـامـ حـ ١ـ .ـ

(١) انظر الوافي بالوفيات : ١٦ / ٢٧٦ .ـ

هو الجسد لا العظام ، ومثال جسد المعصوم عليه السلام كسيكة الذهب الصافي إذا لحقها غبارٌ فإنك إذا جلوتها انكشف عنها وهي باقية على هيئتها ، لأن الغبار لم يغُضْ فيها كما أن البشرية لم تغُضْ في بوطن أجسادهم لأنها نورانية طاهرة ، ولهذا تنطوي لهم الأرض ويمشون على الماء وفي الهواء إذا شاؤوا ، لأن أجسادهم كنفوس غيرهم .

ومثال جسد الشخص من سائر الناس كمثل سبيكة ممزوجة من ذهب ونحاس أو فضة ونحاس فإنك إذا صفيتها لا تصفو إلا بإذابتها وتصفيتها وكسرها من أصلها ، لأن الخلط ممازج لها ولهذا تراه يحتلم في المنام ويتجنب ، لأن البشرية مازجت ظاهره وباطنه ، وإن لم تكن من حقيقته والمعصوم عليه السلام لا يتجنب في المنام ولا ينام قلبه ، وإن نامت عينه ، فافهم .

وأماماً ما قال أبو محمد العسكري صلوات الله عليه في حق ذلك الرجل وهو ما رواه في كتاب ثاقب المناقب وخرائج الراوندي ، روی عن علي بن الحسين بن سابور قال : قحط الناس بسرّ من رأى في زمن الحسن الأخير عليه السلام فأمر الخليفة الحاجب وأهل مملكته أن يخرجوا إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام متواتية إلى المصلى يستسقون ويدعون بما سُقوا .

فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى والرُّهَبَان وكان فيهم راهبٌ ، فلما مَدَ يَدَهُ هطلَتِ السماء بالمطر

فشكَّ أكثر الناسِ وتعجبوا وصَبُوا إلى دين النَّصرانِيَّةِ ، فأنفذَ الخليفةُ إلى الحسنِ عليه السلام وكان محبوساً فاستخرجَه من حبسه وقال : إِلْحَقْ أُمَّةَ جَدْكَ فَقَدْ هَلَكَ .

فقال له : (إِنِّي خارجٌ في ذلك ومزيل الشَّكَّ إِنْ شاءَ اللَّهُ) .

فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرُّهْبَان معه ، وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر بالراهب وقد مَدَ يده أمر بعض ممالikeه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه ففعل وأخذ من بين سَبَابِتَيْهِ والوسطى وأخذ عظماً أسود ، فأخذه الحسن عليه السلام بيده ، ثم قال : (استسقِ الآن) فاستسقَ وكانت السماء مغيمةً فتشققت وطلعت الشمس بيضاء .

فقال الخليفة : ما هذا العظم يا أبا محمد؟

قال عليه السلام : (هذا رجل مرّ بقبر نبيٍّ من الأنبياء فوقع في يده العظم ، وما كُشِفَ عن عظم النبي إلا هطلت السماء بالمطر) ^(١) انتهى .

فيحتمل أنه قطعه من جسده وكشف عنه لحمه ليكون العظم بارزاً وذلك أنه سمع ذلك من بعض الكتب المنزّلة أو من كلام بعض الأنبياء عليهم السلام فقطعه وكشطه لأجل هذا السرّ .

(١) المراجع والجرائح : ١ / ٤٤١ ، ومدينة المعاجز للبحراني : ٧ / ٦٢٤ .
وبحار الأنوار للمجلسي : ٥٠ / ٢٧١ ح ٣٧ .

ومن الأمارات الدالة على هذا كونه أسود لأنه لو أخذه باليأ
لكان أبيض .

وقولي : من الأمارات لاحتمال أن يكون اسوداده من مس
الراهب لأجل ذنبه كما في الحجر الأسود وكان حين أخذه آدم
عليه السلام دُرّاً أبيضاً ، وإنما ترجح الأول لأنّه هو الظاهر
المحسوس المشاهد ، بخلاف الاحتمال الثاني فإنّه أمر معنويٌّ ،
وإذا قام الاحتمال المساوي بطل الاستدلال فكيف بما إذا قام
الاحتمال الراجح ؟ !

وببيان الأرجحية أنه لا قائل بالفرق بين آدم وبين غيره من
الأنبياء بل كلّ من قال بأنّ أجسادهم لا تبقى عَمَّ ، وكلّ من لم
يقل بذلك بل حكم بالبقاء عَمَّ ، وإذا ثبت عدم الفرق وثبت أن
نوحًا حمل جسد آدم أو عظامه عليهما السلام فقد ثبت بالوجودان
أنّ من حكم ببلاء لحمه وأنّ الأرض تأكله حكم على العظم
بذلك ، وإن كان العظم أبطأ اضمحلالاً ، ولو جاز أنّ الأرض
تأكل لحم آدم عليه السلام أكلت عظامه فلا يبقى منها شيء
أصلاً ، لأنّ مدة مكثه في الأرض كما ذكرنا أولاً ألف سنة
وخمس مئة سنة وأربع عشرة سنة ، ويستحيل بقاء العظام هذه
المدة تامة إلّا لسرّ عظيم ، وهذا السر المانع من اضمحلال
العظم هو بعينه المانع من اضمحلال اللحم ومن تغيير الصورة ،
مع ما ورد في الأخبار من أنّ الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل
لحومهم ، فافهم ويأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام .

في بيان عدم بقاء أجساد الأنبياء والأئمة في القبور

قال سلمه الله : (والأحاديث التي ذكرها الشيخ رحمه الله في التهذيب في كتاب الزيادات بسنده عن عطية الإبزارى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لا تملك جثةنبي ولا وصي في الأرض أكثر من أربعين يوماً)^(١) انتهى .

أقول : ي يريد عليه السلام إن أبطأ خلع البشرية يكون أربعين يوماً وقد يكون أقل من ذلك ، ولو كان المراد بها مكث الجثة على المعنى المفهوم عند العوام لما وجد نوح آدم عليهما السلام ، ولما وجد موسى يوسف عليهما السلام لما سمعت من طول المدة بينهما ، وإنما خص آخر الخلع بأربعين يوماً دون الأقل منها والأكثر لأنّ عدّة اللبس والخلع متساوية ، فإنّ لبس البشرية في النزول مساو لخلعها في الصعود ، وكانت مراتب اللبس في النزول أربعين ، وذلك لأنّه مخلوق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض من كل واحد قبضة ، فمن الأطلس قلبه ومن المكوكب نفسه ، ومن فلك زحل عقله أي تعقله ، ومن فلك المشتري علمه ، ومن فلك المريخ وهمه ، ومن فلك الشمس وجوده الثاني ، ومن فلك الزهرة خياله ، ومن فلك عطارد فكره ،

(١) تهذيب الأحكام للطوسي : ٦ / ١٠٦ ح ١٨٥ ، وبحار الأنوار : ٩٧ / ١٣٠ ح ١٧ ، والوافي للفيض الكاشاني : ١٤ / ١٣٣٩ ح ١٤٣٦ .

ومن فلك القمر حياته ومن العناصر الأربعة جسده فهذه عشر قبضات ، وأدار كلّ قبضة أربع دورات ، دورة عناصرها ودورة معادنها ودورة نباتها ودورة حياتها في كلّ شيء بحسبه ، فهذه أربعون وهي مراتب الوجود بعدد ميقات موسى عليه السلام ، وفي الخلع البطيء التدريجي كذلك أربعون نازلاً وصاعداً .

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : (في التهذيب بسنده عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (ما مننبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم وبلغهم السلام من بعيد ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب) ^(١) .

وفيه أيضاً بسنده إلى علي بن بزرج الخياط قال : حدثنا عمرو قال : جاءني سعد الإسكاف ، قال : يا بني تحمل الحديث ؟

فقلتُ : نعم ، فقال : حدثني أبو عبد الله عليه السلام أنه قال : (لَمَّا أُصِيبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَسْنِ وَالْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : عَسَّلَانِي وَكَفَنَانِي وَحَنْطَانِي وَاحْمَلَانِي عَلَى سَرِيرِي وَاحْمَلَا مُؤْخِرَه تَكْفِيَانَ مَقْدَمَهُ إِنْكَمَا تَنْتَهِيَانَ إِلَى قَبْرِ مَحْفُورٍ وَلَحْدٌ مَلْحُودٌ وَلِبْنٌ مَوْضِعُ فَالْحَدَانِي وَأَشْرِجاً اللَّبْنَ عَلَيَّ وَارْفَعَا

(١) تهذيب الأحكام للطوسي : ٦ / ١٠٦ ح ١٨٦ ، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق : ٢ / ٥٧٧ ح ٣١٦١ ، ومستدرك الوسائل : ١٠ / ١٨٨ ح ١١٨١٩ .

لِبَنَةً مَا يُلِي رَأْسِي وَانظِرُوا مَا تَسْمِعُانِ ، فَأَخْذَا الْلِبَنَةَ عَنْدَ الرَّأْسِ بَعْدَ مَا أَشْرَجَا عَلَيْهِ الْلِبَنَ فَإِذَا لَيْسَ فِي الْقَبْرِ شَيْءٌ ، وَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتَفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا فَأَلْحَقَهُ اللَّهُ بَنْبِيهِ ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ نَبِيًّا مَاتَ فِي الْمَشْرُقِ وَمَاتَ وَصِيَّهُ بِالْمَغْرِبِ لَأَلْحَقَ اللَّهُ الْوَصِيَّ بِالنَّبِيِّ^(١) انتهى .

أقول : في الحديث الأول إشارة إلى ما أشرنا إليه من اختلاف مدّة خلع البشرية ، ومعلوم أنّ منهم عليهم السلام من يخلع بشرىّته في ثلاثة أيام ، ويراد من هذا الحديث البعض المخصوص عندهم وإن كان ظاهره يدلّ على العموم جمعاً بين الأخبار .

فإن قلت : هذا صريح في أنّ جميع الجسد وما يتعلّق به من غيبة وشهادته يرفع حتى يبقى موضعه حالياً وتأويله على ما تدعى به خلاف الظاهر والأصل عدمه .

قلت : قد ثبت بالأدلة القطعية أنّ آدم عليه السلام نقله نوح عليه السلام من موضع مدفنه بسرنديب أو بمكة من الأرض العنصرية هذه ، وكذلك يوسف مع موسى عليهما السلام وقد بقي آدم ويوسف عليهما السلام هذه المدة الطويلة ويمكن تأويل هذه الأخبار على مثل ما ذكرنا سابقاً وهو تأويل متّجه ، ولا يمكن

(١) تهذيب الأحكام للطوسي : ٦ / ١٠٦ ح ١٨٧ ، ومدينة المعاجز للبحراني : ٣ / ٦٢ ح ٧٢٦ ، وبحار الأنوار : ٤٢ / ٢١٣ ح ١٤ .

التوجيه والتأويل في استخراج آدم ويوسف عليهما السلام ونقلهما
وصرفه عن ظاهره ولا قائل بالفرق ، فيجب المصير إلى ما قلنا
فإنه إذا خلع الصورة البشرية فقد رُفع بذلك إلى السماء في الرتبة
والى العرش كما في قصة الحسين عليه السلام كما يأتي ذكره ،
 فهو وإن بقي في قبره لكنه لا يراه غير المعصوم الذي يرى ببصره
ما في عالم البرزخ وما في عالم الغيب ولو نبشهما غير معصوم لم
يرَ شيئاً ، كما رواه محمد بن جعفر بن قولويه في كامل الزيارات
عن عبد الله بن بكر الأرجاني في حديث طويل عن الصادق عليه
السلام إلى أن قال : قلت : جعلت فداك أخبرني عن الحسين
عليه السلام لو نُيش كانوا يجدون في قبره شيئاً ؟

قال : (يا بن بكر ما أعظم مسائلك الحسين مع أبيه وأمه والحسن في منزل رسول الله صلى الله عليه وآلـه يحبـون ويرزـقون ولو نـيـشـ في أيامـه لـوـجـدـ ، فـأـمـاـ الـيـوـمـ فـهـوـ حـيـ عند رـبـهـ يـنـظـرـ إـلـىـ مـعـسـكـرـهـ وـيـنـظـرـ إـلـىـ الـعـرـشـ مـتـىـ يـؤـمـرـ أـنـ يـحـمـلـهـ وـأـنـهـ لـعـلـىـ يـمـينـ الـعـرـشـ مـتـعلـقـ يـقـولـ : يـاـ رـبـ اـنـجـزـ لـيـ مـاـ وـعـدـتـنـيـ ، وـإـنـهـ لـيـنـظـرـ إـلـىـ زـوـارـهـ وـهـوـ أـعـرـفـ بـهـمـ وـبـأـسـمـائـهـمـ وـبـأـسـمـاءـ آـبـائـهـمـ وـبـدـرـجـاتـهـمـ وـمـنـزـلـتـهـمـ عـنـدـ اللـهـ مـنـ أـحـدـكـمـ بـوـلـدـهـ وـمـاـ فـيـ رـحـلـهـ ، وـإـنـهـ لـيـرـىـ مـنـ يـبـكـيـهـ فـيـسـتـغـفـرـ لـهـ رـحـمـةـ لـهـ وـيـسـأـلـ أـبـاهـ الـاسـتـغـفـارـ لـهـ ، وـيـقـولـ : لـوـ تـعـلـمـ أـيـهـاـ الـبـاكـيـ ماـ أـعـدـ لـكـ لـفـرـحـتـ أـكـثـرـ مـمـاـ جـرـعـتـ ، وـيـسـتـغـفـرـ

لَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِكَاءَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْحَيْرِ وَيَنْقُلِبُ
وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ^(۱) انتهى .

فقوله عليه السلام : (لو نُبِشَ في أيامه لُوْجَد) ، يراد منها أكثر من ثلاثة أيام ، لأن أيام جمع قلة أريد به جمع كثرة ، وذلك لأنّه لو نُبِشَ في أيامه ولم يوجد لأنكر الأعداء كونه مقتولاً ، وعلى هذا لو نُبِشَ بعد الأربعين يوماً وُجِدَ وبعد السنة والستين وأزيد لأنّها من أيامه ، ولو أريد ما في الحديث المتقدم لما كان ينبغي أن يقال في أيامه وهو يريد بها يومين أو ثلاثة ، لأنّه لو أريد بهذا الكلام أنه لو نُبِشَ بعد دفنه بيوم أو يومين أو ثلاثة لما حسن أن يقال في أيامه ، إذ لا تفهم الثلاثة من هذه العبارة في العرف وللعلة المذكورة .

ورفع روحه وعظمته ولحمه إلى السماء ، يراد منه ما قلنا إلا
أنهم صلى الله عليهم يتكلّمون بالحقائق ونحن نتكلّم بظواهر
اللغة ، ولو أردنا أن نتكلّم بالحقيقة لم نجد عبارة عنها أحسن مما
قالوا ، فإنّ الجسد إذا خلع البشرية عنه التي هي أرض بالنسبة إلى
الأجساد الباقيّة العنصرية وهي سماء لها ، مع أنّا قدمنا لك أن
هذه البرزخية في الإقليم الثامن وأسفله على محدّب محدّد

(١) كامل الزيارات لابن قولويه : ٥٤٣ ح ٨٣٠ ، ومستدرك سفينة البحار : ٧ / ٢١٣ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٦ ح ٢٤ .

الجهات ، يعني في الرتبة ، فكيف يدركه أهل الدنيا غير المعصومين عليهم السلام ، وكيف لا يقال إنه في السماء ؟ !

وقوله : (وإنما يؤتي مواضع آثارهم) الخ ، لأنّها هي محل خلع البشرية فإذا خلع الجسد الباقي الجسد العنصري الثقيل في محله من القبر الذي تدركه العوام بقي الجسد الباقي في سمائه من ذلك القبر فـيأتون الزوار محل القشر الملقم ، ولعمري أنّ الجسد الباقي فيه في غيبه إلى يوم القيمة عند ربّه يرزق .

وقوله : (يبلغهم السلام من بعيد) ، لبعد ما بين الحال والمخلع .

وقوله : (ويسمعونهم من قريب) ، لأنّ الزوار بعيدون عن الحال ، والحال في القبر في غيبه فيسمعهم من قريب لأنّهم لا يرونّه وهو يراهم ولا يسمعونه وهو يسمعهم ، وحديث كاملزيارة بهذا المعنى ، وأمّا حديث سعد الإسکاف فهو كغيره .

وروي أنّ الذي رفع مقدم السرير هو أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه كما قال عليه السلام في كلامه لسلمان وأبي ذر : (إن ميتنا إذا مات لم يمت وإن مقتولنا لم يقتل)^(١) .

(١) رواه المصنف بطوله في شرح الزيارة الجامعة الجزء الثاني وفيه : وقال عليه السلام في بيان معرفته بالتورانية لسلمان وأبي ذر : (يا سلمان ويا جندب) ، قالا : ليك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام : (أنا الذي حملت نوحًا في السفينة بأمر ربّي ، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربّي ، وأنا =

وكان علي عليه السلام يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم مات وهو يتقلب ولا يحتاج إلى من يُقلّبه ، وكلّ هذا وأمثاله لضعف بشريتهم وقوّة نوريتهم ، فهم أحياه كهم أموات ، فافهم .

وقوله : (فإذا ليس في القبر شيء) ، روي أنه بعد ما يجتمع بنبيه صلى الله عليه وآله يعود إلى حفرته وهو كثير في أخبارهم ، وفي الزيارات المروية عنهم عليهم السلام في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام : (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح)^(١) ، وذلك لأن جسده الشريف في القبر إلى الآن وإلى ما بعد ذلك أي

=
الذى جاوزت موسى بن عمران بأمر ربى ، وأنا الذى أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربى ، وأنا الذى أجريت أنها رها وفجّر عيونها وغرست أشجارها بإذن ربى ، وأنا عذاب يوم الظللة ، وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعها الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم إلّي لأسمع كلّ قوم العجّارين والمنافقين بلغاتهم ، وأنا الخضر عالم موسى ، وأنا معلم سليمان وداود ، وأنا ذو القرنين ، وأنا قدرة الله ، يا سلمان ويا جندب) .

قالا : ليك يا أمير المؤمنين قال : (أنا محمد ومحمد أنا وأنا من محمد ومحمد مني قال الله تعالى : ﴿مَنْجَ الْجَحَنَّمِ يَلْقَيَنَ ﴾ ١٩ ﴿ يَتَّهِمَا بِرَزْحٍ لَا يَتَّهِمَانَ ﴾ ٢٠ ﴾ الرحمن: ١٩ ، ٢٠] . يا سلمان ويا جندب) .

قالا : ليك يا أمير المؤمنين قال : (إن ميتنا لم يُمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لم يقتلوا ، يا سلمان ويا جندب ...) الحديث . كتاب التوحيد للصدوق : ١٥٠ ، ومشارق أنوار اليقين : ٢٨٤ ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٤ - ٧ ح ١ ، وحلية الأبرار : ٢ / ١٧ .

(١) انظر الزيارة في إقبال الأعمال : ٣ / ١٣٥ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ٢٧١ ، ومفاتيح الجنان : ١١٦ .

إلى ما بعد خروج صاحب العصر عليه السلام وعجل الله فرجه ، وبعد قتله عليه السلام بثمان سنين فجسده الشريف في قبره المشهور بظهر الكوفة في غيبه على المعنى المتقدم مضاجعاً لنوح وأدم عليهما السلام ، كما في صريح الزيارة والأصل في الاستعمال الحقيقة ، واحتمال خلافه مرجوح لا يخرج عن حكم الأصل المؤيد بالأدلة العقلية والنقلية .

قال سلمه الله : (وما قلتم إن الأئمة عليهم السلام يكونون في القبر ولكنهم لا يرونهم الناس لأن خلاعهم البشرية عنهم لا يوافق حدث الأخير فإن الإمام يرى الإمام الآخر) .

أقول : قولي : هذا حقٌّ ، وقولكم : فإن الإمام يرى الإمام الآخر حقٌّ أيضاً ، ولكنه حينئذ لا يراه في بشريته إلى أن يرجع بعد اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وآله وبعد رجوعه يراه في بشريته إلى أوان الخلع العادي له ، ومع هذا إذا أراد الإمام أن يرى الإمام الميت بعد خلعه البشرية فيها رأه فليس بينهم غيبة ولا فرقة أبداً وإن حصل ذلك في الظاهر ، ومن المعلوم أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يُحشرون من مواضع حفراهم وليس لأنهم يدفون فيها مرّة ثانية بعدما يرثون إلى السماء ، فآدم ونوح عليهما السلام يُحشران من قبريهما بظهر الكوفة .

وقوله في حديث كامل الزيارة : (وإنه لعلى يمين العرش

متعلق^(١) ، ليس لأنه هناك بل على نحو ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (صَحْبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مَعْلَقَةٌ بِالْمَحْلِ الْأَعْلَى)^(٢) ، يعني توجهها إليه ، وهذا إن شاء الله تعالى مما لا إشكال فيه .

والحمد لله رب العالمين ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين بيده الجانية حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

(١) كامل الزيارات لابن قولويه : ٢٩٢ ح ٢٠٦ ، ومدينة المعاجز للبحرياني : ٤ / ٤ ، ٢١٨ ح ١٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٦ ح ٣٧٦ .

(٢) الخصال للصدقون : ١٨٧ ح ٢٥٧ ، وكمال الدين : ٢٩١ ، وإرشاد المفید : ١ / ٢٢٨ ، وأمالی المفید : ٢٥٠ .

٨ - رسالة في جواب

الملا محمد مهدي

ابن الملا شفيع الأسترآبادي

عن عشر مسائل منها قولهم إن الأمر بالمعروف لطف

رسالة في جواب الملا محمد مهدي ابن الملا شفيع الأسترآبادي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبـين
الظاهـرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدـين الأـحسـائي : إنـ المـكرـمـ المـحـترـمـ وـالـأـخـونـدـ الـمعـظـمـ المـلاـ مـحـمـدـ مـهـديـ اـبـنـ الـمـلاـ شـفـيعـ (١)ـ الـأـسـتـرـآـبـادـيـ وـفـقـهـ اللهـ لـرـضـاهـ قدـ عـرـضـ عـلـيـ مـسـائـلـ جـلـيلـةـ أـرـادـ جـوـابـهاـ وـاسـتـنـظـرـتـهـ لـيـكـونـ الـجـوـابـ كـاـشـفـاـ لـجـمـيعـ ماـ يـحـولـ عـلـىـ النـاظـرـ فـيـهاـ منـ كـلـ حـجـابـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـ مـهـلةـ عـلـىـ الـانتـظـارـ ،ـ فـكـتـبـتـ الـجـوـابـ عـلـىـ غـاـيـةـ الـاـخـتـصـارـ وـالـاقـتصـارـ ،ـ فـإـنـ وـقـعـ (٢)ـ خـلـلـ مـنـ جـهـةـ عـدـمـ اـسـتـقـصـاءـ الـجـوـابـ فـلـيـسـ مـنـيـ ،ـ بـلـ لـضـيقـ الـوقـتـ ،ـ وـالـلهـ الـمـوـقـقـ لـلـصـوـابـ .ـ

معنى الوجوب على الله تعالى في اللطف

قال سـلـمـهـ اللهـ :ـ (ـقـدـ اـشـتـهـرـ بـيـنـ عـلـمـائـنـاـ أـنـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ لـطـفـ وـالـلـطـفـ وـاجـبـ عـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ وـهـذـاـ

(١)ـ فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ :ـ مـحـمـدـ شـفـيعـ .ـ

(٢)ـ فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ :ـ وـقـعـ فـيـهـ .ـ

خفى على ما أدرى ما مرادهم^(١) ، إن أرادوا بالوجوب ما يلزم تاركه أو يعاقب أو يستحق العقاب فمعاذ الله ، أي عقل يجترئ على مذمة الله سبحانه فضلاً عن العقاب والعقول متحيرة عند صالح رب الأرباب ، وإن أرادوا به الوجوب العقلي يعني ممتنع الانفكاك عن الذات فهو جيد على زعم السيد ولكن ما وجدت ذلك المعنى منهم^(٢) .

أقول : المراد بالوجوب على الله سبحانه في كل ما ينسب إليه^(٣) هو الثبوت في الحكمة وهو سبحانه من مقتضى رحمته وعدله أنه لا يترك اللطف ولو شاء لتركه قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٤) ليفترى علينا غيره وتعالى الله في رحمته وفضله أن يذهب بما أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله مع أنه قادر عليه ولو فعله لم يكن منافي للازم^(٥) ، وإنما ينافي الرحمة التي يحتاج إليها العباد الضعفاء .

وأما المعنى الاصطلاحي فلا تصح إرادته هنا .

وأما المعنى العقلي الذي أشرتم إليه فباطل لأنه يلزم منه

(١) في نسخة أخرى : مرادهم من هذا الكلام .

(٢) في نسخة أخرى : منه .

(٣) في نسخة أخرى : له .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨٦ .

(٥) في نسخة أخرى : للأول .

التشبيه ، لأن كل شيء يلزمـه غيره فهو حادث ، وهذا المعنى أيضاً باطل .

قال سلمـه الله تعالى : (قد ورد عن المغضوم عليه السلام في تفسير بعض الآيات أن تلك الآية قد وردت بغير هذا اللفظ وإنما نزلت كذا وكذا كما في قوله : (﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١) وعلى لكل قوم هاد) ^(٢) و(﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) في علي) ^(٤) وإذا كان الأمر على ذلك فلا يبقى وجه بحجـية ^(٥) الكتاب لأنـه حينئـدـ محرف ومصحف ومع التغيـير لا يمكن الإـستدلال بالآيات على الأـحكـام) .

القول في تحريف القرآن

أقول : نعم القرآن قد حرفـ وحـذـفـ منهـ كثيرـ فقد روـى (إنـ الذي نـزـلـ سـبـعةـ عـشـرـ أـلـفـ آـيـةـ) ^(٦) وفي روـاـيـةـ : (ثـمـانـيـةـ عـشـرـ أـلـفـ آـيـةـ) وـهـوـ الـآنـ ستـةـ آـلـافـ وـسـتـمـائـةـ وـسـتـةـ وـسـتـينـ آـيـةـ .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٧ .

(٢) كتاب سليمـ بن قيس : ٣١٤ ، واللمـعةـ البيضاءـ للـتـيرـيزـيـ : ٥٩٣ ، وغاـيةـ المرـامـ للـبـحرـانـيـ : ٤ / ٦٩ حـ ٩ .

(٣) سورة المـائـدةـ ، الآـيـةـ : ٦٧ .

(٤) العمـدةـ لـابـنـ الـطـريقـ : ٩٩ حـ ١٣٢ ، وـتـفـسـيرـ القـميـ : ١٠ / ١ .

(٥) في نـسـخـةـ لـحـجـيـةـ .

(٦) انـظرـ كتابـ بـحـوثـ فيـ تـارـيخـ الـقـرـآنـ وـعـلـومـ لـلـزـرنـديـ : ٢٧٠ ، وأـصـولـ الـكـافـيـ ٢ / ٦٣٣ حـ ٢٨ .

وقال السيد نعمة الله الجزائري في صلاته : (إن الروايات الدالة على تغيير القرآن تزيد على ألفين) انتهى^(١) ، وأنت خبير بأن الحكم يثبت برواية أو روایتين فكيف لا يثبت حكم بألفين ، وهي معمول بها عند المتقدمين كالكليني والصدوقيين وغيرهم ؟ !

على أنه أي ضرر فيه لأن المذدوف إن كان له تعلق بتصحيح الأخبار ذكر الأئمة عليهم السلام أحاديثاً^(٢) تصححها ، فكل موضوع فيه^(٣) قرآن وهو محتاج إليه فقد أكملوه .

ونحن نقول : إن الموجود من القرآن لا زيادة فيه ، وأما النقيصة فلا تضر فإنه لو حصل لك أية واحدة جاز العرض عليها لأنها قرآن وليس شرط العرض عليها وجود كل القرآن بل موضع الحاجة منه ، ولو كان في الموجود غير القرآن لجاز أن تقول ما نعرف القرآن من غيره فلا نعرض عليه ، ولكن الموجود كله قرآن فنعرض عليه .

وأما المذدوف فلو وجد لم تسمع من أحد من العلماء إحتمالاً ولا شكلاً ولا ترداداً .

في الحكم^(٤) لأن الدين القطعي كله عند أهل البيت عليهم

(١) انظر تفسير مرآة الأنوار للعاملي : ٣٦ ، والأنوار النعمانية للجزائري ٢ / ٣٥٧ .

(٢) في نسخة : أحاديث .

(٣) في نسخة : فقد فيه .

(٤) في نسخة : في الحكم به .

السلام وهو في القرآن كله ، فتردد العلماء واختلافهم دليل على التغيير .

وأدلة القائلين بعدم التغيير كلها ضعيفة ، وكل من يفهم لا يعول^(١) عليها .

ودعواهم الإجماع ليست جارية على الطريقة المعرفة^(٢) لأن القائلين بالتغيير في كل زمان ما انقرضوا ولا نقصوا ، ومع ذلك فالآئمة عليهم السلام على ذلك ما عُلم ولا عُرف عنهم ما ينافيء ، والقرآن صريح في ذلك لأن قوله تعالى : «يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَيْثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ»^(٣) صريح في أن اليهود قد غيروا التوراة والنصارى غيروا الإنجيل لقوله تعالى : «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشَرُّوْا بِهِ ثُمَّ نَأْمَلُ قَلِيلًا»^(٤) وذلك حين حرفوا ما في التوراة والإنجيل من حكم الرجم وحذفوا ذكر النبي صلى الله عليه وآلـه وذكر الآخرة والجنة والنار والله يقول : «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٥) وهو ظاهر في تغييرهم وحذفهم ، وقد روی عن النبي

(١) في نسخة : لا يقول .

(٢) في نسخة : المعرفة .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٧٩ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

صلى الله عليه وآلـه من الفريقيـن الشـيعة والـسنـة متواتراً في المعنى
 أن^(١) (كلـ ما كانـ في بـني اـسـرـائـيل يـكون في هـذـه الـأـمـة حـذـو النـعـل
 بالـنـعـل والـقـدـة بالـقـدـة حتـى لو سـلـكـوا جـحـر ضـب لـسـلـكـتـمـوهـ)^(٢) فإذا
 ثـبـت التـغـيـر هـنـاك ثـبـت هـنـا .

معنى نية المؤمن خير من عمله

قال سـلـمـه الله تـعـالـى : (قد اـشـتـهـر الـخـبـر عن النـبـي صـلـى الله
 عـلـيـه وـآلـه : (نية المؤمن خـير من عملـه وـنية الكـافـر شـرـ من
 عملـه)^(٣) وأـفـضـل الأـعـمـال أـحـمـزـها)^(٤) .

والـتـنـافـي بـيـنـهـما غـنـي عنـ الـبـيـان ، عـلـى أـنـه وـرـد لاـ مـؤـاخـذـة عـلـى
 الـنـيـات وبـقـصـد الـخـيـر يـكـتب لـه خـيـر وبـقـصـد الـشـر لـا يـكـتب ، فـكـيف
 تـكـون نـيـة الكـافـر شـرـاً منـ عـمـلـه ، وـأـيـضاً وـرـد (أـفـضـل الأـعـمـال
 الصـلاـة)^(٥) وهيـ الجـهـاد الأـكـبـر المستـصـغـر وـحجـ الـبـيـت حـجـ
 الأـكـبـر^(٦) وـالـصـلاـة لـيـسـ أـشـقـ منـ الحـجـ وـالـجـهـاد .

(١) في نـسـخـة : إـذ .

(٢) الـاعـقـادـات للـصـدـوق : ٦٢ ، وـعيـون الـأـخـبـار للـصـدـوق : ١ / ٢١٨ .

(٣) الـكـافـي : ٢ / ٨٤ حـ ٢ ، وـوسـائـل الشـيـعـة : ١ / ٥٠ ، وـعـوـالـي الـلـآلـي : ١ / ٤٠٦ ، وـمـحـاسـن الـبـرقـي : ١ / ٢٦٠ حـ ٣١٥ .

(٤) بـحـار الـأـنـوار : ٦٧ / ١٩١ ، وـجوـاهـر الـكـلام : ٤ / ٢٦٥ .

(٥) عـدـة الدـاعـي : ٧٥ ، وـبـحـار الـأـنـوار : ٧١ / ٨٥ حـ ٩٩ وـلـفـظـهـ فـيـهـما : (أـفـضـل
 الأـعـمـال الصـلاـة لـأـوـلـ وـقـتها) .

(٦) في نـسـخـة أـخـرى : حـجـ أـكـبـر .

أقول : إطالة البحث ليس لي فيها وقت^(١) ، فلا أقدر عليه إلا أن جوابي على جهة الاختصار .

فأقول : إن قوله صلى الله عليه وآلـه : (نية المؤمن خير من عمله) ، فيه^(٢) ، وجوه أحسنها وجهاً :

أحدهما : أن العمل لا يقدر عليه في كل شيء ، وأما النية فالمؤمن نيته أنه لو بقي أبد الدهر أنه يطيع الله ، ونية الكافر أنه أبداً يعصي الله فخلد المؤمن في الجنة بنيته لأن عمله لا يسع البقاء الدائم بلا انقطاع وكذلك الكافر .

وثانيهما : أن النية روح العمل وهي أعظمـه ، والروح أفضل من الجسد .

وأما أن أفضل الأعمال أحمزها أي أشـقـها فـحقـ والنـيةـ الصحيحة أـشـقـ من ألف عمل بل لا تـكـادـ تـقـعـ إلاـ منـ الأـقلـينـ ، وأما أنه لا مؤاخذة على النـياتـ أي نـياتـ الأـعـمـالـ لاـ نـياتـ الـاعـتقـاداتـ ، فإنـهاـ هيـ نفسـ الـاعـتقـاداتـ وهيـ الأـعـمـالـ الـقـلـبـيةـ وفيـهاـ مؤاخـذـةـ إنـ كـانـتـ فـاسـدـةـ .

واما نـياتـ الأـعـمـالـ فإنـ نـوىـ الصـلاـةـ كـتـبـتـ لـهـ ، لأنـ الإـنـسـانـ خـلـقـ مـنـ عـشـرـ قـبـضـاتـ قـبـضـةـ مـنـ السـمـحدـ وـهـيـ قـلـبـهـ وـمـنـ الـمـكـوـبـ

(١) في نـسـخـةـ أـخـرىـ : وـقـفـ .

(٢) في نـسـخـةـ أـخـرىـ : فـلـهـ .

هي نفسه ومن فلك زحل هي عقله ، ومن فلك المشتري هي علمه ، ومن فلك المريخ هي وهمه ، ومن فلك الشمس هي وجوده الثاني ، ومن فلك الزهرة هي خياله ، ومن فلك عطارد هي فكره ، ومن فلك القمر هي حياته ومن الأرض هي جسده ، فهذه عشر^(١) قبضات كلها من الوجود ، فإن نوى الطاعة كانت حسنة واحدة^(٢) في قلبه ، فإن عمل الطاعة مرت على العشرة فانتقتشت في كل^(٣) واحدة صورة حسنة فكتبت عشرأً ، وأما المعصية فليست العشرة مخلوقة لها ، فإذا نوى المعصية لم تكتب^(٤) لأنها غريبة من العشرة ، فإذا عملها مرت على نفسه ووهمه و^(٥) وجوده الثاني وخياله وفكرة وحياته وجسده فينتظر سبع ساعات فإن تاب انمحى^(٦) ، لأنها أجنبية لا ثبت إلا بالتكرار وإن لم يتبرأ استقرت في الجسد لأنه مناسبة له فتكتب واحدة ، فافهم .

(١) في نسخة أخرى : عشرة .

(٢) في نسخة أخرى : واحدة بمرورها .

(٣) في نسخة أخرى : كل طاعة .

(٤) عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَهُمْ بِالْحَسَنَةِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا فَتَكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَ بِهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا فَلَا يَعْمَلُهَا فَلَا تَكْتَبُ عَلَيْهِ) .

الكافي : ٢ / ٤٢٨ ح ١ ، والاعتقادات للصدوق : ٦٨ ، والتوكيد للصدوق : ٤٠٨ ح ٧ .

(٥) في نسخة أخرى : وهمه أي .

(٦) في نسخة أخرى : وإن تاب لمحت .

بيان أن الصلاة الجهاد الأكبر

وأما أن الصلاة فهي الجهاد الأكبر لأنها عمود الدين وهي أشق من الجهاد والحج ، لأنك لو كلفت أن تصليها تامة مقبولة بأن لا تغفل عنها لعلمت أن كل شيء هي أشق منه ، ولكن سهل الأمر فيها الرجاء في رحمة الله .

وجه التشابه بين الربا والبيع

قال سلمه الله : (قال تعالى : ﴿أَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْرِبَا﴾ إلى قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الْرِبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الْرِبَا﴾^(١)) يختلجم بالبال عكس ذلك التشبيه ، لأن حلية البيع مسلمة عند الفريقيين دال بأنه كان حلالاً عندهم وشبيهه بالبيع في الحلية والظاهر أن يقول : إنما الربا مثل البيع في الحلية وعدم الحرج والمؤاخذة) .

أقول : ليس المراد هكذا ، وإنما مرادهم تشبيه البيع بالربا ، لأن الربا عندهم حلال فقال لهم : هو حرام والحلال إنما هو البيع فقالوا له : لا نجد فرقاً ، فلا يكون البيع أحسن من الربا إنما هو مثل الربا فلا زيادة حسن فيه ، وإنما هو مثل الربا ، ومقتضى هذا تقديم البيع لأنه هو المشبه عندهم بالربا لا العكس .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

رفع الشبهة عن النبي أیوب عليه السلام

قال سلمه الله : (قد اشتهر أن أیوب عليه السلام كان صابراً على البلايا والمحن ، وقد قال الله تعالى في قصته : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا تَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١) ، والصبر على ما وجدت في كتب الله عدم الجزع على المصائب مع أنه عليه السلام ، قال : ﴿أَفَمَسَنِيَ الْضُّرُّ﴾^(٢) ، وذلك يدل على الشكایة فكيف يكون مع ذلك صابراً شاكراً صامتاً؟).

أقول : اعلم أن أیوب على نبينا وآلـه وعليه السلام كان صابراً كما قال الله تعالى ، ولم يجزع ولم يشك بليته حتى أتى إبليس إلى بعض أمتـه الذين آمنوا به وصدقـوه ، وقال لهم ما معناه : إن الله سبحانه عـدـل لا يـجـور ، ولا يـغـيـرـ ما بـقـومـ حتـى يـغـيـرـ ما بـأـنـفـسـهـمـ^(٣) ، وكان أـيـوبـ مـرـائـيـاـ فيـ جـمـيـعـ أـعـمـالـهـ فـاـبـتـلاـهـ اللـهـ بـهـذـهـ الـبـلـاـيـاـ لـسـوـءـ سـرـيرـتـهـ^(٤) ، لأنـ اللـهـ تـعـالـيـ لا يـظـلـمـ العـبـادـ فـدـخـلـ عـلـيـهـمـ الشـكـ فيـ نـبـوـتـهـ حتـى شـافـهـوـهـ ، وـقـالـوـاـ^(٥) لهـ ذـلـكـ موـاجـهـةـ ،

(١) سورة ص ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٣ .

(٣) قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالِ﴾ .

(٤) انظر تفسير الميزان : ٢١٢ / ١٧ ، وتفسير القمي : ٥٦٩ - ٥٧١ ، والبحار : ١٢ / ٣٤٤ ح ٣ .

(٥) في نسخة أخرى : قال .

فلما رأى أن أمرهم آل إلى فساد اعتقادهم ودينهم حرم عليه الصبر على البلاء لئلا يرتدوا عن دين الله بالطعن في نبوةنبي الله فوجب عليه أن يسأل الله ليرفع عنه البلاء حفظاً ل الدين الله ، وليس فعله شكاية ، ومعاذ الله أن يكون منه ذلك .

الدليل على حدوث العالم

قال سلمه الله تعالى : (ما الدليل على حدوث العالم مطلقاً مع عزل النظر عن الإجماع والحديث المشهور ، والحال أن المقوّع عند الأسماع أن الإرادة علة للإيجاد وهي عين الذات وتخلّف المعلول عن العلة التامة ، وهو المفروض غير معقول عند أرباب العقول) .

أقول : الإرادة علة للإيجاد علة فاعلية ، والشيء لا يوجد إلا بأربع علل إذا فقدت واحدة لم يوجد وبقي في حيز الإمكان شيئاً ممكناً لا مكوناً ، العلة الفاعلية وهي المشية والإرادة ، والعلة المادية وهي إما نورية جبروتية أو جوهرية^(١) ، ملكوتية أو جسمانية عنصرية ، والعلة الصورية وهي كذلك معنوية جبروتية ونفسانية ملكوتية ومثالية برزخية^(٢) ، والرابعة الغائية^(٣) فالأشياء إنما تأخرت لعدم حصول عللها .

(١) في نسخة أخرى : جبروتية ونفسانية .

(٢) في نسخة أخرى : وبرزخية .

(٣) في نسخة أخرى : والعلة الغائية .

وأما المشيّة والإرادة فهي علة تامة في الفاعلية فإذا وجدت المادة والصورة تعلقت بالشيء كالشمس نورها فيها وهي مشرقة ولو لم توجد الأرض بكتافتها لم يظهر نورها فإذا وجدت كثافة الأرض ظهر النور ، ومثل صورتك في المرأة أنت لم تفقدها ولكنها لا تظهر حتى توجد المرأة وتقابلها .

وأما قولكم : (فهي عين الذات) ، فنقول : إذا كانت الإرادة هي عين الذات تعالى كان الذات الذي هو الله هو الإرادة ، فإذا كان تعالى هو الإرادة فمن الذي يكون تعالى إرادة له ومن المريد وأنت تقول : إن الإرادة تتعلق بالمراد ، فذات الله إذا كانت هي الإرادة تتعلق بالمراد ، وأنت المراد ، فذات الله تتعلق بك عند إيجادك تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، إن الإرادة هي الإبداع وهي محدثة ، وقد قال الرضا عليه السلام : في توحيد الصدوق^(١) قال عليه السلام : (المشيّة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مریداً فليس بموحد)^(٢) انتهى .

فقد كان الله وحده ، ولا شيء معه وهو كنز مخفي فلما أراد

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدقون .

ولد بداع الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ . توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) توحيد الصدوق : ٣٣٨ ح ٥ باب معنى البداء ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩ ، وختصر البصائر : ١٤٣ .

وأحب أن يعرف خلق المشيّة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيّة^(١) ، والمشيّة والإرادة مثالهما والله المثل الأعلى كحركة يدك أنت تكون ، ولا تحرك يدك للكتابة فإذا بدا لك أن تكتب أحدثت حركة يدك بنفسها ، ثم أحدثت الكتابة بحركة يدك وهذا مثال ذلك ودليله فإن الله يقول : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) ، فآية الله في نفسك فيما نحن فيه حركة يدك وكتابتك فافهم .

الدليل على وحدة الوجود

قال سلمه الله : (ما الدليل على وحدة الوجود أو الموجود مع أن الحسن قد يكذب ذينك المذهبين ويبطلهما إذ لا دليل على ذلك ، بل القول به باطل ، واعتقاده كفر ، مع إدخال واجب الوجود في هذا الفرض) .

ولفظه من التوحيد : (المشيّة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله تعالى لم يزل شائياً مريداً فليس بموحد ، فأما الإرادة من الخلق فالضمير وما يبدو لهم من الأفعال قسم من إرادتهم) .

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيّة) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .

وفي رواية : (خلق الله المشيّة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيّة) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيّة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

أقول : أعلم أن الله سبحانه واحده لا شريك له كان وحده وهو الآن على ما كان ثم اخترع بفعله المحدث فخلق كل مخلوق من ذات وصفة جوهر^(١) ، وعرض معنى وعين معلوم وموهوم اخترع له تارة^(٢) نورية أو جوهرية أو جسمانية عنصرية ، واخترع من نفس المادة صورتها على حسب قبولها الفعل^(٣) ، فالوجود وحده هو المادة والوجود مع الصورة أي الماهية هو الموجود ، لأن كل شيء مخلوق فله مادة وصورة كل بحسبه ، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٤) ، فبعض الصوفية من يقول بوحدة الوجود ويريد أن الوجود واحد بسيط في الحادث والقديم ويتميز الحادث بالمشخصات وهي حدود الماهية وهي موهومة ووجوده عين وجود الحق مثل اليقظة المجمدة وهو الوا . . .^(٥) الحادث والماء هو الواجب ، فإذا ذاب الثلج^(٦) لم يوجد إلا الماء وهو القول بوحدة الوجود .

ولا شك أن هذا باطل والقول به كفر لا يرتاب فيه إلا كافر

(١) في نسخة أخرى : وجوهر .

(٢) في نسخة أخرى : مادة .

(٣) في نسخة أخرى : قبولها لفعله .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

(٥) في نسخة أخرى : وجود الحق ويمثل بالجمد والماء ويقول مثلاً الجمد الجمود هو :

(٦) في نسخة أخرى : الجمد .

وبعضهم يقولون :^(١) ، إن الحادث مركب من وجود هو مشيّة الله وهي^(٢) الحادثة الموهومة فإذا زالت بقي فعل الله تعالى ومشيّته وهذا القول أخو^(٣) ، ذلك في البطلان وابنه في الكفر وبعضهم يذهب إلى أن الاتحاد إنما هو في الواجب والموجود الذي قلنا بتركيبيه من وجود هو الله^(٤) ، ومن ماهية هي الحدوث ، لأن الموجود نفس الواجب فهما شيئاً في الاسم واحد في الرسم وهذا القول باطل كالأول ، والقول به كفر كالقول الأول ولكنه أشنع من الأول ، فالقول بمطلق وحدة الوجود كفر بالإله المعبد عزّ وجلّ .

والحق في المسألة أنه سبحانه واحد لا شيء معه ، ولا يخرج منه شيء ، ولا يدخله شيء ، ولا يمازج شيئاً ، ولا يشابه شيئاً^(٥) ، وليس بينه وبين واحد^(٦) نسب ، ولا قرابة ، ولا يقترن به شيء ، ولا يرتبط بشيء ، ولا يرتبط به شيء كان هكذا وهو هكذا بلا تغيير ، ولا تحول ، ولا زوال ثم أحده بفعله خلقاً من مادة اخترعها ولم يكن قبل اختراعه لها شيء بدأها بفعله لا من فعله

(١) في نسخة أخرى : يقول .

(٢) في نسخة أخرى : ومن مشخصات وهي .

(٣) في نسخة أخرى : أخ .

(٤) في نسخة أخرى : الله عند الأولين .

(٥) في نسخة أخرى : لا يشابه شيء .

(٦) في نسخة أخرى : أحد .

وأقامها بفعله فهي من أثر فعله بدت وإلى مبدئها تعود مدبرة مصنوعة ليست منه تعالى ، ولا هو منها ، ولا معها ، ولا فيها وهي كذلك ، هو في الأزل والأزل ذاته ، وهي في الحدوث محتاجة في كل طرفة عين إلى مدد من أثر فعله به أقامها وإليه أسندها ، لا إله إلا هو إليه^(١) المصير .

وتلك مذاهب الصوفية لعنهم الله لعناً وبيلاً وعذبهم عذاباً أليماً وضعوها في مقابلة أئمة الهدى صلوات الله عليهم ، وهذا الذي تسمع من كلام الفقير الحقير المقر بالقصور والتقصير هو المذهب الحق ، وهو المذهب الذي نزل به جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى إلى سفيره ونبيه صلى الله عليه وآله ، واستخلفه صلى الله عليه وآلـه الطاهرين عليهم السلام «فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرَحُ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ»^(٢) ، ويوقفه للاهتمام بإمامـه الحق علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته صلوات الله عليهم ، ومن يرد أن يضله يكلـه إلى نفسه حتى يأخذ دينه عن إمامـه الباطل ممـيت الدين^(٣) بن

(١) في نسخة أخرى : وإليه .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

(٣) هو أبو بكر محيـي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولـد عبد الله بن حاتـم الطـائي الأندلسـي .

ولـد بمـرسـية بالأـندلس يومـ الـاثـيـنـ السـابـعـ عـشـرـ مـنـ شـهـرـ رـمـضـانـ الـمعـظـمـ سـنةـ سـتـيـنـ وـخـمـسـ مـئـةـ هـجـرـيـةـ (٥٦٠ـ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ـ مـ) .

= مـاتـ فـيـ ٢٢ـ رـبـيعـ الثـانـيـ سـنةـ ٦٣٨ـ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ـ مـ) .

عربي^(١) ، وأمثاله من أهل الضلاله القائلين بوحدة الوجود وأن الله ليس له إن شاء فعله وإن شاء نزل^(٢) ، وأن علمه مستفاد من المعلمات^(٣) ، وأن حقائق الأشياء غير مجعل^(٤) ، وإنما هي صور علمية للحق تعالى وأن أهل النار مآلهم إلى النعيم في النار^(٥) ، وأمثال ذلك من مذاهبهم الفاسدة واعتقاداتهم الباطلة .

رفع التناقض بين (لا إكراه في الدين) والجهاد

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ : (مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾)
مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ .

أقول : معنى ذلك في الكلام الذي بعده وهو : ﴿فَدَّبَّيْنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٦) ، والمراد أنه تعالى لا يكرهكم على ما لا
تعلمون أن الحق في خلافه ، بل قد بين^(٧) لكم الرشد حتى لا
يختفي على من له أدنى عقل ، فإن لم يعلم المكلف بالرشد لم

= انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(١) في نسخة أخرى : ابن أعرابي .

(٢) في نسخة أخرى : إن شاء فعل وإن شاء ترك .

(٣) في نسخة أخرى : المعلوم .

(٤) في نسخة أخرى : غير مجمولة .

(٥) في نسخة أخرى : مأكهم إلى النار بالنعيم :

(٦) سورة القراءة ، الآية : ٢٥٦ .

(٧) فِي نسخة أُخْرَى : تَيْزِنْ .

يكلفه الله تعالى لأنّه قادر على أن يبيّن له ذلك في نفسه ، وقد أخبر بأنه تعالى لا يعذب أحداً ، ولا يضلّه قبل البيان قال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْلِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾**^(١) ، وقال : **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾**^(٢) وقال : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾**^(٣)

يعني يبيّن لهم ذلك الرسول وقال صلّى الله عليه وآله : (الناس في سعة ما لم يعلموا) ^(٤) .

وقال عليه السلام : (ليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله) ^(٥) ، وأمثال ذلك .

فليس لقائل أن يقول : إن أكثرهم ما عرفوا الرشد من الغي والحق من الباطل ، لأن الله تعالى أخبر بأنه لا يضلّهم ، ولا يكلفهم بالعلم ، ولا يعذبهم إلا بعد البيان وهو أعلم بما خلق فلو

(١) سورة التوبه ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

(٤) مستدرك الوسائل : ١٨ / ٢٠ ح ٢١٨٨٦ ، وتنزكرة الفقهاء للعلامة الحلي : ٤ / ٤٠٧ ، وعوايي اللائي : ١ / ٢٠ ، والرسائل التسع : ١٣٢ .

(٥) قال صلّى الله عليه وآله : (ليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله) وقال الإمام الباقي عليه السلام : (ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم فإذا أعلمنهم فعليهم أن يعلموا) محسن البرقي : ١ / ٢٠٠ ح ٣٢ باب الهدایة من الله ، والبحار : ٥ / ٢٢٢ ح ٩ .

قال قائل : هذا مخالف للوتجدان ، قل له : هل قال الله تعالى بما قلنا عنه بأنه لا يعذب إلا بعد البيان ؟ وكذا قال رسوله صلى الله عليه وآلـه ، فإن قال لك ما قال فقد كذب الله وهو منهم ، وإن قال : إن الله تعالى قال ذلك لزمه أن الله تعالى ما عذبهم إلا بعد البيان ، فإذا ثبت أنهم عرروا الحق وتركوه عناداً لم يكن في الدين إكراه ، وإنما كان عدل الله سبحانه وهو لا يسأل عما يفعل^(١) لأنـه حكيم عـلـيـم ، وأخبرـ أنـ الفتـنـةـ أـكـبـرـ منـ القـتـلـ وـهـيـ الـكـفـرـ ، فإذا أـخـبـرـ الـعـبـدـ وـبـيـنـ لـهـ فـيـ نـفـسـهـ وـلـمـ يـقـبـلـ وـجـبـ قـتـلـهـ ، وـلـيـسـ مـنـ الإـكـرـاهـ فـيـ الدـيـنـ مـثـالـهـ أـنـ لـوـ اـضـطـرـ الـمـرـيـضـ إـلـىـ الـكـيـ بـالـنـارـ بـحـكـمـ الـحـكـيـمـ الـمـاـهـرـ فـصـبـرـهـ عـلـىـ النـارـ وـالـتـأـلـمـ بـهـ لـيـسـ بـإـكـرـاهـ ، بلـ هوـ مـطـلـوبـ بـالـعـرـضـ لـأـجـلـ طـلـبـ الشـفـاءـ بـالـذـاتـ ، فـقـتـلـ الـكـافـرـ هوـ مـنـ بـابـ تـحـمـلـ الـضـرـ لـدـفـعـ الـأـضـرـ ، فـافـهـمـ سـرـ الـمـسـأـلـةـ .

وأما قول بعضـهمـ : بأنـ قولهـ : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ مـنسـوخـ ، فهوـ أـمـرـ ظـاهـرـ ، والـسـرـ ما ذـكـرـتـ لـكـ وـلـهـ معـنىـ حـقـيقـيـ أـيـضاـ ، وـهـوـ أـنـ الدـيـنـ لـاـ يـقـبـلـ اللـهـ إـلـاـ عـلـىـ جـهـةـ الـاـخـتـيـارـ لـاـ عـلـىـ إـكـرـاهـ فـمـنـ آمـنـ مـكـرـهـاـ لـيـسـ مـؤـمـنـاـ بـلـ الـمـؤـمـنـ مـنـ آمـنـ مـخـتـارـاـ ، وـيـكـونـ الـمـعـنىـ أـنـ الدـيـنـ لـاـ يـدـخـلـ فـيـ إـكـرـاهـ وـمـاـ وـجـهـ إـكـرـاهـ ، وـالـحـالـ أـنـ الرـشـدـ قدـ تـبـيـنـ مـنـ الغـيـ ، يـعـنـيـ لـاـ عـذـرـ لـمـنـ يـؤـمـنـ مـكـرـهـاـ لـأـنـ بـعـدـ أـنـ يـتـبـيـنـ لـهـ

(١) في نسخة أخرى : يفعل وهم يسألون .

ما فيه صلاحه على أكمل بيان فما وجه الإكراه ، بل يجب قتله دفعاً للأضر ، ولو بضر أخف من الأضر ، وهذا مقتضى الحكمة .

فلسفة الحسنة والسيئة

قال سلمه الله تعالى : (ما الوجه في أن ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾)^(١) .

أقول : قد ذكرنا فيما تقدم ما يدل على الجواب فراجعه لأنني مشتغل وليس له فراغ في بسط الكلام ، إلا أنني ذكرت أن الله سبحانه خلق الإنسان من عشر قبضات تسع من الأفلاك التسعة وواحدة من الأرض وهي وجودية توافق الحسنة ، فإذا فعلها انتقشت في كل رتبة حسنة فكانت عشرة ، وأما السيئة فهي عدمية الأصل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فإذا وصلت إلى الجسم وبقيت سبع ساعات استقرت في الجسم واحدة بوحدة لكثافة السيئة ، وكونها أجنبية من الوجودات العشرة المذكورة ، فافهم .

السر في إضافة المرض للعبد والموت لله تعالى

قال سلمه الله : (ما السر في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾^{٨٠} وَالَّذِي يُمِسْتِنِي

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٠ .

ثُمَّ يَعْبِدُونَ^(١) ، حيث أضاف المرض إلى العبد والإمامية إلى الرب تعالى) .

أقول أولاً : إنما أضاف المرض إليه لأنّه هو السبب فيه كما حرق في الحكمة الطبية ، وذلك لأن الأمراض تكون من^(٢) اختلاف المأكولات والمشارب في القلة والكثرة ، وفي أوقاتها من التقدم والتأخر وبعد ما بين الأكلين والشربين والقرب وحرارة الطعام وبرودته ورطوبته وبيوسته ، فإن الإنسان خلق فيه النار وهي المرة الصفراء ، والهواء وهي الكبد^(٣) ، والماء وهو الرية^(٤) ، والأرض وهي الطحال^(٥) .

فما دامت متقاومة متعادلة فهو صحيح ، وإذا زادت واحدة على ضدها أو خلافها حدث المرض ، فقد تزيد المرة الصفراء مثلاً وهي حارة يابسة فيأتي الطبيب فيعالج^(٦) بالبارد الرطب ، فإن تعادلتا برعى المريض ، وقد يحتاج في المعايدة إلى البارد في الأولى والرطب في الثانية ، فيعطيه البارد في الأولى والرطب في الثانية ، فتهيج عليه من الرية البلغم أو بالعكس ، فتهيج عليه

(١) سورة الشعراء ، الآياتان : ٨٠ ، ٨١ .

(٢) في نسخة أخرى : إنما تكون في .

(٣) في نسخة أخرى : وهو الدم في الكبد .

(٤) في نسخة أخرى : وهو البلغم في الرية .

(٥) في نسخة أخرى : وهو السوداء في الطحال .

(٦) في نسخة أخرى : فيعالجها .

السوداء من الطحال وهكذا ، فلما كانت الأمراض أغلبها من فعل الإنسان كالمطعم والمشرب وكالحرارة العارضة من القعود والمشي في الشمس أو شم بعض العقاقير أو معالجة بعض الأعمال فيحدث منه المرض .

والحاصل أن الغالب منها مما ينسب إلى الإنسان ، فلذا قال : «**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**»^(١) .

وثانياً : أنه صفة غير محبوبة فلِم يحب أن ينسبها إلى الله تعالى ؟

وأما نسبة الموت إلى الله تعالى وإن لم يكن محبوباً عند النفس .

فيقال أولاً : إن ذلك من جهة الانقطاع إلى الله .

وثانياً : إن الموت لا مناص عنه فليس من العبد ، بخلاف المرض فيجوز أنه لا يمرض كما تشير إليه الأحاديث (أن الدواء الفلاني إذا استعمله كان كاشفاً من كل داء إلا السام وهو الموت)^(٢) .

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٨٠ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن عند رأس الحسين عليه السلام لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام) الكافي : ٤ / ٥٨٨ ح ٤ .
وقال عليه السلام : (الحجامة في الرأس هي المغيبة تنفع من كل داء إلا السام) الكافي : ٨ / ١٦٠ ح ١٦٠ .

وأما نسبة الشفاء إلى الله مع أنه في الظاهر مستند إلى الأدوية ، فلأن الأدوية وإن كانت سبباً للشفاء وضعياً إلا أنه تعالى هو الفاعل لذلك وحده ، وإن كان الإنسان هو واضح الدواء لكن الدواء ليس هو الشفاء بل قد يكون سبباً وضعياً قبوليأً له ، على قياس ما لو حرثت الأرض ونقيتها ورميت البذر وسقيتها وحميتها من الطيور أن تأكله حتى نبت قد يقال : إنك زرعت هذا على جهة المجاز لأنك لم تزرع ، وإنما رميت البذر وأجريت الماء ، وأما أنك فلقت الحب وأنبته فلا .

قال تعالى : ﴿ أَفَرَبِّيْمُ مَا تَخْرُجُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ إِنَّمَا تَزَرَّعُونَهُ أَمْ تَحْنُنُ الْزَّرِّعُونَ ﴾ ٦٤ ﴿ (١) ، سُبْحَانَهُ (٢) هُوَ الْزَّارِعُ ، وَلَذَا أَضَافَ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءِ إِلَيْهِ كَمَا أَضَافَ إِلَيْهِ الشَّفَاءَ بَلْ هُوَ أَوْلَى بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ مِنَ الشَّفَاءِ فِي الظَّاهِرِ ، لَأَنَّ الشَّفَاءَ لَهُ سَبَبٌ مِّنَ الدَّوَاءِ ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٣) .

وصلى الله على محمد وآلـهـ الأطهـارـ ، وسامـحـ فإـنـيـ إنـماـ اختـصـرتـ واقتـصرـتـ حـيـثـ إـنـيـ الـآنـ خـاطـرـيـ لـيـسـ مجـتمـعاـ وـبـدـنيـ خـصـوصـاـ حـالـ الخطـ لـيـسـ مـعـتـدـلاـ ، وـفـكـريـ منـقـسـمـ ، معـ ماـ أـنـاـ فـيـ

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٦٣ - ٦٤ .

(٢) في نسخة أخرى : فإنه سبحانه .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

من الشغل ، ولكن لما تعلق جنابك في الجواب بالحاضر قلت :
 لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .
 وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين سنة ١٢٢٩^(١) .

(١) في نسخة أخرى : ليلة الأحد السادس عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين
 ومئتين بعد ألف من الهجرة .

٩ - رسالة في شرح حديث :
(من عرف نفسه فقد عرف ربَّه)

في جواب الآخوند
ملا محمد مهدي بن محمد شفيع الأسترآبادي

رسالة في شرح حديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربَّهُ)
 الحمد لله رب العالمين وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
 الطَّاهِرِينَ .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أَحْمَدُ بْنُ زَيْدُ الدِّينِ
 الْأَحْسَائِيُّ : إِنَّهُ عَرَضَ لِي جَنَابَ الْفَاضِلِ الْأَكْرَمِ الْمُهَتَّدِيِّ الْأَخْوَنِدِ
 الْمَلَّا^(١) مُحَمَّدُ مَهْدِيُّ ابْنِ ذِي الشَّانِ الرَّفِيعِ الْأَكْرَمِ مُحَمَّدُ شَفِيعُ
 الْأَسْتَرَابَادِيِّ أَخْذَهُ^(٢) اللَّهُ بِيَدِهِ وَوَفَقَهُ لِلصَّالِحَاتِ فِي يَوْمِ لَغْدِهِ
 بِمَسْأَلَةِ عَزِيزَةِ الْمَنَالِ قَدْ كَثُرَ فِيهَا الْقِيلُ وَالْقَالُ وَلَمْ تَزُلْ مَعَ تِلْكَ
 الْحَالِ مَتَصْبِعَةً عَلَى إِفْهَامِ فَحْولِ الرِّجَالِ ، وَقَدْ طَلَبَ مِنِي بِيَانِهَا
 وَإِزَالَةِ مَا فِيهَا مِنِ الإِشْكَالِ عَلَى وَجْهِ يَحْصُلُ بِهِ الْيَقِينُ مِنْ غَيْرِ
 احْتِمَالٍ ، وَقَدْ صَادَفَ سُؤَالَهُ أَيْدِهِ اللَّهُ تَعَالَى مِنِي حَالَةً مَلَلَ
 وَتَشْوِيشَ بَالِ وَكَثْرَةَ اشْتِغَالِ بِكَثْرَةِ الْأَعْرَاضِ وَمَلَازِمِ الْأَمْرَاضِ ،
 وَلَمْ يَسْعَنِي الاعتذارُ مِنْهُ لِكَوْنِهِ أَهْلًا لِذَلِكَ فَأَتَيْتُ بِمَا حَضَرْنِي مِنْ
 الْمَقْدُورِ إِذَا لَا يَسْقُطُ الْمَمْسُورُ بِالْمَعْسُورِ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجُعُ الْأُمُورُ .

وَهِيَ قَوْلُهُ سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (نَلْتَمِسُ مِنْكُمْ شَرْحَ الْحَدِيثِ

(١) فِي نسخةٍ : الْأَخْ الْأَعْزَ الشِّيْخُ .

(٢) فِي نسخةٍ : أَخْذُ .

المشهور : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ^(١) من غير إيجاز مخلّ، بل إما بطريق الإطناب ولو انجر إلى كتاب أو المساواة ويكفيه رسالة ، والمرجو ^(٢) كشف المرام عن ^(٣) هذا الكلام من غير حوالة .

أقول : روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآلـه أنه قال : (أعـرفكم بـنفسـكم بـربـه)⁽⁴⁾ ، وعن أمـير المؤـمنـين عليه السلام أنه قال : (من عـرف نـفسـه فقد عـرف ربـه) انتـهى .

وهذا المراد من الروايتين لا يكاد يختلف فيه^(٥) من الحكماء المتقدمين والمتاخرين والعلماء أجمعين والكتاب والسنّة والعقل شاهدة بهذا المعنى .

وإنما اختلف العلماء والحكماء في المعنى^(٦) المراد منه ، حتى أن منهم من توهם أن المراد بالنفس الرب عز وجلّ ومنهم

(١) انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوايي اللاللي : ١ / ٥٤ ، وبخار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١-١٧٢ مورداً الآية ١٠٥ من المائدة_البحث الروائي .

(٢) في نسخة : المرجو منكم .

(٣) من نسخة في .

(٤) مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي : ٢٩٧ ، والاقتصاد للطوسي : ١٤ ، وروضة الوعاظين للفتال : ٢٠ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧٠ .

(٥) في نسخة : فيه اثنان .

(٦) في نسخة : معنى .

من جعلها من لوازم الذات^(١) الحق فمن عرفها عرف الحق^(٢) تعالى ، ومنهم من جعلها محلاً له تعالى ، ومنهم من جعله تعالى محلاً لها ، ومنهم من جعلها صورة للحق تعالى إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .

الأقوال في حديث معرفة النفس

واعلم أن الأقوال الصحيحة أو القريبة من الصحة منها ظاهري وإقناعي وآثاري ومنها حقيقي ، وال حقيقي مختلف ، ونشير إلى بعض ذلك على جهة التنبيه^(٣) ، فقيل : إن قوله عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) من باب التعليق على المحال ، فإن معرفة النفس محال ، فكذا معرفة كنه ذات الحق عزّ وجلّ .

ويرد على هذا حال الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام فإنهم يعرفون أنفسهم ، وقد دل مفهوم الآية على ذلك وهي قوله تعالى : ﴿مَا أَشَدَّ ثُبُّهم خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُثُرَ مُتَّخِذَ الْمُعْصِلِينَ عَضْدًا﴾^(٤) فقد دل مفهوم الآية والصفة أن الله

(١) في نسخة : الذات .

(٢) في نسخة : فمن عرفها فقد عرف الذات الحق .

(٣) في نسخة : التنبيه فنقول إنه قيل .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٥١ .

سبحانه أشهد الهادين عليهم السلام خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم واتخذهم أعضاداً ، يعني بخلقه^(١) كما ذكره الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب في قوله عليه السلام : (أعضاً وأشهاد ومناء وأذواد وحفظة ورواد ، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)^(٢) الدعاء .

وك قوله تعالى : ﴿سَرِّيْهُمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) الآية ، فإذا عرفوا أنفسهم عرفوا ربهم ، فأين التعليق على المحال ؟ !

وقيل : كما نقل عن النبي داود على محمد وآلـه وعليه السلام أنه قال ما معناه : (من عرف نفسه بالجهل^(٤) عرف ربـه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربـه بالقدرة) وهكذا .

(١) في نسخة : لخلقه .

(٢) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لوحيدك وأياتك ، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنـهم عبادك وخلقك ، فتقـها ورتـها بيـدك ، بدـؤها منـك وعوـدها إـليـك ، أـعـضـادـ وأـشـهـادـ ، وـمـنـاءـ وأـذـوـادـ ، وـحـفـظـةـ وـرـوـادـ ، فـبـهـمـ عـلـيـهـمـ سـلـامـ مـلـأـتـ سـمـاءـكـ وأـرـضـكـ حتـىـ ظـهـرـ أـنـ لاـ إـلـهـ إـلـاـ أـنـتـ) مـصـبـاحـ الـكـفـعـمـيـ : ٢ / ٧٢ ، وـمـصـبـاحـ الـمـتـهـجـدـ : ٨٠٣ ، وإـقـبـالـ الـأـعـمـالـ لـابـنـ طـاوـسـ : ٣ / ٢١٤ .

(٣) سورة فصلت : ٥٣ .

(٤) في نسخة : (بالجهل فقد) .

وهذه المعرفة ظاهرها قريب إلى الأفهام ، وباطنها يطول فيه الكلام ، وحاصله يظهر مما يأتي إن شاء الله تعالى .

معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين

وقيل : من عرف نفسه^(١) معناه عرف نفسه الحيوانية الحسية الفلكلية بأنها ليست في مكان من الجسد ولا يخلو منها مكان منه وليس فيه على جهة الحلول ولا باینة منه ، بل هي فيه لا كالماء في الكوز ولا كشيء داخل في شيء^(٢) كالماء في العود الأخضر ، ولا هي خارجة عنه كشيء خارج ولا ممتازة ولا مصاحبة^(٣) ، بل مدبرة للبدن بغير مباشرة ولا مشاركة له في شيء من أحوال الأجساد ، فمن^(٤) عرف نفسه كذلك فقد عرف ربّه تعالى بأنه مدبر للعالم^(٥) لا يخلو منه مكان ولا يحويه^(٦) ، داخل لا كشيء داخل خارج لا كشيء خارج إلى آخر ما ذكر في صفة النفس ، وهذه معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين .

(١) في نسخة : نفسه فقد عرف ربّه .

(٢) في نسخة : شيء ولا هي داخلة فيه كشيء داخل .

(٣) في نسخة : مصاحبة معه .

(٤) في نسخة : ممن .

(٥) في نسخة : للعالم وأنه .

(٦) في نسخة : لا يحويه مكان .

معرفة أهل الآثار

وقيل^(١) : من عرف نفسه أنه مصنوع فقد عرف أن له صانعاً ، ومن عرف أن نفسه^(٢) أثر عرف^(٣) أن له مؤثراً وهكذا هو ، وهذه معرفة أهل الآثار .

وقيل^(٤) : من عرف نفس في قوله : روحي وجسدي ويدني ورجمي وعيني ورأسي وجودي ، فهذا الذي أضفت إليه هذه الأشياء وما أشبهها هو غيرها ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فمن عرف هذه المعبر عنه بضمير المتكلم^(٥) عرف ربّه في قوله تعالى : (عبدي وأرضي وسمائي وعرشي وبيتي) وما أشبه ذلك ، ويريد هذا القائل بالنفس الناطقة التي أصلها العقل منه بُدئت عنه وَعَتْ وإليه دَلَّتْ وأشارت ، وهذه النفس أعني الناطقة في الإنسان الصغير بمنزلة اللوح المحفوظ في الإنسان الكبير ، وحيث ثبت أن في كلّ شيء له آية تدل على أنه واحد كانت هذه النفس تدل على وحدانيته عَزَّ وجلَّ .

(١) في نسخة : قيل معناه بأنه .

(٢) في نسخة : من عرف نفسه بأنه .

(٣) في نسخة : عرف ربّه .

(٤) في نسخة : قيل معناه .

(٥) في نسخة : المتكلم فقد .

المعرفة الحقيقية للرب والنفس

واعلم أن هذه الأقوال تدل على المعرفة الظاهرة .

وأما المعرفة الحقيقة فهي معرفة النفس التي هي كُنه الشيء من ربّه لأنَّه تعالى خلق الإنسان وأول^(١) كونه كانت له حقيقة من ربّه وحقيقة من نفسه ، فالتي من ربّه هي النور المعتبر عنه تارة بالماء الذي جعل منه كلّ شيء حي ، وتارة بالوجود ، وتارة بالنور كما قال عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(٢) .

وقال الصادق عليه السلام : (إنَّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخوه لأبيه وأمه أبوه النور

(١) في نسخة : فأول ما .

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ . ولفظه في البصائر والمحاسن والبحار : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الذي خلق منه) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) .
قال ابن عباس : كيف ينظر بنور الله ؟

قال عليه السلام : (لأنَّا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا ، فهم أصفياء أبرار أطهار متوسّمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء) بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٠ ح ٣٢ ، وعيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ .

وأمه الرحمة^(١) ، ثم استشهد بقول^(٢) جدّه أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ، ثم قال عليه السلام : (يعني بنوره الذي خلق منه)^(٣) انتهى .

وتارة يعبر عنه بالفؤاد كما قال الصادق عليه السلام ما معناه : (إذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد أحب ، وإذا أحب لم يؤثر ما سوى الله عليه)^(٤) انتهى .

وتارة يعبر عنه بالمادة الأولى كما هو مبني^(٥) طريقتنا إذا قلنا الوجود وأردنا منه^(٦) الموصوفي لا الصفتى كالمصدر^(٧) ،

(١) محسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات للصفار : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٣ ح ٢ .

(٢) في نسخة : بكلام .

(٣) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ٧ ح ١٥ ح ٢٢٤٣ ، ومحسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ . في البصائر والمحاسن والبحار : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الذي خلق منه) .

(٤) مستدرك الوسائل : ١٢ / ١٦٨ ح ١٣٧٩٨ ، ومصباح الشريعة : ١٢٠ باب ٥٦ ، وبحار الأنوار : ٦٧ / ٢٣ ح ٢٢ ولفظه فيهم : (إذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة ، وإذا هاج ريح المحبة استأنس في ظلال المحبوب ...) .

(٥) في نسخة : مبني على .

(٦) في نسخة : منه الوجود .

(٧) في نسخة : كالمصدرى .

والرابطي والعام^(١) وما أشبهها ، فإننا نعني بالوجود الذي هو الذات المادة^(٢) ، فلإنسان كنهان^(٣) كنهه من ربّه^(٤) النور الذي هو مادته الأولى ، وكنهه من نفسه^(٥) الظلمة وهو^(٦) الصورة أعني انفعاله وقابليته للإيجاد وهي المسمى بالماهية ، والكتن الأول هو النفس التي من عرفها فقد عرف ربّه ، يعني أن عين معرفتها عين معرفة الله ، لا أن هنا معرفتين : معرفة النفس ومعرفة الرب ، لأنه قال عليه السلام : (فقد عرف ربّه) ، وقد للتحقيق ، وقد دلت^(٧) أن المعرفة واحدة بجهة^(٨) .

وفي بيان هذا الحرف دفع الإشكال المشار إليه سابقاً ، والبيان علىحقيقة الأمر يتوقف على بيان معرفةحقيقة النفس ، وعلى بيان كيفية الوصول إلى ذلك .

(١) في نسخة : الغائي .

(٢) في نسخة : المادة وذلك .

(٣) في نسخة : فإن لإنسان كنهين .

(٤) في نسخة : ربّه وهو .

(٥) في نسخة : نفسه وهي .

(٦) في نسخة : هي .

(٧) في نسخة : دلت على .

(٨) في نسخة : بجهته .

بيان معرفة حقيقة النفس

فال الأول^(١) : اعلم أن النفس التي هي حقيقتك من ربّك هي التي إذا عرفتها^(٢) عرفته تعالى ، وهي النور فإن النور هو صفة المنير^(٣) فمن عرف الصفة عرف الموصوف^(٤) ، لأن الموصوف إنما يعرف بصفته .

ومعنى قولنا : إن حقيقتك من ربّك إذا عرفتها فقد عرفت ربّك ، أنه تعالى لما كان لا يعرفه أحد غيره لا^(٥) بما وصف به نفسه وأراد بكرمه عليك ورحمته لك أن تعرفه ، وصف نفسه وألبسه صورة قبوله وأنزله في رتبته من أковان الإمكان فظهر إياك^(٦) فأنت ذلك الوصف فذاتك وحقيقتك التي هي نفسك هي ذلك الوصف ، فإذا كانت نفسك هي وصف الله الذي وصف به نفسه لك ومن عرف الوصف عرف الموصوف ، لأن الموصوف لا يعرف إلا بوصفه ، كنت إذا عرفت نفسك عرفت ربّك .

ومثال حقيقتك التي وصف الله نفسه لك كصورة السراج في المرأة ، فإن الصورة إذا عرفت نفسها التي من جهة السراج وهي

(١) في نسخة : أما الأول .

(٢) في نسخة : عرفتها فقد .

(٣) في نسخة : المعنى .

(٤) في نسخة : الموصوف بها .

(٥) في نسخة : إلا بما .

(٦) في نسخة : إياك .

مادة الصورة وهي هيئة شعلة السراج عرفت شعلة السراج ، لأن مادة الصورة هي صفة الشعلة المنفصلة أعني الهيئة التي أشرقت على المرأة لا الهيئة التي قامت بالشعلة قيام عروض لأنها متصلة بها لا تنفصل عنها .

وإنما ينفصل شبحها وهو الواقع على المرأة وهو حقيقة الصورة من الشعلة ، فالصورة في المرأة إذا عرفت نفسها التي هي هيئة الشعلة عرفت الشعلة التي هي ربها ، وصورة الصورة هي حقيقة الصورة من نفسها التي هي ^(١) هيئة المرأة من كبر وبياض وصفاء واستقامة وأضدادها ، فالنار الغائبة في السراج هي آية ذات الله عزّ وجلّ وحرارتها هي آية المしまいة والدهن المستحيل بحرارة النار دخانًا هي آية الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، والدخان المستنير بمسّ النار الذي حصل منه الشعلة أي من مجموعهما ، هو آية المقامات التي لا فرق بين الله سبحانه وبينها في المعرفة إلا أنها عباده وخلقه ^(٢) ، وهي العنوان وهي المثال وهي بالنسبة إلى الواجب الحق تعالى كالقائم بالنسبة إلى زيد .

(١) في نسخة : هي من .

(٢) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانًا لتوحيدك وآياتك ، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتفها بيديك ، بدعوها منك وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، وحفظة ورواد ، فَيُمْ عليهم السلام ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا =

والصورة التي في المرأة إنما تحكي صورة الشعلة القائمة بها ، لأن الحاكية^(١) أصلها الصورة القائمة بالشعلة وهي الوجه ، وهي مثال النار وعنوانها والصورة في المرأة إنما تعرف أصلها ، ولا تعرف النار التي هي آية الله ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (انتهى المخلوق إلى مثله وألْجَأَ الْطَّلْبَ إِلَى شَكْلِه)^(٢) .

= إله إلا أنت) مصباح الكفعمي : ٢ / ٧٢ ، ومصباح المتهدج : ٨٠٣ ، وإقبال الأعمال لابن طاوس : ٣ / ٢١٤ .

(١) في نسخة : الحكاية .

(٢) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (إن قلت : ممّ هو ؟ فقد باین الأشياء كلّها ؟ فهو هو ، وإن قلت : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت : له حدّ فالحدّ لنفسه ، وإن قلت : الهواء نسبة فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألْجَأَ الْطَّلْبَ إِلَى شَكْلِه ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقد ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مفترض من بحار مجده بلسان الثناء شاكر ...) .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود ، دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بماناة . له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ومعنى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه ربّ وغيره خلق . له تأويل البيونة لا يبنونه له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من =

وأما صورة الصورة التي هي من هيئة زجاجة المرأة فلا تعرف الصورة بها هيئة الشعلة ، لأنها ليس صفة لها فكذلك نفسك التي هي حقيقتك من ربِّك تعرف بها ربِّك لأنها وصفه أي وصف الرب الذي هو المثال والعنوان والوجه ، لأن حقيقتك هذه هي الفؤاد ، وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتoscم أي صاحب الفراسة وهي المسماة بوجودك في اصطلاحهم .

وأما حقيقتك من نفسك التي هي مثالك وهي الظلمة والماهية فلا تعرف بها ربِّك لأنها هي أنت والله سبحانه لا يعرف بك بخلاف حقيقتك من ربِّك التي هي وصفه الذي وصف به نفسه لك لتعرفه بهذا الوصف ، فإنه وصف فهواني خاطبك عزًّا وجلًّا به مشافهة حين قال لك في عالم الذرّ : (أَلست بربِّك ومحمد نبيك وعليّ وليك والأئمة من ولده أئمتك ؟

= أطرح تحت البلاء ، ولا يعمود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كيونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء بائنة لا بينونة غائب عنها . . . إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .
رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، وجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

فقلت : بلى) وقولك : بلى ، هو حقيقتك من نفسك وخطابه تعالى هو الوصف الفهواني الشفاهي على جهة العيان والتصريح في البيان فتمت كلمته وبلغت حجته ، ﴿ وَمَا رَأَيْكَ بِظَلَّمٍ لِلْعَيْدِ ﴾^(١) ، وفي المقام أسرار ودقائق لا تظهر ولا تعلم إلا بالمشاهدة .

بيان كيفية الوصول إلى معرفة حقيقة النفس

وأما الثاني - وهو بيان كيفية الوصول إلى معرفة ذلك الأنموذج الفهواني والوصف الشفاهي الرباني - : فقد جمعه حديث كميل حين سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة وهي معرفة هذه الحقيقة التي نحن بصدده بيانها^(٢) ، فقال عليه السلام : (ما لك والحقيقة يا كميل) ؟

قال كميل : أولست صاحب سرك ؟

قال عليه السلام : (بلى ولكن يرشح عليك ما يطفع مني) .

قال : أومثلك يخيب سائلاً ؟

قال عليه السلام : (الحقيقة كشف سبعات الجلال من غير إشارة) .

قال : زدني بياناً .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

(٢) في نسخة : بيانها بقوله ما الحقيقة .

قال عليه السلام : (محو الموهوم وصحو المعلوم) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (هتك الستر وغلبة السر) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (جذب الأحديّة بصفة التوحيد) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على
هياكل التوحيد آثاره) .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (أطفئ السراج فقد طلع الصبح)^(١) .

شرح حديث كمبل في كشف سمات الجنال

قوله عليه السلام : (كشف سمات الجنال من غير إشارة) ، قد يبيّن فيه جميع أنحاء التجريد والمراد بالسمات أشعة الجنال ، وهي الشؤون والصفات والجنال ، يراد منه هنا ذات الشخص ، أعني حقيقته من ربّه ، وكيفية تجريد السمات أن تلقي عن ذاتك في الاعتبار والوجودان جميع شؤون ذاتك ، فلا تنظر

(١) شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للأملي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

إلى حركتك أو سكونك أو نومك أو يقظتك أو ضحكت أو بكائك أو كونك في أو على أو من أو فيك أو^(١) أبو فلان أو ابن فلان أو حادث أو قديم أو موجود أو مفقود أو اتصال أو انفصال أو اجتماع أو افتراق أو^(٢) مطابق أو مباين أو واجد أو فاقد ، و^(٣) كل معنى أو صفة أو حال سواء كان اعتباراً أو فرضاً واحتمالاً وتتجوياً ذهناً أو خارجاً أو نفس الأمر فكلّ ما يصدق عليه أنه شيء بكلّ اعتبار تلقيه عن النظر إلى نفسك وتسقطه عن عين الاعتبار لأنّه مغاير لنفسك ، فإذا ضممت شيئاً آخر إلى نفسك في معرفتها لم تعرفها وإنما عرفت شيئاً بعضه نفسك ، كما إذا عرفت نفسك بالحدث فإنك عرفت مرتكباً .

وبهذا لا يعرف الله لأنّه تعالى ليس بمركب فلا يعرف بمركب ولا^(٤) بدّ من كشف سمات الجلال كلها حتى الإشارة كما قال عليه السلام ، بمعنى أنك تجرد نفسك عن جميع السمات وأي الشؤون والنسب والصفات والأفعال والأحوال والتضائف والأوضاع حتى عن التجريد إلى أن لا يبقى إلا محض الذات ، وهو أنموذج وصفي وخطاب فهواني لأنّه مثل بكسر الميم وسكون

(١) في نسخة : أو أنك .

(٢) في نسخة : أو أنك .

(٣) في نسخة : وتلقي عنك .

(٤) في نسخة : فلا .

الثاء للوجه أي العنوان والمقامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان وهو مثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَيْءٌ﴾ لأنه آية الله الذي ليس كمثله شيء .

ولو كان هذا الباقى بعد التجريد له مثل لم يعرف به الرب عزّ وجلّ لأنه تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَيْءٌ﴾^(١) ، ولو كانت نفسك بعد التجريد التام حتى عن التجريد لها مثل بكسر الميم وسكون الثاء لما كانت معرفتها معرفة الرب عزّ وجلّ ، لأنه تعالى لا يعرف بالمثل وإنما يعرف بأنه لا مثل له ، فيجب أن تكون الآية الدالة عليه أنها^(٢) لا مثل لها .

فإن قلت : نفسي لها مثل وهو نفسك .

قلت لك : نعم ، ولكن نفسي في كونها مثلاً لنفسك ليست هي نفسك بل غيرها ، فإذا كانت غير نفسك وجب في تجريد نفسك نفي المغایر والمماثل حتى لا يبقى إلا محض النفس وليس المماثلة جزء ماهيتها ، فإذا جردتتها في الاعتبار والوجودان عن كلّ مماثل وكلّ مخالف بقي شيء لا يشبه شيئاً ، لأن المتشابهة ليست جزءاً لكنها ، فإذا وصلت في تجریدها إلى أن يبقى^(٣) شيء ليس كمثله شيء ، فإذا عرفت شيئاً ليس كمثله شيء فقد عرفت ربك

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) في نسخة : أنها أيضاً .

(٣) في نسخة : أن لا يبقى .

لأنه تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »^(١) ، لأن نفسك حينئذ آية الله التي ذكرها في كتابه ، فقال تعالى : « سَرِّيهُمْ أَيَّتِنَا فِي الْأَزْفَاقِ وَنَحْنُ أَنفُسُهُمْ حَتَّى يَبْيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »^(٢) ، والآية التي أراها^(٣) في نفسك نفسك إذا كشف عنها سمات الجلال ، فإنها آية الله الدالة عليه وصفته التي من عرفها عرفه .

وهي كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)^(٤) .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٣) في نسخة : أراها إياك .

(٤) قال عليه السلام في خطبته : (وإن قلت : ممّ هو ؟ فقد بابن الأشياء كلّها ؟ فهو هو ، وإن قلت : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلت : الهواء نسيه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف ، وعمى القلب عن الفهم ، والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وأتجاه الطلب إلى شكله ، وهجم به الفحص إلى العجز ، والبيان على الفقد ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مفترض من بحار مجده بلسان الثناء شاكر ..) .

والجلال في الحديث بمعنى الحجاب ، لأن نفسك أعظم الحجب وأغلظها وبافي الحجب بالنسبة إليك شؤونك التي هي السبحات في الحديث لأنه عَزَّ وجلَّ احتجب عنك بك أي احتجب عنك بنفسك مع شؤونها وسبحاتها ، فإذا ألقيت السبحات رقت نفسك ولطفت فعرفته بها ، لأنه تجلَّى لها بها كما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام : (لا تحيط به الأوهام بل تجلَّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) ^(١) انتهى .

وروي (أن نبياً من أنبياء الله عليهم السلام ناجي ربّه ، فقال : يا ربّ كيف الوصول إليك ؟ فأوحى الله تعالى إليه ألقِ نفسك وتعالى إلي) ^(٢) انتهى .

والمراد بالإلقاء هو عدم التفاته إلى نفسه أصلاً بأن يطرحها من الوجدان والالتفاتات عليها .

وقوله عليه السلام في بيان الزيادة : (محو المoho وصحو

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : (واحد لا بعد ، و دائم لا بأمد ، و قائم لا بعمر ، تتلقاء الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضرها ، لم تحاط به الأوهام ، بل تجلَّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأنأً وعظم سلطاناً) .

(٢) لم نجد في ما توفر لدينا من مصادر .

المعلوم) معناه : أن كشف سمات الجلال هو محو الموهوم ، لأن الإنية التي تلك السمات والسؤالون أركانها التي تتقوم بها موهومة بمعنى أنها ليست شيئاً بنفسها ، وإنما هي^(١) بأمر الله الفعلى أعني المشيئة ، وبأمر الله المفعولي أعني الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾^(٢) .

وقوله عليه السلام : (هتك الستر وغلبة السرّ) معناه أن كشف سمات الجلال من غير إشارة هو هتك للستر^(٣) الذي هو الحجاب الذي يستر العبد عن مشاهدة آيات رب سبحانه ، لأن السمات تغطي قلوب العارفين عن رؤية أنوار التوحيد فكشف السمات هو هتك الأستار والحجب المانعة ، وعنده يغلب ظهور السرّ الذي هو معرفة نفسك بأنك أنموذج فهواني ووصف صمداني خاطبك الله بك^(٤) .

وقوله عليه السلام : (جذب الأحديّة لصفة التوحيد) معناه كالذي قبله يعني أن كشف سمات الجلال^(٥) هو أن يجذب

(١) في نسخة : هي شيء .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٨ .

(٣) في نسخة : الستر .

(٤) في نسخة : ووصف هذا صمداني خاطبك الله به وبعبارة بك .

(٥) في نسخة : الجلال من غير إشارة .

الجلال الذي هو الأحدي هنا سبحاته التي هي صفة التوحيد بأن تمحوها عن^(١) مراتب وجدانها بعد الالتفات إليها .

وقوله : (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) معناه أن تلك الحقيقة التي من عرفها^(٢) عرف ربّه نور أشرق من صبح الأزل ، وصبح الأزل هو مشيئة الله وإرادته والله سبحانه هو الأزل يعني أن تلك الحقيقة التي هي نفسك من ربّك ، أعني وجودك وفؤادك نور صدر من فعل الله فخرج على هيئة الهدىين الموحدين آثاره ، أي آثار ذلك النور المشرق وهو^(٣) أنت فإنك آثار حقيقتك أي على صورتها .

وقوله عليه السلام : (أطفئ السراج فقد طلع الصبح) انتهى ، يعني به إذا أردت أن تعرف المعلوم فانف عنك السبحات المohoمة التي هي بها تحس^(٤) ظاهراً أنك موجود كالسراج الذي تستضيء في الليل الأجسام به والطبيعة ، فقد طلع صبح الوجود فأطفئ عنك ما هو كالسراج إذا طلع الصبح ، فافهم .

واعلم أن هنا وجهاً آخر غير ما ذكر كله وهو سهل التناول

(١) في نسخة : من مراتب .

(٢) في نسخة : عرفها فقد .

(٣) في نسخة : وهي .

(٤) في نسخة : تحس بها .

على الأفهام وهو^(١) إذا عرفت نفسك أنك^(٢) أثر عرفت المؤثر ، لأن معرفة الأثر تستلزم معرفة المؤثر ، وإذا نظرت إلى نفسك وعرفت أنك مصنوع عرفت أن لك صانعاً ، وإذا نظرت إلى أنك أنت أنت لم تعرف بهذا أن لك صانعاً ، لأن إنيتك ظلمة والظلمة لا يبصر بها الناظر ولأنها صفتكم وصفة الشيء لا يعرف^(٣) غيره بخلاف حقيقتك منه تعالى ، أي من فعله فإنها أثر والأثر يدل على المؤثر لأنه صفة استدلال على المؤثر ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) انتهى ، وفي ما أشرنا إليه في بيان قوله عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) كفاية لأولي الألباب ، وصلى الله على محمد وآلـه الأطـيـاب .

وقع الفراغ من تسويد هذه الكلمات بقلم منشئها العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي الهجري في الساعة الرابعة من اليوم الثاني من صفر سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآلـه أفضـل الصلة وأذـكي السـلام .

والحمد لله رب العالمين .

(١) في نسخة : هو أنك .

(٢) في نسخة : بأنك .

(٣) في نسخة : لا يعرف بها .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الفاتحة		
- ﴿ مَلِكٍ ﴾	٤	٣٥٣
سورة البقرة		
- ﴿ كُلُّوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾	٥٧	٣٤
- ﴿ وَقَدْ كَانَ قَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	٧٥	٣٤٨
- ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	٧٩	٤٢٩ ، ٣٤٨
- ﴿ أُولَئِكَ يَأْكُلُونَ اللَّهَ وَيَأْكُلُونَهُ اللَّهُعْنُونَ ﴾	١٥٩	١٤٠

٣٤٩	١٧٣	- ﴿ وَيَشْرُونَ بِهِ مَنَا قَلِيلًا ﴾
٣٦	١٨٧	- ﴿ هُنَّ لِيَاسِنُكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسِنُ لَهُنَّ ﴾
٢٩٠	٢١٣	- ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحْدَةً ﴾
٣٥٦	٢٥٥	- ﴿ إِلَهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ ﴾
٤٤١	٢٥٦	- ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ ﴾
٤٣٣	٢٧٥	- ﴿ ذَلِكَ يَأْتِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الْرِّبَا ﴾

سورة آل عمران

٢٩٦	١٣٤	- ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
٢٨٠	١٨٢	- ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَنِيدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

سورة النساء

٣٥٣	٣	- ﴿ وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَأَنْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ مِنَ السِّلَامِ ﴾
٢٨٧	١٠	- ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾
٣٠٣ ، ٢٩٩	٤٨	- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ ﴾
٢٩٣	٥٦	- ﴿ كُلُّمَا نَصَبَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

٤٤٢

١١٥

الْهُدَى ﴿

- «وَمَن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ

٤٢٩ ، ٣٥١ ، ٣٤٩

١٥

- «يَتَاهَلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَبِ»

٣٤٩

٤١

- «يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ
يُسْرِعُونَ فِي الْكُفَرِ»

٣٥١

٤١

- «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
أَخْرَيْنَ»

٤٢٧ ، ٣٥٨

٦٧

- «يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ يَلْعَغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتِ رِسَالَتُهُ»

١٣٤

٢٤ - ٢٢

سورة المائدة

- «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعَمُونَ

۲۲

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ فَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا
كُنَّا مُشْرِكِينَ

۲۳

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى
أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

۲۴

- «وَلَوْ تَرَى إِذَا مُقْفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَنَا
نُرُوذُ وَلَا نُكَذِّبُ إِنَّا يَقِنَّا وَنَكُونُ مِنَ

٢٨٩

٢٧

الْمُؤْمِنِينَ»

سورة الأنعام

- «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعَمُونَ

۲۲

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ فَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا
كُنَّا مُشْرِكِينَ

۲۳

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى
أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

۲۴

- «وَلَوْ تَرَى إِذَا مُقْفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَنَا
نُرُوذُ وَلَا نُكَذِّبُ إِنَّا يَقِنَّا وَنَكُونُ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ»

- ٢٨٩ ٢٨ - ﴿ وَلَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا تَهْوَى عَنْهُ ﴾
- ٣٩ ٣٩ - ﴿ صُدُّ وَبِكُمْ فِي الظُّلْمَاتِ ﴾
- ٨١ ٩١ - ﴿ قُلَّ أَلَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾
- ١٣١ ١٠٣ - ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
- ٣٤ ١٢٢ - ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾
- ٢٥٦ ١٢٢ - ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ ﴾
- ٤٤٠ ١٢٥ - ﴿ فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرَحُ صَدَرَهُ لِإِلْسَانِ ﴾
- ٤٠٧ ١٣٢ - ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾
- ١٣٩ ١٣٩ - ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلَيْهِ ﴾
- ٢٨٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٠ ١٣٩ - ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْهُمْ ﴾
- ٤٤٤ ١٦٠ - ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزِي إِلَّا مِثْلَهَا ﴾

سورة الأعراف

- ٣٥ ٢٦ - ﴿ وَلِبَاسُ النَّقَوْيِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ ﴾
- ٢٦ - ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَاءَمُوا وَأَتَقْوَىٰ

		لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
٢٨٠	٩٦	وَلَذِكْنَ كَذَبُوا فَأَخْذَنَهُمْ ﴿١﴾
٣٠١	١٥٦	- «فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ» ﴿٢﴾
٣٤١	١٥٦	- «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ» ﴿٣﴾
		- «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ
٤٢٩ ، ٣٥١ ، ٣٤٧	١٤٥	شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» ﴿٤﴾
٢٥٩ ، ١٨٢	١٧٢	- «الْأَسْتَرْ يَرِيْكُمْ ﴿٥﴾
٣٠٣ ، ٢٩١		
٣٨٣	١٧٢	- «الْأَسْتَرْ يَرِيْكُمْ قَالُوا بَلْ
١٣٢	١٨٠	- «وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ﴿٦﴾
		- «وَلَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرِثُ مِنَ
١٥٨	١٨٨	الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَى السُّوءَ» ﴿٧﴾

سورة التوبة

		- «يَوْمَ يُحْمَنَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُنكِحُونَ بِهَا جِهَاهُهُمْ وَجُهُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَتَزْتُمْ لَا نَفْسٌ كُوْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْرِثُونَ» ﴿١﴾
٢٨٧	٣٥	
١٣٣	٥١	- «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ

١٢٥	١١١	<p>- ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُم﴾</p>
٤٤٢ ، ٣٠٣	١١٥	<p>- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلِّ فَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقَوْنَ﴾</p>
٢٠٦	١٢٩	<p>- ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾</p>

سورة يونس

١٠٢	٣٥	<p>- ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ﴾</p>
	٤٤	<p>- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾</p>
٢٩٦		

سورة هود

٣٥٣	١٧	<p>- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَنَا مِنْ رَبِّهِ، وَسَلَّوَهُ شَاهِدٌ فِيهِ وَمِنْ قَبْلِهِ كَيْنَبُ مُوسَىٰ إِمامًا وَرَحْمَةً﴾</p>
١٥٤ ، ١٥٣	٤٩	<p>- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾</p>
١٩١	١١٢	<p>- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾</p>

سورة يوسف

- ﴿نَحْنُ نَقْعُضُ عَلَيْكَ أَخْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا

- أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ
مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٥٤﴾
- ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهُ إِلَيْكَ وَمَا
كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَنْكِرُونَ ﴿١٥٤﴾
- «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
مُشْرِكُونَ ﴿١٠٢﴾
- «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّلنَّاسِ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٣﴾
- «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ
كُلِّ شَيْءٍ ﴿١١١﴾
- «لَمْ يَمْعِنْهُمْ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿٣٦٢﴾

سورة الرعد

- إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٤٢٧﴾
- «لَمْ يَمْعِنْهُمْ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١٣٣﴾
- «قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ﴿٤٤٧﴾
- ٧
- ١١
- ١٦

- « حَنَّ يَأْتِي وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُفُ
الْمِيعَادَ » ٢٠٠
- « أَفَنَّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ » ١٣٣
- « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » ١٥٣

سورة إبراهيم

- « تُوقِّتُ أَكُلُّهَا كُلَّ حِينٍ » ٢٨٧ ، ٢٥٧

سورة الحجر

- « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ » ٣٦١ ، ٣٥٥ ، ٣٤٦
- « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا
نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ » ٣١٥

سورة النحل

- « أَمَوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٌ » ٢٥٦
- « وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْحِذُوا إِلَيْهِمْ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا
هُوَ إِلَهُهُمْ » ٣٤٠ ، ١٢٩
- « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيوْتًا تَسْتَخْفُونَهَا
يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَكُمْ وَمَنْ

أصوافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَّعًا
إِلَى حِينٍ ﴿٢٣٥﴾

٢٨٠	٧	- «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ»
٤٤٢	١٥	- «وَمَا كُلَّا مُعَذِّبِينَ حَقَّ بَعْثَ رَسُولًا»
٣٠	٢٨	- «وَلَا تَبْسُطْهَا كُلُّ الْبَسْطِ فَنَقْعَدُ مَلُومًا تَخْسُورًا»
٢٨٥	٣٣	- «فَلَا يُسْرِفُ فِي الْفَتْلِ»
١٠٦	٧٢	- «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَنَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَنَ وَأَضَلُّ سَيِّلًا»
٤٢٦	٨٦	- «وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ»

سورة الكهف

٤٧٠	١٨	- «وَتَخَسِّبُوهُمْ أَنْقَاضًا وَهُمْ رُقُودٌ»
٤٥٣ ، ٢٢٧	٥١	- «مَا أَشَهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُعْذِلِينَ عَضْدًا»
١٣٤	١٠٤	- «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمُنْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَخْسِبُونَ صُنْعًا»

- «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّ الْقِدَمَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفَدَ كَلِمَتُ رَبِّ وَلَوْ جِئْنَا
بِمِثْلِهِ مَدَدًا» ٣٣٥ ، ٥٢
- «قُلْ إِنَّا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ» ١٥٨
- «وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» ٣٤٠ ، ١٣٣ ، ١٢٩

سورة مریم

- «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيشًا» ٤٠٤

سورة طه

- «أَرْجَحُنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي» ٢٠٦
- «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» ١٠٩
- «أَنَوْكَحُوا عَلَيْهَا وَاهْشِبْهَا عَلَى غَنَمِي
وَلِي فِيهَا مَثَابِرُ أُخْرَى» ٣٨
- «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» ١٣٢

سورة الأنبياء

- «وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصَفُونَ» ٢٧٠
- «أَمْ لَهُمْ عَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» ١٣٢
- «أَنِي مَسَنِيَ الظُّرُّ» ٤٣٤

سورة الحج

- «وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا» ٢٦٨

٢٩٦

٤٧

وَعْدُهُ

- ﴿ وَسَتَعِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ

وَعْدُهُ ﴾

سورة المؤمنون

- ﴿ وَلَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْكُرًا إِنَّكُمْ إِذَا

٣٨٤

٣٤

لَخَسِرُونَ ﴾

- ﴿ أَلَمْ تَكُنْ عَائِدِي ثُلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا

ثُكَّدِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّبَتْ عَلَيْنَا

٣٠٧

١٠٦ ، ١٠٥

شَقْوَاتِنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾

سورة النور

- ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّسْهُ

٣١٧

٣٥

نَارٌ ﴾

سورة الفرقان

٣٥٧

٧٤

- ﴿ وَجَعَلْنَا لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾

سورة الشعرا

٤٤٦

٨٠

- ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ ﴾

﴿٨٠﴾

- ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ ﴾

٤٤٥

٨١ ، ٨٠

﴿٨١﴾

وَالَّذِي يُمِسْتِنِ شَدَّ يَحِيِّنِ ﴾

١٣٢

٩٨ ، ٩٧

- ﴿تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ٩٧ إِذْ

﴿شُوَيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٩٨

سورة النمل

١٠٢

٥٩

- ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

سورة القصص

٣٨

١٤

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُمُ وَاسْتَوَى مَا لَيْتَهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾

٣٥٣

٥٨

- ﴿مَسْكِنُهُمْ﴾

١٧٠

٨٨

- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

سورة العنكبوت

٣٦٥

٦٩

- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سُبْلًا
وَلَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

سورة لقمان

٣٤٠

١١

- ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ اللَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ﴾

٥٢

٢٧

- ﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ
مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾

سورة السجدة

٨٤ ١٢ - ﴿نَّا كِسْوًا رُّءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

سورة الأحزاب

٣٤١ ، ٣٠١ ، ٨٥ ٤٣ - ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

١٤٠ ٦٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَفَرِينَ وَأَعْدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾

سورة سباء

٣٥٣ ١٥ - ﴿مَسْكِنَهُمْ﴾

- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا
لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنْهُ هُوَ مِنْهَا فِي
شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾

٣٩٥ ٢١ - ﴿شَكٌّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾

١١٩ ٢٨ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ﴾

سورة فاطر

٢٥٦ ٢٢ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ
مَنْ فِي الْقُبورِ﴾

- ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَمُؤْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ

٢٩٣ ٣٦ - ﴿عَنْهُمْ مَنْ عَذَابِهَا﴾

- ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شُرُكٌ فِي
السَّمَاوَاتِ﴾

٣٤٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٣

سورة يس

- ١٥٤ ١٢ «وَكُلَّ شَيْءٍ أَخْصَبَتْهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»
- ٢٨٦ ٥٤ «وَلَا يُخْزَنُ إِلَّا مَا كُشِّفَ
تَعْمَلُونَ»
- ١٣٤ ٦١ ، ٦٠ «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتَبَعَّنِي إِدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُنْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ»
- ٦٦ ٨٢ «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ»

سورة الصافات

- ٢٩٢ ٦٨ - ٦٦ «فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا أَلْبَظُونَ
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشُونًا مِّنْ حَمِيرٍ
ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِأَلَّا الْجَحِيمِ»
- ٥١ ٨٣ «وَإِنَّمَا مِنْ شَيْئِنِي لِإِنْزَاهِي»
- ١٣١ ١٥٨ «وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُحْنَةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتَ
الْمُحْنَةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ»

سورة ص

- ٤٣٤ ٤٤ «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا تَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُ

سورة الزمر

- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ

٢٩٦

٤٧

جَمِيعًا وَمِثْلَهُمْ مَعْهُمْ لَا فَنَدَوْا بِهِ﴾

سورة غافر

- ﴿وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ

٤٠٤

٤٦ ، ٤٥

النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

سورة فصلت

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي هَذِهِ آيَاتِنَا لَا يَخْفَونَ

١٣٢

٤٠

عَلَيْنَا﴾

- ﴿وَإِنَّمَا لَكِتَبْ عَزِيزٌ

لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ

٣٦٠ ، ٣٥٥

٤٢ ، ٤١

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

٤٦٤ ، ٣٨٤

٤٦

- ﴿وَمَا رَبُّكَ يُظَلِّمُ لِلْعَبْدِ﴾

١٢٠

٥٣

- ﴿سَرِيرُهُمْ هَذِهِ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

أَنفُسِهِمْ﴾

- ﴿سَرِيرُهُمْ هَذِهِ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

٤٦٨ ، ٤٥٤ ، ٤٣٧

٥٣

أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

سورة الشورى

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

١٦٤ ، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١١

٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ١٩٤ ، ١٧٨

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾

٤٦٨

١١

- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْجَحَنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَا
جَعَلْنَاهُ ثُورًا نَهَدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

١٥٢

٥٢

سورة الزخرف

- ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزءًا إِنَّ
الْأَنْسَنَ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ﴾

١٣٢

١٥

- ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ عَيْنَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنَ
أُخْتِهَا﴾

١٢٠

٤٨

سورة الدخان

- ﴿فَارْتَقَبْ يَوْمَ تَأْقِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ
يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٌ
رَبَّنَا أَكْشَفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ﴾

٢٢

١٢ - ١٠

- ﴿طَعَامُ الْأَشْيَمِ ٤٤ كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي
الْبَطْوَنِ ٤٦ كَغَلِّي الْحَمِيمِ﴾

٢٥٧

٤٦ - ٤٤

سورة الجاثية

١٣٤

٢٣

- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخْذَ إِلَهَهُ هَوَنَهُ﴾

- ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٨٦

سورة محمد

- ﴿وَاللَّهُ أَغْنِيْ وَأَنْسَرُ الْفُقَرَاءِ﴾ ٢٨١

سورة الفتح

- ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ٣٥٨

سورة ق

- ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ١٣٢

سورة الذاريات

- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْكُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوْرَتِ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّمَا لَهُقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ
نَطِقُونَ ﴿٢٣﴾

- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
نَذَكَرُونَ ﴿٤٩﴾

- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ٤٣٨

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

سورة النجم

- ﴿أَوْ أَدْفَنِ﴾ ٢٢٧ ، ٢٢٦

- ٤٠٦ ٩ - «فَابْ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْفَنِ» ﴿٤٧﴾
 ٢٨٦ ٣٩ - «وَأَن لَّيْسَ لِإِنْسَنٍ إِلَّا مَا سَعَى» ﴿٤٨﴾

سورة القمر

- ٣٩٤ ٤٩ ، ٤٨ - «ذُوقُوا مَسَ سَقَرَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
 ٤٩٤ ٤٩ ، ٤٨ - «يُقدَرُ ﴿٤٨﴾

سورة الرحمن

- ١٧٠ ٢٦ - «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴿٢٦﴾

سورة الواقعة

- ٤٤٧ ٦٤ ، ٦٣ - «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّمَا تَرَزَّعُونَ ﴿٦٤﴾
 ١٣٢ ٨٥ - «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنَ لَا
 تُبَصِّرُونَ» ﴿٦٥﴾

سورة الملك

- ٣٩٠ ٢ - «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ» ﴿٢﴾
 ٢٧٧ ١٤ - «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ» ﴿١٤﴾
 ١٣٣ ١٤ - ١٣ - «وَأَسْرُوا فَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
 الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ ﴿١٤﴾

سورة القلم

- ﴿يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقِ وَيَدِعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ ﴾٤٢﴾ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴾٤٣﴾

٣٠٦

٤٣ ، ٤٢



سورة القيامة

٣٥٨

٢٣

- ﴿إِنَّ رَبِّهَا نَاظِرٌ﴾

سورة الإنسان

١٣٣

٣٠

- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾

سورة المرسلات

٩٠

٣٠

- ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظَلِيلٍ ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ﴾

سورة النازعات

١٢

١٤ ، ١٣

- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجَرَةٌ وَجِهَدَةٌ ﴾١٢﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾١٤﴾

سورة عبس

٣٤

٢٤

- ﴿فَلَيَنْظُرِ الْأَيْنَنُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

سورة التكوير

- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

٣٨٨

٢٩

الْعَلَمَيْنَ﴾

سورة الانشقاق

٢٦٧

٤

- ﴿وَالْقَتَ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ﴾

سورة الضحى

- ﴿فَامَّا الْيَتَمَّ فَلَا نَنْهَرُ ﴿٩﴾ وَامَّا السَّابِلَ فَلَا

٢٠٠

١١ - ٩

نَنْهَرُ ﴿١٠﴾ وَامَّا بِنْعَمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ ﴿١١﴾

سورة الزلزلة

- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

١١٣ ، ١٠٨

٨ ، ٧

يَرَهُ ﴿٨﴾

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ٤٥٨ ، ١٧٥ ، ١٦٨
- (اخسأ إنك لن تعدو أجلك ولن تبلغ أملك ولن تناول إلا ما قُدِّرَ لك) ٢٣ ، ١٩
- (إذا أحبيت أحداً من إخوانك فأعلمه بذلك فإن إبراهيم عليه السلام قال : رب أرجني كيف تحيي الموتى قال : أَوْلَمْ تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي) ١٤٠
- (إذا أراد الله بعد خيراً جعل له قلباً ذاكراً ولساناً شاكراً وبدناً على البلاء صابراً وزوجة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله) ٣٦
- (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلي Yas من الناس ، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله ، فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه ، فحاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها) ١٤١
- (أرى حقاً وباطلاً وأرى عرشاً على الماء) ٢١

- (استأذني لي عليه) ١٨
- (استسقِ الآن) ٤١٢ ، ٩٤
- (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله) ٢٦٦
- (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلاف وما تنكر منها اختلف) ١٤٠
- (إلا مكّة ولا بيها والمدينة ولا بيها) ٢٥
- (الحقيقة كشف سمات الجلال من غير إشارة) ٤٦٤
- (الحمد لله) ١٣٧
- (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح) ٤٢٠
- (الصلاه لها أربعة آلاف حد) ١٣٧
- (العشق جنون إلهي) ١٧٢
- (العلم نقطة كثراً الجاهلون) ٣٣٠
- (الفقر شعاري وبه أفتخر) ١٨٣
- (الله خير وأكرم) ١٠٢
- (اللهم إِنَّكَ تعلم أَتِيَ لَوْ كُنْتَ قَادِرًا لَتَرَكَه لَمَا أُلْقِيَتِ نَفْسِي إِلَى التَّهْلِكَةِ) ١١٩
- (اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعْنَانِي جَمِيعَ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وَلَا أَمْرَكَ الْمَأْمُونَ عَلَى سُرْكَ) ١٥١
- (اللهم أَعْضَدْنِي ، وَأَشَدَّ أَزْرِي ، وَاسْرَحْ صَدْرِي ، وَارْفَعْ ذَكْرِي ، فَنَزَلْ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ (﴿أَلَمْ تَشَرَّحْ لَكَ صَدَرَكَ ﴾ وَوَصَّعَنَا

- ﴿ أَنَّكَ وَذِرْكَ الَّتِي أَنْقَضَ ظَهِيرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾
- عَنْكَ وَذِرْكَ الَّتِي أَنْقَضَ ظَهِيرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ بُعْلِي صَهْرَكَ) ٣٥٤
- (الْمُشَيَّةُ وَالْإِرَادَةُ مِنْ صَفَاتِ الْأَفْعَالِ فَمِنْ زَعْمِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزِلْ شَائِئًا مُرِيدًا فَلَيْسَ بِمُوْحَدٍ ، فَأَمَّا إِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ فَالْبَصِيرُ وَمَا يَبْدُو لَهُمْ مِنْ الْأَفْعَالِ قَسْمٌ مِنْ إِرَادَتِهِمْ) ٢٤٥
- (الْمُشَيَّةُ وَالْإِرَادَةُ مِنْ صَفَاتِ الْأَفْعَالِ فَمِنْ زَعْمِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزِلْ شَائِئًا مُرِيدًا فَلَيْسَ بِمُوْحَدٍ) ٤٣٦
- (النَّاسُ فِي سُعَةِ مَا لَمْ يَعْلَمُوا) ٤٤٢
- (إِمَّا مِنْ كِتَابٍ مُجَمَّعٍ عَلَى تَأْوِيلِهِ ، أَوْ سَنَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا ، أَوْ قِيَاسٍ تَعْرِفُ بِعُقُولِهِ) ٣٦٤
- (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَتَاهُ مَلْكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ وَكَرِهَ ذَلِكَ أَخْرَهَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى أَنْ رَأَى شَيْخًا يَأْكُلُ وَلِعَابَهُ يَسِيلُ عَلَى لَحِيَتِهِ ، فَاسْتَفَضَ ذَلِكَ وَأَحْبَّ الْمَوْتَ ، وَكَذَلِكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ) ٦٥
- (إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حَجَةٍ كَيْ مَا إِنَّ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ رَدْهُمْ ، وَإِنْ نَقْصُوا أَتْهَمُهُ لَهُمْ) ٣٥٦
- (إِنَّا لَا نَخَاطِبُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَعْرَفُونَ) ١٠٥
- (إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَعَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مَتَعَلِّقٌ) ٩٩
- (إِنَّ الْقَدْرَ وَالْعَمَلَ كَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ فَكَمَا أَنَّ الرُّوحَ لَا تُحْسَنُ بِدُونِ الْجَسَدِ وَالْجَسَدُ لَا يَحْرَكُ لَهُ بِدُونِ الرُّوحِ ، كَذَلِكَ الْقَدْرُ وَالْعَمَلُ لَمْ يَكُنْ الْقَدْرُ بِمَوْافِقَةِ مِنَ الْعَمَلِ لَمْ يَعْرِفْ الْخَالِقُ مِنْ

- المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يُحسّ ، ولو لم يكن العمل
بموافقة القدر لم يتم ولم يمض ولله فيه العون لعباده الصالحين) ٣٨٨
- (إنَّ الله تبارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنَ عُمَرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
أَخْرَجَ عَظَامَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَصْرَ وَوَعَدَهُ طَلْوعَ الْقَمَرِ) ٩٣
- (إنَّ الله خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورٍ وَصَبَغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ فَالْمُؤْمِنُ أَخْوَ
الْمُؤْمِنِ لَأَيْهِ وَأُمَّهُ أَبُوهُ النُّورِ وَأُمَّهُ الرَّحْمَةِ) ٤٥٧
- (إنَّ الله لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ
عَلَيْهِ) ٣٢٠
- (إنَّ الله يَحْشِرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ١٠٤
- (إنَّ الله يَعْطِي وَلِيَهُ عِمْدَةً مِنْ نُورٍ يَرَى فِيهِ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ كَمَا
يَرَى أَحَدُكُمُ الشَّخْصَ فِي الْمَرْأَةِ) ١٢٢
- (إنَّ الله يَكْرَهُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ وَالْكَرِيمَ فِي مَمَاتِهِ) ٣١
- (إنَّ امْرَأَةً مِنْ خَيْرِ ذَاتِ شَرْفٍ بَيْنَهُمْ زَنَتْ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ
وَهُمَا مَحْصَنَانِ ، فَكَرَهُوْ رَجْمَهُمَا فَأَرْسَلُوا إِلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ ،
وَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ طَمَعاً فِي
أَنْ يَأْتِي لَهُمْ بِرَحْصَةٍ ، فَانْطَلَقُوا مِنْهُمْ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفَ وَكَعْبَ بْنَ
أَسِيدَ وَشَعْبَةَ بْنَ عُمَرَ وَمَالِكَ بْنَ الضَّيْفِ وَكَنَانَةَ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ
وَغَيْرَهُمْ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّداً أَخْبِرْنَا عَنِ الزَّانِي وَالزَّانِي إِذَا أَحْصَنَا مَا
حَدَّهُمَا ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وَهُلْ تَرْضُونَ بِقَضَائِي فِي
ذَلِكَ ، قَالُوا نَعَمْ ، فَنَزَلَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّجْمِ فَأَخْبَرَهُمْ
بِذَلِكَ ، فَأَبْوَا أَنْ يَأْخُذُوا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ جَبَرِيلُ : اجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

ابن صوريا ووصفه له ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك ، يقال له ابن صوريا ، قالوا نعم ، قال : فأي رجل هو فيكم ؟ قالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى عليه السلام ، قال : فأرسلوا إليه ، فبعثوا إليه ، فأتاهم عبد الله بن صوريا ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إني أشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على موسى ، وفرق البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون ، وظلل عليكم الغمام ، وأنزل عليكم المن والسلوى ، هل تحلون في كتابكم الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا نعم ، والذي ذكرتني به لولا خشيت أن يحرقني رب التوراة إن كذبت ، أو غيرت ما اعترفت لك ، ولكن أخبرني كيف هو في كتابك يا محمد ، قال : إن شهد أربعة رهط عدول أنه قد دخله فيها ، كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم ، فقال ابن صوريا : هكذا أنزل الله في التوراة على موسى ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله ؟ قال : كنا إذا زنى الشريف تركناه ، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد ، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نترجمه ، ثم زنى رجل آخر ، فأراد الملك رجمه ، فقال له قومه : لا حتى ترجم فلاناً ، يعنون ابن عمه ، فقلنا تعالوا نجتمع فلنصنع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع ، فوضعنا الجلد والتجميم ، وهو أن يجعل أربعين جلدة ، ثم يسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتجعل وجوههما من قبل دبر الحمار

وينطاف بهما ، فجعلوا هذا مكان الرجم ، فقالت اليهود لابن صوريا : ما أسرع ما أخبرته به ، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وآله فرجما عند باب مسجده ، وقال : أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأنزل الله سبحانه فيه ﴿يَأْتِيَ الْكِتَبُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنْ الْكِتَبِ وَيَعْقِلُونَ كَثِيرًا﴾

- (إن أفتاكم محمد بالدية فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فلا
تقبلوا ، لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التوراة) .

(انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)

(إن دعاني أجتبه)

(إن سلمان كان محدثاً عن إمامه لا عن ربّه لأنّه لا يحدث عن الله
عزّ وجلّ إلّا الحجّة)

(إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً والخريف سبعون سنة
قال : ثم إنّه سأّل الله عزّ وجلّ بحقّ محمد وأهل بيته لما
رحمتي ، قال : فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرائيل عليه السلام
أن اهبط إلى عبدي فأخرجه)

(إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)

(إن قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمة يصرّفها
كيف يشاء)

(إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن
صفة على حدة فقوله : «رَبُّ الْعَرْشِ الْمَظِيمِ» يقول : ربٌّ

- الملك العظيم ، قوله : «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى**» يقول : على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفوفة في الأشياء ، ثم العرش في الوصل منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غياباً وهمما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشية وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والباء ، فهما في العلم ببابان مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلم الغيب من علم الكرسي ، فمن ذلك قال : «**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» أي صفة أعظم من صفة الكرسي فهما في ذلك مقرونان) ٢٠٦
- (إن الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ١٧٠ ، ١٦٩
- (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) ٢٤٥
- (إنما أنزل الله واجعل لنا من المتدين إماماً) ٣٥٧
- (إنما حُلِّد أهل النار في النار بيّاتهم) ٢٨٨
- (إن ما ذكر من التوسيع وما أشبهها فهو على ما ذكر غير أنني أخبركم أيها النّفر أنني قد سقيت السّم في سبع تمرات وأنا غداً أحضر وبعد غد أموت) ١٢١
- (إنما هي أعمالكم ترد إليكم) ٢٧٠

- (إنما هي أعمالكم ترد عليكم) ٢٧٣

- (إن ميّتنا إذا مات لم يمت وإن مقتولنا لم يقتل) ٤١٩

- (إن نبياً من أنبياء الله قال : يا رب كيف الوصول إليك ؟ فأوحى الله إليه ألق نفسك وتعال إلي) ١٧٧

- (إنها تبقى في قبره مستديرة) ١٣

- (إنه صار جاره ، لأن علم الكيفوفة فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها وحد رتقها وفتقها فهذا جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف) ٢٠٧

- (إنهم يعذبون بالنار قبل الكفار فيقولون يا ربنا كيف عذبنا بالنار قبل الكفار فيأتיהם النداء ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقِدَرٍ ﴾٤٩﴾) ٣٩٣

- (إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل) ٢٤

- (إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر ، فاما الأكبر فكتاب ربى ، وأما الأصغر فعتري أهل بيتي ، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما أن تمسكتم بهما) ١٥٠

- (إني تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وطرف بيد عترتي لأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ١٥٦

- (إني خارج في ذلك ومزيل الشك إن شاء الله) ٤١٢

- (إني خيأت لك خيأ) ٢٣

- (إني قد خيأت لك خيأً فما هو ؟) ١٩

- (إِيَّاكَ وَرِئَاسَةً) ٩٣
- (إِيَّاكَ وَرِئَاسَةً وَإِيَّاكَ أَنْ تَطُأْ أَعْقَابَ الرِّجَالِ) ٩٢
- (أَتَشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ١٩
- (أُتَبَّى عَلَيِّ بْنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِلَّيْلَةِ قَبْضٌ فِيهَا بَشْرَابٌ
فَقَالَ : يَا أَبَّهُ أَشْرَبَ فَقَالَ : يَا بْنَتِي إِنَّ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ الَّتِي أُقْبَضْتُ فِيهَا
وَهِيَ الْلَّيْلَةِ الَّتِي قَبْضَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. ١٢١
- (أَدْرَكَ سَلْمَانَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرِ وَهُوَ بَحْرٌ لَا يَنْزَحُ وَهُوَ
مَنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ فِي رَهْطٍ
فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ تَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الَّذِي عَمِلْتَ بِهِ فِي
بَطْنِ بَيْتِكَ الْبَارِحةَ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَى ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : لَقَدْ رَمَاكَ
سَلْمَانٌ بِأَمْرِ فَمَا دَفَعْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ فَقَالَ : إِنَّهُ أَخْبَرَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا
أَطْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا) ٤٧
- (أَسْلَمَ أَبُو طَالِبَ بْنَ حَمَّادَ الْجَمْلَ وَعَقِدَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسَتِينَ) . ٨٦
- (أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) . ١٨
- (أَطْفَئَ السَّرَاجَ فَقَدْ طَلَعَ الصَّبْحُ) ٤٧١ ، ٤٦٥ ، ١٩٧ ، ١٦٠
- (أَعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ) ٤٥٢
- (أَعْصَادُ وَأَشْهَادُ وَمَنَاءُ وَأَذْوَادُ وَحَفَظَةُ وَرَوَادُ فِيهِمْ مَلَائِكَ سَمَاءُكَ
وَأَرْضُكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) ٤٥٤
- (أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةُ) ٤٣٠
- (أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَزُهَا) ٤٣٠ ، ١١١ ، ١٠٠

- (ألا إن الدجال صائد ابن الصيد ، فالشقي من صدّقه والسعيد من كذبه ، يخرج من بلدة يُقال لها أصبهان من قرية تعرف باليهودية ، عينه اليمنى ممسوحة والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح ، فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم ، بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كلّ كاتب وأمي ، يخوض البحار وتسير معه الشمس ، بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يُرى الناس أنه طعام يخرج في قحط شديد ، تحته حمار أقمر خطوة حماره ميل ، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً ، لا يمرّ بما إلا غار إلى يوم القيمة ينادي بأعلى صوته يُسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول : إلى أوليائي أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدي أنا ربكم الأعلى ، وكتب عدو الله أنه أعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق وأن ربكم عزّ وجلّ ليس بأعور ، ولا يطعم ، ولا يمشي ، ولا يزول ، ألا وإن أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنى وأصحاب الطيالسة الخضر ، يقتله الله عزّ وجلّ بالشام على عقبة عقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلّي المسيح عيسى ابن مريم خلفه) ٢٤

- (أليست بربكم ومحمد نبيكم؟) ٣٨٣
- (أليست بربكم ومحمد نبيكم وعلىي وليتكم؟) ٣٨٣
- (أليست بربك ومحمد نبيك وعلىك وليك والأئمة من ولده أئمتكم؟ فقلت : بلى) ٤٦٣
- (أنا الذي خالفت بينكم) ٣٤٦

- (أن الله ينسفهم ليجري عليهم القضاء) ١٢٤
- (أن عبداً مكث في النار يناشد الله سبعين خريفاً وسبعين خريفاً والخريف سبعون سنة ، وسبعون سنة وسبعون سنة) ٨٩
- (أن الدواء الفلاني إذا استعمله كان كاشفاً من كل داء إلا السام وهو الموت) ٤٤٦
- (أن نبياً من أنبياء الله عليهم السلام ناجى ربّه فقال : يا ربّ كيف الوصول إليك ؟ فأوحى الله تعالى إليه الق نفسك وتعالى إلي) ٤٦٩
- (أن نية السيئة لا تكتب حتى تعمل) ١٠٠
- (أنه ما يقع في وهم أحد من الخلق شيء إلا وقد خلقه الله قبل ذلك لثلا يقال لِمَ لا يخلق الله ذلك) ٣١٣
- (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظاهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً) ١٦٠
- (أيها الناس ما بعث الله نبياً إلا أنذر قومه الدجال ، وإن الله تعالى أخره إلى يومكم هذا ، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور ، إنّه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل ، يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء ، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب ، يدخل آفاق الأرض كلّها إلا مكة ولا بيته ، والمدينة ولا بيته) ١٩

- (أيّ إمام لا يعلم ما يصيّبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجّة الله
١٢٠ على خلقه)

حرف الباء

- (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدِي فشبّهوك واتخذوا
بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي)
٢٧٨
- (بقيت في مُشاَشِته على قدر ما خلق منه)
١٦
- (بل تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله فما جعلك الله بذلك
أحقّ مني)
١٩
- (بلى ولكن يرشع عليك ما يطفح مني)
٤٦٤ ، ١٥٩
- (بين إصبعين من أصابع الرحمن)
٨٥
- (بين الماء والحكمة نعمة العالم)
٣٩
- (بين الماء والحكمة نعمة العالم ، والجاهل شقي بينهما) .
٣٢

حرف التاء

- (تبقى الأرواح ساهرة لا تنام)
١٢
- (تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها)
١٨٤
- (تروي ما يروي الناس أنّ علياً عليه السلام قال في سلمان :
أدرك علم الأول والآخر)
٤٧
- (تعرّفت لكلّ شيءٍ بما جهلك شيءٍ)
١٦٠

حرف الجيم

- (جذب الأحادية بصفة التوحيد)
٤٧٠ ، ١٨٦ ، ١٥٩ ، ٤٦٥ ، ١٨٦

- (جعلت قرة عيني في الصلاة) ٢٥٧

حرف الحاء

- (حبب إلي من دنياكم ثلاث : النساء) ٣٦

حرف الخاء

- (خلق الله المشيئة بنفسها) ٢٢٥

- (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة) ٢٢٤

حرف الدال

- (دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبع قدرًا له ، فَيَنْتَهِ هُمَا يَتَحَدَّثَانِ إِذَا انكَبَّ الْقَدْرُ عَلَى وَجْهِهَا عَلَى الْأَرْضِ فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ مَرْقَهَا وَلَا مِنْ وَدَكَهَا شَيْءٌ ، فَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ أَبُو ذَرٌ عَجَّبًا شَدِيدًا ، وَأَخْذَ سَلْمَانَ الْقَدْرَ فَوَضَعَهَا عَلَى حَالِهَا الْأُولَى عَلَى النَّارِ ثَانِيَةً وَأَقْبَلَا يَتَحَدَّثَانِ ، فَيَبْيَنَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ إِذَا انكَبَّ الْقَدْرُ عَلَى وَجْهِهَا فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ مَرْقَهَا قَالَ : فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ مَذْعُورٌ مِنْ عَنْدِ سَلْمَانَ ، فَيَبْيَنَمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ إِذَا لَقِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا أَنْ أَبْصَرَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ مَا الَّذِي أَخْرَجْتَ مِنْ عَنْدِ سَلْمَانَ وَمَا الَّذِي ذَعَرْتَ ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتَ سَلْمَانَ صَنَعَ كَذَا وَكَذَا فَعَجَبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ سَلْمَانَ لَوْ حَدَّثَكَ بِمَا يَعْلَمُ لَقْلَتْ رَحْمَ اللَّهِ قاتِلَ سَلْمَانَ ، يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ سَلْمَانَ بَابُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِرْفِهِ كَانَ مُؤْمِنًا وَمِنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِرًا ، وَإِنَّ سَلْمَانَ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ) ٥٢

حرف الذال

- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يُفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ٣٢٦
- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بنور الله) ٢٥١

حرف الراء

- (رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك والإدراك عن الاستنباط ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجم الطلب إلى شكله وألجم به الفحص إلى العجز والبيان إلى فقد والجهد إلى اليأس والبلاغ على القطع والسبيل مسدود والطلب مردود) ١٦٥

حرف السين

- (سبعين خريفاً وسبعين خريفاً) ٨٩
- (سبقت رحمتي غضبي) ٨٣
- (سلمان عَلِم الاسم الأعظم) ٤٩

حرف الصاد

- (صحابوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بال محل الأعلى) ٤٢٢
- (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) ٤٧٢ ، ٤٦٨

١١٧ - (صوائح تتبعها نوائح)

حرف العين

- (عني بذلك إله واحد جواد ، وتفسير ذلك أنَّ الألف واحد واللام ثلاثة والهاء خمسة والألف واحدُ والهاء ثمانية والدال أربعة والجيم ثلاثة والواو ستة والألف واحد والدال أربعة فذلك ثلاثة وستون) ٨٦

حرف الفاء

- (إِذَا اعْتَدَلَ مَزاجُهَا وَفَارَقَتِ الْأَضِدَادَ فَقَدْ شَارَكَتْ بِهَا السَّبْعَ الشَّدَادَ) ٨١

- (إِذَا زَرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ زَائِرُ عَظَامِ آدَمَ وَبَدْنِ نُوحَ وَجَسْمِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ٩٦

- (إِذَا لَيْسَ فِي الْقَبْرِ شَيْءٌ) ٤٢٠

- (فَاسْتَخْرُجْهُ مِنْ شَاطِئِ النَّيلِ فِي صَنْدُوقٍ مَرْمَرٌ فَلَمَّا أَخْرَجَهُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ فَحَمَلَهُ إِلَى الشَّامِ) ٩٣

- (فَانْظُرْ أَيَّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صَفَتِهِ فَاقْتَسِمْ بِهِ وَاسْتَضْنِي بِنُورِ هُدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فَرَضَهُ وَلَا فِي سَنَةِ النَّبِيِّ وَأَئْمَمَةِ الْهُدَى أُثْرَهُ فَكُلِّ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِنْ ذَلِكَ مُقتَضِيْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ) ١٢٨

- (فَتَحُولُ إِلَى دَارِ الْمُسْتَعْتَبِ) ١٤٣

- (فَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِهِ فَإِنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرِ) ٢٤

- (فما ثبت لمنتحليه من كتاب مجتمع على تأويله ، أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من انتحل تلك ردها ، ووجب عليه قبولها والديانة والإقرار بها . وما لم يثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله ، أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الشك فيه والإنكار له) ٣٦٥
- (فما ثلاثة ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال) ٩٢
- (فملك الجسد هو القلب والعمال هو العروق والأوصال والدماغ وبيت الملك هو قلبه وأرضه الجسد والأعونان يداه ورجلاه وعياته وشفتها ولسانه وأذناه وخزانته معدته وبطنه وحجابه صدره) ٢٠١
- (فهل تدری ما عنی ؟) ٤٧
- (في حواصل طيور خضر) ١١
- (في قعره شمس مضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سرّه وستره وباء بغضب من الله و Maoاه جهنم وبئس المصير) ٢٣٤

حرف القاف

- (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا سلمان لو عرض علمك على مقداد لکفر ، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لکفر) ٤٣

- (قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة) ٣٥٧
- (قد علم أولو الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما هاهنا) ٣٧٨
- (قلتكم والذي نفس محمد بيده ما قالت بنو إسرائيل لنبيهم أجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، لتركبمن سنن من قال قبلكم حذو النعل بالنعل) ٣٤٧
- (قوة لاهوتية بداء إيجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقة الذهنية موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية) ٢٠٣

حرف الكاف

- (كان روح القدس يلقى عليناً ويلقى سلمان) ٥٠
- (كان سلمان من المتوصّمين) ٤٨
- (كان عالماً ولا معلوم) ٢٧٤
- (كان والله على محدثاً وكان سلمان محدثاً) ٥٠
- (كشف سمات الجلال) ١٧٣
- (كشف سمات الجلال من غير إشارة) ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٣٣٤ ، ٤٦٥
- (كنت سمعه الذي يسمع به) ٧٢ ، ٤٦٠
- (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) ٨١
- (كنت سمعه الذي يسمع به ويده الذي يبطش بها) ٧٤
- (كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه ، وفي دخوله قبره ، فقلت : يا أبا والله ما رأيتك منذ

- اشتكىت أحسن منك اليوم ، ما رأيت عليك أثر الموت فقال :
أما سمعتَ علي بن الحسين عليهما السلام ينادي من وراء
الجدار يا محمد تعال عجل) ١٢١
- (كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مثلكم مخلوق
مردود إليكم) ٣١٢
- (كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغبوريه تحديد لما سواه) ٣٣٣
- (كل ما كان في بني اسرائيل يكون في هذه الأمة حذو النعل
بالنعل والقدة بالقدة حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) . ٤٣٠
- (كيف تجب عليه الصلاة وهو لا يشهد أن محمداً رسول الله
صلى الله عليه وآله) ٣٩٢

حرف اللام

- (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها) ... ١٧٤
- (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها
حاكمها) ٤٦٩
- (لا تمكث جثةنبي ولا وصي في الأرض أكثر من أربعين يوماً)
- (إن الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها
لأحرقت سبعات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ١٦٩ ، ١٧١
- (لأنَّ الله تبارك وتعالى قدر خلق الإنسان فصير النّطفة أربعين
يوماً ، ثم نقلها فصيرها علقة أربعين يوماً ، ثم نقلها فصيرها
مضغة أربعين يوماً ، وهذا إذا شربَ الخمر بقيت في مشاشته

١٤	على قدر ما خلق منه ، وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه تبقى في [مشاشته [أربعين يوماً)
٢٣٢	- (لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بع神性 النورانية ولا بعزة الوحدانية ؟)
١٥٤	- (لا والذى فلق الحبة وبرا النسمة إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في كتابه)
٣٥	- (لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا يأس به ، خوفاً مما فيه يأس)
٣٤٣	- (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة مشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر)
٥٥	- (لا ينقض الموضوع إلا حديث والنوم حديث)
٣٥٩	- (لتركين سنن من كان قبلكم)
٢٩٣	- (لتركين سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقدمة بالقدمة)
٣٤٦	- (لتركين سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقدمة بالقدمة ، حتى لو سلکوا جُحر ضب لسلکتموه)
١٩	- (لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهو هو)
	- (لما أسرى النبي صلى الله عليه وآلـهـ قال : يا رب ما حال المؤمن عندك ؟ قال : يا محمد صلى الله عليه وآلـهـ من أهان لي وليأـاـ فقد بارزني بالمحاربة ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في وفاة المؤمن يكره

الموت وأكره مساعته ، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلَّا الغنى
ولو صرفه إلَى غير ذلك لهلك ، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلَّا
الفقر ولو صرفته إلَى غير ذلك لهلك ، وما يتقرَّب إلَيَّ عبدي
 بشيء أحبَّ مما افترضت عليه وإنَّه ليتقرَّب إلَيَّ بالتوافق حتى
أحبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته
 وإنْ سألني أعطيته)
٥٩

- (لما أصيَّبَ أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين
عليهما السلام : عَسْلَانِي وَكُفَّانِي وَحَنْطَانِي وَاحْمَلَانِي على
سريري واحملها مؤخِّره تكفيانِ مقدَّمه فإنَّكم تنتهيان إلى قبر
محفور ولحد ملحوظ ولبن موضوع فألحداني وأشْرِجا اللَّبَنَ علىَّ
وارفعاً لِبَنَةً مما يلي رأسي وانظرا ما تسمعاً ، فأخذوا اللَّبَنَةَ عند
الرأس بعد ما أشْرِجَا عليه اللَّبَنَ فإذا ليس في القبر شيء ، وإذا
هاتف يهتف أمير المؤمنين كان عبداً صالحًا فألحقه الله بنيه ،
وكذلك يفعل الله بالأوصياء بعد الأنبياء ، حتى لو أنَّ نبياً ماتَ
في المشرق وماتَ وصيَّه بالمغرب لألحق الله الوصيَّ بالنبيِّ)
٤٦

- (لو علم الناس ما في زيارة نصف شعبان من الشَّوَّاب لقامت
ذكور رجال على الخشب)
٢٨

- (لو علم أبو ذرٍّ ما في قلب سلمان لقتله)
٤٢

- (لو علم أبو ذرٍّ ما في قلب سلمان لقتله ، لأنَّ حديث العلماء
صعبٌ مستصعب وإنَّما قلتُ العلماء لأنَّ سلمان من أهل البيت) ٤٦

- (لو كان الموت يُشتري لاشتراك اثنان ، كريم أبلغ وحرirsch
ملهوف) ٢٩
- (لولا ما زيد في القرآن ونقص لم يخف حقنا على ذي حجا) ٣٥٢
- (لو نُبِشَ في أيامه لِوُجْدٍ) ٤١٨
- (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة لنشرت
التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرع من الصمد) .. ١٥٥
- (ليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله) ٤٤٢
- (ليس في أخباره عما مضى باطل ، ولا في أخباره عما يكون في
المستقبل باطل ، بل أخباره كلها موافقة لمخبراتها) ٣١٦
- ليس وراء دنياكم هذه بمستعبد ، ولا دار إلا جنة أو نار) .
- (ليس هكذا يعني ولكن علم النبي صلى الله عليه وآلـه وعلم عليـ
عليـه السلام وأمر النبيـ وأمر عليـ صلوات اللهـ عليهمـ) ٤٨
- (ليس حيث تذهب إياكـ أن تنصبـ رجلاـ دونـ الحجـةـ فتصدقـهـ في
كـلـ ماـ قالـ) ٩٢

حرف الميم

- (ما ازداد أحد حباً في الإيمان إلا ازداد حباً في النساء) ... ٣٧
- (ما أحاطت به الحرار) ٢٦
- (ما بعث الله نبياً إلا أنذر قومه الدجال) ٢٤
- (ما بين الصورتين إلى الشنية) ٢٧
- (ما بين ظل عائر إلى ظلٌ وعَيْرٌ) ٢٧

- (ما ترددت في شيء أنا فاعله) ٦٦
- (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله) ٧٤
- (ما لك والحقيقة) ١٥٩
- (ما لك والحقيقة يا كميل) ٤٦٤
- (ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهواه) ٢١ ، ١٨
- (ما مننبي ، ولا وصي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام ثم يرفع روحه وعظامه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم وبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في موضع آثارهم من قريب) ٩٥
- (ما مننبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه وعظامه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم وبلغهم السلام من بعيد ويسمعونهم في موضع آثارهم من قريب) ٤١٥
- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٤٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٤٦٥ ، ١٥٩
- (مع الظهور خفي ومع الكثرة واحد) ٣٣٤
- (من أهان لي وللياً فقد بارزني بالمحاربة) ٦٠
- (من عرف نفسه بالجهل عرف ربّه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربّه بالقدرة) ٤٥٤
- (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ١٩٤ ، ١٦٧ ، ١٨٩
- (من غائط أو بول أو مني أو ريح والنوم حتى يذهب العقل ، ولا ينقض الموضوع ما سوى ذلك) ٤٧٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٣٣٥

- (من غير إشارة) ١٧١ ، ١٦٧

حرف النون

- (نحن الأعرااف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا) ١٥١
- (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء) ٤٦
- (نحن محالٌ مشيّة الله) ٢٢٤
- (نعم) ١٨
- (نعم حتى لا يبقى لحم ، ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أولاً مرّة) ١٠
- (نعمّة العالم) ٣٩
- (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) ٤٧١ ، ١٥٩ ، ٤٦٥ ، ١٩١ ، ١١٠
- (نية المؤمن خير من عمله) ٤٣٠ ، ١١١ ، ١١٠
- (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شرّ من عمله) ٣٥٣ ، ٩٣ ، ٨٥

حرف الهاء

- (هتك الستر لغلبة السر) ٤٧٠ ، ٤٦٥ ، ١٨١ ، ١٥٩
- (هذا رجل مرّ بقبرنبيٍّ من الأنبياء فوق في يده العظم وما كشف عن عظمنبيٍّ إلا هطلت السماء بالمطر) ٩٤
- (هذا رجل مرّ بقبرنبيٍّ من الأنبياء فوق في يده العظم وما كُشفَ عن عظمنبيٍّ إلا هطلت السماء بالمطر) ٤١٢

- (ما ترددت في شيء أنا فاعله) ٦٦
- (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله) ٧٤
- (ما لك والحقيقة) ١٥٩
- (ما لك والحقيقة يا كميل) ٤٦٤
- (ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهوا هو) ٢١ ، ١٨
- (ما مننبي ، ولا وصي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام ثم يرفع روحه وعظامه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم وبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في موضع آثارهم من قريب) ٩٥
- (ما مننبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه وعظامه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم وبلغهم السلام من بعيد ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب) ٤١٥
- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٤٦٩ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٤٦٥
- (مع الظهور خفي ومع الكثرة واحد) ٣٣٤
- (من أهان لي ولیاً فقد بارزني بالمحاربة) ٦٠
- (من عرف نفسه بالجهل عرف ربّه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربّه بالقدرة) ٤٥٤
- (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ١٩٤ ، ١٦٧ ، ١٨٩
- (من غائط أو بول أو مني أو ريح والنوم حتى يذهب العقل ، ولا ينقض الوضوء ما سوى ذلك) ٤٧٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٣٣٥

- (من غير إشارة) ١٦٧ ، ١٧١

حرف النون

- (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا) ١٥١
- (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائل الناس غثاء) ٤٦
- (نحن محالّ مشيّة الله) ٢٢٤
- (نعم) ١٨
- (نعم حتى لا يبقى لحم ، ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خلق أولاً مرة) ١٠
- (نعمـة العالم) ٣٩
- (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) ٤٧١ ، ٤٦٥ ، ١٩١ ، ١٥٩
- (نية المؤمن خير من عمله) ٤٣٠ ، ١١١ ، ١١٠
- (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شرّ من عمله) ٣٥٣ ، ٩٣ ، ٨٥

حرف الهاء

- (هتك الستر لغيبة السر) ٤٧٠ ، ٤٦٥ ، ١٨١ ، ١٥٩
- (هذا رجل مرّ بقبرنبيٍّ من الأنبياء فوقع في يده العظم وما كشف عن عظمنبيٍّ إلا هطلت السماء بالمطر) ٩٤
- (هذا رجل مرّ بقبرنبيٍّ من الأنبياء فوقع في يده العظم وما كُشفَ عن عظمنبيٍّ إلا هطلت السماء بالمطر) ٤١٢

- (هذا كتاب الله كما أنزل ، فإن قبلتموه فاقبلوني معه ، لا حكم
بما أنزل الله فيه) ٣٥٩
- (هيات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا
وأشرکوا من حيث لا يعلمون) ١٣٤

حرف الواو

- (وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد أحب وإذا أحب لم يؤثر ما
سوى الله عليه) ٤٥٨
- (واعلم أن الرّاسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام
السُّدُّ المضروبة والإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب
المحظوب ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا
به علمًا ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخاً ، فاقتصر على ذلك ، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على
قدر عقلك فتكون من الهالكين) ١٣٥
- (والرحمن اسم خاصّ بصفة عامة) ٨٥
- (والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة
وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفس الملكية ولها
خاصيتان النزاهة والحكمة) ٢٠٢
- (وإن الله عزّ وجلّ أخره إلى يومكم هذا) ٢٤
- (وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف) ٢٩٥
- (وإنما يؤتي مواضع آثارهم) ٤١٩

- (وإنه لعلى يمين العرش متعلق)	٤٢١
- (وأنَّ الذَّرَّةَ لِتَزْعُمَ أَنَّ اللَّهَ زَيَانِينَ)	٤٤
- (وبلغني من طاعتك وعبادتك أملبي)	١١٦
- (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها)	٨٠
- (وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه يبقى في مشاشته أربعين يوماً)	١٦
- (وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه)	١٧٢
- (وكمال توحيد نفي الصفات عنه)	٣٤٢
- (ولا تسألنَّ عَمَّا لَكَ)	١٤٣
- (ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر ، وهم في إرادة الله وعلمه ألا يصيروا إلى شيء من الخيرات)	٢٧٦
- (ولكن حين كفر كان في إرادة الله وعلمه أن يكفر)	٣٩٧
- (ولو أذن الله لها لجالت الدنيا والآخرة في جريمة واحدة) .	٢٢٦
- (ولو شئت لأوقرت سبعين بغلًا من تفسير باء باسم الله الرحمن الرحيم)	١٥٥
- (وما ترددت في شيء أنا فاعله)	٦٠
- (ونية الفاجر شرّ من عمله)	١١٥
- (ونية الفاجر والكافر شرّ من عمله)	١١٥
- (وهو مع كلّ شيء ومعحيط بكلّ شيء)	١٣٠

- (ويسمعونهم من قريب) ٤١٩

حرف الياء

- (يا أبا ذر سلمان بباب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن
أنكره كان كافراً وإن سلمان متأهل البيت) ٤٩

- (يا أم عبد الله استأذني لي على عبد الله) ١٨

- (يا بن بكر إن قلوبنا غير قلوب الناس ، إننا مطيعون مصطفون ،
نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمع الناس ، وإن الملائكة
تنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا وتشهد طعامنا وتحضر
موتنا وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون ، وتصلي معنا
وتدعوا لنا وتلقى علينا أجنحتها وتتقلب على أجنحتها صيانتنا
وتمنع الدواب أن تصل إلينا ، وتأتينا بما في الأرض من كلّ
نبات في زمانه ، وتسقينا من ماء كلّ أرض نجد ذلك في آنيتنا وما
من يوم ، ولا ساعة ، ولا وقت صلاة إلا وهي تنبئنا لها ، وما
من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كلّ أرض عندنا ، وما يحدث
فيها ، وأخبار العجّن وأخبار أهل الهواء من الملائكة وما من
ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلا أتينا بخبره وكيف سيرته
في الذين قبله ، وما من أرض من ستة أرضين إلى الأرض
السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم) ١١٨

- (يا بن بكر فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ،
ولا يحكم فيهم ؟ وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر
عليهم ، ولا يقدرون عليه ؟ وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهدأ

على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم؟ والله يقول : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ» يعني به من على الأرض ، والحجّة بعد النبي صلّى الله عليه وآلّه يقوم مقام النبي صلّى الله عليه وآلّه على ما تшاجرت فيه الأمة والأخذ بحقوق الناس والقيام بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض ، فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول : «سَرِّيهِمْ إِيمَانًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ» فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال : «وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا» فأيّ آية أكبر منها؟) ١١٩

- (يابن بكر ما أعظم مسائلك الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه والحسن عليهم السلام في منزل رسول الله صلّى الله عليه وآلّه يُحبّون ويرزقون ، ولو نبش في أيامه لوجد ، فأما اليوم فهو حي عند ربّه ينظر إلى معسكته وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله وأنه لعلّ يمين العرش متعلق) ٩٥

- (يا بن بكر ما أعظم مسائلك الحسين مع أبيه وأمه والحسن في منزل رسول الله صلّى الله عليه وآلّه يُحبّون ويرزقون ولو نُبْشَ في أيامه لوجد ، فأما اليوم فهو حي عند ربّه ينظر إلى معسكته وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله وأنه لعلّ يمين العرش متعلق يقول : يا ربّ انجز لي ما وعدتني ، وإنّه لينظر إلى زواره وهو أعرف بهم وباسمائهم وباسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحلهم ، وإنّه ليرى من يبكيه

- فيسغفر له رحمة له ويسأله أباه الاستغفار له ويقول : لو تعلم
أيتها الباهي ما أعد لك لفرحتك أكثر مما جزعته ويستغفر له كلُّ
من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي العير وينقلب وما
عليه من ذنب) ٤١٧
- (يا جابر إن الدنيا عند أهل اللب والعلم بالله كفىء الظلال
فاحفظ ما استرعاك الله من دينه وحكمته ، ولا تسألنَّ عما لك
عنه إلَّا ما له عند نفسك ، فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت
لك فتحوّل إلى دار المستعبد) ١٤٣
- (يا داود لا تجعل يبني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا ، أولئك قطاع
طريق عبادي المرىدين إليَّ ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع
حلاؤه مناجاتي من قلوبهم) ٣٣
- (يا رب كيف الوصول إليك فأوحى الله إليه الق نفسك وتعال
إلي) ١٩٠
- (يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكره) ٤٥
- (بيعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه يقول : كيت وكيت) ٥٠
- (يبلغهم السلام من بعيد) ٤١٩
- (يدخل آفاق الأرض كلها إلَّا مكة ولا بيتها والمدينة ولا بيتها) ٢٧
- (يعني بنوره الذي خلق منه) ٤٥٨
- (يكره الموت وأكره مساعته) ٧٠

الفهرس الموضوعي

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى	
٢١٩	بِيَانِ الاسمِ المُؤثِّرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ وَإِيجَادِهِ
٢٢٠	بِيَانِ الثَّمَانِيَّةِ وَالْعَشَرِينَ حِرْفًا مِنَ الْحُرُوفِ الْكُوُنِيَّةِ
٢٢١	قَسْمًا مَرَاتِبُ الْحَقِّ
٢٢٣	فِي أَن لِكُلِّ بَرْزَخٍ اسْمًا خَاصًّا
٢٣٣	فِي بِيَانِ الْحَقِيقَةِ الرِّبَانِيَّةِ وَالْقَدْرَةِ الصَّمْدِيَّةِ
١٢٩	حَقِيقَةُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى
١٢٩	حَقِيقَةُ تَوْحِيدِ الذَّاتِ
١٣٠	حَقِيقَةُ تَوْحِيدِ الصَّفَاتِ
١٣٣	حَقِيقَةُ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ
١٣٣	حَقِيقَةُ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ
١٤٢	مَحْذُورُ السُّؤَالِ عَمَّا عَنِ الدِّينِ تَعَالَى
٣٣٩	الْفَرْقُ بَيْنَ الْهُوَيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ وَالْوَاحِدِيَّةِ

بيان الفرق بين التوحيد الألوهي والوجودي ٣٤١

وحدة الوجود

الدليل على وحدة الوجود ٤٣٧

قدرة الله

في بيان تفسير القدرة ٣٢٨

صفات الله

هل وحدة الحقيقة القيومية من لوازم سلب الكثرة؟ ٣٣٢

تفسير قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّ﴾ ٣٣٥

القضاء والقدر

في بيان القضاء والقدر ٣٨١

في أن الله خلق الخير والشر من فعل العبد ٣٨٠

هل العبد مجبر بصورة المختار؟ ٣٨٤

المذاهب في الأمر بين أمرين ٣٨٥

الحسنة والسيئة

فلسفة الحسنة والسيئة ٤٤٤

السر في إضافة المرض للعبد والموت لله تعالى ٤٤٤

معنى : لا إكراه في الدين

رفع التناقض بين (لا إكراه في الدين) والجهاد ٤٤١

معنى الإرادة

في أن إرادة الله تجاه العبد اختيارية لا حتمية ٢٧٤

تعدد معنى الإرادة بين العابد والمعبود ٢٤١

في فعل العبد وتعلق إرادته بالله تعالى ٢٤٧

هل الله تعالى يفعل بمقتضى قدرته وفعله أم بمقتضى القابلية؟ ٢٥٨

في أن السعيد من سعد في بطن أمه ٢٦٠

معاني الأم

١ - أنها الصورة لا المادة ٢٦٢

٢ - أنها الوالدة ٢٦٢

قدر عمرها الأم الأولى (الصورة) ومراحلها ٢٦٣

أسماء الأم الذاتية (الصورة الوجودية - الطينة) ٢٦٥

زمن ومرحلة الشقاء والسعادة في بطن الأم ٢٦٦

قدر بقاء جنين الأم في بطنها ٢٦٦

المشية والإبداع

في بيان المشية والإبداع وأنهما فعل الله ٢٢٤

معرفة حقيقة الجلال عز وجل

في بيان مفردات حديث كمبل في معرفة الحقيقة ١٥٨
الفرق بين حقيقة معرفة الله وحقيقة ذات الله ١٦٠
معنى كشف سمات الجلال ١٦٢
معنى الجلال ١٦٤
كلام الشيخ الكاشي في الحقيقة ١٦٩
وردة المصنف على الشيخ الكاشي ١٧٣
بيان معنى غلبة السر ١٨٤
بيان معنى جذب الأحدي ١٨٤
الحق في الأحدي ١٨٨
مراتب هياكل التوحيد ١٩٣
آثار النور المشرق ١٩٦
بيان المراد من السراج ١٩٨

الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء عليهم السلام

في أنّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٩٣
في أن الأنبياء والأوصياء لا يبقون في قبورهم بل يُرْفعون إلى السماء ٩٥
في بيان عدم بقاء أجساد الأنبياء والأئمة في القبور ٤١٤

النبي أیوب عليه السلام

رفع الشبهة عن النبي أیوب عليه السلام ٤٣٤
--

حقيقة معراج النبي صلی الله علیه وآلہ

في معراج النبي صلی الله علیه وآلہ ۲۲۵
في بيان أن المراج بجسد النبي صلی الله علیه وآلہ ۲۲۶
الفرق بين عالم المثال والأشباح وعالم النفوس ۲۲۷

فضل آل محمد صلی الله علیه وآلہ

بيان معنى كون آل محمد الثقل الأصغر والقرآن الأكبر ۱۴۹
في بيان معنى الثقل ۱۵۶
تفسير المراد من البيوت في القرآن ۲۳۵
في أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ۹۳
في أن الأنبياء والأوصياء لا يبقون في قبورهم بل يُرفعون إلى السماء ۹۵
بيان معنى رفع آل محمد عليهم السلام إلى السماء ۹۷

معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم

إشكال معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم ۱۱۷
الإشكال الأول ۱۱۸
الإشكال الثاني ۱۲۲
جواب الشيخ الأوحد عن معرفة آل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم ۱۲۲
بيان المراد من غيبوبة روح القدس عن الأئمة عليهم السلام ۱۲۴
معنى إنسان الله للأئمة عليهم السلام وأنه ظاهري ۱۲۶

مراتب آل محمد صلوات الله عليهم

١٥١	١ - مرتبة المعاني
١٥٢	٢ - مرتبة الأبواب
١٥٣	٣ - مرتبة الإمامة

إسلام أبي طلب عليه السلام

٨٦	في إسلام أبي طلب عليه السلام بحساب الجمل
٨٧ ..	بيان قاعدة مفاصل الأصابع التي أسلم عليها أبو طالب عليه السلام ..

علي عليه السلام وأبي بكر

١٣٨	وجه الشبه في مخالفة علي عليه السلام لأبي بكر
-----------	--

الشيعة

٥١	أقسام الشيعة
----------	--------------------

زيارة الحسين عليه السلام

٢٨ ..	ثواب زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان ..
-------	--

القائم المهدي عليه السلام

٢٣	تهديد رسول الله الدجال بالقائم المهدي عليه السلام ..
----------	--

الأمر بالتكليف

بيان أن الأمر بالتكليف لفائدة ٢٥٣
رفع إشكال قبح التكليف ٢٧٤
في أن التكليف نفعه للعبد ٢٨٠
هل الكفار مأمورون بفروع الشريعة؟ ٣٩٢

الدجال

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله مع الدجال ١٧
--

الروح

تعارف الأرواح ١٤٠

معرفة النفس وحقيقةتها

الأقوال في حديث معرفة النفس ٤٥٣
معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين ٤٥٥
معرفة أهل الآثار ٤٥٦
المعرفة الحقيقة للرب والنفس ٤٥٧
بيان معرفة حقيقة النفس ٤٦٠
بيان كيفية الوصول إلى معرفة حقيقة النفس ٤٦٤
شرح حديث كميل في كشف سبّحات الجلال ٤٦٥

النفس والقوى العاقلة والمفكرة عند الإنسان

٢٠٠	الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر
٢٠١	بيان معنى القلب
٢٠٦	معنى الصدر
٢٠٧	بيان الوهم
٢٠٨	بيان الخيال
٢٠٨	بيان الفكر
٢١١	الخيال عند الحكماء
٢١١	الوهم عند الحكماء
٢١١	المتخيلة عند الحكماء
٢١٣	الحافظة عند الحكماء
٢١٣	بيان عدد قوى النفس
١٤١	معنى محاسبة النفس

أقسام الأجساد

٤٠٦	أقسام الأجساد
٤٠٦	الجسد البشري العنصري

العلم

٣٢	بيان حقيقة النّعم الطيبة التي تثمر العلوم النافعة
----	---

علة التفاضل في العلم بين سلمان وأبي ذر والمقداد ٤٣
قسمًا العلم ٣٩٥

الموت وقبض الروح من الجسم

من يشتري الموت؟ ٢٩
في بيان جسم الميت وأقسامه وتعلق الروح فيه ١٠

معنى تردد الله تعالى في قبض روح المؤمن

حديث تردد الله تعالى في قبض روح المؤمن ٦٠
أوجوبة دفع شبهة التردد عن الله تعالى في الحديث ٦٠
الجواب الأول ٦٠
الجواب الثاني ٦١
الجواب الثالث ٦٢
الجواب الرابع ٦٢
الجواب الخامس ٦٣
الجواب السادس ٦٣
الجواب السابع ٦٥
الجواب الثامن ٦٦
الجواب التاسع ٦٦
الجواب العاشر ٦٧
والحادي عشر ٦٨

٦٨	والثاني عشر
٦٩	رأي الشيخ الأوحد في المسألة

أمور فقهية الوضوء

٥٤	الوضوء وما ينقضه
----------	------------------

النية

١٠٠	بيان المراد من نية المؤمن والكافر
١٠١	أجوبة الفقهاء على كون النية شرّاً من العلم
١٠١	جواب السيد المرتضى
١٠٧	جواب الشيخ البهائي
١٠٨	جواب ثاني للشيخ البهائي
١١٠	جواب ثالث للشيخ البهائي
١١٥	جواب الشيخ الأوحد قدس سره

حقيقة الصلاة

١٣٦	في بيان حدود الصلاة
٤٣٣	بيان أن الصلاة الجهاد الأكبر

صلاة شارب الخمر

١٤	علل عدم قبول صلاة شارب الخمر
----------	------------------------------

الثقة

٤٢	في بيان الثقة
----	---------------------

الأمر بالمعروف لطف

٤٢٥	الأمر بالمعروف لطف
٤٢٥	معنى الوجوب على الله تعالى في اللطف

نية المؤمن

٤٣٠	معنى نية المؤمن خير من عمله
-----	-----------------------------------

الربا والبيع

٤٣٣	وجه التشابه بين الربا والبيع
-----	------------------------------------

أمور أخلاقية

٣٤	بيان طيب الملابس
٣٥	بيان كمال الزهد
٣٥	بيان كمال التقوى
٣١	كره الله تعالى للبخل والكريم
٣٦	بيان طيب المناجح
٤٠	كلام الفيض الكاشاني والملا صدرا في معنى الحديث
٨٢	شرح حديث : قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن

معنى حديث : كنت سمعه الذي يسمع به

معاني حديث (كنت سمعه الذي يسمع به) ٧١
المعنى الثاني ٧٢
المعنى الثالث ٧٣
المعنى الرابع ٧٤
المعنى الخامس ٧٤
المعنى السادس ٧٩
مقاييس المحبة من الله ٨٠

معنى الرئاسة

في الرئاسة ٩٢

الثواب والعقاب

بيان أن الثواب والعقاب على كل الأرواح مع الجسد ١٤٤
--

عذاب جهنم

معنى السبعين خريفاً في عذاب جهنم ٨٩

حقيقة عذاب العبد وعلته

التوفيق بين عقاب العبد وعدم حاجة الباري لعبادته ٢٦٨
في أن عذاب المكلف من عمله باختياره ٢٦٨

بيان علة تعذيب المؤمن وأنه موافق للعقل ٢٧٢
عذاب العبد العاصي موافق للعدل الإلهي ٢٨١

دَوْمُ الْعَذَابِ

مبررات دَوْمُ الْعَذَابِ عَلَى الْعَصَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٢٨٥
فِي أَنَّ عَلَةَ الْخَلُودِ هُوَ النِّيَةُ ٢٨٧
الْأَدَلَةُ الْعُقْلِيَّةُ وَالْحَكْمِيَّةُ عَلَى دَوْمِ التَّعْذِيبِ ٢٩٠
الْأَدَلَةُ النَّقْلِيَّةُ عَلَى دَوْمِ التَّعْذِيبِ ٢٩٣
دفع إِشْكَالِ الصَّوْفِيَّةِ فِي حُسْنِ الْعَفْوِ فِي دَوْمِ الْعَذَابِ ٢٩٥
أَدَلَةُ الصَّوْفِيَّةِ عَلَى انْقِطَاعِ التَّأْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٣٠٠
إِشْكَالٌ آخَرُ عَلَى دَوْمِ الْعَذَابِ ٣٠٢

الْمُمْكِن

هُلْ الْمُمْكِنُ مُمْكِنٌ لِذَاتِهِ؟ ٣١٢
هُلْ يَسْتَغْنِيُ الْمُمْكِنُ بِالذَّاتِ عَنِ السَّبِبِ؟ ٣١٧
بِيَانِ أَنَّ كُلَّ مُمْكِنٍ هُوَ زَوْجٌ تَرْكِيَّبٌ ٣١٨
فِي أَنَّ الَّذِي وَرَاءَ الْإِمْكَانِ لَيْسَ شَيْئًا ٤٠١

أَقْسَامُ الْوَجُودِ

أَقْسَامُ الْوَجُودِ ٤٠٦

الْجَوْهَرُ وَالنَّفْسُ

بِيَانِ حَقِيقَةِ الْجَوْهَرِ وَالنَّفْسِ ٣٢٢

أزلية العدم

القول بأزلية العدم ٣٢٥

الماهية

بطلان كون الماهية من حيث هي ليست إلا هي ٣٢٥

الوجود والماهية

الحكم بعدم جواز حدوث الوجود للماهية ٣٢٩

الهيولي

في بيان حقيقة وجود وتصور الهيولي ٣٣٨

النسخ والبداء

في بيان النسخ والبداء والفرق بينهما ٣٤٢

تحريف القرآن

عدم تحريف القرآن ٣٤٦

في بيان شبهة ابن كمونة ٣٦٨

رد الشيخ الأوحد شبهة ابن كمونة ٣٧٠

الزمان والدهر والسرمد

في بيان الزمان والدهر والسرمد ٣٧٥

العدم والوجود

في أن العدم لا يتحقق من دون وجود ٣٨٩

حدوث العالم

الدليل على حدوث العالم ٤٣٥

الإنسان

في بيان علة إنسانية الإنسان ٣٧٤

آراء الشيخ الأوحد

جواب الشيخ الأوحد عن معرفة آل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم ١٢٢

فهرس المحتويات

١ - رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين الباافقی رسالة في شرح الأخبار المعضلة

رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين الباافقی رسالة في شرح	
الأخبار المعضلة ٩	
في بيان جسم الميت وأقسامه وتعلق الروح فيه الحديث الأول ١٠	
علة عدم قبول صلاة شارب الخمر الحديث الثاني ١٤	
حديث رسول الله صلى الله عليه وآلـه مع الدجال الحديث الثالث ١٧	
تهديد رسول الله الدجال بالقائم المهدي عليه السلام ٢٣	
ثواب زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان الحديث الرابع ٢٨	
من يشتري الموت؟ الحديث الخامس ٢٩	
كره الله تعالى للبخيل والكريم الحديث السادس ٣١	
بيان حقيقة النعم الطيبة التي تشرم العلوم النافعة الحديث السابع ٣٢	
بيان طيّب الملابس ٣٤	
بيان كمال الزهد ٣٥	

بيان كمال التقوى ٣٥
بيان طيب المناكح ٣٦
كلام الفيض الكاشاني والملا صدرا في معنى الحديث ٤٠
في بيان التقية الحديث الثامن ٤٢
علة التفاضل في العلم بين سلمان وأبي ذر والمقداد ٤٣
أقسام الشيعة ٥١
الوضوء وما ينقضه الحديث التاسع ٥٤
الحديث العاشر ٥٩
الحديث تردد الله تعالى في قبض روح المؤمن ٦٠
أجوبة دفع شبهة التردد عن الله تعالى في الحديث الجواب الأول ٦٠
الجواب الثاني ٦١
الجواب الثالث ٦٢
الجواب الرابع ٦٢
الجواب الخامس ٦٣
الجواب السادس ٦٣
الجواب السابع ٦٥
الجواب الثامن ٦٦
الجواب التاسع ٦٦
الجواب العاشر ٦٧
والحادي عشر ٦٨
والثاني عشر ٦٨

رأي الشيخ الأوحد في المسألة	٦٩
معاني حديث (كنت سمعه الذي يسمع به)	٧١
المعنى الثاني	٧٢
المعنى الثالث	٧٣
المعنى الرابع	٧٤
المعنى الخامس	٧٤
المعنى السادس	٧٩
مقاييس المحبة من الله	٨٠
شرح حديث : قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن الحديث	
الحادي عشر	٨٢
في إسلام أبي طلب عليه السلام بحساب الجمل الحديث الثاني عشر .	٨٦
بيان قاعدة مفاصل الأصابع التي أسلم عليها أبو طالب عليه السلام ..	٨٧
معنى السبعين خريفاً في عذاب جهنم الحديث الثالث عشر ..	٨٩
في الرئاسة الحديث الرابع عشر	٩٢
في أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الحديث	
الخامس عشر	٩٣
في أن الأنبياء والأوصياء لا يبقون في قبورهم بل يُرفعون إلى السماء .	٩٥
بيان معنى رفع آل محمد عليهم السلام إلى السماء	٩٧
بيان المراد من نية المؤمن والكافر الحديث السادس عشر	١٠٠
أجوبة الفقهاء على كون النية شرّاً من العلم جواب السيد المرتضى ...	١٠١
جواب الشيخ البهائي	١٠٧

جواب ثاني للشيخ البهائي ١٠٨
جواب ثالث للشيخ البهائي ١١٠
جواب الشيخ الأوحد قدس سره ١١٥
إشكال معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم الحديث السابع عشر ١١٧
الإشكال الأول ١١٨
الإشكال الثاني ١٢٢
جواب الشيخ الأوحد عن معرفة آل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم ١٢٢
بيان المراد من غيوبية روح القدس عن الأئمة عليهم السلام ١٢٤
معنى إنساء الله للأئمة عليهم السلام وأنه ظاهري ١٢٦
حقيقة توحيد الله تعالى الحديث الثامن عشر ١٢٨
حقيقة توحيد الذات ١٢٩
حقيقة توحيد الصفات ١٣٠
حقيقة توحيد الأفعال ١٣٣
حقيقة توحيد العبادة ١٣٣
في بيان حدود الصلاة الحديث التاسع عشر ١٣٦
وجه الشبه في مخالفة علي عليه السلام لأبي بكر ١٣٨
تعرف الأرواح ١٤٠
معنى محاسبة النفس ١٤١
محذور السؤال عما عند الله تعالى ١٤٢
بيان أن الثواب والعقاب على كل الأرواح مع الجسد ١٤٤

٢ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى عن ثلث مسائل

رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى	١٤٩
بيان معنى كون آل محمد التقل الأصغر والقرآن الأكبر	١٥٠
مراتب آل محمد صلوات الله عليهم	١٥٠
١ - مرتبة المعاني	١٥١
٢ - مرتبة الأبواب	١٥٢
٣ - مرتبة الإمامة	١٥٣
في بيان معنى الثقل	١٥٦
معنى كون آل محمد كتاب الله الناطق والقرآن كتابه الصامت	١٥٧
في بيان مفردات حديث كميل في معرفة الحقيقة	١٥٨
الفرق بين حقيقة معرفة الله وحقيقة ذات الله	١٦٠
معنى كشف سمات الجلال	١٦٢
معنى الجلال	١٦٤
كلام الشيخ الكاشي في الحقيقة	١٦٩
وردة المصنف على الشيخ الكاشي	١٧٣
بيان معنى غلبة السر	١٨٤
بيان معنى جذب الأحديه	١٨٤
الحق في الأحديه	١٨٨
مراتب هياكل التوحيد	١٩٣

جواب ثاني للشيخ البهائي ١٠٨
جواب ثالث للشيخ البهائي ١١٠
جواب الشيخ الأوحد قدس سره ١١٥
إشكال معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم الحديث السابع عشر ١١٧
الإشكال الأول ١١٨
الإشكال الثاني ١٢٢
جواب الشيخ الأوحد عن معرفة آل محمد عليهم السلام بأسباب موتهم ١٢٢
بيان المراد من غيوبية روح القدس عن الأنئمة عليهم السلام ١٢٤
معنى إنساء الله للأئمة عليهم السلام وأنه ظاهري ١٢٦
حقيقة توحيد الله تعالى الحديث الثامن عشر ١٢٨
حقيقة توحيد الذات ١٢٩
حقيقة توحيد الصفات ١٣٠
حقيقة توحيد الأفعال ١٣٣
حقيقة توحيد العبادة ١٣٣
في بيان حدود الصلاة الحديث التاسع عشر ١٣٦
وجه الشبه في مخالفة علي عليه السلام لأبي بكر ١٣٨
تعرف الأرواح ١٤٠
معنى محاسبة النفس ١٤١
محذور السؤال عما عند الله تعالى ١٤٢
بيان أن الثواب والعقاب على كل الأرواح مع الجسد ١٤٤

٢ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى عن ثلث مسائل

رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى ١٤٩
بيان معنى كون آل محمد الثقل الأصغر والقرآن الأكبر ١٥٠
مراتب آل محمد صلوات الله عليهم ١٥٠
١ - مرتبة المعانى ١٥١
٢ - مرتبة الأبواب ١٥٢
٣ - مرتبة الإمامة ١٥٣
في بيان معنى الثقل ١٥٦
معنى كون آل محمد كتاب الله الناطق والقرآن كتابه الصامت ١٥٧
في بيان مفردات حديث كمبل في معرفة الحقيقة ١٥٨
الفرق بين حقيقة معرفة الله وحقيقة ذات الله ١٦٠
معنى كشف سمات الجلال ١٦٢
معنى الجلال ١٦٤
كلام الشيخ الكاشي في الحقيقة ١٦٩
وردة المصنف على الشيخ الكاشي ١٧٣
بيان معنى غلبة السر ١٨٤
بيان معنى جذب الأحديه ١٨٤
الحق في الأحديه ١٨٨
مراتب هياكل التوحيد ١٩٣

١٩٦	آثار النور المشرق
١٩٨	بيان المراد من السراج
٢٠٠	الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر
٢٠١	بيان معنى القلب
٢٠٦	معنى الصدر
٢٠٧	بيان الوهم
٢٠٨	بيان الخيال
٢٠٨	بيان الفكر
٢١١	الخيال عند الحكماء
٢١١	الوهم عند الحكماء
٢١٢	المتخيلة عند الحكماء
٢١٣	الحافظة عند الحكماء
٢١٣	بيان عدد قوى النفس

٣ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى

٢١٩	رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى
٢١٩	بيان الاسم المؤثر في خلق الله وإيجاده
٢٢٠	بيان الثمانية والعشرين حرفاً من الحروف الكونية
٢٢١	قسماً مراتب الحق
٢٢٣	في أن لكل بربخ اسمًا خاصًا
٢٢٤	في بيان المشية والإبداع وأنهما فعل الله

٢٢٥	في مراج النبي صلى الله عليه وآلـه
٢٢٦	في بيان أن المراج بجسد النبي صلى الله عليه وآلـه
٢٢٧	الفرق بين عالم المثال والأشباح وعالم النفوس

٤ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى عن مسائلتين

٢٣١	رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى
٢٣٣	في بيان الحقيقة الربانية والقدرة الصمدية
٢٣٥	تفسير المراد من البيوت في القرآن

٥ - رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح

٢٤١	رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح
٢٤١	تعدد معنى الإرادة بين العابد والمعبود
٢٤٧	في فعل العبد وتعلق إرادته بالله تعالى
٢٥٣	بيان أن الأمر بالتكليف لفائدة
٢٥٨	هل الله تعالى يفعل بمقتضى قدرته وفعله أم بمقتضى القابلية؟
٢٦٠	في أن السعيد من سعد في بطن أمه
٢٦٢	معاني الأم
٢٦٢	١- أنها الصورة لا المادة
٢٦٢	٢- أنها الوالدة
٢٦٣	قدر عمرها الأم الأولى (الصورة) ومراحلها

١٩٦	آثار النور المشرق
١٩٨	بيان المراد من السراج
٢٠٠	الفرق بين القلب والصدر والنفس والوهم والخيال والفكر
٢٠١	بيان معنى القلب
٢٠٦	معنى الصدر
٢٠٧	بيان الوهم
٢٠٨	بيان الخيال
٢٠٨	بيان الفكر
٢١١	الخيال عند الحكماء
٢١١	الوهم عند الحكماء
٢١٢	المتخيلة عند الحكماء
٢١٣	الحافظة عند الحكماء
٢١٣	بيان عدد قوى النفس

٣ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى

٢١٩	رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى
٢١٩	بيان الاسم المؤثر في خلق الله وإيجاده
٢٢٠	بيان الثمانية والعشرين حرفاً من الحروف الكونية
٢٢١	قسماً مراتب الحق
٢٢٣	في أن لكل بربخ اسمًا خاصًا
٢٢٤	في بيان المشية والإبداع وأنهما فعل الله

٢٢٥	في مراج النبي صلى الله عليه وآلـه
٢٢٦	في بيان أن المراج بجسد النبي صلى الله عليه وآلـه
٢٢٧	الفرق بين عالم المثال والأشباح وعالم النفوس

٤ - رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى عن مسائلتين

٢٣١	رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقى السمنانى
٢٣٣	في بيان الحقيقة الربانية والقدرة الصمدية
٢٣٥	تفسير المراد من البيوت في القرآن

٥ - رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح

٢٤١	رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح
٢٤١	تعدد معنى الإرادة بين العابد والمعبود
٢٤٧	في فعل العبد وتعلق إرادته بالله تعالى
٢٥٣	بيان أن الأمر بالتكليف لفائدة
٢٥٨	هل الله تعالى يفعل بمقتضى قدرته وفعله أم بمقتضى القابلية؟
٢٦٠	في أن السعيد من سعد في بطن أمه
٢٦٢	معاني الأم
٢٦٢	١- أنها الصورة لا المادة
٢٦٢	٢- أنها الوالدة
٢٦٣	قدر عمرها الأم الأولى (الصورة) ومراحلها

أسماء الأم الذاتية (الصورة الوجودية - الطينة) ٢٦٥
زمن ومرحلة الشقاء والسعادة في بطن الأم ٢٦٦
قدر بقاء جنين الأم في بطنه ٢٦٦
ال توفيق بين عقاب العبد وعدم حاجة الباري لعبادته ٢٦٨
في أن عذاب المكلف من عمله باختياره ٢٦٨
بيان علة تعذيب المؤمن وأنه موافق للعقل ٢٧٢
رفع إشكال قبح التكليف ٢٧٤
في أن إرادة الله تجاه العبد اختيارية لا حتمية ٢٧٤
في أن التكليف نفعه للعبد ٢٨٠
عذاب العبد العاصي موافق للعدل الإلهي ٢٨١
مبررات دوام العذاب على العصاة يوم القيمة ٢٨٥
في أن علة الخلود هو التيه ٢٨٧
الأدلة العقلية والحكمية على دوام التعذيب ٢٩٠
الأدلة النقلية على دوام التعذيب ٢٩٣
دفع إشكال الصوفية في حُسن العفو في دوام العذاب ٢٩٥
أدلة الصوفية على انقطاع التألم يوم القيمة ٣٠٠
إشكال آخر على دوام العذاب ٣٠٢

٦ - رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي عن عشرين سؤالاً

رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي عن عشرين سؤالاً .. ٣١١

٣١٢	هل الممکن ممکن لذاته ؟
٣١٧	هل يستغنى الممکن بالذات عن السبب ؟
٣١٨	بيان أن كلّ ممکن هو زوج تركيبي
٣٢١	أقسام الوجود
٣٢٢	بيان حقيقة الجوهر والنفس
٣٢٥	القول بأزلية العدم
٣٢٥	بطلان كون الماهية من حيث هي ليست إلا هي
٣٢٨	في بيان تفسير القدرة
٣٢٩	الحكم بعدم جواز حدوث الوجود للماهية
٣٣٢	هل وحدة الحقيقة القيمية من لوازم سلب الكثرة ؟
٣٣٥	تفسير قوله تعالى : «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّي»
٣٣٨	في بيان حقيقة وجود وتصور الهيولي
٣٣٩	الفرق بين الهوية والأحدية والواحدية
٣٤١	بيان الفرق بين التوحيد الألوهي والوجودي
٣٤٢	في بيان النسخ والبداء والفرق بينهما
٣٤٦	عدم تحريف القرآن
٣٦٨	في بيان شبهة ابن كمونة
٣٧٠	رد الشیخ الأوحد شبهة ابن كمونة
٣٧٤	في بيان علة إنسانية الإنسان
٣٧٥	في بيان الزمان والدهر والسرمد
٣٨٠	في أن الله خلق الخير والشر من فعل العبد

٣٨١	في بيان القضاء والقدر
٣٨٤	هل العبد مجبور بصورة المختار؟
٣٨٥	المذاهب في الأمر بين أمرتين
٣٨٩	في أن العدم لا يتحقق من دون وجود
٣٩٢	هل الكفار مأمورون بفروع الشريعة؟
٣٩٥	قسمًا العلم

٧ - رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي)

٤٠١	رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي)
٤٠١	في أن الذي وراء الإمكان ليس شيئاً
٤٠٦	أقسام الأجساد
٤٠٦	الجسد البشري العنصري
٤١٤	في بيان عدم بقاء أجساد الأنبياء والأئمة في القبور

٨ - رسالة في جواب الملا

محمد مهدي ابن الملا شفيق الأسترابادي

عن عشر مسائل منها قولهم إن الأمر بالمعروف لطف

٤٢٥	رسالة في جواب الملا محمد مهدي ابن الملا شفيق الأسترابادي
٤٢٥	معنى الوجوب على الله تعالى في اللطف
٤٢٧	القول في تحريف القرآن
٤٣٠	معنى نية المؤمن خير من عمله

بيان أن الصلاة الجهاد الأكبر ٤٣٣
وجه التشابه بين الربا والبيع ٤٣٣
رفع الشبهة عن النبي أیوب عليه السلام ٤٣٤
الدليل على حدوث العالم ٤٣٥
الدليل على وحدة الوجود ٤٣٧
رفع التناقض بين (لا إكراه في الدين) والجهاد ٤٤١
فلسفة الحسنة والسيئة ٤٤٤
السرّ في إضافة المرض للعبد والموت لله تعالى ٤٤٤

**٩ - رسالة في شرح حديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)
في جواب الآخوند ملاً محمد مهدي بن محمد
شفيع الأسترابادي**

رسالة في شرح حديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ٤٥١
الأقوال في حديث معرفة النفس ٤٥٣
معرفة أصحاب الأنوار من المتكلمين ٤٥٥
معرفة أهل الآثار ٤٥٦
المعرفة الحقيقة للرب والنفس ٤٥٧
بيان معرفة حقيقة النفس ٤٦٠
بيان كيفية الوصول إلى معرفة حقيقة النفس ٤٦٤
شرح حديث كميل في كشف سمات العجل ٤٦٥

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية	٤٧٥
فهرس الأحاديث	٤٩٥
الفهرس الموضوعي	٥٢٣
فهرس المحتويات	٥٣٩

